تترجم لأول مرة للّغة العربية

محركات قاتلة - الجزء الثالث

فيليب ريف

آلات جهنمية

INFERNAL DEVICES

BOOK 3



ترجمة: هبة الله الجماع





دار الكنزي للنشر والتوزيع



الكتاب :آلات جهنمية (الجزء الثالث من سلسلة محركات قاتلة)

تأليف : فيليب ربيف

تصنيف الكتاب : رواية

ترجمة: هبة الله الجمَّاع

تدقيق لغوي : محمود المهدي

إخراج : أحمد عبد الحليم

المقاس 14 × 20

رقم الإيداع : 13738 / 2021

الترقيم الدولي : 7 - 97 - 6660 - 977 - 978

+01062104822

Alkanzy.co@gmail.com

info@alkanzy.net

WINNER

SMARTIES GOLD AWARD

BLUE PETER BOOK OF THR YEAR

عمل عظيم يتسم بالشجاعة والروعة

الجارديان

كتاب رائع، يشد القارئ ويأسره في محتوى أحداثه الخيالية الممتعة، ومن وجهة نظري أعتقد أن الصعوبة الوحيدة التي واجهها الكاتب هي صعوبة إنهاء الفصول وانتقاله من فصل لآخر من فرط التشويق في الأحداث .

ديلي تلغرام

يتميز الكتاب بإنه ذكي وكوميدي ومليء بالحكمة

سنداي تايمز

كتاب مذهل

الاسكتلندي

عندما قرات كتاب محركات قاتلة لأول وهلة تملكني شعور قوي بأن صفحات الكتاب مشحونة بالكهرباء

فرانك كوتريل رويس - الجارديان

فنتازيا رائعة تمكن فيها ربيف في المزج بين خياله الواسع المتدفق مع خط درامي شديد التعقيد نتج عنه قصة متميزة.

أنتوني هوروتيز

تخيلت بشكل رائع، من كاتب رائع

التايمز

كتاب شيق، كتب بطريقة رائعة تخلو من الملل

الاندبندنت

إهداء

إلى سارة، كالعادة.

وكذلك للمحررين كريستين ستانسفيلد وهولي سكيت، مع وافر الشكر.

وإلى كل من سام رييف، توم سكيت، وإدوارد ستانسفيلد.

***

الجزء الأول

"1"

النائم يقوم من رقاده

في البدء لم يكن ثمة شيء، ثم انبعثت شرارة، ومن موضع ما خرج صوت أزيز لخيوط متقطعة من الأحلام والذكريات التي ومضت فجأة. وفي غضون لحظات اندفعت الشرارات الزرقاء والبيضاء للكهرباء تتدفق عبره مُحدثةً صوت فرقعات، وتسري عبر التلافيف والمسارات في دماغه، تمامًا كتيارات المد إذ تغمر كهوف البحر وتندفع عبر ممراته من جديد.

ثم راح جسده المشدود يهتز ويرتجف بشدة لدرجة أنه بات مُرتكزًا فقط على كعبيه ومؤخرة جمجمته المدرعة، ومن فمه المعدني انطلقت الصرخة. لقد استيقظ أخيرًا، وقد غمرته الأمطار المتجمدة. ثم بدأت صورٌ من الذكريات تومض في عقله، إنه الآن يتذكر... يتذكر موته، ووجه فتاة ذات ندبة يحدق إليه فيما هو ملقى فوق العشب المبتل. لقد كانت تلك الفتاة تعني له الكثير، وكان يكترث لأمرها ربما أكثر مما ينبغي لأي مُطارِد أن يفعل؛ وكان هناك أمر ما أراد أن يخبرها به لحظة موته لكنه لم يستطع. والآن لم يعد ثمة شيء يتجلى في عقله سوى صورة وجهها المشوه... ماذا كان اسمها؟ حاول أن يتذكر، فأجابه فمه: "هي...".

"إنه حي!"، صاح شخصٌ ما.

"هيس...".

"مرة أخرى، بسرعة!".

"جاهزون".

"هيستير...".

"أعطه صدمة أخرى".

وفي أوصاله سرت موجة أخرى من الموجات الكهربائية عصفت به وقَطَّعَت حتى الخيوط الواهية من تلك الذكرى المبهمة. فقط صار يدرك في تلك اللحظة أنه المُطارِد

"جريك". كذلك عادت إحدى عينيه للعمل مرة أخرى، وقد بدأ يرى أشكالًا مبهمة تتحرك هنا وهناك، ثم بدأت الأشكال تتضح أمامه ليجد أنها عبارة عن مجموعة من البشر يتجمعون حوله على ضوء المصابيح، ومن خلفهم السماء ملبدة بالغيوم، مضاءة بضوء القمر المتبدِّي من وراء السحب، وكانت لا تزال تمطر، فيما كان هؤلاء الذين يتحلقون حول مقبرته المفتوحة يرتدون الأردية والنظارات الواقية وقد وضعوا على رؤوسهم أغطية بلاستيكية.

كانوا يتجمعون حول قبره وقد حمل بعضهم مصابيح الكوارتز، فيما كان آخرون يحملون أجهزة ذات صفوف من الصمامات المتوهجة والأقراص اللامعة، تتدلى منها أسلاك مثبتة إلى جسده.

كان يشعر وكأن جزءً من جمجمته المعدنية قد أزيل وأن رأسه مفتوح من قمته كاشفًا عن مخه...

"سيد جريك؟ هل تسمعني؟".

كانت محدثته امرأة شابة تقف بجواره وتتطلع إليه، وفي عقله كانت ذكرى باهتة لفتاة، وقد راح يتساءل في داخله ما إذا كانت هي نفسها أم لا. ولكن... لا... ليست هي نفس الفتاة، فالوجه الذي يلوح في مخيلته مشوه به قطع، أما تلك التي تتطلع إليه فلها وجهٌ مليحٌ مثالي، وجهٌ شرقي ذو وجنتين بارزتين وبشرة شاحبة وعينين سوداوين، وترتدي عوينات سوداء سميكة. أما شعرها فكان قصيرًا مصبوغًا باللون الأخضر، وكانت ترتدي غطاء رأس شفافًا وزيًّا أسود مُطرَّزًا بخيوط فضية على شكل جماجم مجنحة على ياقته.

وضعت كفها فوق المعدن المتآكل لصدره وقالت: "لا تخف يا سيد جريك. أعلم أن الأمر ولا شَكَّ يبدو مُربكًا بالنسبة لك، ولكن... لقد كنت ميتًا لما يزيد عن ثمانية عشر عامًا".

"ميت...". ردد "جريك".

فابتسمت الشابة كاشفةً عن أسنان بيضاء مُعوَّجَة كبيرة نسبيًّا بالقياس لفمها الصغير، ثم استطردت: "ربما كلمة "ساكن" هي الوصف الأدق لوضعك، فالمطاردون القدامى لا يموتون فعليًّا يا سيد جريك...".

ومن مكان ما دوى صوت هدير، لكنه كان أكثر انتظامًا وإيقاعية بحيث لا يُمكن أن يكون رَعدًا. ثم ومضت أضواء برتقالية بين السحب، انعكس وهجها فوق الصخور المحيطة بمقبرة جريك، ليمتد ظلها فوقه؛ فنظر بعض الجنود نحو الأعلى في توتر، ثم قال أحدهم: "بنادق خطمية. لقد استطاعوا اختراق حصون المستنقعات، وستكون ضواحيهم البرمائية هنا في غضون ساعة".

فنظرت المرأة من فوق كتفها، ثم قالت: "شكرًا لك يا كابتن"، والتفتت من جديد نحو جريك وراحت يداها تعملان سريعًا داخل جمجمته، قبل أن تقول: "لقد تضررت بشدة وتعطَّلت آلياتك، لكننا سنعيد إصلاحك. أنا دكتور أوينون زيرو من فيلق البعث".

"أنا لا أتذكر أي شيء"، قال جريك.

"ذاكرتك تلفت تمامًا، ولا يمكنني استعادتها، أنا آسفة".

هنا تملكه الغضب، وشيء من الذعر، وقد اعتراه شعور بأن تلك المرأة قد سلبته شيئًا ما لكنه لم يعد يدرك ما هو. ثم حاول أن يبرز مخالبه، لكنه لم يستطع الإتيان بأي حركة، وقد بدا له أن لا شيء يعمل في جسده سوى عينه، فقط، وكأنه صار مجرد عين ترقد فوق الأرض المبتلة.

"لا تقلق"، قالتها دكتور زيرو، "فماضيك لم يعد هامًا، أنت ستعمل منذ الآن لصالح العاصفة الخضراء، وقريبًا سوف تحظى بذكريات جديدة".

وفي السماء، من وراء وجهها المبتسم، كان شيء ما قد بدأ يتفجر في صمت مولدًا أضواء حمراء وصفراء، وصاح أحد الجنود: "إنهم قادمون... فرقة الجنرال ناجا تحاول صدهم، لكن ذلك لن يردعهم لفترة طويلة...".

فأومأت دكتور زيرو ثم خرجت من المقبرة وراحت تنظف يديها من آثار الطين وهي تقول: "يجب أن نُخرِج السيد جريك من هنا فورًا"، ثم نظرت إلى جريك من جديد وقالت مبتسمة: "لا تقلق يا سيد جريك، هناك منطاد في انتظارنا، سوف نأخذك إلى ورشة إنشاء المطاردين في باتمونخ تساكا، وسنعيد تشغيلك من جديد قريبًا".

ثم تنحَّت جانبًا لتفسح المجال لشخصين ضخمين للنزول إلى المقبرة. كانا مطاردين كذلك، وعلى دروعهما طُبع رمز الصاعقة أخضر اللون، لكن جريك لم يدرك

ماهية هذا الرمز. وكان لكل منهما وجه فولاذي مصمت بلا ملامح، باستثناء شقين ضيقين في موضع العينين يتوهجان باللون الأخضر، بينما يحملان جريك ويضعانه فوق نَقَّالة، ثم يتجهان به نحو صف من السفن الجوية. وبجوارهما كان عدد من الرجال المسلحين يهرعون كذلك نحو السفن التي راحت ترتفع الواحدة تلو الأخرى نحو السماء.

"بسرعة، بسرعة... احذروا، إنه عتيق". صاحت دكتور زيرو في المطاردين وهي تركض مسرعة، وقد صار مسار السفن الجوية أكثر انحدارًا؛ وسرعان ما أدرك جريك سبب تعجلها وتوتر رجالها، فمن الفجوات بين الصخور لمح ذلك الجسم الكبير الذي يتلألأ في الماء تحت ومضات طلقات النيران، وفوق الماء ومن ورائها على الأرض المظلمة، كانت أشكال عملاقة تتحرك. وعلى ضوء المناطيد المتوهجة في السماء وانعكاس مشاعلها، كان في مقدوره أن يرى مساراتهم المدرعة وفكوكهم العملاقة وطبقاتهم الحديدية، الواحدة فوق الأخرى، وأبراج دفاعاتهم الحربية.

مدن متحركة، جيش منها، يشق طريقه عبر المستنقعات... وقد أثار منظرهم ذكريات باهتة في رأس جريك، إنه يعرف بوجود مدن كهذه، أو هو على الأقل يدرك فكرة وجودهم، لكنه لم يستطع تذكر ما إذا كان يومًا على متن أحدها، ولا ما فعله هناك.

وللحظة، وفيما كان منقذوه يهرعون به نحو المنطاد، رأى جريك وجه الفتاة المشوه يلوح في مخيلته من جديد، كانت تنظر إليه في ثقة، وكأنها تنتظر منه شيئًا كان قد وعدها به... ولكن، من تكون تلك الفتاة؟!... هذا ما لم يستطع إدراكه.

***

"2"

على متن أنكوراج بفينلاند

بعد عدة أشهر، في الجانب الآخر من العالم، استلقت "رين ناتسوورثي" في فراشها وراحت ترقب ضوء القمر الفضي إذ تتحرك أشعته ببطء عبر سقف غرفتها. كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل ولم تكن ثمة أصوات فيما عدا صوت تحركات جسدها، والصرير الخافت المتقطع للمنزل القديم.

ولطالما كانت تتساءل في شك عما إذا كان ثمة بقعة في العالم هادئة كتلك التي تعيش فيها هنا في أنكوراج بفينلاند، تلك المدينة الجليدية النائية المستقرة على الشاطئ الجنوبي الصخري لجزيرة مجهولة على ضفاف بحيرة مفقودة في ركن منسي من القارة الميتة.

وبرغم كل ذلك السكون المحيط بها، لم تكن رين قادرة على النوم، فتقلبت على جانبها وحاولت الاسترخاء، فيما تكومت الملاءة الدافئة من حولها.

لقد تشاجرت مع والدتها من جديد، خلال وقت العشاء... إنها واحدة من تلك الشجارات التي تشتعل من أصغر خلاف بينهما، فقد كانت رين ترغب في الخروج مع صديقتها "تيلدي سميو" وأبناء "ساستروجي" بدلًا من قضاء الوقت في غسل الصحون، إلا أن أمها رفضت، وسرعان ما تفاقم الخلاف بينهما ليستحيل شجارًا رهيبًا مُفعمًا بالدموع والصياح والاتهامات، واستدعاء ضغائن قديمة لتنفجر كالقنابل في أرجاء المنزل، فيما وقف الأب المسكين يحاول تهدئة الأمور، ولكن بلا جدوى... "رين، اهدئي"... "من فضلك يا هيستيرا!"...

وبالطبع خسرت رين في النهاية. وما إن انتهت من غسل الصحون حتى توجهت لغرفتها مباشرة لتلقي بنفسها فوق الفراش، محدثة أعلى جلبة ممكنة، وقد اشتعل عقلها بالتفكير فيما حدث، وراحت تردد في داخلها تعبيرات جارحة تمنت لو أنها كانت قد وردت إلى ذهنها أثناء الشجار.

"إن أمي لا تملك أدنى فكرة عما يعنيه أن تكون فتاة في سن الخامسة عشر"، هكذا راحت تفكر رين "لطالما كانت شديدة القبح لدرجة أنها ربما ما كانت لتملك أي

أصدقاء عندما كانت في مثل سني، خصيصًا أصدقاء مثل "نات ساستروجي" الذي تحلم به جميع فتيات أنكوراج، لكنه أخبر "تيلدي" أنه معجب بي أنا، رين... ربما لم تحظَ أمي بحب أي فتى، باستثناء أبي".

أما ما رآه أبوها في أمها وجعله يحبها هكذا، فقد ظل لغزا مستغلقًا عصيًّا على الحل في رأيها، بل ربما هو أحد أكبر الألغاز الغامضة في فينلاند قاطبةً.

وراحت رين تتقلب في فراشها محاولةً التوقف عن التفكير في الأمر، ولكن دون جدوى، فقامت من سريرها وقد قررت التمشي قليلًا علّ ذلك يهدئ من غليان أفكارها ويساعد على صفاء عقلها. ولكن... ماذا إن استيقظ والداها ليجدا أنها غير موجودة بالمنزل؟ . هكذا راحت تفكر. ربما يظنان حينها أنها قد ألقت بنفسها في الماء وغرقت أو أنها هربت من البيت...

ليكن، علّ ذلك يلقن أمها درسًا ألا تعاملها كطفلة، أليس كذلك؟! ثم ارتدت ملابسها وجوربيها وحذاءها، وتسللت إلى الطابق السفلى وسط الصمت الذي يلف المنزل.

لقد اختار والداها هذا المنزل لهما قبل ستة عشر عامًا، حيث كانت أنكوراج قد وصلت لتوها إلى الشاطئ لتستقر به، بينما كانت رين لم تزل كتلة من اللحم في رحم أمها. إنه تاريخ الأسرة، وحكاية قبل النوم التي كانت تُقص عليها وهي بعد صغيرة، وقد تذكرتها الآن. لقد منحتهما "فريا راسموسين" حرية الاختيار من بين المنازل الخاوية في الطبقة العليا من أنكوراج، فاختارا هذه "الفيللا"، التي كانت في الماضي ملكًا لأحد التجار، والتي تقع في ساحة "دوج ستار" وتطل على الميناء الجوي.

منزل جميل هو، دافئ ومريح، متين البنيان، ذو أرضيات من البلاط وأنابيب تدفئة من السيراميك، أما الجدران فهي مغطاة بالألواح الخشبية والبرونز.

وعلى مر السنين، عمد الأبوان إلى فرش ذلك المنزل بالأثاث الذي وجداه في المنازل الخاوية الأخرى من حولهم، وزيّناه باللوحات والمعلقات، والقطع الخشبية التي جرفتها المياه إلى حيث الشاطئ، وكذلك ببعض التحف التي اكتشفها الأب خلال رحلاته الاستكشافية عبر التلال الميتة.

انسلّت رين عبر الردهة لتلتقط معطفها من على حامل المعاطف بجوار الباب الأمامي دون أن تلتفت لأي شيء حولها أو حتى تحين منها التفاتة نحو المطبوعات

والصور على الجدران أو تلك الأدوات الثمينة القديمة لتحضير الطعام، أو الهواتف العتيقة المحفوظة في الواجهة الزجاجية بالجوار. لقد نشأت وترعرعت وسط هذه الأشياء، لكنها قد ملتها الآن؛ في الواقع، لقد بدأت تشعر منذ العام الماضي وكأن ذلك المنزل العامر قد بدأ يضيق عليها، وكأنه يتقلص بينما تنمو هي، حتى الروائح المألوفة للغبار ومواد تلميع الأخشاب ورائحة كتب أبيها، باتت خانقة لها بشكل أو بآخر. لقد بلغت الخامسة عشر من عمرها وأمست تشعر وكأن حياتها أشبه بحذاء ضيق لم يعد يلائمها.

أغلقت الباب خلفها بهدوء قدر ما أمكنها ثم أسرعت بخطوات خفيفة عبر "دوج ستار". كان الضباب يغلف التلال الميتة كسحابة من الدخان، ومن فم رين خرجت نفحة مماثلة من الضباب مع أنفاسها.

كانوا لا يزالون في أوائل سبتمبر، لكنها كانت تشتم بالفعل رائحة الشتاء في هواء الليل. وكان القمر قريبًا من الأرض، ومع ذلك كانت النجوم تتلألأ بوضوح، وفي الأفق راح الشفق القطبي يلمع متوهجًا في السماء.

وفي قلب المدينة، كانت الأبراج الصدئة للقصر الشتوي تنتصب متسربلة باللون الأسود في وهج السماء، وقد اكتست بأغصان مشتجنة من اللبلاب.

لطالما كان القصر الشتوي مقرًّا ومسكنًا لحكام أنكوراج عبر الزمن، أما الآن فما عاد يقطنه أحد سوى الآنسة "فريا"، آخر مارجرافين للمدينة، والتي صارت مُعَلِّمة المدرسة بها.

وفي كل يوم طوال الشتاء، ومذ كانت في الخامسة من عمرها، كانت رين تذهب إلى قاعة الدراسة بالطابق الأرضي من القصر لتستمع إلى الآنسة فريا وهي تشرح دروس الجغرافيا واللوغاريتمات وقواعد "الداروينية البلْدية"، والعديد من الدروس والمواد الأخرى التي على الأرجح لن تستفيد منها شيئًا على الإطلاق. ولكم بدا لها هذا مملًا في ذلك الوقت، أما الآن وبعدما كبرت وأصبحت في الخامسة عشرة من العمر، باتت تفتقد تلك الأجواء بشدة وتشتاق إليها، فما عاد بإمكانها الآن الجلوس في قاعة الدراسة القديمة المحببة إليها، إلا إذا... قبلت العرض الذي عرضته عليها الآنسة فريا منذ بضعة أسابيع، حيث عرضت عليها العمل معها كمدرسة ومساعدتها

في تعليم الأطفال. وهي الآن في انتظار رد رين، حيث سيعود أطفال أنكوراج إلى المدرسة بمجرد بدء موسم الحصاد.

لكن رين لم تكن تعرف ما إذا كانت ترغب حقًا في أن تصبح مساعِدة للآنسة فريا أم لا، ولم تشأ التفكير في الأمر الآن، ليس الليلة.

عند نهاية "دوج ستار" كان ثمة درج يقود عبر ألواح سطح المدينة إلى حيث حي المحركات، فاتخذت رين سبيلها عبره، وما إن نزلت درجاته حتى هبت عليها روائح صيفية، ومن الأسفل أتاها صرير الدرجات الصدئة وهي تئن تحت وطأة قدميها بينما تهبط وسط ركام من القش المتناثر عبر الدرج. لقد كان هذا القسم من المدينة يعج بالحياة والضوضاء في الأيام الخوالي، حين كانت محركاته تهدر لتجر المدينة المتزلجة فوق الجليد الممتد عند أطراف العالم، بحثًا عن التجارة وتبادل السلع. لكن تلك الأيام قد انتهت قبل ولادة رين، والآن تحول حي المحركات إلى مخزن للخضروات والتبن، ومأوى شتوي للماشية.

وعلى ضوء القمر الخافت، المتسلل إليها عبر ثقوب وفتحات ألواح السطح، كان في مقدور رين أن ترى أكوام البالات المكدسة بين خزانات الوقود الفارغة... حينما كانت رين طفلة كانت هذه الساحات المهجورة بمثابة ملعب لها، وحتى الآن لا تزال تحب المجيء إلى هذه البقعة والتمشي قليلًا عبرها كلما اعتراها شعور بحزن أو ضجر، وتُمضي الساعات في تخيل مدى متعة العيش على متن مدينة متحركة. إن الكبار في مدينتها لا يكفون عن الحديث عن الأيام الخوالي السيئة، وكم كان الأمر مرعبًا أن يحيوا في خطر دائم وخوف من أن تقوم مدينة أكبر وأسرع بالتهام مدينتهم، إلا أن رين لم تكن ترى الأمر على هذا النحو، ولطالما تمنت لو كان في مقدورها أن تشاهد إحدى المدن المتحركة تلك، أو أن تحلق من مدينة إلى أخرى على متن سفينة جوية، كما كان والداها يفعلان قبل مجيئها إلى الحياة. إن والدها لا يزال يحتفظ بصورة على مكتبه تظهره وأمها يقفان عند أحد مرافئ السفن على متن مدينة تدعى "سان جوان دي لوس موتورز" أمام منطادهما الأحمر الصغير الجميل "جيني هانيفر". إلا أنهما لا يتحدثان مُطلقًا عن المغامرات التي قد خاضاها في ذلك الزمن، وكل ما تعرفه هو أنهما في نهاية المطاف هبطا على متن أنكوراج، حيث سرق البروفيسور الوغد "بيني رويال" منطادهما، ومنذ ذلك الحين استقرا على متن

أنكوراج وبدأ في التكيف مع الحياة الهادئة المريحة في فينلاند... "يا له من حظ!" هكذا راحت رين تفكر في سخط وهي تلتقط أنفاسها وسط الرائحة الدافئة لبالات القش. لقد كانت تتمنى لو أنها ابنة أحد التجار الجويين، لكانت قد حظيت بنمط حياة ساحر وأكثر إثارة من حياتها المملة هذه، عالقة على هذه الجزيرة النائية، بين أناس تتلخص كل فكرتهم عن الإثارة في سباقات قوارب التجديف، أو موسم حصاد جيد للتفاح.

فجأة، انغلق باب في مكان ما في الظلام الممتد أمامها، محدثًا صوتًا جعلها تقفز من مكانها. لقد اعتادت السكون والوحدة لدرجة أن مجرد فكرة وجود شخص آخر يتجول على مقربة منها بدت مخيفة لها. ثم تذكرت أنها في حي المحركات، فسارت . والأفكار تجول بخاطرها . عبر الطريق المؤدي إلى قلب الحي، حيث يحيا "كول"، مهندس أنكوراج، الذي يعيش وحيدًا في سقيفة قديمة تقع بين اثنين من أعمدة الطبقة. إنه الآن الساكن الوحيد في الطبقات السفلى من أنكوراج، والتي ما كان لأي شخص آخر أن يختار العيش بها وسط الصدأ والظلال، تاركًا القصور الرحبة والفلل الخاوية المتاحة في الأعلى حيث ضوء الشمس. لكن كول كان مختلفًا، إنه غريب الأطوار، لا يحب ضوء الشمس ولم يألفه يومًا، فقد نشأ تحت البحر في معقل اللصوص في "جريم سباي". كما أنه لا يحب الرفقة كذلك، صحيح أنه كان مقربًا من العجوز "سكابيوس"، المهندس السابق للمدينة، ولكن منذ وفاة الرجل انغلق كول على نفسه مفضلًا الوحدة والعزلة هنا في الأسفل.

ولكن... ما الذي يدفعه للتجول في حي المحركات في هذه الساعة؟!

مدفوعة بفضولها، تسللت رين عبر الدرج إلى أحد الممرات العلوية، ومن موضعها استطاعت أن تحظى برؤية جيدة لكوخ كول. كان الرجل يقف هناك خارج الباب، حاملًا في يده مصباحًا، وقد رفعه قليلًا أملًا في رؤية أوضح لقصاصة من الورق كان يمسكها باليد الأخرى. وبعد لحظة وضع القصاصة في جيبه وانطلق نحو طرف المدينة.

اندفعت رين عبر الدرج نحو الأسفل، ثم راحت تخف الخطى متتبعة ضوء المصباح في يده، وقد اعتراها شعور بالإثارة.

منذ نعومة أظفارها، كانت رين تنجذب دومًا لمغامرات المحققين الشجعان الذين يطاردون المهربين ويوقعون بهم، ويكشفون شبكات التجسس التي تعمل لحساب جماعات مناهضة التحرك، ولطالما كانت تبحث بشغف عن تلك النوعية من الحكايات بين كتب قصص الأطفال في مكتبة المارجرافين. وكم كانت تأسف لخلو فينلاند من المجرمين والخارجين عن القانون، والمحققين الذين يسعون وراءهم للإيقاع بهم. ولكن... ألم يكن كول لصًا ذات يوم؟! ربما بدأ يحن لحياته القديمة! فقط باستثناء أنه لا يوجد معنى لسرقة أي شيء في أنكوراج، فكل شيء متاح لأي شخص، ويمكن لأي من كان الحصول على ما يريد من صنوف الأشياء والسلع التي تعج بها مئات المحلات والمنازل المهجورة.

وبينما كانت تشق طريقها عبر ركام الآلات نصف المفككة خلف كوخ كول، راحت تبحث عن تفسير آخر أكثر معقولية لرحلته الليلية تلك... ربما هو لم يستطع النوم، مثلها، وربما هو قلق بشأن أمر ما... ربما.

كانت تيلدي صديقتها قد أخبرتها ذات يوم أنه منذ سنوات وسنوات، حين وصلت أنكوراج إلى فينلاند للمرة الأولى، كان كول قد وقع في حب الآنسة فريا، وأنها كذلك كانت مغرمة به، إلا أن الأمر بينهما توقف عند ذلك الحد ولم تتطور علاقتهما، فقد كان كول . كما هو الآن . غريب الأطوار، حتى في تلك الأيام. إذن، ربما هو اعتاد التجول كل ليلة في شوارع حي المحركات توقًا إلى حبه الضائع، أو ربما قد ارتبط بعلاقة حب مع امرأة أخرى، وخرج الآن للقائها في ضوء القمر عند أطراف المدينة.

أخذت رين تخف الخطى خلف كول، وقد انتابها سرور عارم بأنها أخيرًا ستجد أمرًا مثيرًا تقصه على تيلدي في الصباح. وراحت تتبع كول في الخفاء، إلى أن بلغا أطراف المدينة، إلا أنه لم يتوقف هناك، وإنما توجه مسرعًا نحو درج يقود إلى الأسفل حيث اليابسة، ثم اتجه صاعدًا نحو التل وقد سلط ضوء المصباح أمامه.

توقفت رين للحظة، ثم تبعته وقفزت إلى الأرض حيث تنمو النباتات الربيعية، وواصلت تسللها خلفه متتبعةً خطاه عبر الطريق المؤدي إلى حيث موضع التوربينات الهادرة لمحطة الطاقة الكهرومائية القديمة لسكابيوس.

إلا أن رحلة كول لم تنتهِ هناك، بل واصل تقدمه صعودًا بين بساتين التفاح

والمراعي إلى حيث الغابة. وعند طرف الجزيرة، حيث أشجار الصنوبر تملأ الهواء برائحة الراتنج، والصخور البارزة من بين العشب كنتوءات تمتد فوق ظهر تنين، توقف كول وأطفأ مصباحه، ثم راح يجول ببصره من حوله. ومن خلفه، على بعد خمسين قدمًا، قبعت رين متخفية بين الظلال بينما الريح الخفيفة تداعب شعرها، ومن فوقها راحت أغصان الأشجار تتمايل وتمتد كأيادٍ صغيرة نحو السماء.

التفت كول نحو المدينة الغافية الرابضة على الشاطئ الجنوبي للجزيرة، ثم أدار ظهره ورفع مصباحه لأعلى من جديد وراح يضيئه ويطفئه لثلاث مرات متتالية... "لقد فقد عقله!"، قالتها رين لنفسها وهي تطالع المشهد العجيب، ثم "ولكن لا... إنه يرسل إشارات لشخص ما، تمامًا مثل مدير المدرسة الشرير في رواية (ميلي كريسب ولغز الطبقة الثانية عشر)".

ومن الأسفل، بين الخلجان الصخرية الخاوية على الشاطئ الشمالي لمع وميض آخر استجابةً . بالطبع . لإشارات كول.

ثم تحرك كول، فتبعته رين من جديد، حيث راح يهبط عبر الجانب الشمالي المنحدِر للجزيرة، بعيدًا عن أنظار المدينة.

"ربما هو والآنسة فريا يتواعدان من جديد، واتفقا على اللقاء هنا بعيدًا عن الأعين، تجنبًا للقيل والقال..." كانت الفكرة رومانسية لدرجة جعلت رين تبتسم فيما كانت تتبع كول على مسار الأغنام شديد الانحدار، بين صف من أشجار البتولا الممتدة على الشاطئ.

ولكن... لم تكن الآنسة فريا هي من في انتظار كول، بل رجلًا، يقف هناك عند حافة الماء ويرقب كول وهو يتجه نحوه.

وبرغم المسافة والضوء الخافت للشفق القطبي، كان في مقدور رين أن تدرك أن الرجل غريب تمامًا عن المدينة، وأنها لم تره من قبل قط...

في البدء لم تصدق ما تراه عيناها، وكانت تعرف جيدًا أنه لا يوجد أي غرباء يأتون إلى فينلاند على الإطلاق، وأن قوم أنكوراج فقط هم من يستوطنونها، سواء الذين جاؤوا إليها على متن مدينتهم أو أبنائهم الذين ولدوا بها، فقط، وكانت رين تعرف الجميع فردًا فردًا. أما ذلك الرجل الواقف على الشاطئ فهي لا تعرفه البتة.

وحينما تكلم خرج صوته غريبًا على أذنها:

"كول، رفيق الغواصة القديم، سعيد برؤيتك مرة أخرى".

"جارجل" أجاب كول تحية الرجل بصوت متوتر، ولم يمد يده لمصافحة يد الرجل الممدودة نحوه.

ثم راحا يتحدثان، لكن رين لم تصغ لما يقولان، فقد أخذت تفكر في ذلك الوافد الجديد ومن عساه يكون، وكيف وصل إلى فينلاند، وماذا يريد؟! ثم سرعان ما قفزت الإجابة إلى ذهنها، لكنها إجابة لم تكن لتروق لها على الإطلاق: الصبية المفقودون...

إنه اللقب الذي كان يطلق على تلك العصابة التي كان كول جزءً منها في الماضي، والتي قامت بالسطو على أنكوراج أيام كانت لا تزال مدينة جليدية، باستخدام آلاتهم الغريبة الشبيهة بالعناكب. لقد تركهم كول منذ زمن بعيد وجاء إلى أنكوراج ليحيا على متنها في كنف السيد سكابيوس والآنسة فريا... أم تراه...؟ أيمكن أن يكون قد ظل على تواصل مع الصبية المفقودين سرًّا طوال تلك السنوات، وبقي منتظرًا حتى تتمكن المدينة من تحقيق الاستقرار والازدهار، ثم استدعاهم لنهبها من جديد؟

لكن الغريب الواقف على الشاطئ لم يكن صبيًّا، بل رجلًا ناضجًا، ذا شعر أسود طويل، يرتدي حذاءً ذا رقبة عالية كقراصنة القصص، ومعطفًا يصل حتى الركبتين وقد أزاحه إلى الخلف ووقف معلقًا إبهاميه في حزام بنطاله، مما أتاح لرين رؤية ذلك المسدس المعلق إلى جانب خاصرته بوضوح.

في هذه اللحظة أدركت رين كم هي بعيدة عن ديارها الآمنة، وقد أرادت أن تركض نحو المنزل لتخبر والديها بالخطر القريب من المدينة، لكن ذلك كان متعذرًا، فالرجلان قريبان من مكمنها، ولو تحركت أو حاولت الركض فسيرانها لا محالة.

تكورت رين حول نفسها أكثر بين الأغصان من وراء الشاطئ، وقد تعمدت ضبط تحركاتها مع حركة الأمواج المتكسرة على الصخور حتى لا يسمعا حفيف حركتها.

كان الرجل الذي يدعى "جارجل" لا يزال يتحدث، وقد بدا كما لو كان يمزح نوعًا ما، لكن كول قاطعه فجأة قائلًا: "ما الذي أتى بك إلى هنا يا جارجل؟ لقد ظننت أنني ودَّعتُ الصبية المفقودين إلى الأبد، وقد صُدِمتُ حين فوجئت برسالتك أسفل باب

منزلي... منذ متى وأنت تحوم حول أنكوراج؟".

أجابه جارجل: "منذ أمس، لقد مررنا للتو لنلقي التحية ونسأل عن أحوالك!".

"إذن لماذا لم تُظهِروا أنفسكم؟ لماذا لم تأتِ لمقابلتي في وضح النهار؟ بدلًا من ترك رسالة والإتيان بي إلى هنا في منتصف الليل؟".

"لقد أردت هذا حقًّا يا كول، وكنت أنوي بالفعل أن أرسو بمركبي على الشاطئ على مرأى من الجميع. لكني أرسلتُ أولًا بعضًا من كاميراتي السلطعونية إلى هنا لاستطلاع الأجواء. وحسنًا فعلت، أليس كذلك؟ ما الذي حدث لك يا كول؟ لقد حسبتُ أنك ستصبح ذا شأن عظيم هنا، ولكن... انظر إلى حالك وما صرت عليه... لباس ملطخ وشعر أشعث ولحية نامية يبدو لي من منظرها أنك لم تُشذِّبها منذ أسبوع على الأقل. أهكذا يبدو الرجال ذوو الشأن في أنكوراج هذه الأيام؟ لقد اعتقدت كذلك أنك ستتزوج من المارجرافين، ماذا كان اسمها؟ فريا على ما أظن...".

"راسموسين"، قالها كول بلهجة حزينة وهو يبتعد عن الرجل قليلًا، "لقد حسبتُ ذلك أنا أيضًا، لكن الأمر لم يفلح بيننا. الموضوع معقد يا جارجل. إن الأمور لا تجري في أرض الواقع على المنوال الذي تحسبها ستكون عليه حينما تراقبها عبر الكاميرات. إنني لم أستطع التأقلم هنا".

"كان من الطبيعي أن أظن أن هؤلاء اليابسين سيستقبلونك بأذرع مفتوحة" قالها جارجل وقد بدا مصدومًا، "إذ تأتيهم بتلك الخريطة التي أرشدتهم إلى هنا" (هل المقصود بعد أن أتيتهم بتلك الخريطة؟).

فهز كول كتفيه وقال: "لقد كانوا جميعًا ودودين معي تمامًا، لكنني لم أتأقلم وحسب. لم أستطع التواصل معهم والتحدث إليهم، والحق إن للكلام أهمية كبرى لدى اليابسين، وهو ما لم أعتده قط... لقد كانت الأمور تسير على ما يرام حينما كان السيد سكابيوس لا يزال حيًّا، فلقد عملنا معًا ولم نكن في حاجة لتبادل الأحاديث، لقد كان العمل بديلًا عن الكلمات. أما الآن وبعد أن رحل... على أي حال، ماذا عنك أنت؟ وماذا عن العم؟ كيف حاله؟".

"آه! ما زلت تهتم بأمرنا إذن!".

“بلى، إنني أفكر فيه كثيرًا، أهو...؟”.

أجابه جارجل وقد فهم ما يرمي إليه: “ما زال الرجل العجوز حيًّا يا كول”

“في آخر لقاء بيننا كنت تخطط للتخلص من الرجل والاستيلاء على...”.

“وقد وضعتُ يدي على كل شيء بالفعل...”، أجابه جارجل بابتسامة عريضة بدت لرين عبر تلك المسافة أشبه ما تكون بسحابة بيضاء وسط الظلام، “العم لم يعد قويًّا كما كان، لقد أفلتت الأمور من بين يديه، كما أنه لم يكن موفقًا في تلك المهمة في “روجز رووست” ولم يستطع تجاوز خسائره بها، وفَقَد العديد من أفضل صبيته، كان هذا كله خطأه هو. وقد جعله ذلك ينعزل. وها هو قد بات يعتمد عليَّ في كل شيء تقريبًا، وصار الصبية يخشونني أنا”.

“أنا واثق من أنهم يخشونك حقًّا”، قالها كول بلهجة ذات معانٍ لم تستطع رين إدراكها، وكأن كلماته تلك جاءت استكمالًا لمحادثة قديمة كانت قد بدأت منذ زمن بعيد، ربما قبل حتى أن تولد هي.

قال كول: “قلت إنك في حاجة لمساعدتي”.

“نعم، فقط حسبتُ أنني أستطيع أن أطلب ذلك منك، من أجل الأيام الخوالي”.

“ما الذي تخطط له؟”.

“أنا لا أخطط لشيء!”، أجابه جارجل بلهجة بدا منها وكأن كول قد جرحه بكلماته، “كول، أنا لم آتِ إلى هنا للنهب، لا أنوي أن أسرق أصدقاءك اليابسين اللطفاء. أنا فقط أبحث عن شيء واحد، غرض صغير لن يكترث به أحد. لقد بحثت عنه بكاميراتي السلطعونية، وأرسلت في إثره أفضل لصوصي، لكني لم أتمكن من العثور عليه. لذا فكرت، إن ما نحتاجه حقًّا هو شخص في الداخل، وها أنت ذا هنا... لقد قلت لطاقمي أننا يمكننا الاعتماد عليك”.

“أنت مخطئ يا جارجل!”، صاح كول بصوت مرتجف، “ربما لم أستطع التكيف هنا، لكنني لم أعد من الصبية المفقودين كذلك. لن أعاونك على سرقة فريا. والآن أريدك أن ترحل عن هنا، ولن أخبر أحدًا بوجودك، لكن اعلم أنني سأُبقي عينيَّ وأذنيَّ مفتوحتين جيدًا، وإذا تناهى إلى سمعي صوت أي من كاميراتك، أو اكتشفت أن شيئًا

ما قد فُقِد من المدينة، فسوف أخبر اليابسين بكل شيء، وثِقْ حينها أنك ستجدهم في انتظارك في المرة القادمة التي ستأتي فيها متسللًا إلى أنكوراج".

ثم استدار ومشى على الشاطئ عبر الأغصان، على بُعد قدم من مخبأ رين. التي سمعته يتعثر فيسقط على وجهه ثم ينهض وهو يطلق سبة ويشرع في اتخاذ طريقه صعودًا عبر التل، قبل أن يتلاشى صوت خطواته تمامًا.

"كول..."، صاح جارجل مناديًا إياه، ولكن ليس بصوتٍ عال، بل خرج صوته أشبه بنداء خافت، بلهجة يائسة محبطة.

ثم استسلم، ووقف يفكر مليًا وقد راح يمرر يده عبر خصلات شعره.

أما رين فقد شرعت في التحرك من مكمنها بحذر وهدوء شديدين استعدادًا للحظة التي يدير فيها الوافد الغريب ظهره لها مُفسحًا لها المجال لتتسلل بعيدًا بين الأشجار.

لكن جارجل لم يستدر، وإنما رفع رأسه ونظر مباشرة نحو مكان اختبائها، ثم قال: "إنني أملك عينين وأذنين أكثر حدة مما يملكه صديقي كول... يمكنك الخروج الآن!".

***

"3"

الأوتوليكوس

هبت رين على قدميها، واستدارت وشرعت تركض في هلع، لكن لم تكد تخطو ثلاث خطوات حتى فوجئت بشخص غريب آخر يخرج من الظلام على يسارها، ليهجم عليها ويمسك بها بإحكام ويستدير بها في الاتجاه المعاكس ثم يطرحها أرضًا...

"كووول!" صرخت رين مستغيثة، لكن يدًا باردة وضعت فوق فمها لتمنعها من الصراخ، فرفعت عينيها لتجد آسرها يحدق إليها بدوره... كان ذا وجه شاحب هو الآخر، وقد اختفت نصف ملامحه خلف خصلات من شعره الأسود. ومن ناحية الشاطئ هرع الرجل الآخر نحوهما وقد أضاء مصباحًا في يده، فانبعث ضوء أزرق ساطع جعل رين تطرف بعينيها وقد أعماها الوميض.

"رفقًا بها" قالها ذلك المدعو جارجل، "رفقًا بها، إنها امرأة، امرأة شابة صغيرة السن حسبما يبدو"، ثم أبعد مصباحه عن وجهها كي تتمكن من فتح عينيها ورؤيته.

كانت رين تتوقع أن ترى شخصًا في مثل عمر كول، لكن جارجل كان أصغر سنًا...

"ما اسمك أيتها الشابة؟" سألها جارجل مبتسمًا.

"ر... رين"، أجابته رين متلعثمة، "ر... رين...، ن... ن... ناتسوورثي".

وقف جارجل يحدق إليها لهنيهة محاولًا فهم ما تقول، ثم ما إن تمكن من تمييز ما تفوهت به، حتى اتسعت ابتسامته وصارت أكثر دفئًا ومودة...

"ناتسوورثي؟ أنت ابنة توم ناتسوورثي؟".

"هل تعرف أبي؟"، سألته رين وقد راحت تفكر وتتساءل . في غمرة ارتباكها. في قرارة نفسها عما إذا كان أبوها هو الآخر يلتقي سرًّا بهؤلاء الصبية المفقودين على خلجان الشاطئ الشمالي!

لكن جارجل بالطبع كان يقصد ما وقع منذ سنوات بعيدة، قبل ولادتها... "إنني أتذكره جيدًا" أجابها جارجل، "لقد حل ضيفًا علينا على متن مركبة "الدودة

ماذا كان اسمها؟ نعم... تذكرت، هيستير شاو. لطالما اعتبرت توم ناتسوورثي شخصًا جيدًا جديرًا بالاحترام والإعجاب حقًّا لأنه أحب شخصًا مثلها، إنه رجل لا يعبأ بالمظاهر، بل هو أعمق من ذلك، ولعمري هذا أمر نادر بين اليابسيين".

"ماذا سنفعل بها يا جار؟"، سأله مرافقه، ذلك الذي قبض عليها، بصوت خافت غريب، "هل ستكون طعامًا للأسماك؟".

فأجابه جارجل: "دعنا نأخذها على متن مركبتنا... أود التعرف على ابنة توم ناتسوورثي".

ما إن سمعت رين هذا حتى عاودها الهلع من جديد بعدما كانت قد بدأت تهدأ نوعًا ما، وصرخت وهي تحاول الإفلات: "أريد أن أعود إلى المنزل!".

لكن جارجل أمسك بذراعها، وقال مبتسمًا في سرور: "فقط تعالي على متن مركبتنا للحظة واحدة، أريد التحدث إليك وتوضيح السبب الذي جعلني أتسلل إلى هنا كاللصوص... حسنًا، أنا لص بالطبع، لكني أعتقد أن عليك أن تستمعي للقصة من وجهة نظري قبل أن تتخذي قرارك".

"أي قرار؟!"، صاحت رين.

"قرارك حول ما إذا كنتِ ستخبرين أبويك وأصدقاءك بما رأيته الليلة هنا أم لا".

شعرت رين أنه يمكنها أن تثق به، لكنها لم تكن متيقنة من هذا، فعلى مدار عمرها لم تكن في حاجة لتفكر فيما إذا كان يمكن أن تمنح ثقتها للآخرين أم لا... ثم نظرت إليه وقد انتابتها الحيرة والارتباك إزاء تلك الابتسامة المرتسمة على وجهه، وراحت تتطلع من خلفه نحو الشاطئ الممتد حيث المياه المتلألئة باللون الأزرق. وقد ظنَّت في البداية أن ذلك الضوء اللامع ما هو إلا وميض المصباح الذي سلطه الرجل عليها في البداية، وقد بقي أثره يومض في بصرها، ثم سرعان ما أدركت أن ذلك اللمعان الأزرق يزداد توهجًا، قبل أن تتضح الرؤية أكثر، فأدركت أن هناك بالفعل ضوءًا ما يلتمع بين المياه... إنه جسم ضخم يقبع بين الأمواج المتكسرة من حوله على بُعد ثلاثين قدمًا من الشاطئ.

كانت رين قد سبق لها وأن رأت شيئًا مشابهًا... فخلف كوخ كول في حي

المحركات، كانت المركبة التي حملته إلى أنكوراج تقبع هناك وقد أكلها الصدأ. كان يُطلِق عليها "الدودة الحلزونية"، ولطالما لعبت رين مع أصدقائها . وقت أن كانوا أطفالاً . لعبة "الغُمّيضة" بين أرجلها الكثيرة المنثنية. وكانت رين تنظر إلى تلك "الدودة الحلزونية" دومًا على أنها مجرد شيء مضحك، بأقدامها الكبيرة المسطحة، ونوافذها الأمامية الشبيهة بالأعين، لكنها لم تكن لتتخيل أبدًا مدى سلاسة حركة تلك المركبة وكم تبدو انسيابية براقة وهي تتحرك نحو الشاطئ بين الأمواج بينما ضوء القمر ينساب على جسمها اللامع.

وكانت المركبة التي تبصرها الآن أصغر حجمًا من "الدودة الحلزونية" كما كان جسمها أكثر تسطحًا، وكانت أقرب إلى شكل حشرة "القرادة" منها إلى العنكبوت. وقد خُيِّلَ إلى رين أن تلك المركبة قد زُخرِفَت بأشكال مموهة بارزة، لكنها لم تكن واثقة من ذلك عبر تلك المسافة وعلى ضوء القمر.

ومن خلف نوافذها المنبعجة، كان في مقدور رين أن ترى صبيًا صغيرًا وقد انهمك في العمل على لوحات التحكم، لكن الماء المنساب على زجاج النافذة قد شوه الرؤية فلم تستطع تمييز ملامحه. كان الصبي يتحرك بالمركبة لتقف عند حافة المياه، ومن بطنها برز سُلَّم محدثًا هسيسا آليًا، إلى حيث الممشى الخشبي على الشاطئ. فقال جارجل مشيرًا إلى رين كي تصعد على متن المركبة: "إنها المركبة "أوتوليكوس"... فخر أسطول الصبية المفقودين. تعالي من فضلك، أعدك أننا لن نغوص في الأعماق قبل أن نعيدك إلى الشاطئ".

"ولكن ماذا لو جاء مزيد من اليابسين؟" تساءل مرافقه؛ الصبي المفقود الآخر، الذي اكتشفت رين أنه لم يكن صبيًا وإنما فتاة، فتاة جميلة عابسة الوجه، "ماذا إن أخبرهم كول؟".

"لقد وعدنا كول بأن يبقي الأمر سرًّا" أجابها جارجل، "وهذا يكفيني".

فحدقت الفتاة إلى رين وقد بدا عليها عدم الاقتناع، وكانت السترة السوداء القصيرة التي ترتديها مفتوحة، ليتبدى منها مسدس مثبت إلى حزامها...

راحت رين تفكر "ليس لدي خيار آخر إذن... ليس أمامي سوى أن أثق في كلمة جارجل"، وهكذا اتخذت قرارها، ثم توجهت نحو السلم وبدأت تصعد درجاته إلى

داخل باطن المركبة الأزرق البارد، وقد قدرت أنه لو كان جارجل يريد قتلها لفعل ذلك ببساطة على الشاطئ.

وفي الداخل، تم اقتيادها إلى ما خمنت أنه مقصورة جارجل الخاصة، حيث الجدران المعدنية مغطاة بالستائر والمعلقات، فيما وُضِعَت مجموعة من الكتب والزينة هنا وهناك. وفي الركن كان هناك عود من البخار مشتعلًا، ومنه انبعثت رائحة غريبة تفعم الأجواء لتخفي رائحة المعدن والعطن داخل المركبة، وترتحل بعقل رين بعيدًا!

جلست رين على أحد المقاعد بينما جلس جارجل قبالتها على سرير جداري، أما الفتاة الأخرى فقد وقفت عند الباب وكانت لا تزال تحدق إلى رين. ومن خلف الفتاة وقف الفتى الصغير الذي رأته رين عبر النافذة، وراح يتطلع إليها بعينين متسعتين مشدوهتين، إلى أن قال جارجل: "عُدْ إلى موقعك يا "فيش كيك" هيا!".

"ولكن..." تمتم الصبي.

"الآن!".

فهرع الفتى عائدًا إلى مكانه، في حين ابتسم جارجل لرين وقال: "آسف لذلك، لكن فيش كيك لا يزال مبتدئًا، صبي لم يتجاوز العاشرة من عمره، خرج لتوه من معقل اللصوصية. ولم يسبق له أن رأى يابسين من قبل، باستثناء من رآهم عبر كاميرات المراقبة، كما أنك جميلة كذلك".

احمرَّ وجه رين وأطرقت نحو الأرض خجلًا حيث حذائها الموحل الذي يقطر منه الماء فوق السجاد التركي الفاخر. وفي ذهنها راحت تسترجع كل ما سمعته عن معقل اللصوصية هذا... إنه المكان الذي يتدرب فيه الصبية المفقودين على السرقة، هؤلاء الذين يُختَطَفون من على متن المدن الطوافة وهم بعد حديثي السن لدرجة أنهم يكونون غير مدركين لأي شيء، ثم يُأخذون إلى حيث المدينة الغارقة "جريم سباي" ويتدربون على كافة فنون السرقة، واستخدام الكاميرات الشبيهة بالسلطعون للتجسس على ضحاياهم. لقد كلفت الآنسة فريا تلاميذها ذات يوم بإجراء مشروع بحثي كامل عن الصبية المفقودين، وقد اعتبرت رين حينها أن ذلك أمر غير ذي جدوى وأنه لا يوجد معنى أو فائدة ترتجى من التزود بكل هذا الكم من المعلومات عن هؤلاء الصبية.

التفت جارجل نحو الفتاة الواقفة على الباب وقال: "ريمورا، يبدو أن ضيفتنا تشعر بالبرد، أحضري لها كوبًا من الشوكولاتة الساخنة".

وما إن خرجت الفتاة حتى قالت رين: "لم أكن أعرف أن هناك فتيات بين صفوف الصبية المفقودين".

أجابها جارجل: "لقد تغيرت الكثير من الأمور في جريم سباي منذ رحل كول عنها، دعيني أخبرك بسر يا رين، لقد بتُّ أدير العديد من شؤون جريم سباي حاليًا، وقد تمكنت من التخلص من الكثير من الصبية الغليظين المتسلطين الذين كانوا يحيطون بالعم، ثم أقنعته بشكل أو بآخر بالسماح بجلب الفتيات أيضًا إلى جانب الصبية. لم يكن العيش دون فتيات بالأمر الجيد على الإطلاق، فلهن تأثير حضاري لا يمكن إنكاره".

نظرت رين ناحية الباب، ورأت الفتاة التي تدعى "ريمورا" تقف على مقربة من المقصورة فيما بدا أنه مطبخ المركبة، وقد راحت تحرك أوعية الطهي محدثة جلبة. وبالنسبة لرين لم تبدُ الفتاة ذات أي مظهر حضاري على الإطلاق، فسألت جارجل: "أهي زوجتك إذن؟ أو... ربما هي صديقتك أو شيء من هذا القبيل؟".

وقد بلغ سؤالها مسامع ريمورا في المطبخ، فالتفتت نحو الباب بحدة، في حين أجاب جارجل: "مورا؟ لا، الحقيقة أن بعض الفتيات قد أبدين مهارة في عالم اللصوصية أعلى بكثير من الصبية، وريمورا واحدة من أكثر اللصوص براعة بيننا، تمامًا مثلما أن "فيش كيك" هو أفضل ميكانيكي. كل ما في الأمر أنني أردت اصطحاب أفضل العناصر معي في تلك المهمة... اسمعي، هناك شيء على متن أنكوراج أتوق إليه بشدة! لقد رأيته منذ سنوات حينما كنت مع كول على متن "الدودة الحلزونية"، لكنني لم أسرقه حينها، فقد بدا لي وقتها غير ذي نفع".

"وما هو هذا الشيء؟"، تساءلت رين، لكن جارجل لم يُجبها في الحال، بل صمت لهنيهة وراح يتفرس في وجهها وكأنما يرغب في التيقن أولًا من أنه يمكنه الوثوق بها فيما هو موشك على البوح به... وقد راق هذا لرين كثيرًا، على الأقل هو لا يعاملها كطفلة مثلما يعاملها معظم الناس، كما أنه وصفها بأنها "امرأة شابة"، وها هو ذا يتعامل معها ويحدثها على هذا الأساس.

وأخيرًا تكلم، قال وهو ينحني نحوها قليلًا وينظر في عينيها مباشرةً: "إنني أكره ذلك، صدقيني، ما كنت أحب أن آتي سرًّا بهذا الشكل، وإنما كنت أفضل أن آتي إليكم علنًا، وأن أرسو بمركبتي على مينائكم وألقي عليكم التحية: (ها نحن ذا أصدقاؤكم من جريم سباي قد جئنا نطلب مساعدتكم)... لو كان كول قد حقق ما كنت آمل أن يحققه هنا من علو شأن وازدهار لبات ذلك ممكنًا، ولكن ما دام أن الحال كما رأيته عليه، فمن ذا الذي سيثق بنا بين قومك؟ إننا لسنا سوى صبية مفقودين، لصوص، ولا يمكن لأحد في أنكوراج أن يصدق أن كل ما نرغب فيه من هنا هو كتاب! مجرد كتاب من مكتبة المارجرافين الخاصة بكم".

في تلك اللحظة كانت ريمورا قد عادت إلى مقصورة جارجل، فناولت رين كوبًا من القصدير مليئًا بالشوكولاتة الساخنة اللذيذة.

"شكرًا لكِ" قالتها رين، وقد شعرت بالسرور لمقاطعة ريمورا للحديث الدائر، حيث لم تشأ أن يلحظ جارجل مدى صدمتها إزاء ما قاله للتو.

لطالما كانت مكتبة الآنسة فريا واحدة من الأماكن المفضلة لرين، فهي بالنسبة لها بمثابة مغارة من الكنوز تعج بآلاف وآلاف من الكتب القديمة الرائعة. وكانت المكتبة تقع قديمًا في الطوابق العليا من القصر الشتوي، لكن بمرور الأيام لم يعد أحد يسكن تلك الأدوار، فارتأت فريا أنه لا داعي لإهدار الطاقة في تدفئة ذلك القسم من القصر من أجل الكتب فقط، ومن ثم قررت نقل المكتبة إلى الطابق السفلي.

"لهذا لا يمكنك العثور على ما تريد!" قالتها رين على حين غرة "فقد تم إعادة تنظيم المكتبة منذ أن كنت هناك آخر مرة".

أومأ جارجل برأسه مبتسمًا في إعجاب، وقال: "صحيح تمامًا... وقد يستغرق الأمر أسابيع حتى تتمكن كاميراتنا من العثور على الكتاب المنشود، والحق أننا لا نملك وقتًا لنضيعه في البحث. لذا فإني أتساءل إذا كان بإمكانك مساعدتنا يا آنسة ناتسوورثي؟".

كانت رين ترتشف شراب الشوكولاتة في استمتاع وتلذذ، فقد نفدت إمدادات أنكوراج من الشوكولاتة منذ سنوات، حتى أنها نسيت مدى روعة مذاقها، لكن ما إن كاشفها جارجل بغرضه منها في مساعدتهم حتى كادت تختنق بالشراب، ثم صاحت:

"أنا؟! أنا لست بلص...".

"وأنا لن أطلب منك أن تصبحي كذلك... لكن والدك رجل ذكي، وقد كان - حسب ما أذكر - على علاقة ودية مع المارجرافين. أراهن أنه يمكنك معرفة مكان الكتاب منه. فقط اعرفي لي مكانه وأخبريني به وسأرسل ريمورا لتقوم بالباقي. إنه يدعى (كتاب الصفيح)".

كادت رين أن تبادر برفض عرضه، لكن ما قاله جعلها تتردد قليلًا، فهي لم تسمع بهذا الكتاب من قبل، كما أنها كانت تتوقع أن يسأل عن أي من كنوز أنكوراج، كأعمال آلهة الجليد، أو موسوعة أنكوراج التاريخية، مثلًا...

"ومن ذا الذي يرغب في كتاب عن الصفيح؟!" تساءلت رين في تعجب، إلا أنها فوجئت به يقهقه ضحكًا وكأنها ألقت نكتة طريفة على مسامعه، ثم أجابها من بين ضحكاته: "إنه ليس كتاب عن الصفيح، وإنما هو مصنوع من الصفيح. إنه عبارة عن صفحات معدنية".

هزت رين رأسها في حيرة، فهي لم ترَ في حياتها شيئًا مماثلًا. ثم سألته من جديد: "ولماذا تريده؟".

"لأننا لصوص، ولأنني علمتُ أنه قَيِّم".

"لا بد أنه كذلك بالفعل لدرجة أن تقطع كل تلك المسافة في طلبه...".

"هناك من يجمعون مثل تلك الأشياء... الكتب والحاجيات القديمة. وبالتالي يمكننا مقايضته مقابل ما نحتاجه".

ثم صمت لهنيهة وقد بدا عليه التردد، وكان لا يزال يتطلع إليها، قبل أن يقول بجدية: "فضلًا يا رين، فقط اسألي والدك، فقد كان دائم التردد على المتاحف والمكتبات، وربما يعرف بمكان الكتاب".

راحت رين تفكر في الأمر بينما تحتسي ما تبقى من شراب الشوكولاتة. لو أنه يسعى وراء بعض من الأعمال الثمينة أو الكلاسيكيات التي تمتلكها أنكوراج لرفضت في الحال. لكنه يرغب في كتاب من الصفيح لم تسمع به من قبل... لا يمكن أن يكون لمثل ذلك الكتاب أهمية ما، أليس كذلك؟ وربما لا يكترث به أحد، أما جارجل فيبدو

أنه راغب فيه بشدة...

"حسنًا، سوف أسأله" أجابته رين بصوت بدا مرتابًا مترددًا.

"شكرًا لك" شكرها جارجل بحرارة وهو يمسك كفها بين كفيه.

كانت يداه دافئتين، كما لاحظت رين أنه يملك عينين جميلتين، وفي قرارتها راحت تفكر في غبطة كم سيكون من الممتع إخبار "تيلدي" بمغامرتها تلك وبأنها قضت بضع ساعات في الليل تحتسي الكاكاو في مقصورة قرصان. ثم سرعان ما تذكرت أنها لن تتمكن من إخبار تيلدي أو أي شخص آخر عن جارجل ومركبته، تلك الـ "أوتوليكوس"، والحق أن ذلك أضفى مزيدًا من الإثارة على مغامرتها، فهي لم تحظَ في حياتها وحتى تلك الليلة بأي أسرار جادة أو حقيقية لتخفيها عن الآخرين.

"سوف ألتقيكِ عند الأشجار على قمة التل عند حوالي الساعة السادسة غدًا" أردف جارجل، "هل هذا مناسب لكِ؟ هل يمكنك الخروج في ذلك الوقت".

"إنه وقت العشاء، سوف يكتشفون غيابي لا محالة إن خرجت... إن أمي...".

"لنلتقي عند الظهيرة إذن، الظهيرة أو ما بعدها بقليل".

"حسنًا".

"والآن، هل تودين أن تصحبك ريمورا حتى المنزل؟".

"يمكنني العودة وحدي، كثيرًا ما أتجول في الظلام".

"سوف نجعل منك فتاة مفقودة!"، قالها جارجل، ثم ضحك ليظهر لها أنه كان يمزح لا أكثر. ثم نهض، فنهضت بدورها، وسارا عبر ممرات المركبة نحو باب الخروج، فيما راح المبتدئ "فيش كيك" يتابعهما من مقصورة التحكم.

وفي الخارج، كان الطقس باردا في الليل، فيما سطع القمر ليبدد الظلام، بينما الماء ينساب على الشاطئ، وكأن شيئًا لم يكن في هذه الليلة العجيبة.

لوحت رين وصاحت مودعة جارجل، ثم لوحت له من جديد، وهرعت مسرعة عبر الشاطئ وصولًا إلى الغابة، وسرعان ما اختفت بين الأشجار. ومن موضعه وقف جارجل يتابعها إلى أن اختفت عن ناظريه. ثم جاءت الفتاة ريمورا ووقفت إلى

جواره، وقد انسلت يدها لتمسك بيده، وقالت "هل تثق بها؟".

"لا أدري، ربما. الأمر يستحق المحاولة، فليس لدينا وقت لنضيعه هنا في البحث عن الكتاب، كما أن كاميراتنا لن تفيدنا كثيرًا في مكب النفايات هذا، فهؤلاء اليابسون يتذكروننا جيدا، وسيخمنون وجودنا هنا سريعًا لو أنهم فقط سمعوا صوت خرفشة أرجل كاميراتنا إذ تتحرك داخل أنابيب الهواء الخاصة بهم. على أي حال لا تقلقي، سوف أطلب من فيش كيك أن يرسل اثنتين من الكاميرات لمراقبة منزل رين، وسوف نعرف بالأمر إن أخبرت قومها عنا".

"وإذا فَعَلَت؟ ماذا سيحدث حينها؟".

"حينها سنقتلهم جميعا... وسوف أدعك تقتلين رين بنفسك، بسكينك الصغير الجميل"، ثم قبَّلها، وعادا أدراجهما إلى داخل المركبة.

أما رين . التي لم تعرف أيًّا مما دار في تلك المحادثة بعد مغادرتها . فقد سارت متجهة نحو منزلها، ورأسها يموج بأفكار متقلبة، وفي داخلها كان الشعور بالذنب وفي ذات الوقت الإحساس العارم بالسعادة يتنازعانها مناصفةً، وقد بدا لها وكأنما قد نضجت خلال الساعات القليلة الماضية بأكثر وأسرع من نضجها على مدار السنوات الخمسة عشر الماضية.

***

"4"

أسطورة كتاب الصفيح

كان فجر اليوم التالي قد حل، وامتدت السماء زرقاء زاهية فوق البحيرة، حيث صفحة الماء صافية كالزجاج، فيما استقرت جزر فينلاند كعهدها.

وفي منزلها، كانت رين، المنهكة من أثر مغامرتها الليلية، قد نامت في وقت متأخر وراحت في سبات عميق، بينما كانت أنكوراج خارج نافذتها تستيقظ لتبدأ يومها. حيث شرعت الأدخنة تتصاعد من مداخن منازل المدينة الثلاثين المأهولة بالسكان، والصيادون يتبادلون تحية الصباح وهم في طريقهم نحو الشاطئ.

وعلى الجانب الشمالي للبحيرة، انتصب جبل عالٍ يفوق ارتفاعه ارتفاع التلال الميتة في الجنوب، وقد اكتست منحدراته باللون الأخضر لأشجار الصنوبر والمروج شديدة الانحدار حيث الأزهار البرية تنمو بكثرة، وعلى أحد تلك المروج كان قطيع من الغزلان يرعى.

وكانت الغابة تعج بقطعان الغزلان التي هبط بعض منها نحو الشاطئ، فيما عبر القليل منهم المياه إلى حيث الجزر البرية المتناثرة لاستيطانها.

ولطالما قضى الناس في أنكوراج أوقاتًا طوال يتسامرون ويتناقشون حول كيفية نجاة تلك القطعان واستمرارها في الحياة منذ انهيار الإمبراطورية الأمريكية القديمة، وما إذا كانت قد ارتحلت إلى هنا قادمة من البلد المتجمد في الشمال، أم أنها ربما قد شقت طريقها إلى فينلاند من إحدى المناطق الخضراء في أقصى الغرب.

أما هيستير ناتسوورثي فلم تكن تعبأ بأي من تلك المناقشات، وإنما كان كل ما يعنيها هو مقدار اللحم الذي تحمله تلك الظباء.

وفي هذا الصباح، اختبأت هيستير بين الأشجار وقد شدت قوسها وسهمها استعدادًا للقنص، ثم أطلقت العنان للسهم، فانطلق يشق الهواء مصدرًا صوتًا خاطفًا قبل أن يخترق جسد ظبية كبيرة لتسقط ميتة، بينما قفزت باقي الظباء وانطلقت تعدو هاربة عبر المنحدرات. ثم صعدت هيستير عبر التل إلى حيث فريستها التي اخترق السهم قلبها، وكانت لا تزال تنتفض ثم همدت تمامًا، فسحبت هيستير السهم

ونظفته جيدًا من آثار الدماء ثم أعادته إلى جعبة السهام المثبتة على ظهرها. كانت الدماء الطازجة تلتمع في ضوء الشمس، فغمست هيستير إصبعًا في موضع جرح الفريسة ولطخت جبهتها ببعض من دمائها ثم راحت تتمتم ببعض الصلوات لإلهة الصيد كيلا تطاردها روح الظبية. وما إن فرغت من صلواتها حتى حملت فريستها على كتفيها واتخذت طريقها عائدة عبر التل إلى الأسفل حيث قاريها.

نادرًا ما كان أقران هيستير يقومون بصيد الغزلان، وكانوا يتذرعون في ذلك بأن لحوم الأسماك والطيور كافية لهم، لكن هيستير كانت ترى أن السبب الحقيقي وراء عزوفهم عن اصطياد الظباء هو أن قلوبهم الرقيقة ما كانت لتدعهم يجرؤون على اصطياد تلك الكائنات الجميلة، بفرائها الناعم وعيونها السوداء الكبيرة. أما هيستير فهي لم تكن ممن يتميزون برقة القلب، كما أن الصيد كان أكثر الأمور التي تجيد فعلها، وكانت تستمتع دومًا بالسكون والعزلة اللذين تجدهما في غابات الصباح، كما كانت أحيانًا تجد الراحة في تلك الغابات بالابتعاد عن رين.

واسترجعت هيستير . وقد اعتراها الحزن . في مخيلتها تلك الفتاة الصغيرة الضاحكة التي كانت عليها رين ذات يوم، حين كانت تلعب وتمرح على شاطئ البحيرة، أو حينما كانت تسكن إلى حضن هيستير فيما تغني هي لها وتدللها. وعندما كانت رين تنظر نحوها بحب وتمرر أصابعها الصغيرة المكتنزة على الندبة التي تشق وجهها، كانت هيستير تشعر حينها بأنها أخيرًا قد فازت بشخص يمكنه أن يحبها على ما هي عليه دون أن يكترث لشكلها. صحيح أن توم يردد دومًا بأنه يحبها كما هي ولا يعبأ بهيئتها، إلا أنها لم تتمكن أبدًا من التخلص من ذلك الخوف الكامن بداخلها، من أنه ربما كان يتمنى في أعماقه لو كان قد ارتبط بامرأة أجمل منها.

لكن رين قد بدأت تكبر، وجاء اليوم . وكانت حينها قد بلغت الثامنة أو التاسعة من عمرها . الذي صارت فيه ترى أمها كما يراها الآخرون. ولم تكن في حاجة لقول شيء كي تفهم هيستير الأمر، وإنما كانت أمارات الشفقة والإحراج البادية على الفتاة، والارتباك الذي يعتريها كلما خرجت برفقتها وصادفت أي من صديقاتها في الطريق، كافين تمامًا لتدرك هيستير كل شيء... لقد باتت ابنتها تشعر بالإحراج بسبب هيئتها.

"إنها مجرد مرحلة وستمر" هكذا قال لها توم يوم أفضت إليه بالأمر، إنه يحب رين كثيرًا، وكثيرًا ما بدا لهيستير أنه يتخذ صف ابنته دومًا... "إنها سوف تتخطى ذلك

قريبًا. أنتِ تعرفين الأطفال".

لكن هيستير في الواقع لم تكن لتعرف شيئًا عن الأطفال وطباعهم، وكيف لها هذا وقد انتهت طفولتها في سن مبكرة للغاية، حين قُتِلَت أمها والرجل الذي كانت تظنه أبيها، على يد أبيها الحقيقي "ثاديوس فالانتاين"... إنها لا تملك أدنى فكرة عما يمكن أن تكون عليه أي فتاة عادية.

وبمرور السنوات، وكلما تقدمت رين ـ التي ورثت عن جدها أنفه الطويل المعقوف الشبيه بسكين حاد يخرج من وجهها ـ في العمر وصارت شخصية أكثر عنادًا، ازدادت الأمور سوءً بينها وبين أمها، وفي قرارة نفسها تمنت هيستير أكثر من مرة لو أن ابنتها لم تولَد قط، ولو أنها وتوم قد صارا وحدهما من جديد، كما الأيام الخوالي، يحلقان عبر مسارات الطيور.

حين استيقظت رين من نومها أخيرًا، كانت الشمس تتوسط كبد السماء، وعبر نافذتها المفتوحة تسللت إليها صيحات الصيادين على الشاطئ وضحكات الأطفال، وضربات الفأس المتتالية حيث يُقَطِّع والدها بعض الأخشاب في الفناء.

كان مذاق الشوكولاتة لا يزال عالقًا في فمها حين استفاقت، وقد ظلت راقدة كما هي للحظة، مستمتعة بفكرة أنه لا أحد من كل هؤلاء الذين تتردد أصواتهم في الخارج ـ بل لا أحد في فينلاند برمتها ـ يعرف شيئًا مما عرفته قبل ساعات.

وبعد حين قامت ربن من الفراش وهرعت نحو الحمام لتغتسل، وقد وقفت تتطلع لهنيهة لانعكاس وجهها في المرآة المثبتة فوق حوض اليدين... إنها تملك وجهًا طويلاً نحيلًا تبدو عليه أمارات الذكاء والفطنة، إلا أنها كانت تكره أنفها الشبيه بالمنقار هذا، وكذلك النمش المتناثر حول ثغرها الدقيق. لكنها كانت تحب عينيها الكبيرتين الواسعتين ذات اللون الرمادي العميق... أعين البحَّارة، هكذا وصفهما أبوها ذات يوم، ولم تدرك تمامًا ماذا يعني بذلك التعبير لكنه راق لها.

عقصت شعرها إلى الخلف، وقد تذكرت كيف أن جارجل قد وصفها بأنها حسناء. في الواقع هي لم تفكر في نفسها على هذا النحو من قبل ولم تكن تحسب أنها جميلة، أما الآن فقد باتت ترى أنه محق.

وبعد لحظات، كانت رين تركض عبر الدرج نحو الطابق السفلي، ثم توجهت نحو

المطبخ لكنها وجدته خاويًا، وخارج النافذة كانت قمصان أمها معلقة على الحبال. إن أمها غريبة الأطوار حقًا فيما يتعلق بالملابس، فهي تفضل دائمًا ارتداء الأزياء الرجالية، حيث تنتقيها على هذا النحو من المحلات المهجورة في "بوريال أركاد". ودائما ما تحرص على غسلها وكيها والحفاظ عليها مرتبة نظيفة بعيدًا عن العثة، وكأن ارتداء الملابس المهندمة سيجعل الناس ينسون ذلك الجرح الرهيب الذي يشوه وجهها... وهذا سبب آخر من أسباب حزنها، هكذا راحت رين تفكر بينما تصب لنفسها كوبًا من اللبن من إبريق كان في المُبَرِّد، وتضع بعض العسل على إحدى كعكات الشوفان التي أعدتها أمها بالأمس.

لطالما كان كل شيء يسير على ما يرام، لولا وجود أم غريبة الشكل والأطوار كهيستير، وهو ما جعل حياة رين تبدو لها أكثر صعوبة. صحيح أن والد تيلدي، السيد سميو، رجل شديد القصر لا يتجاوز طوله ثلاثة أقدام، إلا أنه كان أحد المواطنين الأصليين لأنكوراج، ولهذا لم يكن أحد يلحظ قصر قامته. لكن الوضع مختلف بالنسبة لأمها، فهي ليست من أبناء أنكوراج، كما أنها لم تكن ودودًا على الإطلاق، لذا لم ينسَ أحد أبدًا كونها بشعة الخلقة ودخيلة على المدينة، وهو ما يجعل رين تشعر أحيانًا بأنها هي الأخرى دخيلة. ربما لهذا شعرت بالانجذاب نحو الصبية المفقودين، وربما لمس جارجل هذا الإحساس بالاغتراب الكامن بداخلها، مما جعله يمنحها ثقته.

خرجت رين إلى الفناء وهي تلتهم كعكة الشوفان، محاذرة أن تصطدم بقمصان أمها المعلقة كيلا تلوثها بالعسل. وكان والدها منهمكًا في رص عدد من الجذوع الخشبية الصغيرة الواحد تلو الآخر فوق قالب التقطيع، تمهيدًا لقطعهم إلى نصفين بواسطة فأسه. وكان يرتدي قبعة القش القديمة الخاصة به، حيث لم يعد شعره البني يغطي قمة رأسه كما كان في الماضي، وباتت أشعة الشمس تلفح صلعته.

توقف توم عن العمل حين رأى ابنته تقترب ووضع يده فوق صدره، فحسبت رين في البداية أنه قد سُرَّ بوجودها كحجة لأخذ قسط من الراحة، وراحت تتساءل في داخلها عما إذا كان جرحه القديم قد آلمه من جديد، إلا أنه بادرها بالقول: "ها أنت ذا قد استيقظتِ أخيرًا".

"لا، أنا فقط أمشي أثناء النوم"، أجابته رين ممازحة وهي تركل بعض الأعواد الخشبية بعيدًا عن طريقها، ثم جلست بجواره وطبعت قبلة على خده وأراحت رأسها

على كتفه. وفي نهاية الفناء كان النحل لا يكف عن الأزيز وهو يجيء ويذهب، وقد أخذت رين تنصت لأزيزه المتصاعد، وتفكر في الكيفية التي ستستهل بها موضوع كتاب الصفيح مع والدها. وبعد لحظات من التفكير قررت أن تسأله عن أمر آخر:

"أبي، هل تذكر الصبية المفقودين؟".

نظر لها والدها في ارتباك، كعادته دومًا كلما سألته أي سؤال عن الماضي، ثم راح يداعب سوار زواجه المحيط بمعصمه، ذلك السوار العريض المصنوع من الذهب الأحمر المنقوش عليه الحروف الأولى من اسمه واسم والدتها، قبل أن يقول:

"الصبية المفقودين... نعم، لا يمكن أن أنساهم".

"هل كانوا أشرار شديدي السوء؟".

"حسنًا، أنت تعرفين كول... إنه ليس بشرير، أليس كذلك؟".

"إنه... غريب الأطوار بعض الشيء"، أجابته رين.

"حسنا، ربما هو كذلك، لكنه رجل طيب، ولو أن أي شخص وقع في ورطة ما فإنه يمكنه اللجوء لكول الذي سيهب لنجدته دون تردد. بفضل ذلك الرجل وجدنا طريقنا إلى هنا، فكما تعلمين، لو لم يفر من جريم سباي ويأتي إلينا حاملًا معه خارطة "سنوري أولفيستون" لما كنا...".

"آه، نعم أعرف تلك القصة"، قاطعته رين "على أي حال أنا لا أسأل عن كول، وإنما كنت أتساءل عن الآخرين، هؤلاء القوم في جريم سباي، كانوا أشرارًا للغاية، أليس كذلك؟".

هز توم رأسه، ثم قال: "زعيمهم، ذلك الذي يُطلقون عليه لقب "العم" كان رجلاً شريرًا جعلهم يرتكبون أفعالًا سيئة، لكن الصبية أنفسهم كانوا يحملون مزيجًا من الخير والشر، وهو ما قد تجدينه في أي مكان آخر وبين أي مجموعة من البشر. كان من بين هؤلاء الصبية فتى صغير يدعى "جارجل"، إنني ما زلت أذكره، كان هو الذي أنقذ كول حينما أقدم العم على قتله، وكان هو من أعطاه خارطة سنوري كذلك ليعطينا إياها".

"كان شجاعًا مثل كول إذن؟".

"بشكل ما، نعم".

"أنت التقيت به، أليس كذلك؟ كم كان عمره حينها؟".

"آه، كان ـ كما قلت لكِ ـ صغيرًا للغاية" أجابها والدها، وقد عاد بذاكرته إلى الماضي، إلى تلك الفترة القصيرة المرعبة التي قضاها بين الصبية المفقودين، ثم أكمل: "لم يكن يتجاوز التاسعة أو العاشرة من العمر، ربما أصغر".

شعرت رين بالغبطة لدى سماعها ذلك، فلو أن جارجل كان في التاسعة حين التقاه والدها فلا بد أنه لا يتجاوز الآن الخامسة والعشرين من العمر، أي أنه لا يكبرها بكثير، كذلك فإنه شخص جيد، وقد ساعد على إنقاذ أنكوراج.

"ولكن... ما سبب ذلك الاهتمام المفاجئ؟" سألها أبوها.

"آه، لا يوجد سبب" أجابته رين بحذر، وقد انتابها إحساس غريب غير مريح إذ تكذب على والدها للمرة الأولى في حياتها... إنه الشخص الذي تحبه أكثر من أي إنسان آخر في العالم، والذي يعاملها دومًا كصديق وليس كطفلة، ولطالما كانت تحكي له كل شيء وتسر إليه بأسرارها. وقد شعرت رين بأنها تتوق لإخباره بكل ما حدث في الليلة الماضية على الشاطئ، وأن تسأله المشورة عما عساها أن تفعله، لكن لم يكن في مقدورها أن تفعل هذا وقد وعدت جارجل بأن يبقى الأمر سرًّا.

كان والدها لا يزال يتطلع إليها وقد انتابته الحيرة، ولاحظت رين ذلك، فقالت: "لقد كنت أفكر فيهم لا أكثر".

"ألأنهم مفقودون؟" سألها أبوها، "أم لأنهم أولاد؟".

"حاول أن تخمن!" أجابته رين وهي تنهي كعكة الشوفان خاصتها، ثم طبعت على خده قبلة لزجة من أثر العسل، وقالت: "سأذهب للقاء تيلدي، إلى اللقاء".

خرجت مسرعة عبر البوابة الجانبية للفناء إلى حيث ساحة "دوج ستار"، بينما ضوء الشمس ينعكس ملتمعًا على شعرها، فيما راح والدها يتابعها بعينيه إلى أن انعطفت عند الزاوية، وقد اعتراه الفخر بابنته الطويلة الجميلة، ولطالما كان يشعر بالدهشة ـ حتى بعد كل تلك السنوات ـ من أنه وهيستير أنجبا مثل هذه الفتاة الجميلة.

وفي الظلال، تحت كومة من الأخشاب، ثبتت كاميرا سلطعونية لاسلكية عدستها على توم، لتتبدى صورته متذبذبة على شاشة زرقاء مستديرة، في تلك المركبة القابعة في كهف تحت سطح الماء بإحدى الجزر الصغيرة..

"لقد كادت تفضح أمرنا!"، قالها الصبي المدعو فيش كيك، "سوف يخمن الأمر".

ربت جارجل فوق كتف الصبي ثم قال: "لا تقلق، فناتسوورثي مثله مثل باقي اليابسين، متبلد الذهن، ولن يشك في شيء".

مشت رين بخفة نحو منزل "سميو"، لكنها لم تدلف من بوابته، فقد كانت تعلم جيدا أن تيلدي وأسرتها سيكونون جميعًا في بستانهم خلال الصباح لجمع التفاح، حتى أنها وعدت صديقتها باللحاق بهم لمعاونتهم، وما كانت تدري حينها أنها ستمر بكل ما مرت به خلال ساعات الليل. وكيف لها أن تتخيل ذلك وأن تعرف أنها ستجد أمورًا أهم بكثير لتنشغل بها؟!

استمرت رين في طريقها إلى أن عبرت "بوريال أركاد"، وقد راحت تتطلع إلى صورتها المنعكسة على زجاج الواجهات المتربة للمتاجر القديمة. ثم أسرعت الخطى عبر "راسموسين بروسبكت" إلى أن بلغت الدرج المؤدي إلى القصر الشتوي.

كانت البوابة الكبيرة الأمامية مفتوحة، كما هي دائمًا في الصيف، فركضت رين إلى الداخل وهي تصيح: "آنسة فريا"، لكنها لم تتلقَّ جوابًا سوى صدى صوتها إذ يرتد إليها. فخرجت من جديد وسارت عبر الطريق المُعَبّد بالحصى المحيط بسفح القصر. وهناك، في حديقة القصر الشتوي، كانت الآنسة فريا عاكفة على قطف بعض من نبات الفاصوليا ووضعه في سلة بيدها.

"رين" هتفت فريا في سعادة.

"مرحبا يا آنسة فريا".

"أوه، رجاءً، نادني فريا فقط" قالتها فريا وهي تنحني لتضع سلتها على الأرض. لطالما كانت فريا تطالب الجميع بالتبسط معها، وتدعوهم لمناداتها باسمها المجرد "فريا" دون ألقاب، حتى بدا وكأنها تحيا فقط لأداء هذه المهمة. ومع ذلك فهي لم تنجح قط في هذا الأمر، فجميع كبار السن في أنكوراج لم ينسوا أبدًا أنها آخر سلالة

عائلة راسموسين الحاكمة، ولهذا لم يكفوا يومًا عن مناداتها بال "مارجرافين" أو "سمو إشراقتك" أو "ضوء الحقول الجليدية". أما أبناء أنكوراج الأصغر سنًا فقد عرفوها دومًا على أنها مُعَلِّمَتهم، لذا فهي بالنسبة لهم "آنسة فريا".

"أخيرًا!"، صاحت فريا وهي تبتسم إلى رين وتمسح قطرات العرق بمنديل عن وجهها المستدير، "لم تعودي تلميذة بالمدرسة بعد الآن، وقريبًا قد تصبحين زميلة لي. هل فكرتِ فيما عرضته عليكِ، بأن تصيري مساعدة لي في تعليم الصغار بمجرد انتهاء موسم حصاد التفاح؟".

حاولت رين أن تبدو وكأن الفكرة قد راقت لها، ولكن في نفس الوقت دون أن تقطع وعدًا بالموافقة... فقد كانت رين تخشى . إذا هي وافقت على العمل كمساعدة لفريا في المدرسة . أن ينتهي بها الحال تمامًا كمعلمتها؛ امرأة بدينة غير متزوجة.

ثم عمدت سريعًا إلى تغيير الموضوع: "أيمكنني أن ألقي نظرة على المكتبة؟".

"بالطبع"، أجابتها فريا موافقةً، تمامًا كما توقعت رين، "لستِ في حاجة للسؤال، هل هناك كتاب بعينه تبحثين عنه؟".

"مجرد شيء ذكره والدي عَرَضًا ذات مرة، كتاب الصفيح" أجابت رين وقد احمر وجهها، إذ لم تكن معتادة على الكذب، إلا أن آنسة فريا لم تلحظ شيئًا، وقالت: "ذلك الشيء القديم...؟ آه، إنه ليس كتابًا بالمعنى الحرفي يا رين، إنه واحد من المقتنيات المتوارثة التي يذخر بها بيت راسموسين".

ثم توجهتا معًا إلى المكتبة. وهناك أيقنت رين أن الصبية المفقودين بحاجة لمساعدتها بالفعل، فقد كانت المكتبة عبارة عن غرفة ضخمة مكتظة بالكتب، من الأرض وحتى السقف، وقد تم ترتيبها وفقا لنظام خاص بالآنسة فريا. وعلى الأرض استقر كتابان ورقيان قديمان من تأليف "شانج ماي سبوفوروس" و"ريفكا بوجي" جنبًا إلى جنب بجوار بعض الصناديق الخشبية التي تحوي مخطوطات قديمة نفيسة. وكان كل صندوق يحمل قائمة بأسماء الكتب التي يشتمل عليها، مكتوبة على ظهره بأحرف ذهبية صغيرة، إلا أن الكثير من هذه الأسماء قد بهتت أحرفها بحيث بات يتعذر قراءتها؛ وعلى أي حال فإنه من غير المتوقع أن يكون الصبية المفقودون يجيدون القراءة، وبالتالي ما كان للصوص فقراء مثلهم أن يتوصلوا لأي شيء في

مكتبة كهذه.

صعدت فريا بضع درجات لتصل إلى أحد الرفوف العلوية... لقد صارت فريا ممتلئة الجسد حقًا لدرجة أنها لم تتمكن من صعود السلم الخشبي لأكثر من هذا، حتى أن رين شعرت بالذنب والخوف كذلك من أن تسقط معلمتها من على السلم. إلا أن الآنسة فريا كانت تعرف بالضبط ما تبحث عنه، وسرعان ما هبطت من جديد، وقد احمر وجهها بفعل المجهود، لكنها لم تكن خالية الوفاض، بل عادت لرين وهي تحمل في يدها علبة مطعمة بالعاج من تُحَف بيت راسموسين.

"انظري" قالتها فريا وهي تفتح الصندوق الصغير بمفتاح التقطته من خُطَّاف معلق على الحائط المجاور. وفي داخل الصندوق، فوق بطانة من حرير السيليكون، استقر الشيء الذي وصفه جارجل. كان عبارة عن كتاب لا يتجاوز ارتفاعه ثماني بوصات وعرضه ست، مكون من عشرين لوحًا من الصفيح، رُبِطوا إلى بعضهم بأسلاك صدئة. أما الألواح نفسها فكانت سميكة باهتة تكوَّن عليها الصدأ في أكثر من موضع، وكانت حوافها منثنية كي لا تدمي أصابع من يتصفحها. وعلى اللوح أو الصفحة الأمامية للكتاب، حفر شخص ما دائرة يتوسَّطها نقش نسر قد رُسِم بشكل بدائي، وعلى حافة الدائرة وأسفلها كُتِبَت حروف، لكنها كانت متآكلة بحيث لم تتمكن رين من تمييز أي كلمة. أما باقي الألواح فكانت بحال أفضل، وكانت الصفوف الطويلة من الأحرف والأرقام والرموز التي نُقِشت عليها بصعوبة لا تزال إلى حد ما قابلة للقراءة. أما عن معناها فهو ما لم تستطع رين فهمه، فقط كان الشيء الوحيد الذي له معنى مفهوم بالنسبة لها هو الملصق الورقي الموجود على الغلاف الخلفي للكتاب الذي يحمل ختم أنكوراج والكلمات الدالة على ملكية مكتبة راسموسين له.

"ليس جميلًا، أليس كذلك؟"، قالت فريا، "إنه عتيق، ولكن ثمة أسطورة تحيط به، وقد ذكرها المؤرخ "وورمورلد" في كتابه "موسوعة أنكوراج التاريخية". تقول الأسطورة إنه في أعقاب حرب الستين دقيقة الرهيبة، أبحر سكان أنكوراج . الذين باتوا لاجئين . على متن مجموعة من القوارب عبر البحار الشمالية بحثًا عن جزيرة يمكنهم استيطانها وإعادة بناء مدينتهم من جديد. وخلال رحلتهم صادفوا غواصة محطمة تسببت الأوبئة والعواصف الإشعاعية في هلاك جميع أفراد طاقمها، عدا رجل واحد كان يحتضر. وقد أعطى هذا الرجل وثيقة لجدتي "دوللي راسموسين" وطلب

منها الاحتفاظ بها بأي ثمن. وبالفعل احتفظت بها، وتوارثتها عائلتي من بعدها كل ابنة عن أمها عبر الزمن. إلى أن اهترأت الوثيقة وأمست بالية تمامًا، فتم صنع نسخة عنها، ولما كانت الأوراق شديدة الندرة في تلك السنوات، فقد كُتِبَت على صفائح علب الطعام القديمة التي تم فردها باستخدام المطرقة كي تصير مسطحة تمامًا كصفحات الورق. وبالطبع لم يكن لدى الأفراد الذين قاموا بعملية النسخ أي فكرة عما يعنيه الأمر برمته، ولم تتجاوز معرفتهم به ما قد أعرفه أنا أو أنت عنه. وبقيت الحقيقة الوحيدة الثابتة أن تلك الوثيقة إنما جاءت من العالم المفقود ما قبل الحرب، وهو ما كان كافيًا كي تصبح مقدسة".

قلّبت رين الصفحات المعدنية، محدثة صوت صرير من أثر احتكاك الصفحات بالسلك الذي يربطها، وقد راحت تتخيل ذلك الكاتب القديم الذي قام بنقش هذه الرموز بشق الأنفس فوق الصفائح المعدنية هذه على ضوء مصباح من الشحم في ظلام الشتاء الذي استمر لقرون طوال، وانهماكه في نسخ كل عمود من تلك الأعمدة، في محاولة يائسة لاستنقاذ شيء من بقايا العالم القديم الذي دمرته الحرب.

"ولكن ما الفائدة من تلك الوثيقة؟" تساءلت رين "ما الذي دفع رجل الغواصة المحتضر ذاك للاعتقاد بأنها عظيمة الأهمية؟".

"لا أحد يعلم يا رين. ربما مات الرجل قبل أن يخبرهم بالسبب، أو ربما نُسِيَ بمرور الزمن. فقط يبقى كتاب الصفيح واحدًا من الألغاز العديدة التي تركها لنا الأقدمون؛ كل ما نعرفه أن هناك اسم إله قديم ذُكِرَ أكثر من مرة بين تلك الرموز والأرقام المنقوشة، "أودين". لذا ربما كان ذلك النقش نصًا دينيًا. أما تلك الصورة المنقوشة على مقدمة الكتاب فتمثل الختم الرئاسي للإمبراطورية الأمريكية".

نظرت رين بعين متفحصة نحو رمز النسر المنقوش، ثم قالت: "يبدو لي نوعًا من الطيور".

فضحكت الآنسة فريا، وقد بدت جميلة في ضوء الشمس المتسلل من نوافذ المكتبة، كبيرة ومتألقة كإلهة الأرض بذاتها. لكم أحبتها رين، وقد غمرها شعور بالخجل من نفسها لتفكيرها في سرقتها.

ثم راحت تطرح بضعة أسئلة أخرى حول كتاب الصفيح، لكنها في الحقيقة لم تكن

تكترث كثيرًا للإجابات.

أخيرًا، أعادت رين الكتاب إلى مكانه بأسرع ما أمكنها، وتركت الآنسة فريا لتعود لأعمال البستنة الخاصة بها، على وعد بالعودة قريبًا للتحدث معها بشأن عملها كمُعَلِّمة.

كان اليوم يمر سريعًا، وانحدرت الشمس لتلقي بظلال القصر الشتوي عبر الألواح الصدئة لسطح المدينة، وقد اقترب موعدها مع جارجل، مما جعل شعور متصاعد بالتوتر يجتاحها. فبرغم كونه جريئًا وشجاعًا، ووسيمًا كذلك، وبرغم أن فكرة مساعدة هؤلاء الصبية المفقودين تروق لها حقًّا، لكن في ذات الوقت لم يكن بمقدورها تقبل فكرة أن تسرق قومها الذين عاشت في كنفهم طوال حياتها... بسهولة.

عاجلًا أم آجلًا سوف يختفي كتاب الصفيح، وحينها سوف تتذكر الآنسة فريا تلك المحادثة التي دارت بينهما والاهتمام الذي أبدته رين بالكتاب، وستدرك وقتها من المسؤول عن ضياعه.

ولكن... ما الذي يمثله كتاب الصفيح حقًّا؟ وما الذي يجعل جارجل يرغب فيه بهذا الشكل؟ إن رين ليست غبية، وكانت تعلم جيدًا أن تلك الوثائق التي تنتمي للعالم القديم كثيرًا ما تحمل دلائل وإشارات على أمور شديدة الخطورة... لقد أخبرها والدها ذات مرة أن لندن . تلك المدينة التي نما وترعرع فيها . قد انفجرت ودُمِّرَت تمامًا حتى استحالت أشلاءً بفعل آلة تدعى "ميدوسا". فمن يدري إذن؟ ربما كان كتاب الصفيح يتضمن إرشادات لبناء شيء مماثل، وأن جارجل قد وجد طريقة ما لقراءتها!

سارت رين إلى حيث الجزء الجنوبي من أنكوراج، ثم هبطت درج الصيادين المتهالك إلى حيث المرسى، وهناك جلست في ظلال إحدى وحدات الجرارات الصدئة وراحت تفكر فيما عليها فعله. لقد بدأت تشعر أن سرها الكبير، الذي بدا لها مثيرًا في البداية، قد أمسى عبءً عليها، وفي قرارة نفسها تمنت لو أن بمقدورها أن تفضي به إلى شخص آخر ليشاركها ذلك الحِمْل... ولكن من عساه يكون ذلك الشخص؟ بالتأكيد لن يكون أمها أو أبوها أو الآنسة فريا، فسوف يشعرون بالرعب لا محالة من فكرة تواجد الصبية المفقودين في فينلاند، كذلك تيلدي ستصاب بالذعر إن عرفت بهذا. ثم فكرت في إطلاع "نات ساستروجي" على الأمر وطلب مساعدته، إلا أنها بشكل أو بآخر . وبعدما رأت جارجل . لم تعد تراه وسيمًا قويًّا كما كانت تراه في الماضي، وإنما

بات في ناظريها مجرد صبي ممل متراخ لا يجيد فعل أي شيء سوى الصيد.

وفي غمار شرودها واستغراقها في أفكارها، لم تلحظ ذلك القارب الذي دنا من الشاطئ والذي خرجت منه والدتها، التي ما إن رأتها حتى صاحت: "رين؟! ماذا تفعلين هنا؟ هلمي، تعالي ساعديني في هذا".

وفي القارب استقرت جثة غزال، وفي صدره تبدى ثقب غائر. وكانت أمها تجره جرًّا من القارب تمهيدًا لحمله إلى حيث ساحة "دوج ستار" لتقطيعه وتمليح لحمه لحفظه استعدادًا لفصل الشتاء.

نهضت رين وتوجهت نحو أمها، إلا أنها لاحظت موضع الشمس في السماء وأدركت أن موعدها مع جارجل قد اقترب كثيرًا، فتراجعت وقالت: "لا أستطيع".

"ماذا؟".

"لا أستطيع معاونتك الآن، فلدي موعد".

وضعت هيستير الغزال جانبًا ووقفت تحدق إلى ابنتها، ثم قالت: "من؟ ذلك الفتى "ساستروجي" على ما أظن؟".

كانت رين تحاول تجنب الدخول في جدال جديد مع أمها، إلا أن اللهجة التي حدثتها بها ونبرة صوتها كانتا كفيلتين باستفزازها وتأجيج غضبها، فصاحت: "حسنًا، ولم لا؟ أيجب عليَّ أن أكون بائسة مثلكِ؟ أنا لم أعد طفلة... أم لأنك لم تحظي بحب أي فتى حينما كنتِ في مثل عمري...".

"حينما كنتُ في مثل عمرك..."، قاطعتها أمها بصوت متحفز، "رأيتُ أشياءً ما كنتِ لتصدقي وجودها، وعرفتُ إلى أي مدى قد يصل الناس في أفعالهم وما هم قادرون على ارتكابه، ولهذا لم نكف يومًا أنا ووالدك عن السعي لحمايتك وإبقائك بأمان تحت رعايتنا".

"آه، حسنًا، أنا في أمان" قالتها رين في مرارة، "وما الذي تعتقدين أنه يمكن أن يصيبني في فينلاند؟ لا شيء يحدث هنا لأي شخص. أنتِ فقط لا تكفين عن التلميح للأوقات العصيبة التي مررتِ بها وتقولين دومًا كم أنا محظوظة مقارنةً بك. لكنني أراهن أن حياتكِ القديمة كانت أكثر إثارة من الآن، وأراهن أن أبي كذلك يرى هذا. لقد

لاحظتُ الطريقة التي ينظر بها إلى تلك الصورة لسفينتكما الجوية القديمة... إنه يحن لتلك الأيام حين كان يحلق في الآفاق عبر العالم، وإني لأراهن أنه كان ليظل محلقًا يتنقل من مكان إلى آخر لو لم يَعلَق هاهنا معك...".

هنا صفعتها أمها، صفعة مباغِتة قاسية بكف يدها المفتوحة، وقد خدش خاتم زفافها خد ابنتها.

شعرت رين ـ التي لم تُضرَب هكذا منذ كانت طفلة صغيرة ـ بوجهها يشتعل، وحين مدت يدها تلمس خدها وجدت بقعة من الدم على أصابعها مكان الخدش. فتحت فمها محاولةً قول أي شيء، لكنها لم تقو على الكلام، فقط راحت تلهث.

"هكذا!" قالتها أمها، وقد بدت مصدومة تمامًا كابنتها. ثم مدت يدها محاولة لمس وجه رين، بلطف هذه المرة، إلا أن الفتاة تراجعت مبتعدة عن مرمى يدها، ثم استدارت وأخذت تركض عبر الشاطئ نحو الظلال الرطبة أسفل أنكوراج، وظلت تركض تحت المدينة القديمة إلى حيث المراعي. ومن خلفها كان صوت أمها يتردد وهي تصيح في غضب: "رين، عودي، ارجعي إلى هنا".

لكنها لم ترجع، وظلت تركض إلى الغابة بحيث لا يراها جامعو التفاح في البساتين. وراحت تركض وتركض، لا تلوي على شيء، بالكاد تفكر في الوجهة التي تتجه إليها؛ إلى أن وصلت، باكية، وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة، إلى ما بين الصخور عند طرف الجزيرة.

وهناك كان جارجل في انتظارها.

***

"5"

أخبار من البحر

كان جارجل لطيفًا ودودًا مع رين، وقد بدا عليه القلق وهو يساعدها على الجلوس فوق إحدى الصخور المكسوة بالطحالب، ثم خلع المنديل المربوط حول عنقه وراح يمسح وجهها به، وأخذ كفها بين كفيه ليهدئ من روعها كي تتمكن من التحدث...

"ما الخطب يا رين؟ ما الذي حدث؟" سألها جارجل.

"لا شيء، إنها أمي... هذا كل ما في الأمر... إنني أكرهها".

"أنا واثق أن هذا ليس صحيحًا" قالها جارجل وهو ينحني على ركبتيه إلى جوارها.

فصمتت، وفي قرارة نفسها كانت على يقين أنه لم يشح بعينيه عن وجهها لحظة واحدة منذ أن وصلت. ومن وراء عويناته ذات الزجاج الأزرق أطلت عينا صديق ينظر نحوها بمودة وقلق عليها.

"أنتِ محظوظة لأن لديك أم... لقد تم اختطافنا، نحن الصبية المفقودين، منذ كنا صغارًا، وقد نشأنا دون أن نعرف أباءنا وأمهاتنا، ومع ذلك فمن حين لآخر نحلم بهم ونتخيل كم أنه سيكون أمرًا رائعًا لو أننا التقيناهم من جديد.. لو أن والدتكِ قاسية عليك فهذا ليس سوى دليل على أنه تكترث لأمرك وتخشى عليك كثيرًا".

"أنت لا تعرفها"، صاحت رين، ثم حبست أنفاسها قليلًا لتوقف نشيجها. قالت بعد أن هدأت بعذ الشيء: "لقد رأيت الكتاب".

"كتاب الصفيح؟" قالها جارجل وقد بدا متفاجئًا، كما لو كان قلقه على رين قد أنساه الغرض الذي جاء من أجله إلى فينلاند، ثم استطرد قائلًا: "شكرًا لكِ، لقد قمتِ خلال ساعات الصباح بأداء ما قد يستغرق أسبوعًا أو أكثر من طاقم مركبتي... أين هو؟".

"لا أدري..."، أجابت رين، "أعني أنني لا أدري إن كان يُفترَض بي أن أخبرك أم لا. ليس قبل أن تخبرني بماهية هذا الكتاب. لقد أخبرتني الآنسة فريا بكل شيء عن تاريخه، لكن... ما الذي يجعل إنسان يرغب في هذا الكتاب العتيق؟ ما الغرض منه

بالضبط؟".

نهض جارجل مبتعدًا عنها قليلًا، وقد راح يتطلع إلى ما بين أشجار الصنوبر في صمت، حتى حسبت رين أنه غاضب منها وخشيت أن تكون قد أساءت إليه بما قالته. لكنه حين استدار نحوها من جديد بدا لها أنه حزين وليس غاضبًا...

"نحن في ورطة يا رين"، قال جارجل، "هل سمعتِ بالبروفيسور بيني رويال من قبل؟".

"بالطبع"، أجابته رين، "لقد أطلق النار على أبي ذات يوم، وكاد أن يقود أنكوراج نحو هلاكها. كما أنه سرق منطاد والديَّ وفرَّ على متنه...".

"حسنًا، لقد ألَّف كتابًا عن هذا"، قاطعها جارجل، "بعنوان "ذهب المفترسين"، وفيه يحكي عمن أطلق عليهم "القراصنة الطفيليين" الذين يتسللون من تحت الثلوج لينهبوا المدن. إن كتابه هذا ليس سوى غثاء، لكنه حقق مبيعات عالية في المدن التي اعتدنا أن نعتاش عليها، كبلدات شمال الأطلسي الطوافة والمدن الجليدية المتحركة. وهكذا عمدت تلك المدن إلى تركيب أجهزة الإنذار ذات التقنيات القديمة المعقدة ضد السرقة، وتخصيص دوريات لتفتيش أنحائها السفلية يوميًّا بحثا عن الطفيليين، مما جعل من العسير علينا تثبيت مركباتنا بباطن تلك المدن".

كانت رين تستمع إليه وهي تسترجع في ذهنها ما سمعته عن بروفيسور بيني رويال... منذ نعومة أظفارها وهي تسمع قصص وحكايات عن ذلك الرجل الشرير، وقد رأت بعينيها تلك الندبة الطولية على شكل حرف "L" على صدر والدها من أثر الشق الذي أحدثته السيدة سكابيوس لاستخراج الرصاصة التي أطلقها ذلك الرجل عليه لتستقر في صدره. والآن اتضح أن الصبية المفقودين كانوا هم أيضًا ضحايا لبيني رويال...

"ولكن، ما زلت لا أفهم، ما الذي يجعلكم في حاجة لكتاب الصفيح؟".

فقال جارجل مُفسرًا: "لقد بات لزامًا علينا منذ ذلك الحين إرسال مركباتنا إلى مناطق أبعد نحو الجنوب إلى حيث البحر الأوسط والمحيط الجنوبي، حيث المدن الطوافة التي لم تعتد مراقبة أجوائها وتفتيش باطنها بحثًا عنا. ولكن منذ الصيف الماضي بدأنا نفقد عددًا من مركباتنا. حيث كنا قد أرسلنا ثلاثًا منها إلى الجنوب إلا

أنها لم تعد من هناك قط، ولم يردنا منها أي كلمة أو حتى إشارة استغاثة أو أي شيء على الإطلاق. أعتقد أن إحدى تلك المدن ربما تمتلك نوعًا من الأجهزة التي تمكنها من رصد مركباتنا حين نقترب منها، وربما أغرقوا المركبات أو أسروها. فلو أن الأمر كذلك، ولو أنهم قاموا بالفعل بأسر واحد من صبيتنا وتعذيبه، فقد يتكلم ويفصح...".

"وحينها ربما يأتون بحثًا عن جريم سباي؟" أكملت رين.

"بالضبط" أجابها جارجل وهو ينظر إليها بتمعن وقد بدا أنه سُر لاختياره فتاة ذكية لماحة مثلها ليفضي إليها بكل ما قال. ثم أمسك بيديها من جديد، وقال: "رين، نحن في حاجة إلى شيء يجعلنا نتقدم على اليابسين مرة أخرى، وهو ما قد يحققه لنا كتاب الصفيح".

"ولكن، إنه مجرد حشو من الأرقام القديمة... لقد جاء من إحدى الغواصات الأمريكية العتيقة...".

"بالضبط" قالها جارجل في حماس "لقد كان هؤلاء القدماء متقدمين عنا كثيرًا، وكان لديهم سفن في حجم المدن يمكنها الإبحار عبر العالم دون الحاجة للصعود فوق سطح البحر. ولو أننا امتلكنا مثل تلك التقنية فلن نخشى اليابسين بعدها أبدًا، وسيمكننا حينها جعل جريم سباي بأكملها تتحرك تحت الماء ولن يعثر علينا أحد".

"إذن أنت تعتقد أن كتاب الصفيح هو في حقيقته تصميم لغواصة؟".

"ربما ليس بالضبط، لكنه قد يحتوي على أدلة كافية لمساعدتنا على فهم كيفية إنشاءها... رجاءً يا رين، أخبريني بمكان الكتاب".

إلا أن رين هزت رأسها وقالت: "إن الآنسة فريا والبقية ليسوا مخيفين كما تظن... تعالَ معي إلى المدينة وقَدِّم نفسك إليهم. لقد سألت أبي عنك وقال لي إنك ساعدتهم على إنقاذ المدينة. والآن يتضح أنكم قد تأذيتم كذلك من أفعال بيني رويال، تمامًا مثلما تأذينا نحن منه. إني لأتوقع أن تمنحك الآنسة فريا ذلك الكتاب بكل سرور كهدية".

تنهد جارجل، ثم قال: "كنت أود ذلك، إلا أن هذا سيستغرق وقتا طويلًا، ما بين شرح للوضع ومواجهة الشكوك وعدم الرضا الذي بالتأكيد سيقابلني به قومك،

ومحاولة طمأنتهم والتغلب على شكوكهم... ومع كل يوم نمضيه هنا قد تختفي مزيد من مركباتنا. وأيًا كان من يحتجزهم فهو ربما يكون الآن في طريقه إلى جريم سباي. آسف يا رين، علينا أن نقوم بالأمر على طريقتنا، طريقة الصبية المفقودين. أخبريني بمكان الكتاب وسنأخذه الليلة ونرحل، وحينما نفرغ من حاجتنا منه وتمسي جريم سباي في أمان، ربما أعود وأقدم نفسي إلى أهل المدينة، ونقيم السلام وعلاقات الصداقة بين مدينتينا".

أنهى جارجل كلامه ثم صمت في انتظار رد رين، إلا أنها لم تحر جوابًا، وإنما حررت يديها من يديه وابتعدت عنه إلى ما بين الأشجار، حيث وقفت هناك تتطلع نحو أسطح منازل أنكوراج، وتفكر... إنه لا ينوي ما قاله حقًا بصدد العودة إلى هنا، إنها واثقة من ذلك، وإنما قال هذا لطمأنتها ليس إلا، وبمجرد أن يرحل عن هذا المكان لن يعود إليه أبدًا. ولماذا يعود إن كان أمامه العالم بأكمله ليجوبه ويتجول عبره؟ عالم من المدن الطوافة والطائرة والمتحركة، تشق طريقها تحت سماء تعج بالمناطيد... هذا هو العالم الذي سيعود إليه جارجل، بينما هي قابعة هنا، حيث أقصى ما يمكن أن تتطلع إليه هو أن تمسي مساعِدة للآنسة فريا، فتقضي عمرها على هذا المنوال، تقاسي الضجر بين جنبات أنكوراج، وربما في يوم ما . هذا إذا سمحت لها أمها . تصير زوجة لنات ساستروجي وتنجب عددًا من الأطفال المملين.

"رين" هتف جارجل من ورائها مناديًا إياها...

"لا" قالتها رين واستدارت لتواجهه، محاولةً ألا يبدو صوتها مهزوزًا: "لا، لن أخبرك بمكان الكتاب. سوف آخذه بنفسي وآتي إليك به الليلة، ثم أرحل معك".

قالتها ثم ضحكت، وفتحت ذراعيها مشيرة إلى كل شيء من حولها... أنكوراج... البحيرة... التلال... القارة الميتة برمتها، وصاحت: "أنا أكره هذا المكان، إنه يضيق بي. أريد أن أذهب معك حينما ترحل، أريد أن أرى جريم سباي، وساحة الصيد، والمدن المتحركة، ومسارات الطيور. ذلك هو المقابل الذي سأحصل عليه... سوف آتيك بكتاب الصفيح إذا كنت ستصحبني معك عندما ترحل".

***

"6"

إننا نصنع عالمًا جديدًا

في وقت متأخر من الليل، بينما خفتت الحركة في "ورشة المطاردين" وبات المكان هادئًا وخاويًا، كانت دكتور زيرو لا تزال عاكفة على العمل وقد أخذت أناملها تعبث داخل تجويف صدر "جريك" حينًا، وفي دماغه المفتوح حينًا، بينما راحت تتحدث إليه أثناء عملها به، وتقص عليه ما فاته من أحداث خلال السنوات التي قضاها في القبر. حيث أخبرته كيف استولى ذلك الفصيل المتشدد المسمى "العاصفة الخضراء" على السلطة في البلدان المناهضة للتحرك في آسيا القديمة وفي الشمال، وحكت له عن حربهم الطويلة ضد المدن المتحركة، وكذلك عن قائدهم الخالد: المطارد "فانج".

"مطارِد؟!"، سألها جريك وقد اعترته الدهشة، فقد بات على دراية كافية بمطاردي العاصفة الخضراء: تلك الآلات التي لا عقل لها ولا وجه، والتي لا تستطيع حتى إعادة شحن ذاتها وإنما يتم استخراج بطارياتها واستبدالها بأخرى كل بضعة أيام من العمل. إنهم باختصار من نوع المطاردين الذي يطلق عليهم ذلك الوصف الرديء: الموتى الأحياء، لهذا ما كان له أن يتخيل مجرد فكرة تولي أحد تلك الكائنات قيادة جيش!

"آه، إن المطارد فانج ليست مثل البقية" قالتها دكتور زيرو مفسرة، "إنها جميلة وذكية، تملك تقنية عقلية قديمة، مثلك تمامًا، مع العديد من التعديلات الخاصة. لقد صُنِعَت باستخدام جسد عميلة جماعة مناهضة التحرك الشهيرة "آنا فانج"، حيث أرادت العاصفة الخضراء جعل الجميع يظنون أن فانج قد عادت من الموت لتقود حربنا المجيدة ضد الهمجيين".

أثارت كلمة "حرب" الغرائز القتالية في أعماق دماغ جريك، فثنى كفيه، إلا أن الشفرات الحادة التي كان يملكها فيهما لم تبرز من غمدها، وقد لاحظت دكتور زيرو حركته، فقالت: "لقد قمتُ بإزالة مخالبك".

"وكيف لي إذن أن أقاتل إذا كنت لا أملك أسلحة؟" سألها جريك.

"سيد جريك... لو أننا أردنا مجرد مطارد قتالي لصنعتُ واحدًا بنفسي، فلا يوجد

هنا ما هو أكثر من الجثث التي يمكن إعادتها. لكنك مختلف، أنت عتيق تنتمي للتقنيات القديمة، وأكثر تعقيدًا من أي مطارد آخر يمكننا صنعه. أنت لست مجرد شيء، وإنما شخص".

ثم لمست يديه المجردتين من السلاح، وأضافت: "إنه مجرد تعديل جيد على مطارِد لم يكن مجرد جندي".

وبعد لحظات هبط منطاد يحمل اسم "حزن الأشياء" إلى الورشة ليحمل جريك إلى مكان آخر يدعى "فوروارد كوماند".

وقفت دكتور زيرو في زورق المنطاد وإلى جانبها جريك، وقد بدأ المنطاد في التحليق غربًا فوق الجبال المكسوة بالثلوج، ثم عبر سهول ساحة الصيد الشرقية، والتي باتت تحت سيطرة العاصفة الخضراء الآن، وقد تناثرت الحطام الصدئة لعدد من المدن المتحركة التي تم تدميرها، هنا وهناك فوق العشب.

"لقد تم الاستيلاء على تلك الأرض خلال الأسابيع الأولى من الحرب، منذ ما يقرب من أربعة عشر عام"، قالت دكتور زيرو التي كانت لا تزال تقص على المطارِد ما فاته، "لقد هاجمنا الهمجيين على حين غرة، وقد بوغتوا بالفعل في البداية بأساطيلنا الجوية وهي تجتاحهم من فوق الجبال. ثم اقتدنا مدنهم المذعورة أمامنا باتجاه الغرب، وكنا نقوم بسحق أي واحدة منهم تجرؤ على الاستدارة لمواجهتنا ومحاولة القتال. ولكن تدريجيًا شرعت المدن في التكتل معًا والدفاع عن أنفسهم، إلى أن تمكن تكتل من المدن المتحركة الصناعية الناطقة بالألمانية، ويدعى "تراكشن ستات سجيسل شافت" من إيقاف زحفنا نحو الغرب ودفعنا مرة أخرى إلى الوراء إلى حيث مستنقعات "راست ووتر"، في حين قامت مجموعة من البلدات السلافية المتحركة بمهاجمة مستوطناتنا في "خامشاتكا" و"ألتاي شان". ومن ذلك الحين ونحن عالقون في مأزق، فأحيانًا نقوم بشن هجمات نحو الغرب وتدمير بضع مدن، وفي أحيان أخرى تشن المدن المتحركة هجماتها شرقًا وتلتهم بعضًا من حصوننا ومزارعنا".

وفي الأسفل، كان المنظر يتغير، وقد تركت المعركة الأخيرة ندوبها على الأرض، في حين لمعت آثار القنابل والمقذوفات بين طبقات الوحل الذي يغطي كل شيء. ومن ذلك الارتفاع بدت آثار مسارات الضواحي المقاتلة، والتحصينات المعقدة

للعاصفة الخضراء، متطابقة إلى حد بعيد.

"إنهم يقولون إننا نجعل العالم أخضر من جديد..."، قالتها دكتور زيرو وهي تتنهد، "لكن في الحقيقة فإن كل ما نفعله هو تحويله إلى أرض موحلة غارقة في الطين...".

كان" فوروارد كوماند" . المكان الذي توجه إليه المنطاد . عبارة عن مدينة استولت عليها العاصفة الخضراء؛ مدينة صغيرة مكونة من أربع طبقات، وقفت بلا حراك فوق منحدرات أحد التلال على الطرف الشمالي لمستنقعات "راست ووتر"، في حين كانت آثار تحركها فوق الوحل المحيط بها لا تزال ظاهرة. وكانت عجلاتها وطبقاتها الدنيا قد تم تدميرها تمامًا، بينما تبدت أضواء خافتة من الطوابق العليا وسط الشفق.

ومن الموانئ الجوية كانت السفن الحربية تأتي وتذهب، فيما راحت أسراب من الطيور تحلق فوق أسطح المنازل المتهدمة. وقد اندهش جريك كثيرًا للطريقة الذكية التي كانت تلك الطيور تتفادى بها السفن الحربية، لكن ما إن اقترب المنطاد الذي يقله من المكان وبدأت الرؤية تتضح أمامه، حتى تَكَشَّف له أنها ليست طيورًا، أو بالأحرى ليست طيور حية، وإنما مطارِدين على هيئة طيور، تتوهج أعينهم بذات الضوء الأخضر المخيف، تمامًا كعينيه، وقد استُبدِلَت بمناقيرهم ومخالبهم شفرات حادة.

وعلى الأرض، عبر الطرقات التي تم شقها عبر الوحل، كان المزيد من المطاردين يسيرون، بعضهم في هيئة البشر بينما البعض الآخر قد اتخذ هيئة ضخمة أشبه بسرطان البحر متعدد الأرجل.

"يبدو أن العاصفة الخضراء لديها الكثير من المطاردين" أردف جريك.

"العاصفة الخضراء في حاجة للمزيد منهم، فأمامها الكثير من المعارك لتخوضها" أجابته دكتور زيرو.

أخيرًا حط المنطاد فوق أحد مسارات الهبوط أسفل جدران مبنى البلدية بالمدينة. وهناك، كان رجل يقف في انتظارهم، رجل عجوز قصير القامة أصلع الرأس يرتدي رداءً موشى بالفراء، وقد أجفل لدى دوي صوت إطلاق نار قادم من ناحية المستنقعات إلى الغرب. ثم ابتسم ابتسامة عريضة حين رأى جريك يهبط من المنطاد... "جريك، سعيد لرؤيتك وقد عُدت للحياة من جديد. هل تتذكرني؟ لقد كنت واحدًا من مساعدي دكتور "تويكس" حيث شاركتُ في فحصك على متن لندن

البائسة".

إلا أن دماغ جريك، الذي لطالما اعتاد تخزين آلاف من صور الفانين الذين قابلهم، لم يعد يحمل في ذاكرته الآن سوى صورة دكتور زيرو وبعض من التقنيين الذين رآهم في "ورشة المطاردين"؛ فوقف لهنيهة يتطلع إلى الرجل ويتفرس في أسنانه الصفراء ووشم العجلة الحمراء بين حاجبيه الكثين، ثم التفت نحو دكتور زيرو وراح يتطلع إليها، كطفل يتطلع إلى أمه في انتظار تأكيدها على صحة ما سمع توًّا.

"إنه دكتور بوب جوي"، أخبرته زيرو في تؤدة، "مؤسس فيلق البعث وإعادة إحياء الجثث، والجَرَّاح الميكانيكي الشخصي لزعيمتنا".

ثم نظرت نحو الرجل العجوز وقالت: "أخشى يا دكتور بوب جوي أن السيد جريك لا يتذكر شيئًا تقريبًا عن حياته المهنية السابقة. ذلك القسم من دماغه قد تلف بشدة ولم أستطع إصلاحه".

"للأسف"، قالها بوب جوي شاردًا، "كان ليصير أمرًا جيدًا لو أنك لديك فكرة عن الأيام الخوالي. ومع ذلك... ربما هذا أفضل".

ثم راح يدور مرتين حول جريك، متفرسًا في هيكله الجديد اللامع والأسلاك الكهربائية المعدلة المتبدية من جمجمته الفولاذية، وأخذ يردد ضاحكًا: "ممتاز... عمل جيد يا حلوتي! ما كنت لأفعل ما هو أفضل من ذلك".

"إنني فقط أسعى لنيل رضاء المطارد فانج"، أجابته زيرو في إذعان.

"كلنا كذلك يا حلوتي. هلمي الآن، علينا أن نصعد، إنها تنتظرنا".

وعبر الممرات الطويلة بالمبنى، كان عدد من الأفراد الآدميين يرتدون زيًّا رسميًّا، يأتون ويروحون في عجلة وهم يصيحون مصدرين الأوامر لمرؤوسيهم، يلوح بعضهم بأوراق، فيما يتحدث بعضهم الآخر عبر الهواتف الداخلية بصوت عالٍ. وكان العديد منهم قد صبغ شعره باللون الأخضر كرمز للولاء للعاصفة الخضراء. وكانوا يتحدثون بلغة الشفرات المختزلة التي تستخدم في المعارك، وقد تمكن جريك من فهمها بوضوح تام، وكذلك دكتور زيرو بلا شك، وقد راح يتساءل في أعماقه، فيما كان يتبعها هي وبوب جوي صعودًا عبر الدَرَج الواسع، حول التعديلات الأخرى التي

أجرتها عليه.

وعند قمة الدَرَج كان هناك زوج من الأبواب البرونزية المنقوشة بالرصاص، فقال بوب جوي للحراس الذين وقفوا في وضع الانتباه: "فيلق البعث وإعادة الإحياء... لدينا لقاء مع صاحبة السعادة".

فانفتحت الأبواب، ومن ورائها كانت غرفة كبيرة مظلمة، فتحولت عينا جريك الجديدتين تلقائيًا إلى نظام الإضاءة الليلية لتتبدى أمامه ملامح الغرفة. كان الجدار البعيد المقابل معززًا بألواح مصفحة، بينما كان هناك نافذة عبارة عن فرجة طويلة بلا زجاج، أشبه ما تكون بشق في مقدمة خوذة، تطل نحو الغرب، وأمامها وقف شخص، بدا من هيئته أنه ليس بشريًا بشكل كامل...

"صاحبة السعادة..."، قالها بوب جوي، إلا أن صوتًا هامسًا أتاه مقاطعًا من قلب الظلام، آمرًا إياه: "انتظر".

فأذعن بوب جوي، ووقف ينتظر في صمت، فيما التقطت أذنا جريك صوت اصطكاك أسنان دكتور زيرو ووجيب قلبها الذي راح ينبض في توتر.

وفجأة انبعث وميض ضوئي هائل من جهة المستنقعات الغربية، أضاء الغرفة بوهج برتقالي راح يلتمع ويتذبذب في كافة أرجاء الغرفة، إذ كانت النيران قد اندلعت من عدد لا يحصى من البنادق، لتنتشر شظايا الفوسفور.

ثم بعد حين بدأ الكائن الواقف قبالة النافذة في التحرك ببطء والالتفات نحوهم، وقد أخذت دروعه المعدنية تصدر صوتًا أشبه ما يكون بصوت تحريك أثاث في غرفة بعيدة.

وعلى ضوء القتال المستعر، تبدى وجه المطارد "فانج"، التي كانت ترتدي أردية رمادية طويلة، بينما كان وجهها عبارة عن قناع موت لامرأة تم صنعه من البرونز.

وأخيرًا تحدثت المطارد فانج: "لقد قصفت مدفعيتنا للتو خط المدن الأمامية لـ "تراكشن ستات سجيسل شافت" وسوف أطير قريبًا إلى هناك لأقود الهجوم البري بنفسي".

"أثق في أنكِ ستحققين نصرًا جديدًا مجيدًا يا فانج". قالها بوب جوي، وقد جاء

صوته من مكان ما بالقرب من كاحلي جريك، فأدرك الأخير أن الرجل ودكتور زيرو قد ركعا على ركبتيهما حتى لامس وجهاهما الأرضية الخشبية للغرفة.

"لكنه لن يكون النصر الأخير" عَقَّبَت المطارد، وكان صوتها أشبه ما يكون بصفير رياح الشتاء حين تتخلل أعواد القصب المتجمدة، "إننا في حاجة لمزيد من الأسلحة الأكثر قوة يا بوب جوي".

"وسوف تحصلين عليها، يا صاحبة السعادة"، أجابها بوب جوي، "أنا لا أكف عن البحث عن الأجزاء الغريبة والتقنيات القديمة التي قد تكون ذات فائدة. والآن قد آتينا لك بنموذج صغير من فيلق بعث المطاردين".

فنظرت فانج نحو جريك، وقد التمعت عيناها اللوزيتان بالوهج الأخضر، وراحت تتأمله، ثم قالت وهي تقترب منه: "أنت المطارد جريك، لقد رأيت صورًا لك، وقد أخبروني أن عطلًا قد أصابك وتوقفت عن العمل".

"لقد تم إصلاحه بالكامل، يا صاحبة السعادة ". هتف بوب جوي.

توقفت فانج على بُعْد خطوات من جريك، وأخذت تتفحصه، ثم قالت: "وما الغرض من ذلك يا بوب جوي؟".

"إنه هدية بمناسبة عيد ميلاد سعادتك"، أجابها بوب جوي وهو ينهض بصعوبة من وضع الركوع الذي طال به، "مفاجأة صغيرة كانت دكتور زيرو تحلم بأن تقدمها لكِ. لا بد أنك تتذكرين "أوينون زيرو" ابنة العجوز "هيراكو زيرو" المَلاَّح المتميز. إنها فتاة معجزة، وأفضل جَرَّاح ميكانيكي في الفيلق. باستثناء جَرَّاحك الشخصي بالطبع. وقد تَمَكَّنَت من استخراج جريك القديم وإصلاحه لتقديمه لكِ كهدية في ذكرى إعادتك للحياة".

ظلت المطارد فانج تحدق إلى جريك دون أن تقول شيئًا، فيما راحت دكتور زيرو ترتجف بشدة، وقد شعر جريك باهتزازاتها عبر الأرضية.

"لا تقولي إنكِ نسيتِ تلك الذكرى!" همس بوب جوي، "لقد مرت سبعة عشر عامًا منذ قمتُ بإعادتِك للحياة، في "المنشأة" بروجز رووست. أنتِ الآن لديكِ سبعة عشر عامًا، عودة سعيدة!".

كانت فانج لا تزال تتفرس في جريك بعينيها الخضراوين، ثم قالت: "وماذا عساي أن أفعل به؟".

هنا رفعت دكتور زيرو عينيها للمرة الأولى نحو فانج، وقالت: "آ... أعتقد... أعتقد... يمكنكِ الاحت... الاحتفاظ به لنفسك يا صاحبة السعادة... سوف يقوم بخدمتك جيدًا. وبينما تقومين بتنظيف العالم من ذلك السرطان المسمى المدن المتحركة، سوف يسهر السيد جريك على حراستك".

"س... س... سوف يقوم بحراستك". قالها بوب جوي في محاكاة ساخرة لتلعثم دكتور زيرو، "سيكون لديكِ حارس شخصي قوي مثلك ويملك نفس الحواس الفائقة...".

"أشك أنه يمتلك نفس قوتي" قالتها فانج.

"بالطبع لا..." هتف بوب جوي بسرعة مستدركًا، "صاحبة السعادة ليست في حاجة لحراس شخصيين يا حلوتي، ما هذا الذي تقولينه يا أوينون!"، ثم نظر نحو فانج وقال: "لقد حسبتُ فقط أنه قد يروق لكِ يا فانج".

أمالت المطارِد رأسها قليلًا، وكانت لم تنتهِ بعد من تَفَحُّص جريك، ثم قالت: "حسنًا، إنه ممتاز. لتقم بتعيينه ضمن طاقمي".

وفي آخر الغرفة انفتح باب طويل، دلف منه ضابط في زيه الرسمي، فانحنى تحيةً للقائدة، ثم قال: "المنطاد مستعد للإقلاع، يا صاحبة السعادة".

فاستدارت فانج متجهة نحو الباب، وغادرت المكان دون أي كلمة أخرى.

"ممتاز"، هتف بوب جوي بمجرد خروج فانج، ثم نهض بشكل كامل وأضاء مصباح من الأرجون، ثم ضرب ضربة خفيفة على عجيزة دكتور زيرو مما جعل وجهها يحمر، وقال: "عمل جيد يا حلوتي، لقد سُرَّت "زهرة النار" به. يقول الجميع إن أحدًا لا يستطيع التنبؤ بما تفكر فيه فانج، لكنني أنا من صنعتها ولدي القدرة على إدراك ما قد يدور خلف ذلك القناع".

ثم راح يمسح العرق اللامع على رأسه الأصلع بمنديل ورقي وهو يتطلع نحو جريك، قبل أن يقول: "والآن، ما رأي جريك في قائدتنا العظيمة؟".

"إنها قوية" أجابه جريك.

فأومأ بوب جوي مؤيدًا، وقال: "هي كذلك فعلًا. حسنًا، إنها أعظم ما صَنَعْتُ، فبداخلها مجموعة من الآلات المدهشة وأجزاء من دماغ مطارد ربما أقدم منك. إن التقنيات القديمة عجيبة بالفعل، لدرجة أنني حتى الآن لم أستطع امتلاك الإدراك التام بكيفية عملها. أنا لم أقم بصنع مطاردين مماثلين لها، لكني أحسب أن واحدًا فقط من نوعيتها كافيًا للغاية، أليس كذلك يا جريكي؟".

التفت جريك نحو النافذة والمعركة البعيدة الدائرة، وقد انطلق وابل من الأضواء نحو السماء، وكأنها متفجرة من أعماق الأرض، فيما كان الأفق يعج بالمناطيد الحربية، وراح يفكر... لسوف يكون أمرا طيبًا أن يعمل في خدمة تلك المطارد فانج، فمن الجيد بالتأكيد أن يعمل تحت قيادة كائن قوي مثله، وليس هؤلاء الفانون الضعفاء الخنوعين. سيكون مخلصًا لها، وربما مع الوقت قد يساعده تفانيه على ملأ تلك الفجوات في ذهنه الخاوي من الذكريات، ويخلصه من ذلك الشعور الممض بأنه قد فقد شيئًا ثمينًا...

ذلك الوجه، ذلك الوجه المشوه! إنه يلوح في ذهنه من جديد، ثم يتلاشى.

***

"7"

إنها ترحل عن البيت

كان الوقت ليلًا، وقد تبدى القمر الوليد من بين الضباب فوق التلال الميتة. استلقت رين بكامل ملابسها فوق سريرها، بمنزلها الكائن بساحة "دوج ستار"، وقد أرهفت السمع لأصوات والديها المكتومة إذ تأتيها عبر جدار غرفتها الملاصق لغرفة نومهم.

ولم يمر وقت طويل حتى ساد الصمت، فأدركت أنهما قد راحا في النوم أخيرًا، لكنها ظلت في مكانها حتى تتيقن من أنهما استغرقا بالفعل في سبات عميق... سبات عميق؟! كيف لأحد أن يأتيه النوم في تلك الساعة، وفي ليلة جميلة كهذه؟! يا لرتابة حياتهما ومللها، إن الأمر يكاد يدفعها للصراخ غيظًا. على أي حال كان ذلك أفضل كي تتمكن من تنفيذ خطتها.

وبعد حين، انسلت رين من فراشها وارتدت حذاءها الطويل، ثم خرجت بهدوء من غرفتها وهبطت الدَرَج، ومن كتفها تدلت حقيبتها الثقيلة وبها "كتاب الصفيح". كانت عملية الاستيلاء على الكتاب شديدة اليسر لدرجة أنها لم تشعر بأنها تقوم بسرقته، وهو ما راحت رين تؤكده لنفسها مرارًا، بأن الأمر لم يكن سرقة، فالآنسة فريا لم تكن بحاجة إلى ذلك الكتاب، كما أنه لا أحد في أنكوراج كلها يكترث به... "إنها ليست سرقة... لا... ليست سرقة على الإطلاق". هكذا راحت تقنع نفسها.

ومع ذلك، وبينما كانت تُثَبِّت الورقة التي قضت المساء بأكمله في كتابتها، فوق صندوق حفظ الخبز، ثم تتسلل من المنزل إلى حيث الشوارع المضاءة بالنجوم اللامعة، لم تتمالك رين نفسها من الشعور بالحزن لانتهاء حياتها في فينلاند على هذا النحو.

عقب انتهاء لقائها مع جارجل، ركضت عائدة عبر التل وتوجهت مباشرة إلى القصر الشتوي. كانت الآنسة فريا لا تزال في حديقتها تتسامر مع السيدة سكابيوس حول المسرحية التي سيقوم الأطفال بأدائها في مهرجان القمر. فاتجهت رين نحو المكتبة وأخرجت الصندوق الخشبي الذي أرتها إياه الآنسة فريا، ففتحته وأخذت منه كتاب الصفيح، ثم أغلقته وأعادته لمكانه من جديد فوق الرف. وعبر النافذة المفتوحة كان

ألقاب. إننا نعرف بعضنا منذ زمن بعيد...".

انسلت رين خارجة من المكتبة، ثم خارج القصر برمته، وعادت مسرعة إلى المنزل، وقد خبأت الكتاب بعناية في سترتها، وهي تقاوم الشعور الممض بأنها صارت لصة.

كان القمر يبدو وكأنه ريشة نفختها الرياح فعَلِق بين أبراج القصر الشتوي، ومن نافذة فريا راسموسين لاح ضوء المصباح الخافت، فقالت رين في داخلها وهي تعبر مسرعة من أمام القصر: "وداعًا يا آنسة فريا"، وقد شعرت بأنها على وشك البكاء.

لقد كان حالها أكثر سوءً وهي بعد في منزلها ذلك المساء قبل الرحيل، حيث قضت السويعات السابقة تقاوم الانفجار في البكاء كلما فكرت في أنها ستترك والدها العزيز، بل إنها راحت تفكر في أنها ستفتقد أمها كذلك، لكنها أخذت تطمئن نفسها بأن ذلك الوضع لن يدوم إلى الأبد، وإنما لفترة مؤقتة، وأنها سوف تعود يومًا ما إلى موطنها، ولكن كأميرة على الصبية المفقودين، وسوف يصبح كل شيء على ما يرام.

وقبل التوجه لغرفة نومها قامت بمعانقة أبيها بقوة على غير العادة، وقد بدا متفاجئًا، لكنه اعتقد أنها فقط محبطة بسبب شجارها الأخير مع أمها.

نزلت رين إلى حيث حي المحركات، وسارت مسرعة نحو طرف المدينة. ولم تكد تخرج من تحت ظل الطبقة الأعلى وتتخذ سبيلها عبر الشارع الواسع الكائن بين اثنين من المستودعات المهجورة، حتى فوجئت بكول في طريقها.

احتضنت رين حقيبتها بقوة، وراحت تحاول المراوغة، لكنه قطع عليها الطريق من جديد، فيما لاحت لمعة باهتة في عينيه من بين خصلات شعره المتناثرة.

"ماذا تريد؟" سألته رين بصوت حاولت أن يبدو حادًا.

"ينبغي ألا تذهبي" قالها كول.

"ولماذا لا؟ بإمكاني الذهاب إن أردت... على أي حال أنا لا أعرف ما الذي تتحدث عنه".

"جارجل"، أجابها،" لقد شاهدتكما ليلة أمس. وقفتُ أراقب الوضع بمجرد أن وصلت إلى قمة التل، ورأيتك إذ تخرجين من مركبته. هل طلب منك أن تساعديه؟ هل وافقتِ؟".

إلا أن رين لم تجب.

"رين، لا ينبغي لك الوثوق في جارجل... لقد كان صبيًّا صغيرًا حين كنت أعمل معه، ومع ذلك فقد كان لئيمًا ماكرًا، إنه يجيد استغلال الآخرين وإخفاء رغباته الحقيقية. مهما يكن ما طلبه منك، لا تفعليه".

"وكيف ستمنعني إن فعلت؟".

"سأخبر توم وهيستير".

"ولماذا لا تخبر الآنسة فريا أيضًا؟"، ردت رين ساخرةً، "أنا واثقة من أنها ستكون مسرورة لمعرفة الأمر، ولكنك لن تفعل، أليس كذلك؟ لو أنك أردت أن تخبر أبي وأمي لفعلت ذلك بمجرد أن رأيتني أخرج من تلك المركبة "الأوتوليكوس"، لكنك أبدًا لن تخون قومك".

"أنت لا تملكين أدنى فكرة عن..."، صاح كول، ولكن بينما راح هو يحاول انتقاء الكلمات المناسبة، كانت رين قد تركته وهرعت تخف الخطى في طريقها، وراح وقع خطواتها المسرعة يدوي عبر الدرج المعدني في نهاية الشارع، ثم قفزت من الدرجة الأخيرة للسلم إلى حيث اليابسة، وقد ارتطمت الحقيبة الثقيلة بجانبها بقوة. كان قلبها يخفق بشدة، وقد التفتت للوراء لترى ما إذا كان كول قادمًا في إثرها، لكنه ظل واقفًا في مكانه كما هو دون حراك، فلوحت له ثم استدارت وراحت تركض بعيدًا صاعدة التل.

راحت هيستير في النوم سريعًا في تلك الليلة، أما توم فقد كان على وشك النوم حين أيقظه شيء ما لم يدر كنهه وقتها، وهو ما سيعرف لاحقًا أنه كان صوت باب المنزل إذ ينغلق.

مكث توم راقدًا كما هو في الظلام، وقد راح ينصت لدقات قلبه، وقد بدا له حينها أن ثمة اختلاج فيها، وفي حين آخر كان يشعر ببعض الألم... أو ربما هو ليس ألم، وإنما إحساس بأن شيئًا ما داخل جسده على غير ما يرام، حيث مزقت رصاصة بيني رويال صدره منذ سنوات طوال. فمنذ ذلك الحين وحالته الصحية تزداد سوءً، خاصة كلما مارس الرياضة أو بذل جهدًا شديدًا. ما كان عليه أن يقطع تلك الأخشاب هذا

الصباح، ولكن المشكلة أنه كان لا بد من قطعها، ولو لم يفعل لبات عليه حينها أن يفسر السبب لهيستير وأن يخبرها بالآلام التي يشعر بها في قلبه، حينها كان القلق سيستحوذ عليها وستجبره على الذهاب لويندولين سكابيوس، التي صارت طبيبة أنكوراج، لتقوم بفحصه، وهو ما لا يريده أبدًا، فهو يخشى كثيرًا ما قد يكشفه الفحص الطبي...

كان توم يرى أنه من الأفضل ألا يفكر في مثل تلك الأمور، وأنه بدلًا من ذلك عليه أن يتوجه بالشكر للآلهة على تلك السنوات الطيبة التي قضاها مع هيستير ورين، وألا يشغل باله بما قد يقع في المستقبل قبل حدوثه.

ولكن لم يكن توم يدري أن مستقبل أيامه يدنو منه بالفعل، وأنه قد بدأ في تلك اللحظة أسفل راسموسين بروسبكت... عبر جادة بوريال أركاد... ثم إلى ساحة دوج ستار... إنه يعبر البوابة الأمامية، ويركض عبر الدَرَج... وها هو ذا يدق باب بيته بقوة.

"يا لكويرك العظيم!" أجفل توم، وهب جالسًا في فراشه وقد انتابه الذهول، أما هيستير فقد تثاءبت قليلًا وتقلبت في الفراش.

استعاد توم رشده سريعًا، فألقى عنه الأغطية وهب قائمًا، واتجه نحو الدرج ثم ركض مسرعًا إلى الطابق الأسفل في منامته. وعبر اللوح الزجاجي للباب الأمامي رأى خيالًا غير واضح المعالم، كما لو أن شبحًا يقف وراء الباب ويطرقه بعنف، وينادي: "توم...!".

"كول؟"، صاح توم وقد مَيَّز الصوت المألوف، "ادخل، إنه مفتوح".

لم تكن تلك المرة الأولى في حياة توم التي يوقظه فيها كول بغتةً حاملًا له أنباءً سيئة، فقد سبق وفعلها منذ سنوات خلت أيام كانت أنكوراج لا تزال مدينة جليدية، حين تركته هيستير وحلَّقت وحدها بمنطادهما القديم "جيني هانيفر". يومها جاءه كول في جنح الليل لينبئه بما حدث، وكان وقتها لا يزال صبيًّا.

والآن، ها هو ذا بشعره الطويل ولحيته النامية وعينيه المتسعتين، يقف قبالته من جديد، أشبه ما يكون بنبي مخبول أتاه محملًا بأخبار قاتمة...

اقتحم كول الردهة، ليرتطم بحامل القبعات القائم في الركن ويسقط مجموعة توم

من أغلفة الهواتف المحمولة القديمة التي يحتفظ بها.

"كول، اهدأ... ما الأمر؟".

"رين"، أجابه عضو الصبية المفقودين السابق، "إنها رين...".

"رين؟ ماذا بها؟ إنها بغرفتها"، قالها توم، وقد شعر فجأة بعدم الارتياح، متذكرًا الطريقة الغريبة التي عانقته بها وهي تتمنى له ليلة سعيدة قبل أن تتوجه إلى غرفتها، وكذلك الخدش على خدها، الذي قالت له عنه إن الأشواك قد جرحتها أثناء سيرها بين أشجار الغابة، وقد شعر حينها أن هناك شيئًا ما على غير ما يرام.

"رين..."، صاح توم مناديًا ابنته من أسفل الدَّرَج...

"لقد رحلت يا توم!"، صرخ كول.

"رحلت؟ رحلت إلى أين؟"، أتاهما صوت هيستير إذ تهبط حتى منتصف الدرج وتضم ردائها على جسدها . وكانت قد استيقظت على صوت الجلبة . ثم عادت أدراجها إلى الأعلى بسرعة متجهة نحو غرفة ابنتها، ومن مكانه سمعها توم وهي تفتح الباب على عجل، ثم تصرخ: "يا للآلهة، يا للإلهات!"، ثم ركضت من جديد نحو قمة الدرج وصاحت: "إنه محق، لقد أخذت حقيبتها ومعطفها...".

"ربما خرجت مع تيلدي سميو إلى إحدى السهرات الليلية"، قالها توم، "نحن في فينلاند على أي حال، حيث لا شيء خطير يمكن أن يقع".

"الصبية المفقودون"، قالها كول فيما راح يذرع الردهة جيئة وذهابًا، وقد وضع يديه في جيبي معطفه القديم المتسخ، بينما رائحته التي تشبه روائح الحيوانات البرية تفوح منه وتفعم المكان...

"هل تتذكر جارجل؟ لقد بعث لي برسالة منذ فترة، وطلب مني معاونته على سرقة شيء ما لا أعلم كنهه. يبدو أن رين قد تبعتني في ذلك اليوم حين التقيته، فأوقع بها جارجل. إنه يستغلها. لقد ذَهَبَت إليه".

توجهت هيستير نحو المطبخ، ثم عادت وهي تصيح حاملةً ورقة: "توم، انظر...".

كانت الورقة عبارة عن رسالة من ابنتهما... "أبي وأمي العزيزان، لقد قررتُ أن أترك

فينلاند. الصبية المفقودون هنا، ولكن لا داعي للقلق، إنهم لا ينوون أي أذى. سوف يأخذونني معهم، وسوف أشاهد المدن الطوافة وساحة الصيد، وكافة أرجاء العالم؛ لسوف أخوض مغامراتي الخاصة، تمامًا مثلما فعلتما في الماضي.

آسفة لأني لم أستطع توديعكما، فأنتما بالتأكيد كنتما ستحاولان منعي من الرحيل.

سأعتني بنفسي جيدًا، وسأعود إليكما قريبًا وفي جعبتي الكثير والكثير من الحكايات لأقصها عليكما...

مع حبي

رين".

وبمجرد أن انتهيا من قراءة الخطاب، ركعت هيستير على ركبتيها ورفعت سجادة الردهة لتكشف عن باب خزانة أرضية كان صاحب المنزل السابق . الذي كان يعمل تاجرًا . يخزن فيها أشياءه الثمينة، أما الآن فلم يعد بها سوى بندقية وبضعة صناديق للذخيرة. سحبت هيستير البندقية وقامت بفك القماش الزيتي الذي تلفها به، ثم: "أين هم يا كول؟".

"هيت..."، هتف توم، فيما دمدم كول: "كان يتوجب عليَّ أن أخبركما من قبل... لكنه جارجل... لقد أنقذ حياتي ذات يوم، وما كان لي أن...".

"أين هم؟".

"في خليج صغير على الشاطئ الشمالي، حيث تتجمع الأشجار بالقرب من المياه. رجاءً، لا أريد أن يتأذى أحد".

"كان عليك أن تفكر في ذلك من قبل"، ردت هيستير وهي تتفحص بندقيتها.

كانت هيستير قد تخلصت من كافة البنادق التي استولت عليها من صيادي أركانجيل، فيما عدا تلك البندقية حيث آثرت الاحتفاظ بها لحالات الطوارئ حين يستدعي الأمر وجود سلاح. ولم تكن تلك البندقية جميلة أو مزخرفة برأس الذئب على مؤخرتها، أو موشاة بالفضة كباقي بنادق أركانجيل، وإنما كانت مجرد أداة قتل سوداء قبيحة الشكل ثقيلة، من طراز "شادنفورد 38".

قامت هيستير بتعبئة خزانة سلاحها بالرصاص وأغلقتها، ثم ثبتت البندقية في نطاقها، واندفعت نحو الباب، وقالت لتوم وهي تنتزع معطفها من فوق الحامل: "اذهب وأخبر البقية"، ثم خرجت إلى الظلام دون أن تنتظر منه إجابة.

ومن طرف الجزيرة العلوي، كان بمقدور رين أن ترى "الأوتوليكوس" وهي رابضة كالسلطعون في الخليج الصغير حيث شاهدت جارجل لأول مرة. وعلى صفحة الماء كان الضوء الأزرق المنبعث من فتحة المركبة يلمع متلألئًا.

شرعت الفتاة تتخذ طريقها هبوطًا نحو المركبة عبر مسار الماشية، تكاد قدمها تنزلق على الأرض الرخوة، وتتعثر بين الجذور الناتئة، فيما كان البرد يلفح حنجرتها من الخلف إذ راحت تجري عبر الأشجار نحو الجسم الجاثم هناك.

وكان جارجل واقفًا هناك بين المياه الضحلة أسفل الدرج المؤدي إلى فتحة المركبة، وبصحبته ريمورا، وعندما اقتربت رين من موضعهما، رأت فيش كيك إذ يهبط لينضم إليهما. وما إن اقترب الصبي حتى سأله جارجل: "هل أنت مستعد للرحيل بنا؟".

"على أهبة الاستعداد"، أجابه الصبي، وقد كانت محركات المركبة ساكنة، ومع ذلك كان خيط من دخان العادم يتصاعد من فتحات في الجزء الخلفي منها، بينما كانت إحدى الكاميرات السلطعونية تلمع في الظلام وهي تتسلق إحدى سيقان المركبة لتولج إلى الفتحة المخصصة لها بالداخل. وعبر الشاطئ تبعتها أعداد من الكاميرات، راحت تزحف بسرعة نحو المركبة، وقد بدت كسرب من العناكب لدرجة أن رين أجفلت وشعرت برغبة في الفرار، إلا أنها تماسكت وراحت تقول لنفسها إنها إذا أرادت أن ترتحل مع الصبية المفقودين فعليها أن تعتاد على تلك الأشياء. ثم سارت في هدوء بين العناكب المعدنية تلك نحو وجهتها.

"إنها أنا"، صاحت رين في تؤدة، وقد انتبه جارجل إلى صوت خطواتها فاستدار ليتحقق من هوية القادم باتجاههم، "لقد أحضرت كتاب الصفيح".

وفي أنكوراج، استيقظ القوم من نومهم وقد استبد بهم الذعر والسخط في آن معًا؛ وفيما كانت هيستير تتسلق الطريق المؤدي إلى الغابة، كانت أصوات أبواب المنازل تنفتح وتُصفَق من خلف قاطنيها الذين اندفعوا إلى الشوارع في غضب

وصيحاتهم تملأ الأجواء، وراحوا يستعدون لملاحقة الصبية المفقودين والقيام بما يتعين عليهم فعله. وقد كاد عدد من شباب المدينة يلحق بهيستير بينما تتجه هي نحو طرف الجزيرة، إلا أنها سبقتهم بينما كانوا لا يزالون عند المنحدر يتلمسون خطاهم عبر الطريق المتعرج، فيما اتخذت هي مسارًا مستقيمًا عبر الدغل بين الحصى والحجارة التي راحت تتكسر تحت أقدامها أو تتدحرج محدثة صوت قعقعة.

وبرغم الموقف، كان هناك شعور بالحماس والغبطة يفعمان صدر هيستير، فها هي رين قد باتت في حاجة إليها أخيرًا، وكانت تدرك جيدًا أن توم لن يستطيع إنقاذ ابنتهما من يد الصبية المفقودين، بل لا أحد في فينلاند برمتها يمكنه ذلك، باستثنائها هي؛ هيستير، فهي الوحيدة التي تملك القوة لمجابهتهم؛ وحينما تقتلهم جميعًا سوف تعود ابنتها إلى رشدها وستدرك أي خطر ماحق كان يحيط بها، ووقتها فقط ستشعر بالامتنان لأمها وستعودان صديقتين من جديد.

انسلت هيستير إلى دغل صغير عند سفح التل، والتفتت تنظر إلى الوراء، فلم تجد أثرًا للآخرين. ثم سحبت بندقيتها من حزامها واتخذت سبيلها باتجاه الخليج الصغير.

"هنا"، قالتها رين وهي تنزل الحقيبة الثقيلة من على كتفها وتناولها لجارجل، "إنه بداخل الحقيبة، ومعه أغراضي كذلك".

"من الأفضل أن تخبرها الآن يا جار. لقد حان الوقت للرحيل"، قالتها ريمورا لجارجل الذي كان قد أخرج الكتاب من الحقيبة وراح يتصفحه متجاهلًا كلتا الفتاتين.

"سوف آتي معكم، هل تتذكر؟"، قالتها رين وقد بدأت تشعر بعدم الإرتياح، حيث لم تكن تتوقع هذا الاستقبال، "أنا قادمة معكم، هذا ما اتفقنا عليه".

وكان بمقدورها أن تستشعر نبرة التذمر الطفولية التي تسربت إلى صوتها، وأدركت أنها قد فشلت في الظهور بمظهر الفتاة الشجاعة الناضجة المغامِرة التي أرادت أن تظهر به أمام جارجل. وفي تلك اللحظة فقط تَكَشَّف لها أنها لا تعني أي شيء لجارجل سوى مجرد وسيلة للحصول على كتاب الصفيح...

"إنه هو!" دمدم جارجل محدثًا نفسه، ثم ألقى بحقيبة رين إليها، ومد بالكتاب إلى فيش كيك، الذي وضعه في حقيبة جلدية تتدلى إلى جانبه.

"أنا قادمة معكم"، صاحت رين من جديد وكأنما تُذَكِّر جارجل، "أنا قادمة معكم، أليس كذلك؟".

هنا دنا جارجل منها، ثم قال لها وقد بدت في صوته نغمة تهكم واضحة: "لقد فكرتُ في الأمر يا رين، الحق أننا ليس لدينا متسع لك".

قاومت رين رغبتها في البكاء، وأخذت تطرف بعينيها لتمنع دموعها من الانهمار، ثم صاحت بغضب عارم وهي تلقي بحقيبتها على الأرض بقوة: "لقد وعدتني أنك ستأخذني معك"، ولم يفتها أن تلمح ريمورا التي وقفت تتأملها وتهمس بشيء ما لفيش كيك مما جعله يبتسم، وأدركت حينها كم أنهم يرونها غبية!

"أريد أن أرى أماكن أخرى..."، ظلت رين تصيح "أن أفعل أشياء أخرى، لا أريد أن أبقى هنا لأجد نفسي متزوجة من نات ساستروجي، وينتهي بي المطاف بأن أصير معلمة في المدرسة، وأبقى هكذا ليتقدم بي العمر ثم أموت".

"رين..." قالها جارجل بصوت كالفحيح، وقد بدأ الغضب ينتابه جراء صياحها والجلبة التي أحدثتها، إلا أنه لم يكمل كلامه، ففي تلك اللحظة قاطعه صوت آخر من بين الظلام، يصيح في غضب عارم تردد صداه من حولهم: "رين!".

"أمي؟!"، قالتها رين وهي تشهق من المفاجأة، في حين دمدمت ريمورا: "اللعنة!".

أما جارجل فلم ينطق بأي كلمة، فقط سحب مسدس الغاز الخاص به من حزامه وأطلق النار باتجاه الشاطئ، فانطلق وميض أزرق بدد الظلام المحيط، وعلى ضوئه رأت رين هيستير تتقدم نحوهم وهي تتفادى الرصاصة التي مرقت بجوارها، فيما كانت ترفع بندقيتها أمامها في تصميم. ومن البندقية العتيقة انطلقت الطلقات الواحدة تلو الأخرى، في صوت مكتوم أشبه بصوت كتاب يتم إغلاقه بعنف. وقد ارتطمت الرصاصة الأولى بجسم الأوتوليكوس محدثة صوت رنين، وكذلك أخطأت الرصاصتان التاليتان هدفهما لتسقطا في مياه البحيرة، ثم انطلقت الرابعة لتصيب هدفها، إذ اخترقت جبهة جارجل بين العينين مباشرة، لتتناثر الدماء اللزجة على وجه رين . التي كانت لا تزال تقف بالقرب منه . وتلطخ ملابسها.

"جارجل!"، صرخ فيش كيك، بينما سقط جارجل على ركبتيه ثم انقلب على وجهه في الماء؛ فاندفع الصبي فيش كيك عبر المياه الضحلة باتجاه الرجل، إلا أن ريمورا

اعترضت طريقه وهي تسحب بندقيتها وتصرخ: "فيش كيك، عد إلى متن المركبة... ارجع بنا إلى جريم سباي".

وفي تلك اللحظة أطلقت هيستير رصاصتين أخريين اخترقتا جسد الفتاة لترتد إلى الخلف بعنف وتسقط ميتة في مياه البحيرة...

"جارجل..."، كان فيش كيك لا يزال يصرخ منتحبًا، بينما راحت هيستير تعيد تعبئة بندقيتها، وقد تناثرت فوارغ الطلقات حول قدميها، وهي تصيح: "رين، تعالي إلى هنا".

فخطت رين باتجاهها وهي ترتعد خوفًا، وقد شعرت بالسرور في داخلها لمجيء أمها. إلا أن فيش كيك اندفع نحوها ولف ذراعيه حول خصرها ليمنعها من الهرب، ثم صوب مسدس جارجل تحت ذقنها...

"اتركي البندقية الآن"، صرخ فيش كيك، "وإلا سأقتلها... سأقتلها".

"ماماااا"، صرخت رين وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة، وقد أيقنت أنها قد اكتفت بهذا القدر من المغامرات وما عادت تريد المزيد، وبات كل ما تتوق إليه الآن هو العودة إلى منزلها الآمن.

"مامااااا! أنقذيني!".

تقدمت هيستير إلى الأمام وهي لا تزال ترفع بندقيتها، إلا أنها لم تجرؤ على ضغط الزناد وإطلاق النار خشية أن تصيب رين، ثم صاحت في الصبي: "دعها".

"وماذا إن لم أفعل؟ هل ستطلقين النار؟"، صاح فيش كيك وهو ينشج ويحرك جسد رين بعنف بحيث صارت بينه وبين أمها مباشرة، ثم راح يجرها معه عبر الدَرَج الموصل لفتحة المركبة، وكان المسدس لا يزال مصوبًا أسفل ذقنها. كانت تشعر بالصبي إذ يرتعد من ورائها، وقد كان بمقدورها التغلب عليه بسهولة، إلا أنها لم تجرؤ حتى على المحاولة، خاصة في وجود ذلك المسدس تحت ذقنها.

جرها الصبي جرًّا عبر الفتحة إلى داخل المركبة، وبسرعة ضغط بمرفقه فوق زر فانسحب السلم الآلي إلى الداخل.

وفي الخارج راحت هيستير تمطر الجسم المعدني بوابل من الطلقات تردد صداها

عبر البحيرة...

"ماماااا!"، صرخت رين من جديد وقد لمحت أمها بينما فتحة المركبة تنغلق، قبل أن يدفعها فيش كيك إلى الداخل عبر المدخل إلى مقصورة التحكم التي تعج بالآلات الكهربائية المعقدة.

ولم تمضِ لحظات حتى شعرت رين بالمركبة إذ تهتز في حين راح فيش كيك يشغل أدوات التحكم بيد واحدة، فيما كانت الأخرى لا تزال تصوب المسدس نحو رأسها.

"دعني، رجاءً"، صاحت رين، إلا أن الصبي لم يعبأ بتوسلاتها، وبدأت المقصورة في الاهتزاز بصورة أكبر. ومن النافذة رأت رين أضواء تقترب على جانب التل خلف الشاطئ، فصرخت: "النجدة!".

كانت الأمواج تضرب نوافذ المقصورة بعنف بينما ضوء القمر يلوح من بين الأمواج الآخذة في الارتفاع. ثم اختفى القمر تمامًا وتغير المشهد عبر النافذة، كذلك تبدل صوت المحركات وحركتها، وأدركت رين أن المركبة قد غاصت تحت الماء تمامًا استعدادًا للرحيل، وأنها لن تعود إلى منزلها الآن. وفي تلك اللحظة شعرت بمعدتها تنقلب و... سقطت مغشيًّا عليها.

ركضت هيستير عبر الشاطئ وكانت لا تزال تطلق النيران على المركبة إلى أن غاصت تحت الماء واختفت تمامًا عن الأنظار. وفي أعماقها أيقنت هيستير أن الأمور قد أفلتت من يديها وما عاد بوسعها فعل شيء أو إنقاذ ابنتها، فراحت تصرخ ملتاعة بصوت أجش باسم رين، مرة بعد مرة، وسط الظلام، وما من صوت سوى صدى ندائها اليائس يتردد وسط الصمت المطلق.

لا، لم يكن صمتًا مطلقًا تمامًا، فمن بعيد التقطت أذنا هيستير صوت نباح كلاب وصيحات بشرية، فالتفتت ناحية التل لتجد أضواء مصابيح تقترب عبر المنحدر نحو الشاطئ حيث وقفت خالية الوفاض. وكان السيد سميو أول من وصل إليها، حيث جاء يهرع حاملًا بندقية يبلغ طولها ضِعف طوله، وصاح: "أين هم؟ شياطين الماء هؤلاء، دعيني أواجههم!".

ثم تبعه مزيد من القوم، فتوجهت هيستير صوبهم...

"هل أنت بخير يا سيدة ناتسوورثي؟".

"لقد سمعنا إطلاق نار".

"هل هم الصبية المفقودون؟"... راح القوم يمطرونها بالأسئلة، إلا أنها لم تنطق بكلمة.

وفي البحيرة، كانت الأمواج تحرك الجثتين الراقدتين في المياه وقد تلوثت بدمائهما؛ فهرع كول نحوهما وركع جوار أحدهما، وهمس بصوت مرتبك: "جارجل..."، وكان الهواء لا يزال مفعم برائحة الدخان والبارود.

أما توم فقد ركض بين الجمع نحو هيستير وهو يتلفت حوله في ذهول وغباء، ثم لمح حقيبة ابنته البائسة على الأرض...

"أين رين؟"، سأل هيستير بلهفة، "ماذا حدث؟".

فأشاحت هيستير بوجهها عنه وراحت تنظر بعيدًا دون أن تنبس ببنت شفة. ثم جاءته الإجابة المريرة في النهاية، ولكن ليس من هيستير وإنما من فريا راسموسين، حيث أمسكت بكفه بين يديها وقالت:

"آه، توم... لقد رحلوا... أعتقد أن رين معهم. أعتقد أنهم أخذوا رين".

***

"8"

المخطوفة

"بابا، إن وجه ماما مضحك كثيرًا".

"أعرف".

"ولكن لماذا هو مضحك هكذا؟".

"لأن رجلًا شريرًا أصابها يومًا بجرح في وجهها حينما كانت لا تزال طفلة صغيرة".

"وهل آلمها ذلك؟".

"أعتقد هذا، أحسب أنه آلمها كثيرًا ولزمن طويل، لكن الأمور قد صارت على ما يرام الآن".

"وهل سيعود ذلك الرجل الشرير؟".

"لا يا رين، فقد مات منذ وقت طويل. لا يوجد أشرار في أنكوراج بفينلاند. ولهذا نحن نعيش هنا، فنحن في أمان في هذه البقعة، حيث لا أحد يدري بنا أو يحاول إيذاءنا، ولا مدن جائعة تسعى لالتهامنا. نحن بأمان هنا، معًا، ماما وبابا ورين"... كانت أصوات من الطفولة تتردد في ذهن رين بينما أخذت تستعيد حواسها تدريجيًا، حيث كانت راقدة فوق أرضية مقصورة صغيرة ذات حوض معدني، ومرحاض معدني كذلك تفوح منه رائحة مواد كيميائية. ومن السقف تدلى مصباح ينبعث منه ضوء أزرق خافت.

وكانت الجدران تهتز قليلًا، وقد تناهى إلى مسامع رين صوت محركات الأوتوليكوس، بالإضافة إلى صوت آخر بدا لها كصوت صرير، وقد خمنت أنه ربما من أثر ضغط المياه على هيكل المركبة.

إذن، لقد جاء الرجال الأشرار، الذين تساءلت عنهم في طفولتها، إلى أنكوراج بالفعل . هكذا راحت تفكر . وها هم قد حصلوا على ما أرادوا وتمكنوا من الفرار به، وقد ساعدتهم بنفسها على تحقيق أغراضهم. فقط يبقى سؤال واحد... "ماذا سيفعلون بي؟!". لقد اختطفوا أباها ذات يوم، لكنه نجا من براثنهم وعاد إلى أنكوراج

وتزوج من أمها؛ إذن لا زال هناك أمل أمامها في أن تنجو هي الأخرى.

وفي غمار تفكيرها في والدها، تذكرت أمها وما أقدمت على فعله خلال الساعات الماضية، مما جعلها تشعر برعب سقيم، وفي مخيلتها راح صدى الرصاصة وهي تخترق جبهة جارجل يتردد دون انقطاع.

ولم تدرِ كم من الوقت قضته في رقدتها تلك، ترتجف وتئن في أسى من وقع الصدمة. وأخيرًا حملت نفسها على النهوض، حيث لم تعد عظامها تتحمل الأرضية الصلبة القاسية. "تماسكي يا رين"، هكذا أخذت تقول لنفسها محاولةً استجماع قوتها.

كانت البقع فوق ملابسها قد جفت وصار لونها بنيًا وكأن بعضًا من حساء اللحم قد انسكب عليها مخلفًا تلك اللطخات، ففتحت صنبور الماء فوق حوض اليدين المعدني وراحت تحاول تنظيف تلك البقع، ثم غسلت وجهها وشعرها قدر الإمكان.

ثم مر وقت طويل إلى أن سمعت أخيرًا صوت مفتاح يولَج في الرتاج، ثم انفتح الباب لتجد فيش كيك واقفًا أمامها يتطلع إليها. وكان المسدس لا يزال في يده، وبدا وجهه في الضوء الأزرق صلبًا أبيض وكأنما قُدَّ من عاج.

"أنا آسفة" قالت رين.

"اخرسي"، قالها فيش كيك وقد بدا صوته قاسيًا كملامحه، "يجب أن أقتلك".

"أنا؟!"، صاحت رين في وجل وهي تتراجع إلى الوراء لتلتصق بالجدار وكأنها تسعى لخرقه، "ولكنني لم أفعل شيئًا. لقد أحضرت لكم كتاب الصفيح كما طلب جارجل...".

"وقد قتلته أمك، تلك الشمطاء اللعينة!"، صرخ الصبي في غضب وهو ينشج بعنف ويده الممسكة بالمسدس ترتجف.

وفي قرارتها راحت رين تتساءل في خوف عما إذا كان سيطلق عليها النار، إلا أنه لم يفعل. وكانت أمواج متضاربة من المشاعر المتناقضة تعتمل في صدر رين في تلك اللحظة، ما بين خوف من الصبي الواقف أمامها حاملًا مسدس، وغضب منه، وإحساس بالمسؤولية تجاهه بشكل أو بآخر، كل ذلك في آن معًا. ثم قالت من جديد:

"إنني آسفة بصدد ريمورا أيضا".

تنشق فيش كيك بصوت مسموع لمنع دموعه، ثم قال: "لقد كانت ريمورا فتاة جارجل... الجميع كان يقول إنه يحبها. لم يكن ليصطحبك معه بأي حال، وقد سمعته هو ومورا يتحدثان عنك وكانا يقولان إنك غبية بحق...".

ثم شرع في البكاء من جديد، وراح يردد: "ماذا سيفعل الصبية المفقودون من دون جارجل؟ إنه الآن في حال جيدة وقد انتقل برفقة مورا إلى الأرض التي لا تشرق عليها الشمس، فماذا عنا نحن؟ ماذا عني أنا؟".

ثم نظر إلى رين من جديد، وقد بدت عيناه في الإضاءة القاتمة للمركبة سوداوين كفتحتين فاغرتين خاويتين تمامًا...

"يجدر بي أن أقتلك فقط لتذوق أمك شعور المرء حين يفقد شخصًا يحبه. لكنني إن فعلت فإن ذلك سيجعل مني إنسانًا شريرًا مثلها، أليس كذلك؟".

ثم خرج وأغلق الباب خلفه بالمفتاح من جديد، تاركًا إياها وحيدة، حبيسة في تلك المقصورة الضيقة.

***

"سوف أذهب في إثرها"، قالها توم، فصمت الجميع تأدبًا واحترامًا للوعته، وبرغم استحالة تحقيق ذلك في يقينهم، إلا أنهم كانوا من اللطف ورقة المشاعر بحيث لم يقل أي منهم ذلك صراحةً؛ وقد قدَّروا أنه لا يزال واقع تحت تأثير الصدمة وأنه لهذا قال ما قاله توًّا.

كانت الصدمة شديدة ثقيلة الوطء على توم بالفعل، وقد لفه الذهول التام، وكأنه مُخدَّر، حينما أبلغوه بأن ابنته رحلت مع الصبية المفقودين، ثم إنه راح يركض في جنون جيئة وذهابًا عبر الشاطئ، يصرخ باسم ابنته، وكأن خاطفيها سيسمعون نداءه فيتراجعون ويعيدونها إليه. وظل توم يصرخ ويصرخ، إلى أن شعر بالألم يعتصر قلبه اعتصارًا لدرجة أنه حسب أنه موشك على الموت فوق المرسى الخشبي على الشاطئ دون أن يرى ابنته مرة أخرى.

لكنه لم يمت، بل سارع نحوه أهل أنكوراج الطيبون لمساندته، ونقلوه إلى أحد القوارب وعادوا به إلى أنكوراج. وها هو ذا جالس مع هيستير وفريا، بين العشرات

من سكان فينلاند في إحدى الغرف الصغيرة بالقصر الشتوي.

"إنه خطئي أنا"، قال توم، "لقد كانت تسألني صباح اليوم عن الصبية المفقودين، كان عليَّ أن أفهم أن شيئًا ما يجري".

"الذنب ليس ذنبك يا توم"، قالها سميو وهو يحدق في هيستير، التي جلست متجهمة بجوار زوجها وقد لفها الصمت، "لو لم يسبقنا البعض نحو الشاطئ ويبدؤوا في إطلاق النار..."، وقد انضم له عدد من القوم في توجيه أصابع الاتهام إلى هيستير. لطالما احترم أهل أنكوراج هيستير لإنقاذها لهم من براثن صيادي أركانجيل ولم ينسوا لها صنيعها هذا، إلا أنهم لم يحبوها أبدًا، فهم لم ينسوا كذلك الطريقة التي قتلت بها بيتور ماسجارد، وأنها قتلته حين لم يعد ثمة داعٍ لقتله، وكيف راحت تطعنه بسيفها الطعنة تلو الأخرى حتى بعد أن فارق الحياة. فلا عجب إذن أن ترسل الآلهة النوائب فوق رأس امرأة بإمكانها ارتكاب مثل تلك الفظائع، وإنما كان من الغريب أن تنتظر تلك الآلهة ستة عشر عامًا كاملة لتنزل بها العقاب، وها هو ذا لم ينزل بها وحدها وإنما بزوجها الطيب وابنتها الجميلة كذلك.

وكانت هيستير تدرك جيدًا كيف ينظر إليها القوم وما يعتمل في صدورهم نحوها، فقالت: "لقد كنت أدافع عن نفسي... كنت أدافع عنا جميعًا. لقد وعدتُ فريا يومًا أن أدافع عن هذا المكان وأحافظ عليه من أي أذى، وهذا ما كنت أفعله. ولو أن ثمة من ينبغي أن تلقوا عليه اللوم فلتلقوه عليه هو"، قالتها وهي تشير نحو كول، الذي جلس في ارتباك في ركن بعيد من الغرفة. إلا أن أحدًا لم يُلقِ باللوم عليه أو يؤنبه على ما فعل، وكانوا قد عرفوا أن أصدقاءه السابقين جاءوا وطلبوا منه مساعدتهم وأنه رفض؛ وما كان أي من سكان أنكوراج ينتظر أو يتوقع من كول أن يخون رفاقه أو يشي بهم، فهم قومه القدامى على أي حال.

هنا تساءل السيد أكيوك: "ولكن ما الذي أتى بالصبية المفقودين إلى هنا أصلًا؟ ماذا يريدون؟".

"وفتيات مفقودات كذلك!"، قالها سميو، وكان لا يزال يرمق هيستير، "كان أحد هؤلاء الأطفال الذين أطلَقَت عليهم النار مجرد فتاة صغيرة".

"ولكن ما الذي عاد بهم إلى أنكوراج بعد كل تلك السنوات؟"...

التفت الجميع نحو كول متسائلين، فهز كتفيه وقال: "لست أدري، لم أسألهم، فقد حسبت أنني كلما عرفت معلومات أقل كان ذلك أفضل".

"آه! يا للآلهة!!"، صاحت فريا على حين غرة، ثم هبت وهرعت تخرج من الغرفة. وحين عادت بعد لحظات كانت تحمل في يدها الصندوق الصغير الذي كان يحوي كتاب الصفيح، لكنه بات خاويًا الآن، ثم قالت: "لقد جاءت رين وسألتني عنه... هذا ما جاء من أجله الصبية المفقودون".

"ولماذا؟"، تساءل توم، "إنه لا يساوي شيئًا، أليس كذلك؟".

فهزت فريا كتفيها وقالت: "بلى، كنت أظن أنه ليس ذا قيمة، ولكن ها هو ذا قد سُرِق. لا بد أنهم طلبوا من رين أن تجلبه لهم و...".

"تلك الغبية الصغيرة..."، صاحت هيستير في غيظ، إلا أن توم قاطعها: "اهدئي يا هيت!"، وكان لا يرى رين سوى طفلة، وراح يسترجع في ذاكرته كيف كانت ترتمي بين ذراعيه حين ترتعد خوفًا من دوي الرعد أو من حلم سيئ راودها في نومها، وكيف كان يعانقها بقوة حتى تهدأ. والآن ها هي ذي محتجزة على متن تلك المركبة، وحيدة خائفة، وما من أحد برفقتها ليمنحها الطمأنينة والأمان... كانت الفكرة أقسى من أن يتحملها، فصاح من جديد: "سوف أذهب في إثرها".

"وأنا سآتي معك"، قالتها هيستير وهي تمسك بيده. لقد افترقا مرة واحدة من قبل حين كانت هيستير أسيرة في روجز رووست، ومنذ ذلك الحين تعاهدا ألا يفترقا مرة أخرى... "سوف نذهب معًا".

"ولكن، كيف؟" تساءلت فريا.

"وأنا سوف أساعدكما" قالها كول وهو يهب واقفًا، وراح يسير عبر الغرفة وظهره للجدار، بينما ضوء المصباح ينعكس ملتمعًا في عينيه... "إنه خطئي أنا، لقد ظننتُ أنني إذا رفضت مساعدتهم فسيرحلون عنا ويتركوننا في سلام. لم يخطر في بالي قط أنهم سيتحولون إلى رين. لقد نسيت كم أن جارجل شخص ذكي يمكنه... آ... أمكنه..."، ثم إنه وضع يده على حلقه، حيث الندوب الحمراء القديمة التي خلفتها الحبال التي أمر العم ذات يوم أن تلتف حول عنقه وأن يتم تعليقه بها؛ ثم استطرد قائلًا: "ما زلت أتذكر مولد رين، وما زلت أذكر كم كنت ألعب معها وهي بعد صغيرة.

سوف أساعدكما، وسوف تأخذكما "الدودة الحلزونية" إلى جريم سباي إذا لزم الأمر".

"أتقصد مركبتك القديمة؟"، قالتها هيستير وقد بدا صوتها غاضبًا، كما لو كانت تحسب أن كول يسخر منهم.

"كنت أحسبها قد تلفت منذ سنوات"، قال توم، "منذ ذلك الصيف الذي قمت فيه أنت والسيد سكابيوس بحفر المرفأ...".

"لقد أصلحتها"، أجابه كول، "كيف كان لي أن أمضي الوقت في ظنك وأنا قابع هناك في حي المحركات؟ كنت أعكف على إصلاح "الدودة الحلزونية"، إنها لا تعمل بشكل مثالي، لكنها صالحة للإبحار، ولكن بالطبع لا يوجد بها وقود...".

"أعتقد أن لدينا بعض الوقود في خزانات الميناء الجوي القديم..."، قالها السيد أكيوك، "كما يمكننا إعادة شحن بطارياتها من محطة توليد الطاقة المائية".

"إذن من الممكن أن تصير المركبة جاهزة للإبحار في غضون أيام قليلة"، قال كول "ربما أسبوع".

"ستكون رين على بُعد أميال بحلول ذلك الوقت!"، قالت هيستير، فأجابها توم بلهجة حازمة: "لا يهم"، وكان من المعتاد دوما أن تكون هيستير هي من يملك الحزم في حين يتبعها توم فيما تقرره، أما الآن وفي هذا الوضع الراهن، تغير الأمر، وبات توم صاحب القرار، وقد قرر أن عليه أن يستعيد رين، وإلا ما الجدوى من الاستمرار في الحياة إن هو فقد ابنته؟ ثم أمسك بيد هيستير وكان على يقين من أن بداخلها نفس الشعور، وقال:

"سوف نجدها... لقد واجهنا في الماضي ما هو أسوأ من الصبية المفقودين، ولسوف نعثر على ابنتنا حتى لو اضطررنا للارتحال عبر كل تلك المسافة حتى جريم سباي".

***

"9"

الرسالة

كان فيش كيك يعرف مساره جيدا للعودة إلى البحر عبر قنوات النهر في القارة الميتة، فقد سبق وعاون جارجل في وضع خرائط الرحلة من جريم سباي عبر القنوات نفسها، ومن ثم كان من السهل عليه تتبع المسار الذي سلكته الأوتوليكوس إلى فينلاند. كان طريق العودة يسيرًا على الصبي، لكن الوقت لم يكن ليمر بذات اليسر، فقد راح طوال الرحلة يفكر في جارجل وريمورا... "كان جارجل واقفًا هاهنا حين عبرنا تلك البحيرة... تلك النكتة ألقتها مورا بينما كنا نمر عند ذلك الجرف الرملي"...

والآن بات عليه أن يتصرف وحده وأن يتولى زمام الأمور، ولكن... ماذا بيده أن يفعل؟ لقد أحب جارجل كثيرا، ولا يزال يحبه، لكن جار قد رحل والبكاء لن يعيده. ماذا عليه أن يفعل؟ عليه أن يتخذ قراره الآن... إنه لم يتصرف يومًا من تلقاء نفسه أو يضع خططه الخاصة، بل كان هناك دائمًا من يخبره بما يتعين عليه فعله، باستثناء تلك اللحظة في فينلاند حين دفعه الذعر للإمساك بذلك السلاح وتوجيهه صوب رين لمنع أمها من إطلاق النار عليه. وحتى في هذا كانت النتيجة مغايرة لما ابتغاه، وها هو قد انتهى به الأمر وقد صارت رين أسيرة لديه ولا يدري ما عساه أن يفعل بها.

وفي الليلة الثالثة بعد المعركة في فينلاند، أطفأ فيش كيك المحركات ثم صعد إلى سطحها، وقبالته كانت تلال القارة الميتة تقف شامخة تحت السماء اللامعة. وعلى مرأى من إلهة الموت وآلهة الحرب والانتقام الذين كان واثقًا من أنهم يرقبون الأرض ويشهدون عليه، رفع فيش كيك عقيرته ليُسمِعهم جميعًا: "سأنتقم لك يا جارجل، سأنتقم لكِ يا مورا. سوف أجد هيستير ناتسوورثي يومًا وحينها أعدكم بأني سأقتلها".

وفي اليوم التالي وصلت المركبة إلى الساحل، وانسلت عبر سلسلة من الكثبان الملحية إلى حيث البحر الرمادي، ثم لم تلبث أن غاصت بأمان إلى أعماقه، فضبط فيش كيك المسار نحو جريم سباي، ثم توجه ليرى سجينته.

كانت رين متكورة حول نفسها على أرضية مقصورة المرحاض، فوقف الصبي يتأمل وجهها الرقيق النائم، وفي أعماقه كان يتمنى لو لم يضطر لخطفها، فهي جميلة،

ولم يكن لها ذنب في أي مما وقع، لكن الوقت قد فات الآن للسماح لها بالرحيل.

لكزها بقدمه ليوقظها وقال: "نحن الآن في البحر، ليس هناك داعٍ لبقائك في تلك الحُجيرة بعد الآن، فنحن في أعماق المياه على بعد خمسين قدمًا من السطح، لذا لا تفكري مجرد التفكير في محاولة الفرار".

"في البحر؟!"، هتفت رين في دهشة، وكانت تعرف أن البحر المفتوح يقع على مسافة بعيدة للغاية من أنكوراج، ثم عضت على شفتها لتمنع نفسها من البكاء.

"سآخذك إلى جريم سباي"، استأنف فيش كيك كلامه "لا بد أن العم أو أي من الصبية الأكبر يعرفون ما يجب فعله معك. يمكنك الآن تنظيف نفسك إن أردتِ، كما يمكنك أخذ بعضًا من ثياب ريمورا من خزانة ملابسها".

فهمست رين: "شكرًا لك".

"أنا لا أفعل ذلك لأجلك"، قالها الصبي بحدة ليُظهِر لرين أنه ليس لين العريكة، "ولكن لأن رائحتك صارت لا تطاق، أنا لن أتحمل هذه الرائحة الكريهة طوال الطريق إلى جريم سباي".

ثم تركها وخرج، فنهضت رين وسارت خلفه نحو مؤخرة المركبة، بعد أربعة أيام قضتها في تلك الحجيرة الخانقة، حتى أن الممرات الضيقة بدت لها رحبة فسيحة مقارنة بها.

كانت خزانة ريمورا مزينة بصور اقتُطِعَت من بعض المجلات المسروقة، لتسريحات للشعر وملابس. كذلك كان هناك بعض الصور لريمورا وجارجل وهما يضحكان وقد التفت أذرعهما حول بعضهما. وفي ركن الخزانة كانت هناك حقيبة لأدوات التجميل، ودمية دب، وكتاب لتفسير الأحلام.

أخذت رين بعض قطع الملابس وقامت بتبديل ثيابها، ثم اتجهت نحو الحمام من جديد وراحت تتأمل صورتها في المرآة المثبتة فوق الحوض، والتي لم تكن مرآة بالمعنى المفهوم، وإنما مجرد لوح معدني مصقول تم تثبيته إلى الحائط. وأخذت تتطلع إلى شكلها وقد بدت أكبر وأكثر نحافة في ملابس ريمورا الداكنة الواسعة التي لا يميزها أي شيء... لقد بدت الآن "رين، الفتاة المفقودة"، وحينما قامت بدس

ملابسها المتسخة في إحدى الحقائب التي يستخدمها الصبية المفقودون في النهب ثم أغلقتها، لم يعد يتبق شيء من فينلاند فيها سوى حذائها.

بعد ذلك جلست في مخزن المركبة تنصت إلى وقع خطوات فيش كيك عبر الممر. وكانت معدتها تئن جوعًا، لكن الصبي لم يقدم لها أي طعام، وقد خافت أن تطلب بعضًا منه.

لقد كان أمرًا مُحرجًا إلى حد ما أن تكون أسيرة لشخص أصغر منها بكثير على هذا النحو، إلا أن الصبي كان يعتمد على خوفها منه وخشيتها من أن يقتلها إن هي أقدمت على أي فعل يزعجه، في التغلب على هذه النقطة.

اتجهت رين من جديد نحو الحوض وشربت بعض الماء كريه المذاق من الصنبور؛ ثم راحت تفكر في الهرب، وفي ذهنها كانت الخطط الجريئة تتشكل، لتنفجر بعد بضع ثوانٍ كفقاعات الهواء، وقد أدركت أنها حتى لو تمكنت من التغلب بطريقة أو بأخرى على خاطفها الصغير، فلن تتمكن من إعادة توجيه تلك المركبة نحو فينلاند. إنها عالقة هنا، وقد كان هذا خطأها منذ البداية، والآن تكشَّف أمامها كم كانت غبية بشكل لا يصدق حين أقحمت نفسها في كل هذا، وها هي أمست تشعر بالخزي والخجل، خاصة وأنها كانت دومًا تحسب نفسها فتاة ذكية ماهرة، وحتى الآنسة فريا كانت ترى ذلك، ولطالما كانت تقول إن رين تمتلك من الذكاء والفطنة ما يفوق أقرانها... "حسنًا يا رين" هكذا راحت تحدث نفسها "لو أنك تريدين البقاء على قيد الحياة والعودة إلى والديك، فعليك أن تبدئي في استخدام ذلك الذكاء وتلك الفطنة".

كانت الأوتوليكوس على بُعد مائة ميل من الشاطئ حين جاءت الإشارة. في البدء حسبها فيش كيك رسالة من مركبة أخرى من مركباتهم، برغم من أنه لم تكن لديه معلومات عن وجود أي مركبات أخرى للصبية المفقودين تعمل في هذا الجانب من المحيط. ثم لاحظ شيئًا غريبًا، فقد كانت الإشارة تُبَث على تردد الإرسال بين المركبات وفي ذات الوقت على طول الموجة التي تستخدمها المركبات لاستقبال الصور الواردة من الكاميرات السلطعونية اللاسلكية.

حرَّك فيش كيك بعض المفاتيح على لوحة التحكم، فأضيئت الشاشات المستديرة ببطء لتملأ مقصورة التحكم بالضوء. وفي جلستها على أرضية المخزن تناهت

الأصوات إلى رين، فتسللت إلى حيث باب مقصورة التحكم لتختلس نظرة. وكان فيش كيك في تلك اللحظات يتطلع إلى الشاشات الستة أمامه، وكانت جميعًا تعرض نفس المشهد الغريب... مدينة، يبدو وأنها تم تصويرها من الأعلى، تطفو فوق بحر هادئ. وكان من الصعب تحديد حجم تلك المدينة من خلال هذه الصورة المشوشة، إلا أنها كانت تبدو جميلة ذات قباب بيضاء مزخرفة عديدة وأعلام ترفرف عاليًا.

"ما هذا؟"، سألت رين، فالتفت فيش كيك نحوها دون أن يبدو على وجهه أي تعبير، وحتى إن كان قد فوجئ بوقوفها هناك عند الباب فإنه لم يُبدِ هذا. ثم عاد ليتطلع للشاشات من جديد، وقال: "لا أعلم... أنا لم أرَ شيئًا كهذا من قبل. إنها لا تزال تتكرر، انظري".

ثم تغير المشهد ليُظهِر رجلًا وامرأة لطيفي الشكل، يجلسان متجاورين على أريكة، و نظراتهما متجهة صوب الشاشة، حتى بدا وكأنهما ينظران مباشرة إلى رين وفيش كيك.

وبرغم أنهما كانا غريبين تمامًا، يرتديان الأردية والعمامات من التي يرتديها عادة سكان المدن الأثرياء، إلا أن شيئًا ما في ابتساماتهما اللطيفة الحزينة جعلت رين تفكر في أبويها وكيف أنهما ـ ولا بد ـ يفتقدانها الآن.

"تحية طيبة، يا أبناء الأعماق!"، قالها الرجل "إننا نتحدث إليكم نيابةً عن الـ "وبكارت": المنظمة العالمية لآباء الأطفال المختطفين من المدن الطوافة. منذ نصف قرن والمدن الطوافة عبر الأطلسي والأراضي الجليدية تشهد العديد من حالات اختفاء الصبية، والفتيات مؤخرًا. ثم في السنوات الأخيرة، وبفضل المستكشف "نيمرود بيني رويال"، عرفنا أن هناك ما يدعى "القراصنة الطفيليين" الذين يقومون بنهب المدن سرًّا وخطف أطفالها ليتم تدريبهم على أعمال اللصوصية ليصيروا لصوصًا بدورهم".

"بيني رويال من جديد!"، صاحت رين، إلا أن فيش كيك أسكتها: "ششششش... أنصتي!".

هنا جاء دور المرأة للتحدث، وكانت لا تزال باسمة، لكنها في ذات الوقت كانت تبكي وقد تلألأت العبرات في عينيها وعلى وجنتيها، فقالت وهي تميل قليلًا للأمام:

"والآن أهل منتجع "برايتون" الطواف الودودون أحضرونا شمالًا إلى حيث مياهكم الإقليمية. ولو أنكم قمتم بضبط موجات الراديو لديكم على الموجة 680 كيلو سايكل فسوف تلتقطون إشارة توجيه برايتون. إننا ندرك تمامًا أنكم ربما لا تتذكرون أي شيء عن آبائكم وأمهاتكم الذين تم انتزاعكم من بين أحضانهم وأنتم بعد حديثي السن، والذين يفتقدونكم كثيرًا. ولكن إذا أتيتم إلينا بغواصاتكم للقائنا في برايتون فإننا على يقين من أن العديد منكم سيتعرف على عائلته كما أنهم سيتعرفون عليكم. نحن لا نرغب في إيذائكم البتة، أو أخذكم من بين أصدقائكم وحياتكم المثيرة في الأعماق، وإنما نحن نرغب فقط في رؤية أولادنا المفقودين مرة أخرى...".

وكانت نبرة صوت المرأة آخذة في الارتفاع وقد اعتراها الاضطراب، فأخفت وجهها في منديلها فيما راح زوجها يربت على ذراعها، ثم استأنف هو الحديث:

"لدى "وبكارت" العديد من الأعضاء". قالها الرجل مفسرًا بينما كانت الصورة المعروضة على الشاشات قد تغيرت من جديد لتُظهر حشدًا من الناس مجتمعين على إحدى منصات المشاهدة بالمدينة، "كل واحد منا قد فقد ابنًا له، وهو يتطلع الآن لرؤيته من جديد ومعرفة ما حدث له أو لها. يا أبناء الأعماق، لو أنكم تمكنتم من التقاط تلك الرسالة فإننا نرجوكم أن تأتوا إلينا".

استمرت الصورة المعروضة لفترة، تصاحبها موسيقى حزينة، فيما راح أعضاء "وبكارت" يبتسمون جميعًا ملوحين بأيديهم، بينما راحت معاطفهم وقبعاتهم تتطاير بفعل النسائم البحرية.

ثم تغيرت الصورة مرة أخرى لتظهر لافتة مطبوعة كُتِب عليها: وبكارت . حملة الصيف (بالتعاون مع عمدة ومجلس بلدية برايتون).

ثم خفتت الموسيقى إلى أن تلاشت، وأظلمت الشاشات للحظة، قبل أن يعود الإرسال مرة أخرى بـ: "التحية لكم يا أبناء الأعماق".

"أرأيتِ؟"، قالها فيش كيك وهو يلتفت نحو رين، وقد نسي في غمرة حماسته ورغبته في التحدث حول تلك الرسالة العجيبة مع أي شخص، أنها أسيرته. كانت عيناه تلمعان، بل كان وجهه كله مشرقًا، وأدركت رين للمرة الأولى كم هو صغير حقًا، مجرد صبي صغير يقبع بعيدًا عن موطنه ويتوق للحب والدفء.

"في رأيك ماذا يتوجب عليَّ أن أفعل؟"، سألها فيش كيك، "لقد بحثت عن إشارة توجيه برايتون، إنهم قريبون من هنا، على بُعد حوالي خمسين إلى ستين ميل إلى الجنوب الغربي. لم أسمع من قبل عن مدينة تأتي إلى تلك المسافة من القارة الميتة...".

أدركت رين ما يعتمل في صدر الصبي وعقله في تلك اللحظة، ومدى شوقه المتنامي إلى تلك المدينة التي تطفو على مقربة منه وتعج بالآباء والأمهات التواقين للقيا أبنائهم؛ ثم إنها راحت تفكر... ماذا إن استطاعت إقناعه بالتوجه إلى برايتون؟ فقد كانت على ثقة بأن وضعها على متن تلك المدينة سيكون أفضل كثيرًا من وضعها هناك في جريم سباي تحت سطح البحر، وكذلك الحال. على الأرجح. بالنسبة لفيش كيك، ولهذا فلا مجال للشعور بالذنب حياله إن هي استغلت الموقف وأقنعته بتغيير مساره والتوجه نحو تلك المدينة.

وهكذا اتخذت قرارها، فدخلت إلى المقصورة وجلست على مقعد دوار بجواره، وقالت: "ربما جاءوا إلى هنا بحثًا عن أبنائهم المفقودين حقًّا... ربما ظلوا يجوبون مياه الشمال لأسابيع، يبثون الرسائل الواحدة تلو الأخرى، مرة بعد مرة. لقد أخبرني جارجل أن مركباتكم تختفي، وكان يعتقد أن مكروهًا قد أصاب طواقمها. ولكن ماذا لو أن العكس هو ما حدث؟ ماذا لو أنهم تلقوا مثل تلك الرسالة وذهبوا للقاء ذويهم وأسرهم؟".

"ولماذا لم يتواصل أفراد تلك الطواقم مع جريم سباي بعدها ثانية؟"، تساءل فيش كيك.

"ربما لأنهم انشغلوا بلقاء أحبائهم وقضاء أوقات ممتعة معهم، أو ربما خوفًا من جارجل وما قد ينزله بهم من عقاب لتوجههم إلى برايتون دون أوامر منه".

رفع فيش كيك عينيه إلى الشاشات من جديد ثم قال: "هؤلاء القوم يبدون شديدي الثراء والترف، بينما لا تختطف جماعة الصبية المفقودين سوى الأطفال الذين لن يشعر أحد بضياعهم، كالأيتام والمشردين الذين ينبذهم الجميع".

"هذا ما أخبركم به جارجل والعم"، أجابته رين، "فماذا لو كان ذلك غير صحيح؟ ماذا لو أنهم يختطفون كذلك أبناء العائلات الثرية؟ على أي حال، حتى الأيتام قد

يكون لدى بعض منهم أشخاص أو أقارب يفتقدونهم ويبحثون عنهم، وكذلك قد يكون لبعض المشردين آباء يرغبون في العثور عليهم...".

كان الصبي ينصت لما تقوله رين والعبرات تسيل من مقلتيه، وعلى ضوء الشاشات التمعت دمعتان كبيرتان فوق وجنتيه، ثم قال: "سوف أرسل سمكة إرسال إلى جريم سباي لأسأل العم عما ينبغي عليَّ فعله".

"ولكن يا فيش كيك..."، هتفت رين، "ربما يأمرك بألا تذهب إلى برايتون".

"العم أكثر دراية بما هو الأفضل". قالها الصبي، لكنه لم يعد واثقًا تمامًا من هذا.

"على أي حال، بحلول الوقت الذي يأتيك فيه الرد، ربما تكون برايتون قد أبحرت بعيدًا عنا، خاصة وأن الخريف قادم، حيث العواصف والمد العالي. لقد أخبرتنا الآنسة فريا أن المدن الطوافة عادة ما ترتحل عن تلك المنطقة نحو المناطق المائية الأكثر أمانًا خلال فصل الخريف بعيدًا عن العواصف. لذا ربما تكون تلك هي فرصتك الوحيدة...".

"لكن القواعد التي لقنونا إياها تقول غير ذلك... لا تُظهِر نفسك أبدًا، ولا تمنح الفرصة لليابسين لمعرفة أي شيء عن الصبية المفقودين. هذا هو ما تعلمناه في معقل اللصوصية، هذا ما قاله جارجل".

"هؤلاء اليابسون يعرفون عنكم كل شيء بالفعل". قالتها رين لتُذكِّر فيش كيك بما سمعاه توًّا في الرسالة، فهز رأسه وهو يكفكف دموعه بظهر كفه. وفي داخله كان صراع محتدم يدور بين ما لقنوه إياه من قواعد في معقل اللصوصية، والأمل المتنامي في أنه ربما كان والداه بين ذلك الحشد من الوجوه المتبسمة التي رآها على الشاشات؛ إنه لا يتذكرهما، لكنه كان على يقين من أنه إذا التقى بهما فسوف يتمكن من التعرف عليهما فورًا.

"حسنًا"، قالها فيش كيك أخيرًا، "سوف نقترب من برايتون، ولنحاول نشر بعض الكاميرات على متنها لنتحقق من هؤلاء الأشخاص أعضاء وبكارت...".

ثم راح يتطلع نحو رين بإشفاق، فهي لا أمل لها في أن يكون والداها على متن تلك المدينة...

“لا بد وأنكِ تتضورين جوعًا الآن”.

“نعم، جائعة للغاية”، أقرت رين، فابتسم الصبي بخجل، ثم قال: “أنا أيضًا جائع. كانت مورا هي من يتولى أمور الطعام هنا... هل تجيدين الطهي؟”.

***

"10"

فخ الآباء

في هذا الوقت من كل عام، اعتاد منتجع برايتون الطَّوَّاف الإبحار عبر البحر الأوسط، حيث يرسو بين الحين والآخر خلال رحلته كي يتمكن الزوار من البلدات والمدن المتحركة التي تجوب الشواطئ، من الهبوط على متنه بالبالونات للتجوال فيه واستكشاف أماكن التسلية والمتعة به، وكذلك حوضه المائي وشواطئه ومتاجره.

إلا أن المواسم القليلة الماضية قد شهدت ركودًا في أعمال المنتجع، ولهذا وافق مجلس البلدية على الارتحال إلى شمال الأطلسي بحثًا عن القراصنة الطفيليين. لكنهم الآن قد بدأوا يشعرون بالندم إزاء ذلك القرار... ففي البداية كان الأمر مفعمًا بالإثارة، خاصة حينما تواصلت معهم أول ثلاث مركبات لهؤلاء القراصنة، عند شرق جزر الأزور، وتدفقت حشود من الزائرين الذين جاءوا من مدن ساحة الصيد لمشاهدة هؤلاء الوافدين الجدد الغريبين.

لكن ذلك كان منذ أسابيع مضت، ومنذ ذلك الحين لم ترد أي إشارة على وجود مزيد من الصبية المفقودين في الجوار، وأمست اللافتات الطويلة الممتدة على طول المدينة ممزقة بائسة.

اقترب فيش كيك بالأوتوليكوس إلى أن صار على بُعد ميل من برايتون، وعلى عمق بسيط لا يتجاوز طول منظار المركبة. وكانت قد مرت ليلة منذ أن تلقى الرسالة من تلك المنظمة "وبكارت"، ثم جاء الصباح، حيث السماء في لون باطن قشور الرخويات، والأمواج الرمادية الكبيرة تتلاطم بين مد وجذر. وحينما حاولت رين إلقاء نظرة عبر المنظار نحو برايتون، لم تتمكن من رؤية شيء فيما عدا الأمواج العالية، وبين الحين والآخر كانت الأمواج تنحسر قليلًا مفسحة لها المجال لاقتناص نظرة سريعة.

ومع ذلك لم تلمح رين سوى جزيرة كبيرة تقبع بعيدًا في اتجاه الريح، محاطة بمنحدرات بيضاء تعانق قممها الغيوم. ثم بعد حين أدركت أن ما تراه ليس بجزيرة على الإطلاق، وأن ما حسبته منحدرات صخرية إنما هو صف من المباني البيضاء، أما الغيوم فكانت عبارة عن بخار وأدخنة العوادم المتصاعدة من غابة من المداخن. إنها

مدينة، مدينة طوافة مكونة من ثلاثة طوابق ذات منطقتين مركزيتين تتصلان ببدنها عبر شبكة من الجسور العنكبوتية، وفي مؤخرتها كان هناك صف من العجلات العملاقة التي تدور لتضرب المياه مخلفةً المزيد والمزيد من زَبَد البحر.

"آه...!"، صاحت رين في دهشة، وكانت قد سبق لها وطالعت العديد من صور المدن في الكتب، إلا أنها لم تدرك حجمها الحقيقي إلا الآن؛ إنها أكبر بكثير من أنكوراج، تتحرك فوقها المناطيد جيئة وذهابًا عبر الأفق وبين القباب والأبراج وأسطح المنازل.

وعلى بُعد بضع مئات من الأقدام فوق الطبقة العليا كان لوح دائري تحمله بالونات غازية ضخمة، وقد تم ربطه إلى الطبقة العليا بحبال إرساء سميكة ضخمة، وقد استطاعت رين تمييز تلك المجموعة من الأشجار الخضراء التي تحف تلك الطبقة الطائرة، وذلك المبنى ذي القباب غير المألوفة الشبيهة بالبصل.

"ما هذا؟!". قالتها رين وهي تشهق في ذهول.

"إنه يدعى السحابة التاسعة". أجابها فيش كيك، الذي استطاع الحصول على صورة للمدينة من خلال إحدى الكاميرات السلطعونية التي أرسلها إلى السطح، وكان قد أحضر النسخة القديمة الممزقة من "تقويم (كيد) للمدن المتحركة . الطبعة البحرية"، التي وجدها على متن الأوتوليكوس، وراح يقارن خرائط ورسومات السيدة "كيد" لبرايتون بالصورة الظاهرة أمامه على الشاشة... "إنه نوع من المنتزهات الجوية المحمولة، أما المبنى الكبير الذي يقع في المنتصف فهو مقر عمدة برايتون".

"يا للآلهة". راحت رين تردد وهي تتنهد.

"إنها لا تملك فكوكًا للالتهام". استأنف فيش كيك حديثه وهو يتفقد الشاشات للتأكد من أن المدينة لم تقم بإضافة أي شيء إليها منذ زمن صدور تقويم "كيد". فلم يجد سوى بضعة مدافع للدفاعات الجوية مثبتة فوق منصة دوارة بالمتنزهات، وفيما عدا ذلك لم يجد أي آثار لأسلحة أخرى أكثر مما تمتلكه أي مدينة في تلك الأوقات العصيبة.

وما إن أوقف فيش كيك بث الكاميرات حتى فوجئ برسالة جديدة تبث إليه من برايتون، وكانت أقوى وأكثر وضوحًا هذه المرة نظرًا لقرب المسافة بين المركبة والمدينة:

"إن كل ما نصبو إليه هو أن تتاح لنا فرصة لرؤية أبنائنا المفقودين الأحباء مرة ثانية". قالتها المرأة من "وبكارت".

هنا شعر فيش كيك بأمل طفولي يغمره وجعله يشعر بغبطة عارمة... ماذا لو أن تلك المرأة هي أمه هو؟ إن الآباء والأمهات عبارة عن قيد يكبل الإنسان ويؤلمه، إنهم يحولون دون أن يصير الأولاد فتيانًا أشداء؛ هذا هو ما لقنوه إياه في معقل اللصوصية، أما الآن ومع هذا الأمل الذي بات يحدوه في أن يقابل والديه، تَكَشَّف للصبي أنه في أعماقه لم يكن يؤمن بتلك التعاليم إيمانًا حقيقيًّا، وأنه طوال حياته ظل يفتقد أبويه ويتحرق شوقًا للقائهما ولم يكن يدرك ذلك حتى تلقى الرسالة من الـ "وبكارت".

وبعد لحظات حرَّك فيش كيك بعض مفاتيح التحكم، فغاصت الأوتوليكوس من جديد على بُعد أكثر عمقًا، ثم تحرك بها نحو ظلال المدينة لينسل أسفل هيكلها. وفي الظلام شاهد الصبي تلك المجموعة من الكابلات والأسلاك، والشبكة المعقدة الضخمة من حبال التوجيه، وبالقرب من مقدمة المدينة تدلت حلقة معدنية؛ فحسِب في بداية الأمر أن تلك الشبكة من الأسلاك والكابلات عبارة عن آلات بث الرسائل التي تستخدمها الـ "وبكارت".

ثم فجأة دوى صوت رنين معدني تردد صداه في المقصورة، فظنت رين أن هناك بالتأكيد شيء ما قد سقط على أرضية مخزن المركبة، إلا أن الصوت تكرر من جديد مرة بعد مرة، وقد اتخذ إيقاعًا منتظمًا، وكأن شخص ما يدق فوق الهيكل الخارجي للمركبة باستخدام مطرقة وبنسق إيقاعي منظم.

"آه! يا للآلهة". هتف فيش كيك فجأة.

"ما الأمر؟ ما هذه الجلبة؟".

لكن فيش كيك لم يرد وإنما راح يحرك يديه بشكل محموم عبر مفاتيح التحكم محاولًا الخروج من أسفل المدينة إلى حيث المياه المفتوحة. ثم قال بعد حين في ارتباك:

"لقد أخبرنا جارجل أنه واجه شيئًا مماثلًا ذات يوم أسفل مدينة طوافة مفترسة

كبيرة... إن الأمهات والآباء في الأعلى يعرفون أننا هنا الآن، إنهم يستخدمون إحدى أدوات التنصت من التقنيات القديمة...".

وفي تلك اللحظة لم يعد فيش كيك متيقنًا من مشاعره، وما إذا كان مذعورًا مما يحدث أم سعيد.

ومع استمرار الطَرْق بدأت المركبة تترنح، لتسقط رين على الأرض، وقد حسبت أن فيش كيك قد حرَّك المركبة فجأة مما أدى لسقوطها، فقالت متذمرة: "كان بإمكانك تنبيهي"، ثم راحت تفرك مرفقها الذي ارتطم بالحاجز، ونظرت نحوه لتجد أمارات الذعر مرتسمة على وجهه، فسألته هامسة في ترقب: "ما الذي يجري؟".

"لا أدري، لا أدري!".

وفي اللحظة التالية وقع ما لم يكن ثمة مجال للشك بصدده، فقد كانت الأوتوليكوس ترتفع بسرعة نحو الأعلى، إلى أن خرجت إلى سطح المياه وقد أحاطها الزَبَد الأبيض من كل اتجاه، ومن النوافذ اقتحمت أشعة الشمس المقصورة لتسطع في كل جوانبها، ليعمي الضوء الساطع أعينهما بعد أيام عديدة قضياها في ظلام الأعماق. وعندما تمكنت رين من الرؤية مُجددًا ونظرت عبر زجاج النافذة وجدت المركبة وقد تدلت عاليًا فوق الأمواج وأخذت تتأرجح، ومن تحتها برز لوح معدني عريض من مقدمة المدينة، فيما كان عدد من الأفراد يركضون، لكنهم لم يكونوا هؤلاء الأمهات والآباء باسمي الوجوه بثيابهم الحسنة الذين كانوا على الشاشات، بل كانوا عبارة عن مجموعة من الرجال خشني المظهر يرتدون سترات مطاطية. وقد أصيبت رين لأول وهلة بصدمة رعب لدى رؤيتهم، ثم ما لبثت أن هدأت قليلًا حين نظرت من حولها لتجد أن اللوح الذي تتأرجح فوقه المركبة كان عبارة عن متنزه لطيف، وقد اصطف عند إفريزه مجموعة من الناس بدا لها أنهم آباء الأطفال المختطفين من البلدات الطوافة، حيث راحوا يتطلعون نحو المركبة في ابتهاج وسعادة ويشيرون إليها بحماس، وكانت قد حطت أخيرًا فوق اللوح.

في تلك الأثناء هرع فيش كيك عبر السلم المؤدي إلى فتحة سطح المركبة، وما إن فتحها حتى اهتاج الحشد المتجمع في ابتهاج ومن مكان ما انطلق صوت عبر مكبر ضخم يصيح بشيء ما بكلمات غير مفهومة شوهها صدى الصوت.

ثم تبعته رين إلى الأعلى، وفي الخارج كان فيش كيك يتطلع نحو الحشد المتحمس وقد بدا عليه التوتر والعصبية، والارتباك كذلك بسبب ضوء الشمس والهتافات المدوية. وكانت المشابك المغناطيسية الضخمة التي قامت بسحب المركبة إلى الأعلى قد أفلتتها أخيرًا وتدلت في الأعلى من ذراع الرافعة المثبتة إليها.

وعند إفريز المنتزه كان الجمع لا يزالون يصيحون ويهتفون في مرح ويلوحون بأيديهم في الهواء.

وضعت رين يدها فوق كتف فيش كيك لتطمئنه، بينما كان الرجال في السترات المطاطية قد قاموا بلف أنشوطة حول المركبة وراحوا يغلقونها بحرص. وقد افترضت رين أن هؤلاء الرجال لا بد وأنهم عمال شحن أو صيادون وظّفهتم المدينة لسحب المركبات إلى السطح، فابتسمت لهم، إلا أنهم لم يبادلوها الابتسام.

وبعد حين تمكنت أذنا رين من التقاط بعض الكلمات التي تخرج من مكبر الصوت، ثم سرعان ما أدركت الكلام برمته: "... ولأولئك الذين انضموا منكم إلينا للتو... تمكنت برايتون من الاستحواذ على رابع غواصة للقراصنة، وها هو ذا طاقمها ينسل عبر فتحتها إلى الأعلى في يأس. اثنين من السفاحين حديثا السن. ولكن لا تقلقوا، سيداتي وسادتي، فإن العالم سيتخلص قريبًا من تلك الطفيليات وإلى الأبد!".

"إنه فخ!"، صرخت رين، فالتفت إليها فيش كيك . الذي لم يتمكن من تمييز أيًا مما يردده الصوت . وقد شحب وجهه، فصاحت: "الأمر ليس حقيقيًا يا فيش كيك... إنه...".

وفي تلك اللحظة كان رجلان قد صعدا إلى حيث فتحة المركبة وفي أيديهما شيء تبين لفيش كيك ورين لاحقًا أنه شبكة حينما ألقاها الرجلان على الصبي الذي راح يصرخ ويركل ويقاوم، ثم أمسك بكف رين وصرخ وهو على وشك البكاء: "أتعنين أن هؤلاء ليسوا أمهاتنا وآبائنا؟ لقد كذبتِ عليّ... كذبتِ عليّ".

ثم إن يدًا قوية جرته من الخلف وأخذته بعيدًا عن رين، في حين قبضت عليها هي أيادٍ أخرى قاسية، ذات قفازات مطاطية تفوح منها روائح السمك والزيوت. وفي لمح البصر كانت شبكة أخرى تسقط فوقها، فراحت تتلوى وتضرب بيديها وقدميها في كل مكان، إلا أنها لم تستطع التملص من آسرها الذي حملها على كتفه ونزل بها من

جانب المركبة ثم ألقاها بعنف فوق سطح اللوح.

ومن موضعها سمعت نحيب فيش كيك وقد تحول فجأة إلى صرخة حادة، وفي اللحظة التالية فهمت سبب صراخه على هذا النحو حين قبض أحد الرجال على ذراعها وبسرعة طبع على ظهر يدها بختم حديدي شديد السخونة، كلمة بدت لها كرمز أو شارة ما: "شكين".

"ماماااااا... مامااا"، راح فيش كيك يعوي بينما الرجال يسحبونه بعيدًا، رافضًا تصديق أن تلك الـ "وبكارت" والوجوه الباسمة الحنون للآباء لم تكن سوى خدعة.

"دعوه!"، صرخت رين وهي تبكي من الألم الشنيع الذي يحرق يدها، "إنه ليس سوى طفل في العاشرة... كيف تَأتّى لكم أن تكونوا بتلك الوحشية؟ لقد حسب أنه سيجد أبويه بينكم".

"تلك هي الفكرة أيها الصبي"، قالها رجل ضخم البنية يرتدي سترة مضادة للماء، وقد انحنى نحوها وهو يتجشأ ليخرج من فمه بخار ساخن يفوح بالويسكي. ثم إنه حدق إلى وجهها قليلًا قبل أن يصيح: "مهلًا... انظري يا آنسة "وييمز"، إنه ليس صبيًا، إنها فتاة".

اقتربت امرأة جميلة رقيقة ترتدي ثيابًا سوداء، فأزاحت الرجل بيدها، وكان ظهر كفها يحمل نفس الشعار الذي تم ختمه على كف رين، لكنه بدا قديمًا حيث خفت أثره ولم يتبقَّ منه سوى ندبة مرتفعة داكن لونها إلى حد ما مقارنة بباقي الجلد المحيط بها.

"مثير!"، قالتها المرأة وهي تتأمل رين، "لقد سمعنا شائعات عن طفيليين من الفتيات، لكنها الأولى منهن التي نراها بأعيننا".

"أنا لست فتاة مفقودة"، صرخت رين عبر الفُرجة الضيقة للشبكة المبتلة، "لقد كنتُ سجينة على متن الأوتوليكوس، أسرني فيش كيك من موطني...".

فابتسمت المرأة في سخرية وقالت: "لا يعنيني من أنتِ أيتها الفتاة. نحن تجار عبيد وأنتِ لستِ سوى بضاعة وهذا كل ما يهمنا".

"لكنني لستُ... لا يمكنك أن تجعلي مني عبدًا".

“بالعكس يا صغيرتي، إن عقدنا مع العمدة بيني رويال واضح تمامًا: أي شخص نتمكن من اصطياده في واحدة من تلك الآلات الطفيلية يصبح ملكًا لشركة شكين”.

“العمدة بيني رويال؟!”، صاحت رين “أنتِ لا تعنين... لا... ليس نيمرود بيني رويال؟”.

بدت علامات الدهشة على المرأة إذ لم تكن تتخيل أن فتاة مفقودة يمكن أن تعرف ذلك الاسم، ثم قالت: “نعم، نيمرود بيني رويال أصبح عمدة برايتون منذ اثني عشر عامًا أو أكثر”.

“ولكن هذا لا يمكن! من ذا الذي يمكن أن يضع بيني رويال في منصب العمدة؟! إنه محتال... خائن، لص مناطيد!”.

إلا أن الآنسة ويبمز لم تعرها اهتمامًا، وراحت تدون بعض الملاحظات فوق لوح كتابة، ثم قالت لأحد رجالها: “خذوها إلى مستودع العبيد، وأبلغ السيد “شكين” بالصيد الجديد. أعتقد أن ذلك علامة جيدة، ربما نحن نقترب من معقل القراصنة”.

***

"11"

أربعة ضد جريم سباي

في صبيحة رحيلهم، وقد صارت "الدودة الحلزونية" على أهبة الاستعداد، وفيما وقف توم وهيستير في انتظار إنهاء كول لبعض الاختبارات النهائية للمحركات، فوجئ الثلاثة بفريا راسموسين تخف الخطى نحوهم عبر الشاطئ، معلنةً أنها ستذهب معهم، وقد بدا أن لا شيء مما قد يقوله توم أو هيستير يمكن أن يثنيها عن قرارها...

"ذلك قد يكون خطيرًا".

"حسنًا، ولكن كلاكما ستذهبان رغم ذلك".

"لكن المدينة في حاجة إليكِ".

"آوه، أنكوراج بإمكانها تصريف أمورها جيدًا بدوني. على أي حال لقد طلبت من السيدة أكيوك أن تحل محلي وأن تقوم بأعمال المارجرافين بالإنابة أثناء غيابي، فإن أنا تراجعت الآن عن رحلتي وبقيت هنا فلن يكون هناك داعٍ لأن تأخذ مكاني، وهو ما سيصيبها بالإحباط، وأنتما بالطبع لا ترغبان لها في هذا، أليس كذلك؟ لقد صَنَعَت لنفسها قبعة خاصة لمنصبها المؤقت الجديد وأعدت كل شيء من أجله..."، ثم ابتسمت لهما وراحت تتخذ طريقها صعودًا عبر سلم "الدودة الحلزونية" وألقت بحقيبتها الثقيلة عبر الفتحة إلى الداخل.

"ألا تفهمين الأمر يا ملكة الثلج؟"، قالتها هيستير "نحن لسنا ذاهبين لجريم سباي لإجراء تعارف اجتماعي، إنما نحن سنرتحل إلى هناك لاستعادة رين، ولو أن الأمر استدعى مني قتل كل صبي مفقود يقف في طريقي فسوف...".

"سوف تزيدين الأمور سوءً ليس إلا"، قاطعتها فريا بشيء من الغلظة، "لقد وقع الكثير من القتل بالفعل، ولهذا السبب تحديدًا أنتِ في حاجة لي معكم، حيث يمكنني التحدث إلى العم وتقديم تفسير لما حدث".

أطلقت هيستير صيحة سخط ونظرت إلى كول، وقد كانت على ثقة أنه لا يرغب أن تشارك فريا في تلك الرحلة، إلا أن كول ظل صامتًا ولم ينطق بكلمة، وراح ينظر

بعيدًا عبر المياه المتلألئة.

قُضي الأمر، وبدأت الرحلة. وقد بدا من مشهد توديعهم لأهل أنكوراج وكأنهم ذاهبون في رحلة خلوية للتنزه، حيث راح توم وفريا يلوحان عبر فتحة المركبة للقوم الذين احتشدوا على الشاطئ لتشجيعهم، بينما شرعت "الدودة الحلزونية" تشق طريقها عبر مياه البحيرة.

وما إن اختفت المدينة عن الأنظار، وطوت المركبة أرجلها استعدادًا للغطس، حتى توجهت فريا نحو مقصورة التحكم، حيث انكب كول على مجموعة من أدوات التحكم الصدئة، أما توم فقد بقي في الأعلى يطل من فتحة المركبة حتى اللحظة الأخيرة، يتأمل الخط الساحلي والمنحدرات الخضراء المنعكسة على المياه المتماوجة؛ كانت الطيور تصيح بين حقول القصب، يردد صداها صخب العالم القديم، من أصوات أبواق السيارات ونغمات تنبيه الهواتف المحمولة التي لا بد وأن أسلافها البعيدين قد سمعوها يوما... وكأنها أحافير صوتية قادمة من عالم مندثر. وقد راح توم ينصت إليها ويفكر في المستوطنات القديمة التي كان قد شرع في التنقيب عنها في التلال الميتة، وآثار الحياة المنسية التي تَمَكّن من اكتشافها هناك. ترى، هل سيعود مع رين من جديد ويستأنف أعماله؟

"سوف نعود"، قالها توم بلهجة من يقطع وعدًا على نفسه، وهو يهبط عائدًا إلى داخل المركبة ليلحق بهيستير، لكنها لم تُعَقِّب أو ترد بأي كلمة، ففي أعماقها كانت تشعر بأنها لن ترى أنكوراج مرة أخرى.

وفي مقصورة التحكم لم يكن أمام كول أي وسيلة لتجنب التحدث مع فريا راسموسين، وكان يتساءل في داخله عما إذا كان ما أوردته فريا من أسباب لمشاركتها لهم تلك الرحلة هو الحقيقة فعلا أم أنه لا يمثل سوى نصف الحقيقة.

غاصت المركبة بالكامل نحو الأعماق، وغطت المياه نوافذها، وبعد لحظات جاءت فريا وجلست بجوار كول وقامت بفرد خارطة "سنوري أولفيسون" القديمة أمامه فوق منصة التحكم، وقالت: "ما زلت تتذكر الطريق إلى جريم سباي، أليس كذلك؟".

فأومأ كول.

"كنت واثقة من ذلك... بصراحة، أنا مندهشة من أنك لم تحاول العودة إلى هناك".

“إلى جريم سباي؟!”، قالها كول باندهاش والتفت ينظر إليها، إلا أن وجهها الرقيق الوادع وعينيها اللتين راحتا تتطلعان نحوه باهتمام جعلوه يشعر بارتباك، فأشاح بوجهه على الفور وأخذ يحدق إلى أجهزة التحكم، ثم قال:

“ولماذا أعود إلى جريم سباي؟ هل نسيتِ ما حدث لي في أيامي الأخيرة هناك؟ لو لم يقم جارجل بتحريري لكنت...”.

“لكنك ما زلت تتوق للعودة...”، قالتها فريا برفق، “وإلا فلِم أصلحت الدودة الحلزونية؟”.

أخذ كول يحدق إلى الظلام الممتد أمام المركبة متظاهرًا أنه يتابع الصخور الغارقة من حوله، لكنه في نهاية المطاف قرر البوح بما يعتمل في صدره: “هذه هي المشكلة؛ لم أستطع التوقف عن التفكير في الأمر ولو للحظة، حتى في الأسابيع الأولى لي في فينلاند، فيما كان هناك الكثير من الأعمال التي انخرطتُ فيها، وبينما كان الجميع يتعاملون معي بلطف وترحاب، وأنتِ...”، قال تلك الكلمة الأخيرة وهو يختلس نظرة خاطفة نحوها بجانب عينه، ليجدها لا تزال تتطلع فيه.

لماذا تعامله بلطف ورقة دائما؟ . هكذا راح يفكر. لقد منحته حبها قبل ستة عشر عامًا، لكنه صدها لأسباب لا يزال عاجزًا عن فهمها إلى الآن، وما كان ليلومها لو أنها طردته من مدينتها...

“لهذا فضلتُ العيش تحت الأرض”، استأنف كول اعترافه، “لأنه أقرب المناطق في أنكوراج شبهًا بجريم سباي. وفي كل ليلة يأتيني صوت العم في أحلامي يقول: (عُد إلى جريم سباي يا كول)”.

ثم نظر نحو فريا بعصبية، إنه لم يبُح بكل هذا لأي شخص من قبل، وها هو الآن يخشى أن تحسبه مجنونًا بعد ما قاله، ولا عجب إن حسبته كذلك، فهو نفسه بات يشك في قواه العقلية أحيانًا.

“إن صوته يأتيني في أحلامي بنفس الطريقة التي اعتاد أن يحدثنا بها حينما كنت صغيرًا عبر مكبرات الصوت المثبتة في سقف معقل اللصوصية. حتى الأمواج المتكسرة على الشاطئ، تهمس لي بصوته: جريم سباي هي موطنك يا صغيري كول،

أنت لا تنتمي لليابسين. عُد إلى موطنك جريم سباي".

مدت فريا يدها لتلمسه، لكنها تراجعت ثم قالت: "لكنك حين ظهر جارجل من جديد وطلب مساعدتك، رفضت. كان يمكنك أن تساعده في الحصول على كتاب الصفيح ثم تعود معه إلى جريم سباي على متن الأوتوليكوس".

"لقد أردتُ ذلك"، أجابها كول، "أنتِ لا تدركين كم أردتُ هذا حقًّا".

"لكنك لم تفعل، لقد اخترت أنكوراج وفضلتها على جريم سباي".

"فقط لأنني شعرتُ بالخوف... فقط لأني خشيتُ أنني إن عدتُ إلى هناك فقد لا أستطيع التأقلم مع الصبية المفقودين مثلما لم أستطع التأقلم مع اليابسين هنا. ربما لم يعد لي مكان على الإطلاق".

هنا مدت فريا يدها نحوه من جديد، لتضعها هذه المرة فوق كتفه، فأجفل وابتعد عنها سريعًا في خجل، كحيوان خائف. أحيانا تشعر أن كول لا يزال يمثل لغزًا بالنسبة لها، تمامًا مثلما كان يوم أتى إليهم لأول مرة قادمًا من البحر. ربما كان ليصبح أكثر سعادة لو أنه فقط سمح لها بالاقتراب منه ومنحه حبها.

وكذلك هي، صحيح أن حبها له لم يدمر حياتها تمامًا . فقد حدثت الكثير من الأمور الجيدة لها . ولكن في بعض الأحيان يتملك الحزن منها لكونها لم تتزوج أو ترزق بأطفال. في كثير من الأحيان يُخَيَّل إليها أن هناك الكثير من الأشخاص في هذا العالم . كول واحد منهم، وكذلك هيستير ناتسوورثي . لا يملكون القدرة على السعادة.

وهنا، خطر لفريا خاطر مزعج جعلها تشعر بالفزع، وقد استرجعت في ذهنها ما قاله كول منذ لحظات عن الأمواج التي تهمس إليه بصوت العم؛ فلو أن تأثير العم استطاع أن يبلغ نفس كول ومخيلته في فينلاند، فماذا سيكون عليه الحال حينما يصلون إلى جريم سباي؟ وماذا إن ساءت الأمور ونشب صراع بينهم وبين العم وصبيته، أي جانب سيتخذه كول حينها؟ هل سيقف إلى جانبها؟ أم سيتخذ صف العم؟

***

"12"

أعمال في المياه العظمى

"هكذا جلالتك، ابتسم الآن"، ثم سطع وميض فلاش الكاميرا مصدرًا صوتًا خافتا وقد خَلَّف كرة من الدخان ارتفعت في الهواء تحت سماء "السحابة التاسعة" كبالونات الاحتفالات. كان "نيمرود بيني رويال" يلتقط بعض الصور لصحيفة "برايتون مورنينج باليمبسيست"، هذه المرة مع كل من "ديجبي سلينج باك" و"ساردونا فليسك"، الممثل والممثلة اللذين لعبا دور الأبوين الحزينين من "وبكارت" في الرسائل التي تم بثها إلى المحيط الأطلسي.

"إذا تفضلت جلالتك"، قالها مراسل "باليمبسيست" بينما كان المصور يقوم بوضع لوح تصوير جديد في كاميرته، "هل يمكنك أن تُذَكِّر قراءنا كيف أتتك فكرة تلك الحملة ضد القراصنة الطفيليين؟".

فقال بيني رويال مبتسمًا وهو يصلح من وضع قلادة الحكم اللامعة:

"لقد اعتبرتُ أن ذلك من واجبي، فقد كنت أول من حذر العالم من وجود هؤلاء الأوغاد القادمين من البحر. ويمكنك أن تقرأ عن مواجهاتي معهم في كتابي الأكثر مبيعا "ذهب المفترسين"، فقط بخمسة وعشرين دولفين برايتوني في كافة المكتبات. وخلال السنوات الماضية وردت إلينا المزيد والمزيد من التقارير عن غزواتهم وعمليات السطو التي ارتكبوها، وقد استطعت استنتاج آليات عمل منظمتهم، ومن ثم فقد أخذتُ على عاتقي مهمة الإبحار بمدينتنا نحو الشمال وأسر أكبر عدد ممكن من هؤلاء اللصوص".

"بالطبع جلالتك، ولكن كما تعلم، يرى بعض منتقديك أن الأمر كله ليس سوى حيلة دعائية لجذب المزيد من الزوار إلى برايتون وتحقيق المزيد من المبيعات من كتبك...".

أصدر بيني رويال ضحكة هازئة ثم قال: "إن كتبي تباع بشكل جيد دونما حاجة لحملات دعائية مثيرة. أما إذا كانت أخبار جهودنا في التخلص من هؤلاء الطفيليين تجذب مزيد من السياح إلى برايتون، فما العيب في ذلك؟ برايتون مدينة سياحية

بالأساس ومن مهام عمدتها العمل على تعزيز السياحة بها. وأود أن أُذَكِّر الجميع أن حملات الصيد تلك التي نقوم بها لا تُكَلِّف دافعي الضرائب بنسًا واحدًا، والفضل في ذلك يعود لاتفاقية الشراكة التي أبرمتها مع رجل الأعمال البارز السيد "نابيسكو شكين" التي بموجبها تتكفل شركته بكافة تكاليف معدات الاستشعار تحت الماء وفخاخ المركبات. بل إن فكرة تلك المنظمة الزائفة لآباء هؤلاء القراصنة إنما تعود لشكين نفسه. أعرف أن بعض الناس يرون أن تلك الفكرة تتسم بالقسوة، ولكن يجب أن نعترف أن لها مفعول السحر وأنها قد آتت ثمارها. ولا عجب في ذلك، فشكين يفهم جيدًا الطبيعة النفسية لهؤلاء الأجلاف عديمي الآباء، فهو نفسه كان يتيمًا كما نعلم، كان أحد المشردين من الطبقات السفلية، وقد بنى نفسه بنفسه إلى أن وصل لما هو عليه الآن. لذا فهو يعرف جيدًا كيف يستقطب هؤلاء الطفيليين".

"وهل ترى جلالتك أننا سنتمكن من الإيقاع بمزيد من هؤلاء القراصنة قريبًا؟".

"انتظر وسترى"، قالها بيني رويال ضاحكًا، وقد راح يعدل من وضعيته لإبراز أفضل شكل له أمام عدسات الكاميرا بينما يستعد المصور لالتقاط صورة له، "إن الصبية الذين أسرناهم من المركبات الثلاثة الأولى كانوا من الصلابة بحيث رفضوا الكشف عن موقع معقلهم. أما ذلك الصيد الذي أحرزناه مؤخرًا فقد وجدنا به صبيًا أصغر عمرًا وكذلك فتاة سيكون من السهل للغاية إجبارها على الإفصاح. أعتقد أن الأيام القليلة القادمة ستأتي إلينا بنتائج عظيمة".

وقد جاءت الأيام القليلة التالية محملة بالفعل بتغييرات كبيرة... في الطقس. حيث هبت عاصفة اجتاحت القارة الميتة ومزقت المحيط تمزيقًا محيلة إياه إلى أمواج بيضاء متلاطمة راحت تلقي ببرايتون صعودًا وهبوطًا بعنف، لدرجة أصابت سكان المدينة بحالة غثيان، بينما هرع الكثير من الزوار الذين أتوا إليها خصيصًا لمشاهدة صيدها الجديد، نحو مناطيدهم ويخوتهم الطائرة ولاذوا بالفرار عائدين لبلدانهم.

أما سكان برايتون الذين نجوا من الإعياء الشديد وتمكنوا من الحركة فقد خرجوا يتطلعون عبر الأمطار الغزيرة إلى طبقة "السحابة التاسعة" المعلقة في السماء المدلهمة، وقد راحوا يسائلون أنفسهم في عجب ولوم كيف استجابوا لبيني رويال وسمحوا له بإحضارهم إلى هذا المحيط القاسي العنيف.

وفي الأسفل، في أدنى طبقات برايتون، تكورت رين على نفسها فوق الأرضية في قفصها الضيق بمستودع العبيد التابع لشركة" شكين"، وكانت في تلك اللحظات تتمنى لو أنها قد ماتت قبل أن تمر بكل ما تمر به الآن. ومن فوق رأسها تدلى مصباح من الأرجون وقد راح يتأرجح ذات اليمين وذات اليسار مع حركة المدينة، ويبعث بالضوء على الجدران المعدنية وصفوف الأقفاص التي تنتظر سجناءها من الصبية المفقودين الذين سيتم أسرهم وإلقاؤهم إليها. وكان فيش كيك يقبع في أحد تلك الأقفاص، بينما احتُجِز الصبية الآخرون الذين تم اصطياد مركباتهم سابقًا في عدد منها.

كان الحرق على يد رين لا يزال يؤلمها بشدة، وقد افترضت أن ذلك الختم سيبقى ملازمًا لها لبقية حياتها التي لن تستمر طويلًا...

"هل نحن نغرق الآن أم ماذا؟"، صاحت رين تسأل أحد حراس شركة شكين الذي دنا من قفصها وسلط مصباح اليد الخاص به عليها ليتأكد من أنها ما زالت على قيد الحياة.

فضحك الحارس وقال: "هكذا يبدو الأمر، أليس كذلك؟ لكن برايتون قد مرت بأسوأ من ذلك من قبل، لا تقلقي. قريبًا سنتخلص من بقية رفاقك".

"هم ليسوا رفاقي"، قالتها رين بمرارة، "أنا لست من الصبية المفقودين...".

"آه، فلتغيري تلك النغمة"، قالها الرجل بضجر، "لقد سمعتك ترددين نفس القصة على مسامع مونيكا وييمز عند سوق السمك حينما سحبناكم من المياه. لا يهمنا من أنتِ، فالأمر سيان، أنتِ الآن بضاعة ستجلب سعرًا جيدًا في نوفو مايا".

هنا استدعت رين في ذهنها بعضًا مما تعلمته من دروس الجغرافيا، هناك في قاعة الدرس بالقصر الشتوي، حيث مجسم الكرة الأرضية الكبير والآنسة فريا إذ تشير نحو بقعة محددة عليه وتقول: "تلك هي نوفو مايا، التي كانت تسمى قديمًا أمريكا الجنوبية قبل أن ينهار المضيق البري الذي كان يربطها بأمريكا الشمالية بفعل القنابل في حرب الستين دقيقة".

كانت نوفو مايا تقع على بُعد آلاف الأميال، ولو أنهم أخذوها إلى هناك، فكيف لها أن تجد طريق العودة إلى موطنها؟!

انحنى الحارس نحو قفصها وراح يتطلع إليها عبر القضبان، ثم قال: "أكنتِ تحسبين أن السيد شكين سيقوم ببيع مجموعة من القراصنة ليعملوا كعبيد منازل أو مربيات؟ أنتم ستباعون هناك لتصبحوا مقاتلين على متن واحدة من مدن نوفو مايا الكبيرة ذات الأبراج. إنهم يقدمون عروضًا قتالية جميلة في ساحاتهم حيث يتم الدفع بحفنة من العبيد ليقاتلوا بعضهم بعضًا، أو يواجهوا مطاردي العاصفة الخضراء، لتُسفَك الكثير من الدماء وتتناثر الأحشاء في كل مكان، فقط تكريمًا لآلهة نوفو مايا المضحكة. إن الأمر يحمل طابعًا روحانيًّا إلى حد كبير".

سواء كان الأمر روحانيًّا أم لا، لم تستسغ رين ما سمعت، وكان كل ما يعتمل في داخلها هو أن عليها أن تجد طريقة ما للإفلات من ذلك الوضع المشروع. إلا أن عقلها، الذي لطالما مدحته الآنسة فريا، كان مشوشًا تمامًا بحيث لم تعد تستطيع التفكير في أي شيء...

"أتمنى أن نغرق حقًّا" صرخت رين بينما كان الحارس يبتعد عن قفصها، إلا أن صوتها خرج خافتًا واهنًا، "أتمنى أن نغرق قبل أن توقعوا بالمزيد من الصبية المفقودين المساكين".

لكن أملها لم يتحقق، وفي اليوم التالي سكنت العاصفة وانحسرت الأمواج، وفي المساء تمكنت المدينة من استدراج طواقم ثلاث مركبات أخرى ليجروهم جرًّا، وهم ينتحبون في صمت، ثم ألقوا بهم في أقفاص العبيد.

وخلال الليل اقتنصوا أربعة طواقم أخرى، ثم ثلاثة آخرين في اليوم التالي؛ وكانت واحدة من تلك المركبات قد شعرت بأن الأمر ينطوي على فخ، فسارع طاقمها بالفرار قبل أن تتمكن الأذرع المغناطيسية من اصطيادها، إلا أن برايتون أرسلت في مطاردتها حتى تمكنت من مهاجمتها والإيقاع بها في مواجهةٍ عاصفة أثارت إعصارًا من المياه التي اندفعت إلى الأعلى لتغمر المتفرجين المبتهجين فوق منصات المراقبة بالجهة اليمنى، ثم ارتفعت المركبة ومنها برز أحد الصبية المفقودين إلى السطح.

"لا بد أن الأنباء قد بلغت جريم سباي الآن"، قالها "كريل" أحد الصبية الذين تم أسرهم في وقت سابق، وهو يطالع بوجهٍ شاحب الأقفاص من حوله وقد امتلأت بالصبية المفقودين، "العم العجوز سوف يتصرف... سوف ينقذنا".

قال واحد من الأسرى الجدد: "الأنباء قد وصلت جريم سباي بالفعل... قبيل مجيئنا إلى هنا".

"لقد التقطنا الرسالة منذ يومين"، قال آخر.

"العم قال لنا إنه فخ وأننا ينبغي ألا نُستدرَج إليه، لكننا برغم ذلك انسقنا وراء الرسالة".

"لقد حسبنا أننا قد نجد أمهاتنا وآبائنا هنا...".

وضع "كريل" رأسه بين يديه وانخرط في البكاء. لقد قاد مداهمات عدة ضد الكثير من المدن الساكنة في الأرخبيل الغربي، وقام بذبح كل يابس وقف في طريقه؛ أما الآن، هنا في مستودع شركة شكين، فهو ليس سوى مراهق صغير من الصبية المفقودين.

مدت رين يدها عبر قضبان القفص وجذبت فيش كيك من كتف قميصه؛ فمنذ أن تم أسرهما واقتيادهما إلى تلك الأقفاص وهو لم يتبادل معها كلمة واحدة، وقد خمنت أنه بالتأكيد يُلقي باللوم عليها فيما وقع له. ربما هو على حق! هكذا أخذت تفكر... فلو لم تعمد إلى إقناعه بالمجيء إلى برايتون لما آل بهما المآل إلى هذا الوضع البشع.

"فيش كيك"، نادته برفق، "كم عدد الصبية المفقودين هناك في جريم سباي؟ أعني عددهم ككل".

ظل الصبي صامتًا للحظة، ثم تمتم دون أن ينظر إليها: "حوالي ستين، على ما أظن. ستين من دون العم والصبية المبتدئين حديثي السن الذين ليس في مقدورهم الخروج على متن المركبات بعد".

"ولكن يوجد منكم الآن أربعون على الأقل هنا"، قالت رين، "إذن لا بد أن جريم سباي قد صارت خاوية تقريبًا...".

هنا انفتح باب المستودع محدثًا صوت صرير، واندفع منه بضعة أفراد حسبت رين أنهم مزيد من الأسرى، لهذا لم تكلف نفسها عناء النظر نحوهم، وفي داخلها باتت تشعر بأن الوضع قد بات مُحبطًا لأبعد الحدود. إلا أن صوت الخطوات توقف عند قفصها، فالتفتت تنظر لأعلى لتكتشف أن الوافدين الجدد لم يكونوا مجموعة أخرى

من الصبية المفقودين، بل اثنين فقط من حراس شركة شكين ومعهم تلك المرأة البغيضة التي يدعونها الآنسة وييمز.

"أحضراها"، أصدرت وييمز أمرها للحارسين، فتحفزت رين.

تُرى، هل اقتنعت المرأة أخيرًا بأنها ليست من الصبية المفقودين؟ ومن ثم أدركت الشركة أنها لا تصلح للقتال في ساحات نوفو مايا تلك، فقررت التخلص منها بإلقائها في البحر بدلًا من إهدار المزيد من الطعام والمياه عليها!

"السيد يريد أن يراكِ"، قالتها الآنسة وييمز أخيرًا لتقطع على رين استرسالها في أفكارها القاتمة. وفي أقفاصهم راح الصبية المفقودون الأسرى يراقبون رين إذ يتم اقتيادها بعيدًا.

وخلف مستودع العبيد، انفتح باب يؤدي إلى غرفة لا تزيد مساحتها عن مساحة خزانة صغيرة، فدفع الحراس رين إلى داخلها ثم دخلوا خلفها، قبل أن تسحب الآنسة وييمز رافعة مثبتة إلى الحائط، وفي اللحظة التالية اكتشفت رين أن تلك ليست غرفة وإنما مصعد، حيث راحت الأرضية ترتعش أسفل قدميها. وكانت جميع المصاعد في موطنها أنكوراج معطلة منذ سنوات، أما هذا المصعد فكان يعمل بكفاءة ممتازة وقد صعد بسرعة كبيرة لدرجة جعلت رين تشعر وكأن معدتها تسقط إلى الأسفل.

ولما كانت رين قد تم جرها من المركبة إلى مستودع العبيد رأسًا، محمولة في شبكة، فقد تعذر عليها حينها ملاحظة أو تمييز أي شيء في تصميم مبنى شركة شكين؛ أما الآن فقد بدأت تدرك بعضًا من ملامحه وطبيعة بنائه.

كان مبنى الشركة عبارة عن برج متعدد الطوابق، تقبع طوابقه الدنيا في باطن برايتون وتضم مستودع العبيد، أما الطوابق الوسطى فتقع في الطبقة الثانية من المدينة، وتضم عددًا من الوحدات الخاصة للبضائع الفاخرة، وكذلك المكاتب الإدارية. في حين أن الطوابق العليا، التي تبرز بوضوح من الطبقة العليا للمنتجع، وتحديدًا في متنزه "كوينز بارك" العصري الفاخر، تضم مكاتب مؤسس الشركة السيد "نابيسكو شكين". وكان ذلك الجزء العلوي من البرج يتميز بتصميم جميل، أبيض اللون كقمة جبل جليدي، لا يوحي أبدًا بالأعمال الرهيبة الخطرة التي تدور في الأسفل. وكان السكان المحليون قد أطلقوا على ذلك البرج "وعاء الفلفل".

توقف المصعد عند الطابق الأعلى وخرجت رين منه لتجد نفسها في غرفة دائرية كبيرة، أنيقة الأثاث، ذات ستائر سوداء فخمة، وسجاد أسود، ولوحات سوداء في أطر ذهبية معلقة فوق جدران سوداء كذلك.

راحت رين تجول ببصرها بين أرجاء الغرفة السوداء إلى أن وقعت عيناها على النافذة، فشهقت وقد أخذها المشهد... فقد كانت النوافذ تطل على أعلى برايتون، حيث الشمس تشرق في بهاء وتبعث أشعتها لتنعكس على أسطح المنازل والأعلام المرفرفة، بينما اليخوت والمركبات ترتفع من المرفأ نحو السماء، فيما تحلِّق أسراب النوارس حول المداخن وفوق البحر المتلألئ الذي راح رذاذه يتناثر بفعل عجلات التجديف الخاصة بالمدينة، تحمله النسائم العذبة عبر أرجاء برايتون، لتنعكس عليه أشعة الشمس الساطعة مخلفةً العشرات من أقواس قزح الصغيرة في الشوارع.

وأمام المشهد الخلاب توقف الزمن برين ونسيت وضعها المزري والجوع الذي يكاد يقتلها، والألم الممض في كفها، وتلاشى من داخلها كل ذلك ليحل محله شعور عارم بالغبطة والإثارة، فها هي الآن، في تلك اللحظة، تقف على متن مدينة طوافة، واحدة من تلك المدن الرائعة التي لطالما حلمت بها، بل إنها أجمل من كل ما حلمت به وتمنته.

"ها هي الفتاة يا سيد شكين"، قالتها الآنسة وييمز بنبرة صوت متملقة منكسرة لم تسمعها رين منها سابقًا. دفع أحد الحراس رين للتحرك جانبًا لتجد نفسها في مواجهة رجل يجلس فوق مقعد أسود دَوَّار، يتأملها في هدوء وتؤدة.

كان نابيسكو شكين جالسًا في ثبات واضعًا ساقًا فوق ساق، بينما يلتمع حذاؤه الجلدي في الضوء مع حركة قدمه . الشيء الوحيد الذي كان يتحرك فيه حينها . الطفيفة لأعلى وأسفل.

وكان كل شيء في الرجل رماديًّا! بذلة رمادية، قفازات رمادية، شعر رمادي، عينان رماديتان، حتى صوته بدا رماديًّا حين تحدث!:

"يسعدني أن ألتقي بكِ يا عزيزتي"، إلا أنه لم يبدُ سعيدًا حقًّا، بل لم يبدُ من ملامحه أنه يعرف معنى السعادة أو البهجة، "لقد أخبرتني مونيكا أنكِ تزعمين أنك آتية من أنكوراج".

"أنا كذلك بالفعل"، هتفت رين، وقد شعرت بامتنان أن ثمة أحد على استعداد لأن ينصت إليها أخيرًا، "اسمي رين ناتسوورثي، وقد كنت مختطفة على...".

"لا أحد يأتي من أنكوراج"، قاطعها الرجل، ثم نهض وراح يدور حولها، وكان قد شرع يتأملها منذ دخلت مكتبه دون أن يرفع عينيه عنها لحظة. استطرد قائلًا: "لقد غرقت أنكوراج منذ سنوات مضت، في غرب جرين لاند".

"لا، لم تغرق!"، صاحت رين.

"هذا..."، قالها شكين وهو يشير بإصبعه نحو مكتبه، ومد يده والتقط شيئًا من عليه ثم التفت به نحو رين من جديد رافعًا إياه في مواجهتها... كتاب الصفيح.

كانت رين قد نسيت كل شيء عن هذا الكتاب الذي سرقته من الآنسة فريا، بعد كل ما مرت به من أحداث، إلى أن رأته من جديد بين يدي الرجل.

"ما هذا؟" سألها شكين.

"إنه كتاب الصفيح... مجرد أثر قديم من القرون السوداء. هذا ما جاءت من أجله الأوتوليكوس إلى أنكوراج. أعتقد أنه يضم شيئًا ما له علاقة بالغواصات، وقد ساعدتُ الصبية المفقودين على الاستيلاء عليه، لكن الأمور سارت على نحو سيئ، وانتهى بي المطاف بأن اختطفني فيش كيك وأخذني كرهينة. ولو أنك قمت بإعادتي إلى موطني يا سيدي فأنا واثقة من أن أبي وأمي والآنسة فريا سيقومون بمكافأتك...".

"أنكوراج من جديد!"، قالها شكين وهو يضع الكتاب جانبًا ويحدق إليها، "لماذا تصرين على ترديد هذه الرواية السخيفة؟ أنكوراج ليست موطنًا لأحد سوى الأسماك، كل شخص في برايتون يعرف ذلك. إن عمدتنا المحبوب بيني رويال قد جنى الكثير من الأموال من مبيعات كتابه الذي يروي الأيام الأخيرة لأنكوراج، كتاب "ذهب المفترسين"، الذي ينتهي بحادثة غرق أنكوراج في تلك البقعة التي يصفها عمدتنا بالقبر المائي".

"بيني رويال كاذب!"، قالتها رين بغضب، وقد راحت تفكر كيف أنه من غير العدل أن يبقى هذا الـ "بيني رويال" على قيد الحياة وينجو بأفعاله، بل ويحوز ثروة طائلة جناها من أكاذيبه، "إنه جبان كاذب، لقد أطلق النار على أبي وسرق منطاده كي

يستطيع الفرار من أنكوراج حين ظن أن أركانجيل على وشك أن تلتهمها. ربما هو لا يعرف ما حدث بعد ذلك، وأيًا كان ما كتبه فقد اختلقه بالكامل".

اختلج حاجب شكين الرمادي اختلاجة طفيفة للأعلى بالكاد يمكن ملاحظتها، ربما بما لا يتجاوز ثُمن بوصة، وهي طريقته في إظهار الدهشة؛ وفي هذه اللحظة خطرت لرين فكرة: إنها الآن تعتبر الشخص الوحيد في العالم الخارجي الذي يعرف الحقيقة عن أنكوراج، وهو ما قد يجعلها ذات قيمة عالية، أعلى بكثير من أن يتم بيعها مع بقية الصبية المفقودين كعبد مقاتل.

راحت رين تفكر في ذلك الاحتمال وقد شعرت ببصيص من الأمل يضيء بداخلها، وكأن بابًا صغيرًا للنجاة قد انفتح في نهاية غرفة ضخمة مظلمة. ثم قالت: "لقد استطاعت أنكوراج النجاة وشق طريقها إلى أن وصلت إلى بقعة خضراء في القارة الميتة، فاستقرت هناك، وازدهرت، وأنا دليل حي على ذلك. ألا تعتقد أن بيني رويال سيود معرفة هذا؟".

وكان شكين على وشك مقاطعتها، إلا أنه صمت ما إن قالت ذلك، ورفع حاجبه لمسافة رُبع بوصة كاملة هذه المرة وقد بدا عليه التردد.

ثم استقر فوق مقعده من جديد دون أن يحول عينيه عن رين، وقال: "أوضحي ما تريدين قوله".

"حسنًا، لا بد أن بيني رويال يرغب في معرفة حقيقة ما جرى لأنكوراج، أليس كذلك؟"، قالتها رين وهي تتلعثم، "أعني، إذا كان بيني رويال قد جنى كل تلك الأموال مما رواه عنا، تخيل إذن كم سيكون مهتمًا بمعرفة ما حدث بالفعل، حيث يمكنه حينها أن يكتب جزءً جديدًا من كتابه، بل ويمكنه أن يقوم ببعثة استكشافية أخرى إلى موطني ليؤلف كتابًا جديدًا، وفي نفس الوقت يعيدني إلى هناك".

أما ما لم تفصح عنه رين . وإنما راحت تردده في داخلها . فهو أنه حتى وإن لم يفعل الرجل أيًا من ذلك، فسيكون بإمكانها البقاء هنا، وحينها سيكون من الأفضل كثيرًا لها أن تصبح عبدًا في ذلك القصر الطافي في الأعلى، بدلًا من أن ترزح في العبودية في ساحات قتال نوفو مايا... "أنا واثقة من أن بيني رويال سيتوق للتحدث معي".

ظل شكين ينظر إليها، ثم أومأ بتؤدة، وللحظة لاح خيال ابتسامة على ثغره الرفيع. لقد تملكه غضب شديد مما قاله بيني رويال في مقابلته الصحفية في "باليمبسيست" حول بداياته وطفولته كلص بين أزقة "مولز كومب" شديدة الرطوبة؛ والآن هذه الفتاة قد جاءته في ذلك الوقت تحديدًا ربما كهدية من آلهته كي تكون وسيلة للرد على عمدة برايتون السخيف.

"لو أن ما تروينه صحيحًا"، قال شكين، "فستكونين موضع اهتمام العمدة بالفعل. ولكن كيف لكِ أن تثبتي صحة ما تزعمين؟".

أشارت رين إلى كتاب الصفيح فوق المكتب، وقالت: "هذا هو الدليل. إنه قطعة أثرية شهيرة من مكتبة المارجرافين...".

"لا أذكر أن بيني رويال قد ذكر شيئًا عنه في كتابه المفصل الممل عن كنوز أنكوراج... ماذا إن لم يتعرف عليه؟ عندها لن يكون ثمة برهان على وجود أنكوراج سوى كلمتك وحدها، ومن هذا الذي قد يصدق مجرد عبد وفتاة مفقودة؟".

"يمكنه أن يسألني كما يشاء عن كل شيء..."، هتفت رين وقد انتابها الإحباط، "يمكنه أن يسألني عن أبي وأمي والسيد سكابيوس والآنسة فريا. يمكنه أن يسألني عن الأشياء التي لم يذكرها في كتابه ولا يمكن لأحد أن يعرفها إلا إذا كان قد عاش على متن أنكوراج".

"يا له من أمر مثيرا!"، قالها شكين وهو يومئ ببطء: "مونيكا، خذي الفتاة إلى الطبقة الثانية واحرصي على أن تتم معاملتها كبضاعة فاخرة من الآن فصاعدًا".

"لا تنس فيش كيك كذلك"، قالت رين، "لقد كان في أنكوراج وشاهدها هو الآخر".

"بالطبع"، ثم قال وهو يطرف بعينه نحو الآنسة وييمز: "خذي الصبي إلى غرفة التحقيق، لقد حان الوقت لأتحدث معه".

***

"13"

دكتور زيرو

ما إن وصل المنطاد الذي يقلها من "باتمونخ تساكا" إلى سماء "تينجينج" وأخذ يحلق بين سرب المناطيد الأخرى، حتى راحت "أوينون زيرو" تتطلع عبر نوافذ زورق المركبة إلى الأسفل نحو المدينة، مبتهجةً برؤية المنازل الملونة والنوافذ التي تعج بأُصص النباتات، وقنوات المياه وهي تتلألأ تحت أشعة الشمس، والثياب الزاهية للمواطنين إذ يتحركون فوق الجسور العنكبوتية والشوارع المتدرجة شديدة الانحدار.

لقد كانت تلك المدينة ـ الواقعة في أعالي الجبال الوسطى لشان جو ـ يومًا معقل مناهضة التحرك ومهدها الأول ؛ هنا أسست "لاما باتمونخ" جماعة مناهضة التحرك، وهنا كانت عاصمتهم لألف عام.

لكن الجماعة قد انتهى أمرها الآن، وتمت الإطاحة بمجلسها الأعلى القديم، لتحل محلها عصبة العاصفة الخضراء.

ومع هبوط المنطاد نحو المرفأ الحربي في "جيد باجودا"، لم تستطع أوينون تجاهل منظر القواعد الخرسانية للصواريخ والتي شوهت حدائق "تينجينج"، وطواحين الهواء قبيحة الشكل عند سفوح الجبال والتي تستخدم لتوليد الطاقة النظيفة للأغراض الحربية.

منذ أربعة عشر عامًا لم يعد مسموحًا لأي شخص هنا أن يحترف أي عمل لا يتعلق بالأغراض الحربية، ومع الوقت بدأت الأحياء والمناطق المدنية تعاني من الإهمال المتزايد، وظهرت عليها آثار التدهور. وهكذا، أينما جالت أوينون بعينيها لا تجد أمامها سوى المباني المتداعية وظلال دوريات المناطيد الحربية المدرعة تنعكس فوق الأسطح البالية.

أما "جيد باجودا" ـ التي يعني اسمها "معبد اليشم" ـ فلم تكن مبنية من حجر اليشم الكريم، كما لم تكن معبدًا، وإنما كان ذلك الاسم مجرد تراث حمله مؤسسو "تينجينج" معهم حين فروا إلى هذه الجبال، وهو اسم كان يطلق غالبًا على واحد من تلك

القصور الصيفية التي كانت تقع فوق الأراضي المنبسطة منذ زمن بعيد، قبل أن تلتهمها المدن الجائعة.

إلا أن الاسم لم يكن يتناسب مطلقًا مع تلك القلعة الحجرية الكئيبة التي كانت تلوح في الأعلى أمام ناظري أوينون حينما ترجلت عن المركبة فوق الأرض المكسوة بالثلوج.

وفوق البوابات الخارجية الضخمة، كانت الأوتاد متوجة برؤوس المحتجين المناهضين للحرب، وكذلك الأفراد الذين لم يفلحوا في إعادة تدوير نفاياتهم المنزلية، وقد جفت تلك الرؤوس تمامًا وباتت يابسة كأعشاش الدبابير. أما على الجدران فقد انتشرت الشعارات واللافتات: "لنجعل العالم أخضر مرة أخرى" و"دَفعة واحدة أخيرة وسنسحق دعائم اتحاد المدن الألمانية المتحركة"...

هرع جنود الفيلق الجوي للمطارد فانج لفتح البوابة الداخلية ثم اصطفوا على الطريق، فيما حملت أوينون حقيبتها فوق كتفها واتخذت طريقها صعودًا من المرفأ.

"أرني أوراقك أيها الشاب"، قالها أحد صغار الضباط لأوينون وقد حسبها فتى في البداية، وهو خطأ اعتادت التعرض له؛ فقد كان الفائض من المؤن والأطعمة في أراضي العاصفة الخضراء يتم تخصيصه فقط للمقاتلين على الجبهة، وقد أفضى ذلك الوضع ومن ثم المجاعات السنوية التي ترتبت عليه والتي شهدتها في طفولتها إلى أن شَبَّت نحيلة البنية تخلو من أي معالم أنثوية، وباتت أشبه بصبي في الرابعة عشر من عمره.

وقفت أوينون تنتظر في صبر ريثما يتفحص الضابط أوراقها، ولم يفتها أن تلاحظ تغير لون وجهه بمجرد أن أدرك من الأوراق من تكون، قبل أن يصيح وهو يضرب جنوده بالجانب المسطح من سيفه كأنه يعاقبهم على توقيفها تلك المدة، على أمل أن يكون ذلك كافيًا كي لا تنزل هي به العقاب: "دعوها تمر.. دعوها تمر فورًا. إنها دكتور زيرو، الجراح الميكانيكي الجديد لقائدتنا".

كانت أوينون في الرابعة من عمرها حينما استولت العاصفة الخضراء على السلطة، ولم يكن لديها أي ذكريات واضحة عن حياتها قبل الحرب، فيما عدا صورة لوالدها الذي قُتِل في معركة مع القراصنة في "روجز رووست". نشأت أوينون في أحضان

العاصفة الخضراء، كفتاة خجول ذكية، في إحدى القواعد الجوية النائية في "أليتيا" حيث كانت أمها تعمل في الميكانيكا؛ وفي المدرسة كانت تردد مع باقي الأطفال الأغاني الدَّعَائية الحماسية: "الشرق أخضر" و"نشكر المطارد فانج على طفولتنا السعيدة".

أما في البيت فكان شقيقها الملاح الجوي "إينو" يكرر على مسامعها حكايات ما قبل النوم عن انتصاراتهم في ساحات القتال البعيدة.

حتى ألعابها كانت عبارة عن أجزاء مفككة من المطاردين الذين قضوا نحبهم في المعارك في" خامشا تاكا "، وكثيرًا ما كانت ترثي لما آل إليه حالهم، لدرجة أنها كانت تحاول إصلاحهم، ولم تكن تدرك حينها أنهم ليسوا سوى موتى وأنه من الأفضل تركهم في سلام. إلا أن شغفها هذا كان هو الدافع الذي جعلها تتعلم الكثير من الأسرار والخبايا التي تكمن تحت دروعهم وكذلك آليات عمل أدمغتهم.

وبمرور السنين، نمت أوينون، وتنامت معها معرفتها بالمطاردين وتقنيتهم، لدرجة أن رئيس القاعدة التي كانت تحيا فيها استعان بها ذات مرة بدلًا من الجراحين الميكانيكيين لديه، حينما وقع عطل لأحد المطاردين. وهكذا صار للفتاة الصغيرة حظوة في القاعدة، وباتت هي وأمها تحصلان على حصص إضافية من المؤن، وحين بلغت السادسة عشرة من عمرها . وكان صيتها في إصلاح المطاردين بمهارة ودقة قد ذاع في كل مكان . أرسلتها العاصفة الخضراء إلى أحد المنشآت التدريبية الخاصة بها، ومنها إلى وحدة بعث المطاردين في الخطوط الأمامية في "ألتاي شان".

وفي ذلك العالم السفلى بين الخنادق والمخابئ، انكبت أوينون زيرو على العمل خلال عام 22 الطويل الشنيع، حيث كان يتم استخراج جثث الجنود القتلى من بين الطين المتجمد، ثم نقلهم إلى مراكز وحدة البعث حيث تقوم أوينون وزملاؤها بتحويلهم إلى مطاردين تمهيدًا لإرسالهم إلى خطوط المعارك.

ولكم شعرت أوينون بالدهشة حين وجدت نفسها وقد تجاوزت مشاعر الرهبة والشفقة على تلك الكائنات بسرعة لم تكن تتوقعها، فقد تعلمت ألا تنظر إلى وجوه الجثامين التي تعمل عليها، وبتلك الطريقة لم تعد تعتبرهم بشرًا، وإنما مجرد أشياء متكسرة ينبغي تفكيكها وإصلاحها بأسرع وقت ممكن.

وقد أحبت أوينون أجواء الألفة والود التي سادت وحدة البعث، حيث اعتاد الجراحون الآخرون المزاح ومشاغبة بعضهم أثناء العمل، أما هي فقد كانوا يولونها عناية خاصة نظرًا لكونها لا تزال فتاة يافعة ومن ثم الأصغر سنًّا بينهم، وكثيرًا ما كانوا يطلقون عليها "الأخت الصغرى". ولكن برغم سنها الصغير هذا إلا أنها استطاعت نيل إعجابهم بدقتها وسرعتها في إنجاز عملها، وبراعتها في حل المشكلات التي يعجزون هم عن حلها. وفي كثير من الأحيان كانت تسمعهم وهم يتحدثون عنها واصفين إياها بأنها "عبقرية".

ولطالما شعرت أوينون بالفخر بذاتها، فقد استطاعت أن تنال إعجاب زملائها واستحسانهم، كذلك كانت فخورة لكونها تلعب دورًا لا يمكن إغفاله في الكفاح من أجل خير الأرض ونفعها.

وخلال ذلك الشتاء، حاولت مدن العدو التقدم مرة تلو الأخرى نحو خطوط المواجهة الممتدة والتي تفصل بين أرض الصيد الخاصة بهم وأراضي العاصفة الخضراء. وقد كانت مدن العدو كثيرة لدرجة أنه في كثير من الأحيان كان يبدو لأوينون أنه ما من شيء قادر على ردع هؤلاء. لكن أسلحة العاصفة الخضراء وقوتها الحربية كانت تثبت لها عكس ذلك حيث تنهمر القذائف من قواعد منجنيق "العاصفة" على المدن المتحركة لتفجر مساراتها، ومن السماء تتساقط عليهم القنابل والذخائر من المدرعات الحربية الطائرة لتدمر طبقاتها العلوية، ثم يأتي دور الصواريخ التي تنطلق بين عجلاتها الضخمة لتفتتها من أسفلها محدثةً ثقوبًا ضخمة في جوانبها لتتدفق عبرها فِرَق من مطاردي العاصفة الخضراء إلى داخلها لتُجهِز عليها.

وفي النهاية تستسلم المهزومة وتتقهقر للخلف بعدما يكون عدد ليس بهين من قومها قد قضى في المعركة، وفي بعض الأحيان، حينما تتعرض إحدى تلك المدن لدمار عارم، فإن باقي المدن المتحركة تتكأكأ عليها وتقوم بتمزيقها تمزيقًا.

في أيامها الأولى بوحدة البعث عند خطوط المواجهة، كانت أوينون ترتجف رعبًا من أصوات المعركة ودوي طلقات المدافع ورصاصات القناصة إذ تخترق الهواء البارد فوق الخنادق. ولكن مع مرور الأيام وكر الأسابيع والشهور، بدأت تتعايش مع شعور الرعب، ثم لم تعد تشعر بشيء على الإطلاق... هكذا هو العمل في ورش البعث وإحياء المطاردين بتلك الخنادق، حيث يتوقف المرء عن الشعور بأي شيء ويموت

الإحساس بداخله، لدرجة أنها لم يرف لها جفن حين أتتها الأخبار من "أليتيا" بأن القاعدة التي تحيا بها أمها قد التهمها عدد من الضواحي البرمائية.

وخلال هجمات ربيع عام 23، تمكنت فرق الإنقاذ من استخراج إحدى الجثث ونقلها إلى منضدة العمل أمام أوينون، ولم يكن من الصعب عليها التعرف على الجثمان بمجرد أن رأته. فقد كان صدر الجثة يحمل عددًا من الشامات تناثرت في نسق معين تعرفه أوينون جيدًا وتحفظه عن ظهر قلب، تمامًا كمجموعة الأبراج السماوية التي علمها إياها صاحب الجثة بنفسه وهي بعد صغيرة؛ وحتى قبل أن تزيل قطعة القماش التي قام شخص ما بلفها حول وجهه، كانت تدرك جيدا هويته... إنه شقيقها "إينو". ولم تكن أوينون تعرف أن أخاها كان يعمل في منطقتها، خاصة وأن رسائلهما لبعضهما كانت تخضع للرقابة.

وقفت أوينون تحدق إلى وجه أخيها الراحل الممدد على منضدتها، وبحركة آلية قامت بسحب قفازاتها المطاطية وارتدائها... لم تكن ترغب على الإطلاق في إعادة إحيائه كمطارد، لكنها كذلك كان تعرف جيدًا ما سيحدث لها إن هي رفضت القيام بعملها؛ وكانت قد سمعت عما وقع لبعض الجنود على خط المواجهة الذين حاولوا منع فيلق البعث من استخراج جثث أصدقائهم لتحويلهم لمطاردين، حيث انتهى بهم الأمر وقد تم توجيه الاتهام لهم بالعمالة لصالح المدن المتحركة وأصدرت العاصفة الخضراء أمرها بإطلاق النار عليهم ثم تحويلهم إلى مطاردين إلى جانب جثث أصدقائهم. ولم تكن أوينون ترغب في أن تلقى نفس المصير.

وفي ذلك اليوم، أمام جثمان أخيها المسجى، عاودت أوينون زيرو كل مشاعر الخوف والرهبة من الموت دفعة واحدة وبقوة، لدرجة أنها بالكاد كانت تستطيع التقاط أنفاسها، وما كانت لتتحمل مجرد التفكير في أنها قد تمسي كإينو، مجرد جثمان بارد عاجز عن فعل أي شيء.

"أيتها الجراح؟"، سألها أحد مساعديها، "هل أنتِ على ما يرام؟".

ولكم تمنت أوينون في تلك اللحظات لو أنها كانت مريضة حقًا أو أن تصاب بوعكة كي تتمكن من الإفلات من أداء ما هي مقبلة على أدائه، لكنها لم تكن مريضة للأسف، فلوحت له بيدها وراحت تحاول السيطرة على نفسها. إن مجرد التفكير في عدم

إعادة إحياء إينو لهو خطأ ينبغي ألا تقع فيه، وقد راحت تقول لنفسها إنها يجب أن تكون سعيدة لأجل شقيقها، فبفضلها سوف يكون جسده قادر على استئناف الكفاح ضد الهمجيين حتى بعد موته. ولكنها في أعماقها لم تكن تشعر بأي سعادة إزاء ذلك.

وكان مساعدوها ما زالوا يحدقون إليها، فقالت: "أعطوني المبضع ومنشار العظم وفاتح الضلوع"، ثم بدأت تستعد للعمل.

قامت أولًا بفتح جسد إينو وإخراج أعضائه الداخلية، ثم استبدالها بالمحركات ومواضع البطاريات ومضخات المواد الحافظة. ثم قطعت يدي جثمان أخيها واستبدلتهما بذراعين فولاذيتين. وبعدها قامت بقطع أعضائه التناسلية، ثم اقتلعت عينيه وأزالت جلده، ومن خلال عملية دقيقة قامت بتوصيل شبكة معقدة غامضة من الأقطاب الكهربائية في ألياف عضلاته. ثم قامت بفتح جمجمته ووضعت آلة بحجم نواة ثمرة الخوخ في داخل الدماغ.

وما إن أنهت التركيبات الأولى حتى وقفت تراقب الجسد وهو يهتز ويرتجف أمامها، وقد تدلت من أسفل حبله الشوكي مجموعة من الأسلاك الرفيعة تتصل بجهازه العصبي وباقي الآلات التي ثبتتها به.

"هذا ليس أنت"، همست أوينون للجثمان المسجى بينما راحت تستأنف عملها "أنت الآن في الأرض التي لا تشرق عليها الشمس، أما هذا الجسد فهو ليس سوى شيء تركته وراءك كي نستخدمه نحن، تمامًا كإعادة تدوير زجاجة أو صندوق. أو لم تأمرنا العاصفة الخضراء بضرورة إعادة تدوير كل شيء لأجل صالح الأرض؟".

وحينما انتهت أوينون من عملها، قامت بتسليم المطارد الجديد إلى جراح ميكانيكي مبتدئ كي يقوم بضبط الهيكل الخارجي وخناجر اليد، ثم خرجت لتدخين سيجارة، بينما المناطيد الحربية تحترق في الأفق الممتد أمامها فوق المنطقة الفاصلة.

ومنذ ذلك الحين بدأ الموتى يتحدثون إليها! وقد بدا لها الأمر غريبًا؛ أنهم كانوا كثيري الكلام معها بينما لم ينطق شقيقها بكلمة واحدة، لكنها منذ صارت تنظر إلى وجوههم. وهو ما باتت تفعله من بعد إينو. بدأت تسمع أصواتهم إذ تهمس في عقلها، وكانوا جميعًا يرددون نفس السؤال: من سينهي كل هذا؟ من ذا الذي سيضع حدًا لتلك

الحرب التي لا نهاية لها؟

"أنا"، قالتها أوينون زيرو بصوت خافت، على وقع دوي طلقات المدافع والبنادق، "على الأقل سأحاول".

***

"أهلًا يا حلوتي!"، صاح بوب جوي في مرح حين وصلت أوينون أخيرًا إلى مكتبه، حيث كان يحزم أمتعته. وفوق المكتب كان هناك صندوق كبير مفتوح وفي داخله لمحت أوينون مجموعة من الكتب والملفات والأوراق، بالإضافة إلى صورة مؤطَّرة للمطارد فانج، وكوب من الإيناميل مطبوع عليه شعار "مركز البعث وإعادة إحياء المطاردين" وعبارة "لست في حاجة لأن تكون عالِمًا مجنونًا للعمل هنا، لكنه سيكون أمرًا مفيدًا!".

وكان بوب جوي واقفًا فوق كرسي يحاول نزع صورة لقاعدة روجز رووست الجوية كانت معلقة على الحائط، ثم نفض عنها الغبار بكم ردائه قبل أن يضعها في الصندوق، وأرسل قبلة في الهواء لدكتور زيرو وقال: "تهانينا! لقد كنتُ في مقابلة مع فانج للتو، وقد أبلغتني بشكل رسمي إعجابها الشديد بعملك على المطارد جريك العجوز، حتى أنها قررت السماح لي بالتقاعد أخيرًا. سأذهب إلى بوتامونخ جومبا لقضاء عطلة جيدة وسأمارس هواياتي في الصيد، وربما حتى أقوم بكتابة مذكراتي. وأنتِ يا حلوتي سوف تأخذين مكاني".

كانت أوينون واقفة تنصت للرجل وتفكر... يا للغرابة! هذا بالضبط ما كانت تسعى إليه منذ عملها في الخنادق، أن تصبح الجراح الميكانيكي للمطارد فانج، ولهذا تغلبت على خجلها الشخصي وكافحت بكل طاقتها كي يتم نقلها إلى مركز البعث الرئيس، ولهذا أيضًا تحملت الدعابات السمجة لدكتور بوب جوي وملامساته لها؛ لهذا قضت سنوات في البحث عن قبر المطارد جريك سيئ السمعة، وحين وجدته أمضت شهورًا عاكفةً على إصلاحه وإعادته للعمل، لتثبت للجميع أنها على قدم المساواة مع بوب جوي ومكافئة له في القدرات والمهارة.

ولكن حين جاءت أخيرًا اللحظة التي انتظرتها طويلًا، وجدت نفسها غير قادرة حتى على رسم ابتسامة على ثغرها، وشعرت فجأة بالوهن يتملك منها وبأن ساقيها لم

تعد قادرتين على حملها، فتشبثت بالباب كيلا تسقط.

"ابتهجي يا حلوتي"، قالها بوب جوي وهو ينظر إليها نظرة خبيثة، "إنها أخبار سارَّة، فسوف تحوزين القوة والمال، كل ذلك في مقابل صيانة صاحبة السعادة وفحص محركاتها ومستويات الزيت بها من حين لآخر، مع إجراء بعض التحسينات على هيكلها وحمايته من الصدأ. على أي حال هي غير قابلة للتلف ومن ثم لن تواجهي مشكلات تقنية كبيرة في إجراءات صيانتها. وإذا صادفتك أي مخاوف أو مشكلات فليس عليك سوى أن تراسليني، وإلا...".

"وإلا فأنا بمفردي دون مُعين..."، هكذا فكرت أوينون وقد استنتجت ما يريد الرجل قوله "... بينما أنا في طريقي إلى أعلى مستوى في الـ "باجودا" حيث المطارد فانج شخصيًّا. خطأ، كل هذا خطأ! لو أن ثمة عدالة في هذا العالم، ما كان لرجل مثل بوب جوي الذي تسبب في خلق مزيد من المعاناة والشرور، أن يقضي ما تبقى من حياته في رفاهية ينعم بصيد الأسماك وتربية الحيوانات، بل كان يجب أن يذوق هو نفسه من المعاناة التي خلقها".

ومع ذلك، فقد كانت أوينون ترى أن تقاعده هذا سيفسح لها المجال كي تفي بوعدها للموتى.

وبمجرد خروجها، وقف الحراس في وضع الانتباه يؤدون لها التحية، فيما انحنى الخدم أمامها وهم يفتحون الأبواب المؤدية إلى غرفة اجتماعات المطارد فانج.

وما إن دلفت أوينون إلى القاعة حتى رفع موظفو مكتب فانج أعينهم عن خريطة كبيرة لمنطقة "راست ووتر" كانوا يتدارسونها، وكذلك فانج،إذ طفقت تحدق إليها بعينيها الخضراوين المتوهجتين.

"ها هي الجراح الميكانيكي الجديد الخاص بي"، قالتها فانج بصوتها الهامس، وكانت قد عادت قبل ساعات قليلة من خط الجبهة، وقد غطت الأوحال الجافة ودماء جنود المدن درعها.

"في خدمتك يا صاحبة السعادة"، دمدمت أوينون، ثم ركعت على ركبتها أمام المطارد. وحينما استجمعت شجاعتها ورفعت رأسها كان الجميع قد عادوا للخرائط الحربية أمامهم، فيما عدا واحد فقط... جريك، الذي ثبت عينيه عليها.

كان كل شيء يسير كما خططت له، وقد باتت الآن عضوًا في الطاقم المركزي، وقريبًا سوف تتمكن من تنفيذ الخطة التي قضت الليالي تدبرها وتحيك تفاصيلها وهي قابعة في سريرها المتسخ المليء بالقمل على الجبهة في "ألتاي"... سوف تغتال المطارد فانج.

***

"14"

تم البيع!

في ظروف أخرى، كان يمكن لرين أن تقول لاحقًا إنها قد جربت حياة العبودية وعرفت معنى أن يكون المرء عبدًا، لكنها في واقع الأمر لم تذق شيئًا من حياة العبودية الحقيقية.

ففي تلك السنوات كانت تجارة العبيد القديمة مزدهرة للغاية، حيث يتم بيع أسرى الحروب الطويلة من الجانبين المتناحرين إلى رجال مثل شكين، الذي يقوم بتعبئتهم في شاحنات جوية كبيرة ونقلهم عبر مسارات الطيور للعمل في المعاقل الصناعية العملاقة وحصون وخنادق العاصفة الخضراء. ومن ثم كانت العبودية لهؤلاء إنما تعني العمل الشاق وتمزيق العائلات والافتراق عن الأحباء، والقسوة العشوائية، ثم الموت المبكر.

أما رين، فكان أقسى ما كان عليها تَحَمُّله هو كتابات نَبِيمرود بيني رويال.

ما إن انتهى لقاؤها الأول مع شكين، حت تم نقل رين إلى زنزانة مريحة في الطوابق الوسطى بـ "وعاء الفلفل "، ذات فراش مريح وحوض للاغتسال، كما كانت تحظى بثلاث وجبات في اليوم، بل وحصلت كذلك على رداء جديد من الكتان ملائم لحجمها إلى حد ما.

وقد أحضرت لها الآنسة وبيمز نسخة من كتاب "ذهب المفترسين"، قائلةً لها إنهم قد جلبوا لها هذا الكتاب: "مع تحيات السيد شكين".

وهكذا، ولبضع ساعات يوميًا كانت أشعة الشمس المتسللة من فرجة في ألواح الطبقة العليا تفترش زنزانة رين عبر القضبان الحديدية لنافذتها، فيما تجلس هي لتطالع كتاب بيني رويال وتتخيل نفسها وقد عادت إلى غرفة نومها المطلة على ساحة "دوج ستار" حيث اعتادت القراءة بجوار النافذة، باستثناء أنها لم تقرأ في حياتها شيئًا مماثلًا لهذا الكتاب؛ "ذهب المفترسين".

ولكم بدا غريبًا لها أن تجد الأماكن والأشخاص الذين عرفتهم طوال حياتها وقد تغيرت سيرتهم وانقلبت تمامًا! وكانت رين تخشى أن تفضي بها قراءتها عن أبويها

إلى تفاقم شعورها بالحنين إلى وطنها ومنزلها، إلا أن ما قرأته كان أبعد ما يكون عن أن يؤدي إلى ذلك! فوالدها لم يكن له أي ذكر على الإطلاق في كتاب بيني رويال، أما أمها هيستير شاو فقد صورها الرجل كامرأة قوية قادمة من الجو، ذات شعر بني ذهبي ووجه جميل شوهته ندبة صغيرة أحدثها به أحد قاطعي الطرق بخنجره فوق خدها البض. هكذا فقط! أي أن هيستير المذكورة في الكتاب بالكاد تشابه تلك التي عرفتها طوال حياتها.

وفي إحدى الليالي، بينما كانت رين مستلقية على فراشها غير قادرة على النوم، وقد راحت تفكر في سخط في كل ما قرأته، تَكَشَّف لها فجأة أنها ارتكبت خطأً فادحًا... فقد حسبت نفسها ذكية ماهرة حينما أقنعت شكين بأخذها إلى بيت العمدة، وقد ظنت أن كتاب بيني رويال يحتوي على الوقائع الحقيقية التي شهدها الرجل، لكنها لم تتخيل أن تجد كل هذا الكم من الأكاذيب التي قرأتها به، وأن بيني رويال كاذب تمامًا في كل ما رواه عن الوقت الذي قضاه على متن أنكوراج. والآن تأتي رين إلى مدينته حاملة معها القصة الحقيقية التي إن روتها فستدمر سمعته وحياته المهنية برمتها؛ الآن فقط أدركت رين أن بيني رويال ربما سيرغب بالفعل في شرائها ولكن ليس لمساعدته في تأليف مزيد من الكتب عن مدينتها، وإنما لإسكاتها سريعًا وللأبد.

هكذا، وحيدة في زنزانتها، دفنت رين وجهها في وسادتها وهي تئن من الرعب وتؤنب ذاتها... ما هذا الذي فعلته؟! وكيف يمكنها التراجع عنه الآن؟ ثم قفزت من سريرها واندفعت نحو الباب وقد قررت أن تنادي الحراس وتطلب مقابلة شكين كي تخبره أنها قد كذبت عليه بشأن أنكوراج، وأنها ليست سوى فتاة من عصابة الصبية المفقودين وبالتالي فهي لن تعني شيئًا البروفيسور بيني رويال.

لكنها ما إن دنت من الباب، حتى تراجعت من جديد، وراحت تفكر، إن هي فعلت ذلك فسوف تعود إلى نقطة الصفر، بل وربما أسوأ، وسيرى شكين حينئذ أنها إنما تهدر وقته بأكاذيبها...

"فكري يا رين، فكري"، هكذا همست لنفسها.

وطوال الوقت كانت المحركات القوية لبرايتون، من طراز "ميتشيل ونيكسون"،

تهدر تحت قدميها إذ تدفع المدينة نحو الشمال.

عقب لقائه مع رين، توجه شكين لاستجواب فيش كيك، وقد أبدى الصبي تعاونًا كبيرًا! فقد كان منهكًا مذعورًا، كذلك كان يصبو لأن يصبح تحت إمرة سيد جديد يعتني به ويحدد له الأوامر التي يتعين عليه تنفيذها. لذا لم يحتَج الأمر من نابيسكو شكين سوى بضع كلمات لطيفة مُطَمئِنة كي يتحدث الصبي ويفصح بما لديه، وبالفعل أكد فيش كيك قصة رين حول أنكوراج، ومع مزيد من الكلمات الحانية، وشى لتاجر العبيد بموقع جريم سباي.

قام رجال شكين بنقل تلك المعلومات إلى العمدة ومجلس المدينة، فشرع الملاحون من فورهم في إعادة ضبط الإحداثيات وتوجيه برايتون إلى مسارها الجديد. ولم يمر وقت طويل حتى رصدت آلات الاستشعار ذات التقنيات القديمة، أبراج مدينة غارقة في الأعماق، فقامت برايتون بإجراء مناورة حول تلك المدينة لفترة، بينما راحت تبث رسائلها المخادعة لاستدراج مزيد من الصبية المفقودين، وبالفعل نجحت في أسر بضع مركبات أخرى. ولما مر وقت ولم تظهر مزيد من المركبات، أصدر بيني رويال قراره بأن الحملة قد انتهت بنجاح.

وقد كانت الخطة الأصلية للقضاء على جريم سباي مختلفة إلى حد ما عما حدث، حيث كان من المقرر أن يتم إرسال عدد من الرجال إلى الأسفل داخل بعض من مركبات الصبية المفقودين التي تم الاستيلاء عليها، لمداهمة المدينة الغارقة واستكشاف معقل هؤلاء القراصنة. إلا أن الرحلة إلى الشمال قد استغرقت وقتًا أطول مما كان مقررًا، كما كان من المتوقع هبوب المزيد من العواصف. كذلك كان سكان برايتون قد بدأ ينتابهم الملل من طول الرحلة.

ومع انتهاء الحملة قامت برايتون بإطلاق عدد من القذائف في عمق المياه محدثةً انفجارات كبيرة خَلَّفَت الكثير من الحطام الذي راح يطفو فوق سطح المياه، وسارع أصحاب المتاجر بإلقاء شباكهم لجمع أكبر قدر ممكن من تلك الحطام لعرضها في محلاتهم كتذكارات من جريم سباي.

ثم خرج بيني رويال على قومه ليلقي خطابًا أعلن فيه أن شمال الأطلسي قد صار نظيفًا وآمنًا الآن للمدن الطوافة للتحرك بحرية، ثم شرعت برايتون في اتخاذ طريق

العودة إلى الجنوب حيث المياه الأكثر دفءً في البحر الأوسط للقاء عدد من المدن المتحركة والاحتفال بمهرجان القمر.

بعد ظهر اليوم التالي، انفتح باب زنزانة رين ومنه دخل عدد من الحراس يرتدون الملابس السوداء، ومن خلفهم نابيسكو شكين بنفسه.

"حسنًا يا عزيزتي"، قالها وقد حانت منه التفاتة نحو كتاب "ذهب المفترسين فوق فراشها"، "ما رأيك في مغامرات عمدتنا؟ هل لاحظتِ أي أخطاء في كتابه؟".

لم تدر رين بماذا تبدأ، ثم إنها قالت بسخط: "كله محض هراء... أهل أنكوراج لم يرغموا بيني رويال على أن يكون دليلهم عبر المرتفعات الجليدية، بل جعلوه رئيس الملاحين لديهم، وهو منصب رفيع وشرف عظيم، وقد استفاد منه أعظم استفادة. كذلك لم يكن هو من ناضل ضد صيادي أركانجيل وإنما والدتي، كما أنها لم تُقتَل على يد ماسجارد بل ما زالت حية إلى الآن. ولم تبع أمي معلومات عن مسار تحرك أنكوراج لصالح أركانجيل كما يزعم عمدتكم. أما ما كتبه عن أن أمي طلبت منه وهي تحتضر أن: (خذ منطادي وانجُ بنفسك) فهذا غثاء. والحقيقة أن بيني رويال قد سرق المنطاد وأطلق النار على أبي كي يتمكن من الفرار على متنه. بالطبع هو لم يذكر شيئًا من ذلك ولم يأتِ على ذكر والدي أصلًا. أما بالنسبة لما ذُكِر عن الآنسة فريا في الصفحة الحادية والثمانين...".

ثم توقفت عن الكلام ولم تزد، وقد تذكرت وضعها الحرج، بينما شكين واقف يتأملها عن كثب. ربما كان منحها ذلك الكتاب مجرد وسيلة لاختبارها والوقوف على ما إذا كانت ستظل متمسكة بقصتها عن أنكوراج في مواجهة أكاذيب بيني رويال أم لا...

"مثير!"، قالها شكين ثم أشار إلى أحد الحراس، فتقدم بثبات نحوها ووضع في رسغيها زوج من الأغلال الفضية جميلة الشكل.

"لطالما كنت أشك في أن مغامرات جلالته مبالغ فيها. أظن أن الوقت قد حان لتقابليه".

تم اقتياد رين عبر الدرج إلى الأسفل إلى مرأب، حيث كانت مركبة سوداء أنيقة في انتظارهم.

“وماذا عن فيش كيك؟”، سألت رين، بينما الحراس يدفعونها إلى داخل المركبة، “ماذا فعلتم بفيش كيك الصغير المسكين؟”.

“سوف يبقى في وعاء الفلفل”. أجابها شكين وهو يجلس إلى جانبها في المقعد الخلفي بالمركبة ويتفحص ساعة جيبه، ثم أمر السائق بأن ينطلق إلى “السحابة التاسعة”، فانطلقت المركبة إلى حيث الشوارع المقفرة لحي “لينز” وهو المنطقة التي تضم مجموعة من متاجر التحف والفنادق الرخيصة، ويحتل معظم الطبقة الوسطى لبرايتون.

في ظروف أخرى، كانت رين لتتنبهر بلا شك بواجهات المتاجر التي تعج بالخردة وآلات التقنيات القديمة، والقوم الذين يرتدون ملابس تبدو غريبة الشكل، وأعمدة دعم الطبقة المغطاة بالملصقات الدعائية. أما الآن فقد كان كل ما يشغلها هو كيفية الإبقاء على حياتها؛ وكانت قد أدركت الآن أن المسألة مسألة وقت، وأنها إن هي تحلت بالذكاء وضبط النفس الكافيين فسيمكنها النجاة من براثن شكين ودون أن يدري بيني رويال بهويتها الحقيقية.

صعدت المركبة عبر منحدر إلى الطبقة العليا، مطلقةً نفير بوقها ليبتعد السائحون الذين يتجولون في كل مكان، عن الطريق، ثم عبرت “أوشن بوليفارد”، المنتزه الذي يحيط بالمنطقة العليا من برايتون، ثم مرت من أمام الفنادق والمطاعم وأشجار النخيل، وملاعب الجولف والساعات الزهرية وصالات الألعاب. ثم إنها اعتلت جسرًا يمتد فوق “الحوض البحري” بالمدينة، وهو عبارة عن بحيرة نظيفة ذات مياه مُصَفَّاة من البحر تحيط بها شواطئ صناعية. أخيرًا وصلت المركبة إلى ساحة “أولد ستاين” الدائرية، حيث الحبال الفولاذية الضخمة السميكة التي تربط “السحابة التاسعة” إلى برايتون.

كانت ألواح تلك الطبقة المُحلِّقة تقع على ارتفاع مائتي قدم فوق رأس رين، وحين نظرت لأعلى وجدت غرفة تحكم ذات جدران زجاجية تبرز من أسفلها، كصوبة زجاجية مقلوبة، وفي داخلها كان عدد من الرجال يتحركون جيئة وذهابًا، يعكفون على معدات التحكم والرافعات النحاسية المسؤولة عن ضبط توازن الطبقة وارتفاعها. وعلى حافة الطبقة كانت مواضع المحركات الصغيرة تنتشر حولها، وقد قَدَّرَت رين أن

تلك المحركات ربما تستخدم للحفاظ على "السحابة التاسعة" في مكانها خلال العواصف. وخلال ظُهر هذا اليوم، حيث لم تكن ثمة رياح، تم تشغيل عدد صغير فقط من تلك المحركات كمراوح لدفع أدخنة العادم الصادرة بعيدًا عن قصر العمدة.

وفي منتصف ساحة "أولد ستاين"، حيث تم ربط خطوط سحب "السحابة التاسعة" إلى دعائم ضخمة صدئة، كان تلفريك أصفر ينتظر هناك لنقل الزائرين إلى الأعلى، فما إن توقفت مركبة شكين إلى جواره حتى سارع عدد من الجنود يرتدون ثياب حمراء اللون إلى المركبة وطلبوا تفحص أوراق شكين ورجاله، ثم شرعوا في تفتيشهم باستخدام عصا كشف المعادن.

"في الماضي كان من المتاح لأي شخص الصعود إلى الأعلى والتجوال في حدائق ذلك القصر الملكي البافليون"، قال شكين، "إلا أن ذلك قد تغير منذ بداية الحرب. صحيح أنه لا يوجد قتال في منطقتنا تلك، بالطبع، فمناهضو التحرك الأفارقة ليس لهم قِبَل لمجابهة العاصفة الخضراء، لكن بيني رويال لا يزال مرتعبًا من أن يحاول أحد المخربين أو الإرهابيين اغتياله".

كانت تلك هي المرة الأولى التي تسمع فيها رين شيئًا عن الحرب بين المدن والعاصفة الخضراء، وهو ما فسر لها سبب وجود كل تلك المدفعيات الحربية قبيحة الشكل في منتزهات المدينة، ولماذا كانت الإجراءات الأمنية مشددة لهذا الحد.

"ما سبب زيارتك للسحابة التاسعة يا سيد شكين؟"، سأله الضابط بينما يتفحص أوراقه.

"لدي بضاعة ثمينة أود أن أعرضها على العمدة".

"لستُ واثقًا من أن جلالته يرغب في شراء عبيد في الوقت الحالي يا سيدي".

"آه، لكنه بالتأكيد لن يرغب في إضاعة فرصة إضافتها إلى طاقمه. وإني أقترح عليك الآن أن تسمح لنا بالمضي دون مزيد من التأخير، إلا إذا كنت ترغب في قضاء ما تبقى من حياتك المهنية في الطبقة الثالثة تجمع الفضلات من مصافي الحوض البحري".

وهكذا، دون مزيد من الجدال، تم السماح لشكين ومرافقيه بالتوجه إلى الأعلى.

بدأ التلفريك في التحرك، وراحت رين تنظر عبر نوافذه الكبيرة نحو برايتون الممتدة في الأسفل، مفتونة بالمشهد... "آه! انظر!" تمتمت مأخوذة بما ترى، لكن شكين ورجاله كانوا قد اعتادوا المشهد ولم يعد يثير اهتمامهم.

فجأة دوى صوت المحركات الصغيرة المثبتة على حافة الطبقة، وملأ أركان التلفريك الصغير، بينما ارتمت ظلال كبيرة عبر النوافذ. ومن وراء شبكة الحبال الضخمة لاحت لرين أشكال غريبة مخيفة تقطع سماء ما بعد الظهيرة، فأجفلت رين وصرخت في رعب، وقد حسبت أن انفجارًا قد وقع في "السحابة التاسعة"، وأن تلك الأشياء المتساقطة عبارة عن الحطام الناتج عن الانفجار. ولكن بعد لحظات بدأت الأشكال تتضح وتتخذ هيئات محددة، إذ تندفع عبر أسطح منازل برايتون ثم تنحرف بسرعة عبر الشوارع المزدحمة.

"ولكن... هذا... إنهم... إنهم يطيرون بدون بالونات!"، صاحت رين في ذهول "إنهم بدون مناطيد ولا بالونات طيران، كيف يمكنهم التحليق في الأعلى هكذا؟ إنه مستحيل، التحليق الذاتي في الهواء مستحيل!".

راح بعض من رجال شكين يضحكون، وحتى تاجر العبيد نفسه بدا راضيًا، وكأن سذاجتها تلك قد أضفت مصداقية لقصتها. ثم قال لها مبتسمًا:

"لا ليس مستحيلًا، لقد تحققت إمكانية التحليق في الهواء منذ عدة سنوات بواسطة المدن التي سعت للدفاع عن نفسها ضد هجمات الأساطيل الجوية للعاصفة الخضراء. أربعة عشر عامًا من الحرب كانت كفيلة لدفع التقدم التكنولوجي...".

قال جملته الأخيرة هذه بصوتٍ عالٍ إذ كانت آلات الطيران قد عادت تدوي أصواتها بالقرب منهم.

"تلك المجموعة التي ترينها تدعى "النمس الطائر" وهي عبارة عن قوة جوية مرتزقة استعان بها عمدتنا المبجل لحماية قصره".

فاستدارت رين نحو النافذة من جديد، بينما كانت تلك الآلات تتحرك بسرعة بجوارها، كانت أشكالها تبدو هشة، تتكون من الأسلاك وخشب "البلسا" والورق اللامع، أما مقصورة القيادة فكانت عبارة عن مقعد ومجموعة من عصي التحكم، فقط لا غير. وكانت بعض تلك الآلات قد ثُبِّت إليها جناحان أشبه ما يكونان بأجنحة الخفافيش، بل

وكان بعضها الآخر ذا ثلاث أو أربع، أو عشر أجنحة. كذلك كان قد ثُبِّت فوق بعضها أشياء تبدو كمظلات مكسورة. وعلى موضع محركاتها الكبيرة تم رسم أشكال مثل الصقور وأسماك القرش، ونساء عاريات، بينما حملت تلك المركبات أسماء وشعارات مستهترة ومبتذلة، مثل: "اللعنة على الجاذبية" و" يوم سيئ" و" المتعة الآن"...

ومن إحدى هذه الآلات، لوح أحد الملاحين لرين، وكانت آلته تحمل اسمًا عجيبًا: "كومبات وومبات"! فلوحت له رين بدورها، لكنه كان قد ابتعد ليلتحق بباقي مجموعته التي كانت قد ابتعدت هي الأخرى إلى الأسفل حتى باتت الآلات أشبه ببقع صغيرة فوق صفحة البحر...

كانت رين لا تزال ترتجف بينما يحملها التلفريك إلى الأعلى عبر باطن "السحابة التاسعة" إلى حيث محطة الوصول في حدائق القصر، والذي يطلقون عليه الجناح الملكي، بافليون. لطالما اعتقدت رين أن والدها والآنسة فريا يعرفان كل شيء عن العالم خارج أنكوراج، لكنها الآن قد أدركت أن كثيرًا من الأمور قد تغيرت وتبدلت على مدار الستة عشر عامًا الماضية منذ أن عبرت مدينتها الأراضي الجليدية وصولاً إلى مستقرها في فينلاند. إنهما لا يعرفان شيئًا عن تلك الحرب الشنيعة الدائرة، والتي تكاد تماثل رين في العمر، أما بالنسبة لآلات الطيران الغريبة التي رأتها للتو فإنها تشك في قدرتهما على مجرد تخيل وجودها... لقد جعلها كل هذا تشعر بمزيد من الاغتراب والوحشة وبأنها بعيدة للغاية عن موطنها وقومها.

توقف التلفريك في محطته أخيرًا ليعيدها إلى أرض الواقع بعيدًا عن أفكارها وإحساسها بالحنين إلى الوطن، فترجلت، وقادها مرافقوها على طول الممرات المرصوفة بالحصى باتجاه مركز "السحابة التاسعة"، حيث تبدت الأبراج الوردية اللون والقباب التي تكلل قصر بيني رويال من بين الحدائق الغَنَّاء المليئة بأشجار النخيل والسرو، والنافورات، وأسراب من الببغاوات الملونة التي راحت تدور فوق رؤوسهم، وفي الأعلى كانت بالونات الغاز الشفافة التي تحمل الطبقة في الهواء تتألق في ضوء الشمس كفقاعات ضخمة.

"ماذا تريد؟"، اعترض أحد الخدم طريق شكين متسائلًا عن سبب وجودهم، فأجابه تاجر العبيد باقتضاب: "نابيسكو شكين"، هكذا فقط، وهو ما كان كافيًا كي ينحني العبد أمامه في احترام مدمدمًا بشيء ما، ثم أفسح له ولمن معه الطريق مشيرًا نحو

درج أبيض أنيق يؤدي إلى شرفة شمسية واسعة، يتوسطها مسبح.

وفوق سريره العائم وسط المسبح، استلقى نيمرود بيني رويال في ثوب سباحة ذهبي اللون، وفي يده كوب من عصير الكوكتيل وفي اليد الأخرى كتاب، وقد مال بوجهه المستدير قليلًا إلى جانبه. وكانت رين قد قدرت أن بيني رويال لا بد وأنه قد بلغ الخامسة والستين من العمر على الأقل، ولهذا فقد كانت تتوقع أن ترى أمامها رجلًا عجوزًا واهنًا، إلا أن الواقع كان عكس توقعاتها تمامًا، فقد بدا لها الرجل بصحة جيدة؛ وكان قد فقد بعضًا من الوزن، وانحسر الشعر عن معظم رأسه، لكنه فيما عدا ذلك لم يبدُ مختلفًا كثيرًا عن شكله في الصور التي رأتها رين له والتي تم التقاطها خلال فترة عمله القصيرة التعسة كرئيس شرفي للملاحين في أنكوراج.

وفي المسبح أيضًا، كانت مجموعة من الفتيات الحسناوات يلتففن حول سريره العائم، إحداهن تناوله المشروبات الطازجة، بينما تمسك أخرى بشريط من تلك الشرائط التي تستخدم كعلامات مرجعية لصفحات الكتب، وثالثة تحمل صينية عامرة بالكعك والحلويات، بينما تحمل بقية الفتيات غير ذلك من الأشياء التي قد يحتاجها العمدة.

وإلى جانب المسبح وقف صبي في مثل عمر رين، طويل أسود البشرة كظلال المساء، وفي يده مروحة من ريش النعام راح يحركها بحركة بطيئة ومنتظمة. "أرى أن الأسير من العاصفة الخضراء الذي بعته لك يؤدي عمله جيدًا"، قالها شكين مُوجهًا حديثه إلى العمدة.

"آه!"، هتف بيني رويال وهو يفتح عينيه منتبهًا على صوت شكين، ثم اعتدل في جلسته فوق السرير العائم، وقال: "آه، مساء الخير يا شكين"، ثم التفت لينظر نحو الشاب، وأجاب: "نعم، السيدة بيني رويال مسرورة به، إنه يجيد العمل بمروحة الريش، كما أنه يتناسب مع لون ورق الحائط في غرفة الطعام".

ثم العمدة التفت نحو شكين مرة أخرى، وقد شعرت رين من نظراته أنه لم يكن مَسرورًا لرؤية تاجر العبيد.

"على كلٍ، ماذا يريد العجوز نابيسكو مني أن... آآ...".

فانحنى شكين انحناءة بسيطة ثم قال: "تلك الفتاة قمنا بأسرها من إحدى

المركبات التي أوقعنا بها الأسبوع الماضي، وإني لأحسب أنك قد ترغب في شرائها".

ثم أشار الرجل نحو رين، بينما قام مساعدوه بدفعها قليلًا نحو جانب المسبح كي يتمكن العمدة من رؤيتها جيدًا. فنظر بيني رويال إليها، قبل أن يقول: "فتاة مفقودة، أليس كذلك؟ إنهم يجيدون أعمال التنظيف، لكني أعتقد أننا اتفقنا على أننا لا نرغب في أن ينتشر هؤلاء الصبية في برايتون. ألم تكن تنوي بيعهم جميعًا إلى نوفو مايا؟".

"بلى، لكني أخشى أن هناك منهم من يعرف بعض الحقائق المحرجة عن ماضيك يا بيني رويال".

"هه؟ ماذا تقول؟".

"هذه الفتاة... وصلت مؤخرًا من القارة الميتة، من مدينة كنا نظنها قد ضاعت منذ زمن بعيد، لكنها في الحقيقة تمكنت من النجاة والاستمرار. مدينة أعتقد أن لجلالتك ذكريات عزيزة بها".

ثم التفت شكين نحو أحد أتباعه وتناول منه شيئًا وألقاه إلى العمدة عبر المسبح ليسقط فوق السرير الهوائي الخاص به... كتاب الصفيح. التقط بيني رويال الكتاب وراح يتأمل غلافه بوجه عابس مرتبك، ثم قلبه وراح ينظر إلى الملصق الخلفي...

"يا للآلهة!"، قالها وهو يشهق من وقع المفاجأة، وقد انسكب كأس الشراب من يده في الحوض، "أنكوراج!".

"هذه الفتاة"، استطرد شكين،" ليست سوى ابنة رفيقة سفرك القديمة هيستير شاو".

"آه، يا لكرايبس العظيم!"، صرخ بيني رويال مجفلًا، لينقلب سريره الهوائي في الماء مرة واحدة من أثر حركته المباغتة.

"لقد لفتت انتباهي تلك التناقضات بين القصة التي ترويها هذه الفتاة وما أوردته أنت في كتابك الأكثر مبيعًا؛ ذهب المفترسين"، قالها شكين متكئًا إلى عصاه المعدنية السوداء إلى جانب المسبح غير عابئ بتخبط بيني رويال في الماء، "لذا قررت أنه ربما يكون من الأفضل أن أعطي جلالتك الفرصة لشرائها قبل أن ينتشر خبرها بين العامة، مما قد... يشكك قراء جلالتك في مصداقية ما أوردت. وبطبيعة الحال هي

تساوي الكثير... لنقل ألف قطعة ذهبية؟".

"أبدًا!"، قالها بيني رويال متلعثمًا وقد تمكن أخيرًا من الوصول إلى طرف المسبح والوقوف على قدميه، محاولًا استجماع كرامته وكبريائه، "أنت لست سوى رجل عصابة يا شكين. أنا لن أهتز أمام محاولاتك الصبيانية تلك. آه... آآ... هذا... ليس صحيحًا، لا يمكن أن يكون صحيحًا. هيستير شاو لم يكن لها أبناء، وعلى أي حال... لقد غرقت أنكوراج، غرقت إلى الأعماق...".

"اسألها إذن"، قالها شكين مشيرًا بعصاه نحو رين، "اسأل الآنسة ناتسوورثي...".

حدق بيني رويال إلى رين بعينين يملأهما الخوف لدرجة أن رين شعرت للحظة بالشفقة تجاهه.

"حسنًا أيتها الفتاة... ماذا تقولين؟ هل تزعمين حقًّا أنكِ جئتِ من أنكوراج؟".

أخذت رين نفسًا عميقًا وقد أطبقت قبضتيها بشدة بفعل التوتر. إنها الآن تقف في مواجهة ذلك الشرير الخائن، ولم تكن واثقة في أعماقها مما إذا كانت خطتها ستنجح معه، ثم إنها استجمعت شجاعتها وقالت: "لا".

فالتفت شكين يحدق إليها...

"هذا غير صحيح بالطبع"، كررتها رين وقد جاهدت لإطلاق ضحكة ساخرة قصيرة، ثم أكملت: "لقد غرقت مدينة أنكوراج في مياه القطب الشمالي منذ سنوات وسنوات. كل شخص قرأ كتابك الرائع يعرف ذلك يا بروفيسور بيني رويال. أنا مجرد فتاة مفقودة بائسة من جريم سباي".

وكانت رين قد رسمت هذه الخطة في ذهنها خلال رحلتها من شركة شكين إلى قصر العمدة، وقد قدَّرَت أن بيني رويال لن يتمكن من كشف خدعتها. صحيح أنه في حال تم سؤال الصبية المفقودين عنها فلن يتعرف عليها أي منهم، وسيقولون جميعًا حينها إنها ليست واحدة من عصابتهم، كما أن فيش كيك يعرف هويتها الحقيقية... ولكن، ماالذي يدفع بيني رويال لتصديق كلمتهم دون كلمتها هي؟ بل إنها يمكنها أن تزعم حينها أن شكين قد قام برشوتهم جميعًا كي يدعموا روايته.

"أنا لم أذهب إلى أنكوراج قط"، قالتها رين من جديد في تصميم.

هنا صاح شكين وهو ينفث غضبًا من فتحات أنفه: "حسنًا إذن، وماذا عن الكتاب؟ كتاب الصفيح المختوم بختم أنكوراج، كيف تفسرين وجوده؟".

كانت قد خمنت أنه سيطرح هذا السؤال واستعدت للإجابة عليه جيدًا: "أنا أحضرته معي من جريم سباي... إنه هدية لجلالتك. لقد سرقه الصبية المفقودون منذ سنوات طوال، كما نسرق كل شيء من أي مدينة. إن أنكوراج ليست سوى حطام غارقة في قاع البحر ولا أحد يحيا بها".

"ولكن، لقد أخبرتني بنفسها أنها ابنة هيستير شاو"، صاح شكين، "فلماذا كذبت؟!".

"بسبب كتب جلالتك"، أجابت رين، وراحت تحدق إلى العمدة بقدر ما استطاعت، "لقد قرأتُ كتبك كلها، وكلما التصقت مركبتي بقاع مدينة كنت أقوم بالسطو على مكتباتها أولًا على أمل أن أعثر على كتاب جديد لنيمرود بيني رويال. وقد زعمت أمام السيد شكين بأنني من أنكوراج فقط كي يأتي بي إليك ويتسنى لي مقابلتك".

انفرجت أسارير بيني رويال وبدا وكأن الأمل قد انتعش بداخله، وكان يرغب في تصديقها، لكنه عاد وقال: "ولكن اسمك... ناتسوورثي...".

"آه، هذا ليس اسمي الحقيقي.. لقد بحثتُ عن معلومات حول هيستير شاو في سجلات "العم" ووجدتُ أنها كانت ترتحل مع شخص بهذا الاسم".

"آه، حقًا؟"، قالها بيني رويال محاولًا إخفاء حالة الارتياح التي غمرته، "لم أسمع به من قبل".

ابتسمت رين، وكانت سعيدة ببراعتها في الكذب. لم تكن قصتها منطقية تمامًا، ولكن حينما تخبر شخصًا بما يريد سماعه فإنه يميل إلى تصديقك تلقائيًا، هكذا تعلمت من خبرتها مع رسائل الـ "وبكارت" الزائفة.

"لقد كنت أخطط للاستمرار في روايتي المزعومة يا بروفيسور على أمل أن تبقيني في منزلك، حتى ولو صرتُ أقل عبيدك شأنًا، فإنني يكفيني أن أكون بالقرب من مؤلف كتاب "ذهب المفترسين"، وباقي كتبك الأخرى". ثم إنها خفضت عينيها في وداعة وأضافت: "ولكنني ما إن رأيتك يا سيدي حتى أدركت أن الأكاذيب لا يمكن أن تنطلي عليك أبدًا، ولهذا قررت أن أقول لك الحقيقة".

"نعم، هذا صحيح تمامًا"، هتف بيني رويال، "لقد كشفتُ ذلك في لحظة واحدة. على الرغم من كونكِ . ويا للغرابة . تشبهين إلى حد ما المسكينة هيستير شاو، ولهذا انتابتني الدهشة للوهلة الأولى حينما رأيتك. تلك المرأة الشابة كانت عزيزة عليَّ كثيرًا، ولكم أشعر بالأسف الشديد لعدم تمكني من إنقاذها".

"آآآآآه، أيها الكاذب الآثم!" هكذا راحت رين تردد في داخلها، إلا أنها لم يبدُ عليها شيء مما يعتمل في صدرها، وإنما قالت: "أعتقد أن عليَّ الذهاب الآن يا سيدي. لا بد أن السيد شكين يرغب في بيعي وجني الأرباح، لكنني سأرحل وأنا سعيدة، فعلى الأقل قد أتيح لي أن أقابل أفضل مؤلف في هذا العصر والتحدث إليه".

"لا يمكن!"، صاح بيني رويال وهو يخرج من حوض السباحة والماء يقطر منه، ويلوح للفتيات مبعدًا إياهن إذ هرعن نحوه بالمناشف والملابس والخيمة المحمولة لتغيير الثياب، ثم أضاف: "أنا لن أسمح بذلك. شكين، هذه الفتاة الذكية اللطيفة أظهرت رهافة حس وبراعة وذائقة أدبية سليمة، لذا فأنا أحظر عليك بيعها".

"ولكن... عليَّ نفقات ينبغي سدادها، جلالتك"، أجابه شكين، وكان لا يزال يتميز غضبًا وسخطًا، وقد اكفهر وجهه، لكنه جاهد من أجل ضبط النفس والسيطرة على أعصابه.

"سوف أشتريها أنا إذن".

لم يكن بيني رويال ممن يتميزون بالعاطفة أو يتحلون بالشفقة، إلا أنه لم يشأ في ذات الوقت أن يتم معاقبة تلك الفتاة المميزة على شغفها بكتبه! علاوة على ذلك، كان عبيد المنازل من بين البضائع المعفاة من الضرائب.

"يمكن لزوجتي دائمًا أن تجد عملًا لمزيد من الخدم هنا، خاصة وأن مهرجان القمر قد اقترب وبدأت الاستعدادات له. سوف أعطيك عشرين دولفين مقابل هذه الفتاة. هذه صفقة أكثر من عادلة".

"عشرين؟"، قالها شكين بنبرة ساخرة، وقد بدا له المبلغ زهيدًا للغاية لدرجة أنه لا يستحق حتى مجرد التفكير بصدده.

"تم البيع!"، قالها بيني رويال سريعًا، "سوف يدفع لك رجالي المبلغ، وفي المرة

القادمة حاول ألا تكون ساذجًا إلى هذا الحد. صراحة لا أعرف كيف يمكن لشخص أن يصدق أن هذه الفتاة جاءت من أمريكا. إنه أمر سخيف!".

انحنى شكين قليلًا، ثم قال: "كما تقول جلالتك، أمر سخيف هو حقًّا"، ثم إنه بسط يده وقال: "كتاب الصفيح إذا سمحت".

وكان بيني رويال يتصفح الكتاب في هذه اللحظة، ثم أغلقه وضمه إلى صدره، وقال:

"لا يا شكين، لقد قالت الفتاة إنه هدية لي".

"لكنه ملكي!".

"لا، ليس كذلك، إن عقدك مع مجلس المدينة ينص على أن أي صبي مفقود تأسره هو ملك لك، أما هذا فهو كتاب وليس صبيًّا مفقودًا! إنه نوع من الرموز القديمة وربما يكون قيمًا. من واجبي كعمدة لبرايتون أن أحتفظ به لدراسته".

ظل شكين يحدق إلى العمدة لبرهة، ثم حول عينيه نحو رين، قبل أن يصطنع ابتسامة، وهو يقول: "لا شك أننا سنلتقي مرة أخرى".

ثم استدار وهو يفرقع بأصابعه لرجاله كي يتبعوه وغادر المكان سريعًا.

تجمعت فتيات بيني رويال من حوله وقمن بفرد خيمة تبديل الثياب حوله. وللحظات قصيرة بقيت رين بمفردها، فافتر ثغرها عن ابتسامة إذ كانت تشعر بالسعادة والامتنان لذكائها؛ صحيح أنها لا تزال عبدة، لكنها الآن عبدة من مرتبة عليا، في بيت العمدة ذاته، ولسوف تحصل على طعام جيد وملابس جيدة كذلك، وربما لن تضطر لبذل مجهود أو حمل أي شيء أكثر ثقلًا من صينية الكعك. هنا ستلتقي بشتى أنواع البشر من ذوي الأهمية والمكانة، ومن يدري، ربما تلتقي بملاح وسيم مثلًا وتنجح في إقناعه بإعادتها إلى موطنها في فينلاند.

كانت رين مبتهجة بنجاح خطتها، لكن شيئًا واحدا فقط كان ينتقص من ابتهاجها، ألا وهو أنها لم تتمكن من إحضار فيش كيك معها إلى هنا في الأعلى، وقد كانت تشعر بالمسؤولية تجاه الصبي، وراحت تأمل ألا يصب عليه تاجر العبيد غضبه وحنقه.

ثم راحت تطمئن نفسها بأن كل شيء سيكون على ما يرام بطريقة أو بأخرى وأنها

سوف تجد وسيلة للهرب، وربما كذلك تتمكن من مساعدة فيش كيك.

لم يكن نابيسكو شكين ممن يطلقون لمشاعرهم العنان أو يسمحون لها بالتأثير على تفكيرهم، وخلال الوقت حتى وصول التلفريك الذي سيقله إلى الأسفل، كان قد تمكن من استعادة السيطرة على أعصابه.

وحين وصل إلى "وعاء الفلفل"، ألقى التحية على الآنسة وييمز بطريقته الباردة المعتادة، ثم قال لها:

"أحضري لي الصبي المفقود الصغير".

وخلال فترة وجيزة، كان الرجل يجلس في مكتبه في هدوء، يراقب الصبي فيش كيك إذ يلتهم وعاءً ثانيًا من مثلجات الشوكولاتة، ويستمع إليه وهو يروي للمرة الثانية رحلة الأوتوليكوس إلى فينلاند.

وكان شكين واثقًا من أن الصبي يقول الحقيقة، لكنه كان يدرك أنه ما من جدوى لاستخدامه في التشهير ببيني رويال والتشكيك في مصداقيته، فهو صغير للغاية ويسهل التأثير عليه، ولو أن الأمر وصل إلى القضاء فسينسفه محامو بيني رويال نسفًا.

أغلق شكين عينيه قليلًا وراح يتخيل فينلاند، ثم إنه سأل الصبي: "هل أنت واثق من أنه يمكنك العثور على ذلك المكان مرة أخرى أيها الصبي؟".

"آه، نعم، نعم يا سيد شكين"، أجابه فيش كيك بفم مليء بالشوكولاتة.

فابتسم شكين وقال: "جيد، جيد للغاية... أتعلم أيها الصبي، إنني حينما أحصل على عبد يثبت جدارته وذكاءه، فإنني في كثير من الأحيان لا أستطيع التفريط فيه أو بيعه، ومن ثم أحتفظ به للعمل معي هنا، كالآنسة وييمز على سبيل المثال. إنني آمل أن تكون أنت واحدًا من هؤلاء".

فابتسم فيش كيك في ارتباك وقال:

"أتعني أنك لن تبيعني إلى هؤلاء الشياطين في نوفو مايا يا سيدي؟".

"لا لا"، أجابه شكين مطمئنًا إياه وهو يهز رأسه، "إنني أريدك أن تبقى في خدمتي

يا فيش كيك. سوف نقوم بتدريبك، وفي الصيف المقبل، حينما يتحسن الطقس سأقوم بتنظيم حملة، وسوف تقودنا أنت إلى أنكوراج في فينلاند. أحسب أن هؤلاء الأنكوراجيين أو الفينلانديين، أيًّا كان ما يطلقونه على أنفسهم، سوف يجلبون لي أسعارًا جيدة في أسواق العبيد".

كان فيش كيك ينصت إلى الرجل وقد اتسعت عيناه، ثم ابتسم ابتسامة عريضة وقال: "نعم يا سيد شكين، شكرًا يا سيد شكين".

ثم استرخى شكين في مقعده وقد استعاد هدوء أعصابه تمامًا. لسوف ينتقم من بيني رويال بفضحه أمام العالم أجمع حين يثبت أن أنكوراج قد نجت. أما تلك الصغيرة الخبيثة المخادعة رين فسوف تدرك كم كانت ذكية حينما جرؤت على التحايل عليه، عندما تقوم شركة شكين باستعباد أسرتها وأصدقائها وبني قومها جميعًا.

***

"15"

أبناء الأعماق

كانت مركبة "الدودة الحلزونية" قد بُنِيَت منذ وقت طويل، قبل أن يبدأ الصبية المفقودون في استخدام الكاميرات السلطعونية اللاسلكية. وكان جهاز الراديو بها قد توقف عن العمل منذ زمن، لذا لم يكن ثمة وسيلة لتتلقى المركبة أي رسائل خداعية من برايتون، وبالتالي لم يكن لتوم وهيستير وفريا أن يكتشفوا أبدًا ما إذا كانت رغبة كول في الالتقاء بوالديه من جديد قد تتفوق على ولائه لأصدقائه أم لا.

اتخذت "الدودة الحلزونية" سبيلها في المياه الباردة العميقة لجرين لاند، في مأمن من دعوات "الوبكارت" الاستدراجية؛ وفي نفس الساعة من عصر ذلك اليوم الذي التقت فيه رين ببيني رويال وجهًا لوجه، وصل طاقم "الدودة الحلزونية" أخيرًا بالقرب من جريم سباي التي باتت على مرمى أبصارهم.

كان توم قد سبق له زيارة مدينة الأعماق تلك من قبل، أما هيستير وفريا فلم يسبق لهما رؤيتها، كما لم تكن أي منهن تعرف عنها أي شيء إلا من خلال وصفه هو، ولهذا، ما إن اقتربت المركبة منها حتى تدافعتا لرؤيتها بينما كول يدنو منها رويدًا.

فيما مضى كانت جريم سباي عبارة عن مدينة صناعية طوافة عملاقة، أما الآن فقد أمست حطامًا غارقًا استقر فوق إحدى المنحدرات تحت البحر، وقد أحاطتها الطحالب والكائنات البحرية والصدأ من كل جانب، وراحت تتنامى فوق المباني وعجلات الدفع، حتى اكتست بها تمامًا، مما بات يتعذر معه تحديد معالمها.

"أين الأضواء؟"، تساءل توم، وكان أكثر ما يتذكره عن معقل الصبية المفقودين هذا هو الأضواء الساطعة بقوة من خلف نوافذ مبنى البلدية. أما الآن فالمدينة برمتها غارقة في الظلام.

"هناك شيء ما قد وقع"، قالها كول، وفي تلك اللحظة اصطدم شيء ما بجسم المركبة وتطايرت شظايا من الخشب المتكسر والبلاستيك وراحت تسبح في الضوء المنبعث من مصباح مقدمة المركبة التي أدرك طاقمها أنهم يشقون طريقهم عبر منطقة من الحطام العائم.

“المكان كله منهار...”، قالتها هيستير، ثم صمتت بغتةً وقد أدركت أنه لو صح استنتاجها فإن رين على الأرجح قد ماتت كذلك.

“انظروا إلى معقل اللصوصية!” همس كول وقد أخذته الصدمة... فأمامه مباشرة كان المبنى الكبير مائلًا على جانبه الأيمن. ذلك المبنى الذي قضى به معظم طفولته، ها هو ذا ملقى أمامه مظلمًا خربًا وقد تكسرت نوافذه وتحطمت أبوابه، وغمرته مياه البحر من داخله، بينما النفايات والحطام تسبح من حوله وعبر الشقوق الضخمة في جدرانه.

ومن مكان ما ظهرت جثة صبي طافية، وقد راحت تتقلب ببطء في المياه بمجرد أن دنت منها المركبة. وفي النفق الزجاجي الذي كان يربط قديمًا بين معقل اللصوصية ومبنى البلدية، ثم بات الآن مغمورًا بالماء، كانت مزيد من جثث الصبية تطفو عبره.

“محطة توليد الكهرباء تحطمت كذلك”، هتف كول بصوت اعتراه التوتر الشديد أثناء مرورهم فوق مبنى محطم تمامًا كقشرة بيض تم سحقها، “مبنى البلدية يبدو سليمًا، ولا يوجد أحد بالقرب منه. سأرى إن كان يمكننا الدخول إليه”.

لقد مرت ستة عشر عاما منذ أن فر كول من هذا المكان، لكنه منذ ذلك الحين راح يرتاده في أحلامه ألف مرة.

انعطف كول بالمركبة نحو البوابة المائية المؤدية إلى قاعدة مبنى البلدية، ليفاجأ بالبوابة مفتوحة بينما الأسماك الفضية تسبح بحرية عبرها من وإلى قلب المبنى...

“لا يوجد أحد هنا أيضًا... من المفترض أن يكون هذا الباب مغلقًا، وأن نجد الحراس في انتظارنا”.

“ربما هم يحاولون الوصول إلينا عبر جهاز الراديو لكننا لا نستطيع التقاط إشارتهم”، قالها توم آملًا أن يكون كلامه حقيقيًا.

“ماذا ينبغي علينا أن نفعل الآن؟”، تساءلت فريا، فأجابتها هيستير وهي تتفقد بندقيتها والسكين المثبت في حذائها:

“سوف ندخل بالطبع”.

وكانت هيستير قد قررت أنه لو كان ثمة صبية مفقودون ما زالوا على قيد الحياة هنا، فسوف تريهم ما بإمكان ابنة "فالانتاين" أن تفعل.

انسلت المركبة عبر الأنفاق، فانفتحت الأبواب الآلية ثم انغلقت ذاتيًا بمجرد مرورهم عبرها.

"لا بد أن مولدات الطاقة البديلة المخصصة للطوارئ تعمل الآن"، قالها كول "لا بد أن شيء ما...".

"ربما هو فخ"، قاطعته هيستير، "ربما هم بانتظارنا الآن".

لكن أحدًا لم يكن في انتظار المركبة على الإطلاق، إلى أن خرجت إلى سطح الماء ورست في أحد أحواض الإرساء دائرية الشكل في مستودع المركبات، وخرج طاقمها أخيرًا إلى حيث الهواء البارد العطِن.

كان الظلام يسود أرجاء المكان، لا يبدده سوى القليل من مصابيح الطوارئ الحمراء الخافتة، بينما كانت مضخات الهواء تصدر صوتًا كالصفير. وكانت القاعة الواسعة التي يتذكر توم كم كانت تعج بالصبية المفقودين والمركبات، قد أمست مهجورة خاوية على عروشها، وقد انتصبت الرافعات العالية فوق أحواض الإرساء كهياكل عظمية لديناصورات في متحف مهجور مهمَل.

وفي ركن بعيد بالمستودع، كانت غواصة شحن كبيرة تقبع فوق الرصيف مُشرَّعة الأبواب، بينما على الجانب الآخر، في حوض الصيانة، وقفت مركبة نصف مفككة تنتظر استكمال عمليات الإصلاح بها، ولكن لم يكن ثمة عمال صيانة حولها... لم يكن ثمة أحد على الإطلاق.

أحضر توم مصباحًا كهربائيًا من مخزن "الدودة الحلزونية"، وكان لا يزال يمني نفسه بأنهم سيجدون رين في مكان ما هنا، سالمة، وعلى قيد الحياة، وأنها ستركض نحوه في أي لحظة لتعانقه.

أشعل توم المصباح، فانبعث الضوء يبدد الظلال الممتدة للرافعات، وفي الضوء خُيِّل لتوم أنه قد لمح واحدة أو اثنتين من تلك الكاميرات الشبيهة بسلطعون البحر إذ تهرعان بعيدًا عن الضوء، إلا أنه لم يلحظ أي حركة أخرى.

"أين الجميع؟!"، همس توم.

"حسنًا، ها هو واحد منهم"، أجابته هيستير وهي تشير نحو باب كبير نصف مفتوح في آخر المستودع، وعلى عتبته كان صبي في مثل عمر رين، مُلقى هناك وقد التوى نصفه العلوي نحو الأعلى وراح يحدق إلى الفراغ بعينين ميتتين. فاندفعت هيستير باتجاه الباب وخطت من فوق الجسد المسجى للصبي، لتكتشف أنه على طول الممر خارج المستودع، تراكمت حوالي نصف دزينة من جثث الصبية، قُتِل بعضهم بالسيوف، بينما قُتِل البعض الآخر برماح معدنية من تلك التي يتم إطلاقها بواسطة بنادق الصيد.

"يبدو أن الصبية المفقودين قد تقاتلوا فيما بينهم حتى أجهزوا على بعضهم..."، قالت هيستير، "... هذا جيد، لقد وفروا علينا المتاعب".

خطا توم بحذر من فوق جثة الصبي، ثم نظر نحو الأعلى، حيث كانت قطرات الماء البارد تتساقط من السقف، فغمغم: "هذا المكان يعاني من تسرب المياه كعلبة صفيح صدئة".

"العم سيجد طريقة لإصلاحه!"، قالها كول، فالتفت الجمع ينظر إليه في اندهاش من نبرة الثقة التي غمرت صوته وهو يقول هذا، حتى هو نفسه قد شعر بالدهشة، ثم قال مذكرًا إياهم: "لقد بنى العم جريم سباي بنفسه، كما صنع أولى المركبات دون أن يساعده أحد".

ثم خفض رأسه قليلًا وراح يتحسس بأصابعه آثار الندبات حول عنقه التي خلفتها الحبال التي أمر العم بتعليقه بها حتى الموت. كانت الآثار لا تزال موجودة لتُذَكِّره دومًا بما حدث له ومدى الرهبة والكراهية الشديدتين اللتين امتلأ بهما قلبه تجاه الرجل منذ ذلك الحين؛ لكن الأمر كان مختلفًا تمامًا قبل تلك الواقعة، فقد كان يكن للعم حبًا شديدًا طوال فترة حياته في جريم سباي إلى أن وقع ما وقع.

والآن، ها هو ذا قد عاد مرة أخرى، ليجد معقل اللصوصية وقد استحال خرابًا ولم يعد ثمة صبية مفقودون في جريم سباي، فتبخرت الكراهية والخوف ولم يبقَ في قلبه سوى الحب، وراح يتذكر كم كان يشعر بالأمان وهو في سريره بينما صوت العم يهمس عبر مكبرات الصوت خلال الليل.

لكم كان عالمه بسيطًا حينها، ولكم كان سعيدًا... "العم يعرف الأفضل"، دمدم بها كول.

فجأة شعروا بحركة بين الظلال في آخر الممر، فرفعت هيستير بندقيتها، إلا أن فريا أمسكت بذراعها بسرعة قبل أن تطلق النار، في حين صرخ توم: "هيت، لا!" فدوى صدى صوته عبر الممر. وللحظة تبدى وجه على الضوء الصادر من المصباح بيد توم، قبل أن يختفي من جديد في آخر الممر بين الظلال.

صاحت فريا وهي تتخطى هيستير وتهرع باتجاه ذلك الشخص: "لا بأس.. نحن لن نؤذيك".

وهنا تناهى إلى مسامعهم صوت وقع أقدام قادم من بين الظلال، ثم تبدت عيون لامعة. ومن مخبئهم خرج عدد من أطفال جريم سباي بوجوه شاحبة متسخة، وكانوا جميعًا حديثي السن وأصغر من أن يأخذوا مكانهم بين الصبية المفقودين، حيث كان البعض منهم لم يتجاوز عمره التاسعة أو العاشرة، أما البقية فكانوا أصغر من ذلك بكثير.

وقف الأطفال يحدقون إلى زوارهم بعيون متسعة خائفة، بينما اقتربت فتاة أكبر سنًا وأكثر جرأة من البقية، نحو فريا، وقالت: "هل أنتم أمهاتنا وآباؤنا؟".

فجثت فريا على ركبتيها حتى صار وجهها في مواجهة الأطفال، وقالت: "لا، آسفة، لسنا هم".

"لكن أمهاتنا وآباءنا قادمون، أليس كذلك؟"، قالها طفل آخر...

بينما قال ثالث: "كانت هناك رسالة...".

"قالوا إنهم بالقرب منا..."، قالها طفل رابع وهو يشد كول من يده ويتطلع إليه، "قالوا إن علينا أن نذهب إليهم، وقد أراد عدد كبير من الأولاد الكبار الذهاب بالفعل، بالرغم من أن العم قال لا...".

"وحينما حاول الأولاد الآخرون منعهم دخلوا في قتال عنيف معهم وقتلوهم...".

"ثم ذهبوا وأخذوا معهم كل المركبات".

“لقد أردنا أن نذهب معهم، لكنهم قالوا إنه لا يوجد مكان لنا في المركبات وإننا ما زلنا مبتدئين...”.

“وكان هناك انفجارات!”، قالتها واحدة من الفتيات، فقاطعتها أخرى:

“لا، حدث ذلك بعدها أيتها الغبية، لقد كانت قذائف ناسفة”.

“بوووووم!”، صرخ أصغر الأطفال وراح يلوح بذراعيه ليحاكي الانفجار، “بوووووم!”.

“ثم انطفأت جميع الأضواء، وأعتقد أن بعض المياه قد تسربت إلى الداخل...”.

كان جميع الأطفال يتحدثون في وقت واحد تقريبًا، وقد احتشدوا في الضوء الصادر عن مصباح توم؛ فمدت هيستير يدها نحو واحد منهم، إلا أنه ابتعد عنها والتصق بفريا.

فسألته هيستير: “هل رين معكم؟ نحن نبحث عن ابنتنا رين”.

فأكمل توم موضحًا: “إنها مفقودة، كانت على متن المركبة أوتوليكوس”.

كانت الوجوه الصغيرة تنظر نحوه في عدم فهم، كصفحة بيضاء خاوية، ثم قالت الفتاة الأكبر سنًا بينهم:

“الأوتوليكوس لن تعود، كل المركبات التي خرجت في الأسابيع الثلاثة الماضية لم تعد”.

“إذن... أين رين؟!”، صرخ توم... لقد كان أكثر ما يخشاه هو أن يعثر على ابنته ميتة، والآن بات احتمال ألا يعثر عليها على الإطلاق لا يقل سوءًا عن الاحتمال الأول.

راح توم ينقل عينيه بين الوجوه الصغيرة المذهولة، ثم صاح: “بحق كويرك العظيم، ما الذي حدث؟”.

فتراجع الأطفال بعيدًا عنه في خوف.

“أين العم؟” سألهم كول، فنظرت فريا نحوه وقد رسمت على وجهها ابتسامة كي تُظهِر للأطفال المتجمعين حولها أنه شخص لطيف ولا يوجد ما يجعلهم يخشونه، في محاولة منها لتشجيعهم كي يجيبوا على سؤاله.

“ربما غادر المكان هو الآخر”، قالتها هيستير، لكن كول هز رأسه وقال: “لا تكوني غبية، العم لا يمكن أن يغادر جريم سباي”.

هنا قال أحد الأطفال: “أظن أنه في الأعلى”.

وقال آخر: “إنه عجوز للغاية”.

“إنه لم يعد يغادر مكتبه الآن”.

فأومأ كول ثم قال: “جيد، سوف نذهب لنتحدث إليه، وسيخبرنا هو بما جرى وأين يمكن أن نجد رين”.

ثم التفت نحوهم وقد أدرك أنهم يحدقون إليه، فقال مبتسمًا: “كل شيء سيكون على ما يرام، سوف ترون، فالعم يعرف الأفضل دائمًا”.

***

"16"

تلك اللآلئ كانت عيناه

اتخذ الجمع قرارهم، وتوجهوا نحو الدَرَج المؤدي إلى غرفة العم. وكانت المياه المالحة تقطر عبر الشقوق من السقف وتتساقط على الدرجات، في حين تراكمت المزيد من جثث الأطفال بعضهم فوق بعض، كأنهم سدود تجمعت من ورائهم المياه العطنة.

وفي الأعلى كانت الكاميرات السلطعونية المتشبثة بالأنابيب وإفريز الدَرَج تتابع الوافدين إذ يتخذون طريقهم لمقابلة العم.

تقدمت هيستير ومن خلفها توم وكول وفريا ومعهم الأطفال الذين تشبثت أياديهم الصغيرة بهم، وراحوا يتلمسون ثيابهم وكأنهم بهذا يطمئنوا أنفسهم بأن هؤلاء القادمين من العالم الأعلى هم أشخاص حقيقيون. وكانوا قد انجذبوا بشكل خاص لفريا، وخلال الطريق راحوا يخبرونها بأصوات هامسة تفوح منها أمارات الصدمة والذعر، بشتى الأسرار!

"إن "وايت بيت" يعبث في أنفه دائمًا...".

"لا أنا لا أفعل!".

"اسمي "إسبورن"، لكن الأولاد الكبار في معقل اللصوصية أطلقوا على "تونة"، لكني أرى أن ذلك الاسم سخيف، فهل أستطيع الآن أن أعود لاسمي الأصلي طالما أنهم جميعا قُتِلوا أو فروا من هنا؟".

"إنه يعبث بإصبعه في أنفه ويأكل مخاطه...".

"لا، أنا لا أفعل هذا...".

"يا أطفال"، قالتها فريا مقاطِعة سيل الأسرار هذا، "من الذي قام بتفجير معقلكم؟ ومتى حدث هذا؟".

لكن الأطفال لم يستطيعوا إعطاء إجابة محددة، فقال بعضهم إن ذلك قد حدث منذ بضعة أيام، في حين أكد آخرون أنه منذ أسبوع.

بلغ الجمع الطوابق العلوية أخيرًا، ليجدوا أمامهم غرفة ضخمة، جديدة على توم وكول إذ لم تكن موجودة منذ أن كانا في جريم سباي في الماضي، مكدسة بأثاث راقٍ فاخر بدا أنه تم تجميع قطعه معًا من عشرات الغرف القديمة من مجالس بلديات المدن المنهوبة: مرايا ضخمة معلقة على الجدران... مفارش من الحرير والمخمل تغطي السرير الضخم... ملابس ووسائد متناثرة على الأرض... معلقات مصنوعة من الأحجار البحرية والبذور القديمة، تتدلى من الأنابيب الممتدة عبر السقف.

"هذا مقر إقامة جارجل..." قالها الأطفال، "جارجل كان يدير كل شيء من هنا".

"ريمورا هي من صنعت تلك المعلقات..."، قالتها فتاة صغيرة.

"إنها جميلة وذكية، وهي المفضلة لدى جارجل...".

"أتمنى أن يعود جارجل..."، قالها صبي آخر، "جارجل يعرف جيدًا ما ينبغي فعله".

"جارجل قد مات"، قالتها هيستير، فصمت الجميع ولم يعد من صوت سوى صوت وقع أقدامهم فوق السجاد المبتل، وصوت آخر معدني خافت يأتيهم من الأمام، وكأنما هو صادر عبر مكبرات للصوت، وكان يقول: "نحن فقط نتوق إلى فرصة لرؤية أبنائنا المفقودين مرة أخرى...".

ثم خرجوا من الغرفة، فوجدوا دَرَجًا آخر، أخير، فاتخذوا طريقهم عبره نحو الأعلى، إلى حيث غرفة أخرى تعج بشاشات المراقبة، حيث كان مؤسس جريم سباي يراقب عبرها مملكة الأعماق التي يحكمها. لقد كانت تلك الغرفة ذات حراسة مشددة يوم دخلها توم منذ سنوات خلت، أما الآن فلم يعد هناك حراس، وحتى بابها لم يكن موصدًا.

دفعت هيستير الباب بقدمها وولجت إلى الداخل وهي ترفع بندقيتها، في حين احتشد البقية خلفها. كانت الغرفة واسعة ذات سقفٍ عالٍ، مضاءة بالنور الأزرق الخافت المنبعث من الشاشات التي تغطي الجدران. أما الشاشات نفسها فكانت ذات أشكال وأحجام متباينة، بداية من شاشات المتابعة الجماهيرية العملاقة، وصولًا إلى شاشات العرض الصغيرة المنتزعة من المعدات قديمة الطراز التي كانت تستخدم في المستشفيات؛ وكانت جميعها متصلة ببعضها البعض عبر غابة من الأسلاك.

وفي الأعلى، في قبة السقف المظلمة، تم تعليق وحدة مراقبة محمولة مكونة من بالون من بالونات نقل البضائع، شديد الصغر، يتدلى منه كرة من شاشات المراقبة ومكبرات الصوت، وكانت الشاشات جميعًا تعرض نفس المشهد: حشد من الناس يتجمعون فوق منصة متابعة على متن مدينة طوافة، ومن مكبرات الصوت خرج صوت يقول بلهجة متوسلة: "يا أبناء الأعماق... لو أن بإمكانكم سماع تلك الرسالة، فنحن نرجوكم... تعالوا إلينا".

"لماذا ينساقون وراء ذلك؟ لماذا يذهبون إليهم؟ أيفضلون تلك الحفنة من اليابسين العجائز عليَّ أنا؟".

التفت الجميع نحو مصدر الصوت، ليجدوا رجلًا عجوزًا يقف وظهره إلى الباب، يصرخ في مواجهة الشاشات، وفي يده جهاز تحكم عن بُعْد، فوجَّهه نحوها وضغط عليه ليختفي المشهد المعروض، فأمست الشاشات خاوية واختفى الصوت الصادر عن المكبرات.

ثم استدار الرجل لمواجهة هيستير والآخرين وقال بفظاظة: "من أنتم؟ أين جارجل؟".

"جارجل لن يعود"، أجابه توم وقد حاول أن يكون لطيفًا قدر الإمكان. كانت له ذكريات سيئة مع العم، لكن ذلك لم يمنعه من الشعور بالأسف تجاه الرجل وقد بات حاله مُزريًا، فقد صار رأسه أشبه برأس سلحفاة يخرج من بين طبقات من الثياب الرثة البالية بعضها فوق بعض، بينما كان ينظر نحو توم بعينين ضعيفتين غائمتين بفعل تقدمه في العمر، حتى أنه راح يطرف بهما مرارًا كي يستطيع رؤيته؛ وقد لاحظ توم أن العديد من الشاشات قد ثُبِّتَت إليها عدسات مكبرة لتجعل صورها أكثر وضوحًا، حتى أنه بدأ يشك في أن الرجل ربما بات شبه أعمى، لا عجب إذن أنه بات يعتمد على جارجل في كل شيء.

"جارجل رحل"، قالها توم من جديد.

"ماذا؟ أتعني أنه...؟"، هتف العم وهو يدنو منه ويتطلع إليه، "... مات؟ جارجل؟ جارجل الصغير؟".

ثم راحت تعبيرات وجهه تتغير وتتبدل بسرعة من حزن إلى ارتياح إلى غضب...

"لقد قلت له! لقد حذرته من الذهاب والبحث عن ذلك الكتاب اللعين. جارجل لم يُخلَق ليكون لصًا، بل هو أذكى من ذلك... لقد كان ذكيًا... كان قادرًا على رسم الخطط.. كان ماهرًا للغاية...".

"نعلم هذا"، قالتها هيستير، "لقد رأيناهم".

أجفل العم بمجرد سماع صوتها، وصاح: "امرأة؟! غير مسموح بتواجد النساء في جريم سباي. لطالما كنتُ صارمًا في هذا الشأن، وكان جارجل يؤيدني في هذا، ممنوع تواجد النساء هنا، إنهن يجلبن النحس ولا شيء سواه. لا يمكنني الوثوق بهن".

"ولكن أيها العم..."، قالتها فريا برفق.

"ماذا! امرأة أخرى! صار المكان يعج بالنساء!!".

"أيها العم"، قالها كول، فارتجف الرجل والتفت مقطبًا جبينه، وكأن صوت كول قد ضغط زرًا في ذاكرته...

"كول! ولدي كول!"، قالها العم، ثم صاح مُزمجرًا وقد تملكه الغضب: "أهذا ما تفعله؟ ألك علاقة بما حدث؟ أنت أخبرت اليابسين بمكاننا، أليس كذلك؟ أأنت وحدك أم أن هناك المزيد؟".

ثم ابتعد وهو يعرج وضغط على زر في جهاز التحكم عن بعد في يده، فظهرت مناظر لجريم سباي على الشاشات، قَرَّب وجهه المتغضن منها وراح يحدق إلى الممرات والغرف الخاوية ومراسي المركبات الفارغة والقاعات الخربة المغمورة بالمياه في معقل اللصوص.

"لا يوجد سوانا نحن الأربعة أيها العم"، أجابه كول، "لقد عرفنا للتو ما قد وقع هنا، ولا علاقة لنا به".

"لا؟!"، صاح العم وهو يلتفت ويتطلع نحوه، ثم أطلق ضحكة عالية وقال: "يا للآلهة، إذن فقد اخترت توقيتًا رائعًا لتأتي لزيارتنا!".

"لقد جئنا من أجل ابنة توم وهيستير"، قالها كول في صبر، "اسمها رين، وقد اختطفها مبتدئ كان مع جارجل على متن المركبة أوتوليكوس".

"فيش كيك؟ اسمه فيش كيك..."، قالها العم وقد بدا على وشك البكاء، "الأوتوليكوس فُقِدَت، جميع المركبات فُقِدَت. كول يا ولدي، لقد انخدع الأغبياء بتلك الرسالة عن أمهاتهم وآبائهم وانساقوا وراءها إلى حيث برايتون".

"برايتون؟"، قالها توم، وقد تذكر أنه قد سمع هذا الاسم من قبل. إنها عبارة عن منتجع، منتجع بوهيمي على نحو ما، لكنه ليس مكان سيئ، ولو أن رين هناك فربما تكون بخير.

"ولماذا تريدهم برايتون؟"، سألت هيستير في شك.

فهز العم كتفيه وبسط يديه وقام بإبداء إشارات مضطربة للتعبير عن عدم علمه بالأسباب، ثم قال: "لقد قلتُ لصبيتي إن هذا ليس سوى فخ، لكنهم لم يستمعوا لي، ربما لو كان جارجل هنا لأنصتوا إليه. إنهم ينصاعون له هو وما عادوا ينصتون للعم العجوز البائس الذي ظل يرعاهم ويكترث لأمرهم كل تلك السنوات...".

وانهمرت دموع الرثاء للنفس على وجنتيه المجعدتين، ثم تمخط في كمه، وقد راح يمرر نظراته على توم وهيستير، ثم فريا التي أخذ يتطلع إليها للحظة قبل أن يصيح: "يا للآلهة، كول... أهذا الحوت السمين هو الفتاة التي فررت إلى أنكوراج من أجلها؟ انظر إليها... وأنت أيضًا، أنت نفسك لا تبدو بحالة جيدة، فقد صرت رثًّا. لقد أخبرني جارجل أنك رحلت كي تصير ذا شأن بين اليابسين".

شعر كول في تلك اللحظة كما لو أنه قد عاد صبيًّا مبتدئًا من جديد، يتلقى التقريع لنسيانه شيئًا من معدات السرقة الخاصة به؛ وراح يتمتم: "آسف أيها العم".

أما فريا فقد توجهت نحو كول وأمسكت بيده ثم قالت: "لقد صار كول بالفعل ذا شأن بيننا... فلولاه ولولا مساعدته لنا ما كنا لنصل إلى فينلاند ونصنع لأنفسنا مُستَقَرًّا هناك. لكم أود أن أحكي لك ما فعل، لكن أولًا أعتقد أن علينا جميعًا أن نغادر هذا المكان".

"نغادر؟"، صاح العم وهو يحدق إلى فريا بتعجب وكأنه يسمع تلك الكلمة لأول مرة في حياته، ثم:

"لا أستطيع الرحيل عن هنا، ما الذي يجعلك تظنين أنني أريد الرحيل؟".

"سيدي، هذا المكان قد انتهى أمره، لا يمكنك الإبقاء على هؤلاء الأطفال هنا...".

فضحك العم وقال: "هؤلاء الأطفال لن يذهبوا إلى أي مكان.. إنهم مستقبل جريم سباي".

التصق الأطفال بفريا أكثر، فتركت يد كول وراحت تربت على رؤوسهم. وكان الجميع يسمعون صوت صرير المعدن في الطبقات السفلى بينما الماء يتسرب إلى الداخل.

"ولكن يا سيد كايل" قالت فريا، وقد تذكرت شيئًا كان كول قد أخبرها به ذات مرة... فقد كان الرجل، قبل أن يصير "العم"، شابًّا ثريًّا من أركانجيل يدعى "ستيلتون كايل"؛ وقد أملت فريا أنها إن نادته باسمه الحقيقي فربما تستطيع التقرب منه ومن ثم إقناعه. إلا أنه ما إن سمع الاسم حتى شرع يزمجر ويحملق إليها بغضب.

"سيد كايل..."، مضت فريا في حديثها وقد صممت على عدم التراجع، "... إن الماء يتسرب إلى المكان من كل جانب، وقد بات مغمورًا حتى نصفه في المياه، كما أن الهواء يبدو عطنًا. أنا لا أعلم شيئًا عن الطبقات الواقعة تحت سطح المياه، ولكني أستطيع القول إن مستقبل جريم سباي بات قصيرًا".

هنا فتحت هيستير زر الأمان في بندقيتها ورفعتها تجاه العم وقالت: "إذا كنت لا تريد أن تأتي معنا فلا تفعل".

فنظر نحوها العم، ثم التفت إلى شاشات العرض المعلقة حيث كان وجهها أكثر وضوحًا عليها لعينيه المنهكتين، ثم قال: "أنتِ لا تفهمين... أنا لن أغادر هذا المكان، ولا أنتم أيضًا. سوف نعيد بناء جريم سباي، وسنجعلها منيعة ضد الماء مرة أخرى. سنجعلها أقوى مما مضى. وسوف نصنع المزيد من المركبات، أفضل من سابقتها. لن يغادر أي منا هذا المكان. قل لهم يا كول".

أجفل كول وقد بات لا يعرف ماذا عليه أن يصنع، فهو لا يريد أن يخون أصدقاءه، لكنه في ذات الوقت لا يريد أن يخذل العم. لقد جعله صوت العم العجوز يرتجف وقد اختلج قلبه بالحب والشفقة عليه. ثم إنه نظر إلى فريا وتمتم: "أنا آسف".

وبحركة سريعة خاطفة انتزع كول البندقية من يد هيستير وصوبها نحوها ثم

نحو توم.

"كول!"، صاح توم.

"أحسنت يا فتى" قالها العم ضاحكًا، "كنت أعلم أنك ستعود في النهاية، إنني سعيد الآن بأني لم أجهز عليك في الماضي. يا للعار، لقد فر الآخرون قبل أن تتاح لهم الفرصة لمقابلتك... كول، أنت ستكون بمثابة نموذج ومثال، عودة الضال... بالرغم من مرور كل تلك السنوات ما زلت على ولائك للعم العجوز المسكين".

ثم أخرج مفتاحًا من أحد جيوبه، ومد به إلى كول قائلًا: "الآن خذ هؤلاء واحبسهم في مقر جارجل لحين الانتهاء من حديثنا".

كان كول لا يزال يصوب البندقية نحو توم، فقد كان يدرك جيدا أن هيستير. الأكثر جرأة وتهورًا بينهم . هي الوحيدة التي قد تنتهز أي فرصة للهجوم عليه واقتناص البندقية منه ومن ثم استعادة السيطرة، لكنها في ذات الوقت تخشى على سلامة توم وحياته أكثر من حرصها على حياتها هي ولن تخاطر بتعريضه للإيذاء بأي شكل.

ثم مد يده وانتزع السكين المخبأ في حذاء هيستير، وتناول المفتاح من العم وشرع في دفعهم جميعًا نحو الباب تحت تهديد السلاح.

"ولكن يا كول..."، قالت فريا، فقاطعتها هيستير: "انسي الأمر ولا تحاولي معه، لقد عرفتُ منذ البداية أنه كان من الخطأ أن نثق به. أحسب أن هذا هو السبب الوحيد الذي جعله يوافق على الإتيان بنا إلى هنا، كي يتمكن من رؤية "عمه" الغالي مرة أخرى".

"لن يمسكم أذى، أعدكم"، قالها كول "سنحل هذا الأمر وسوف يكون كل شيء على ما يرام".

لكنه في حقيقة الأمر لم يكن يعرف ما الذي سيفعله بالضبط، فقط كان سعيدًا لأنه عاد صبيًا مفقودًا من جديد...

"العم يعرف الأفضل"، قالها بينما راح يدفع أسراه للنزول عبر الدرَج إلى حيث مقر جارجل، وهناك أغلق الأبواب عليهم وهو لا يزال يردد: "كل شيء سيكون على ما يرام، العم يعرف ما هو الأفضل دائمًا".

"17"

الكنيسة

حل الليل على "تينجينج"، ومن فوق المدينة كانت الجبال تنتصب شاهقة، شاحبة، ومن قممها الباردة تتطاير نُدَف الثلج. ومن فوق الجبال تبدت النجوم في السماء ومعها بقايا أجسام الأقمار الصناعية والمنصات الفضائية القديمة، تدور ببطء وترقص رقصتها القديمة الأبدية في الأعالي.

وعبر الممرات الصامتة في "جيد باجودا" كان المطارد جريك يقوم بدورياته التفقدية الليلية، وقد راحت عيناه ذات نظام الرؤية الليلية تمشط الظلام من حوله، بينما ترصد أذناه الأصوات من كل مكان... المحادثات الدائرة في إحدى الغرف البعيدة... عاصفة الضحكات من مقر الحراسة... حتى أصوات الحشرات آكلة الخشب وهي تؤدي عملها في الألواح الخشبية التي تغطي الجدران. ثم إنه راح يتجول في القاعات المزينة بمنحوتات قديمة لوحوش وشياطين الجبال، التي لم يكن أي منها مرعبًا مخيفًا مثله هو.

وكان جريك مستمتعًا بقوة وقدرات جسده العائد، وقد راح يستخدم كافة حواسه المتطورة بحثًا عن أي آثار كيميائية لأي متفجرات مخفية، وعبر مجساته أخذ يتفقد كافة الأركان لرصد أي طاقة حرارية لأي كائن بشري قد يكون مختبئًا هنا أو هناك؛ وقد كان يتوق لأن يحاول أي بشري أحمق مهاجمة سيدته، حيث كان يتحرق شوقًا لممارسة القتل من جديد.

ثم رصد نفحة من هواء بارد في المبنى الذي يقف به، وكان تغيرًا طفيفًا في ضغط الهواء كفيلًا بأن يجعله يدرك أن بابًا خارجيًا على بُعد أربعة طوابق في الأسفل قد انفتح وانغلق. فاندفع سريعًا نحو النافذة ونظر إلى الأسفل، ليرصد طاقة حرارية لجسم بشري يتحرك عبر ظلال الفناء باتجاه نقطة التفتيش عند البوابة.

وبسرعة راح عقل جريك يقيس طول وأبعاد ذلك الجسم المتحرك ويقارنه ببيانات العاملين التي كان قد جمعها خلال فترة عمله كحارس، فأدرك على الفور أن ذلك الجسم المتحرك هو دكتور زيرو.

ما الذي تفعله في الخارج في مثل هذه الليلة الباردة بينما حظر التجوال على وشك البدء في غضون أقل من ساعة؟ راح جريك يفكر في دوافع تلك الفانية ويستعرض كافة الاحتمالات... ربما هي على علاقة حب بشخص ما من سكان المدينة في الأسفل، وهي الآن تتوجه للقائه؟ ولكن لا، فدكتور زيرو لم تبدُ يومًا ممن يكترثون للحب والنواحي العاطفية.

على أي حال لم تكن تلك المرة الأولى التي يرصد فيها جريك أمورًا غريبة بصددها، فقد رصد من قبل تسارع دقات قلبها حينما تكون بالقرب من المطارد فانج، والرائحة الحادة التي تنبعث منها حينما تنظر سيدته نحوها. وقد اعترته الدهشة في البداية لعدم ملاحظة فانج لتلك التغيرات بنفسها، لكنه أدرك فيما بعد أنها لا تعير انتباهًا للفانين، لهذا ربما لم تلاحظ . أو لم تهتم . أن جرّاحتها تخشاها كثيرًا.

ومن النافذة، رصدت عينا جريك، ذات إمكانية تكبير الصور، دكتور زيرو وهي تبرز بطاقة مرورها عند نقطة التفتيش، ثم تتبعها إلى أن اختفت عن ناظريه بين ثكنات ورايات "تينجينج".

لماذا هي خائفة إلى هذا الحد؟ وما الذي يرعبها هكذا؟ بل وما الذي تفعله بالضبط؟ ماذا تخطط له تلك الفانية؟

كان جريك يعلم أنه يدين لها بكل شيء، لكنه يدرك كذلك أن من واجبه اكتشاف الأمر.

***

وإلى الأسفل، عبر الشوارع المتحدرة، انطلقت "أوينون زيرو" مسرعة، في عباءتها المصنوعة من السيليكون والحرير، متسربلة بغطاء للرأس، وقد طأطأت دماغها إلى الأسفل. ومن فوق المدينة كانت السماء تلتمع بأضواء حاملات الطائرات والمدمرات الجوية، إذ تنطلق من الميناء الجوي العسكري، تحمل على متنها المزيد من الشباب والشابات، بعيدًا نحو الغرب، حيث ينتظرهم الموت في منطقة "راست ووتر".

غمر أوينون الشعور بالذنب، لكنها كانت قد اعتادت ذلك؛ وفي كل صباح إذ تتفقد هيكل المطارد فانج الفولاذية للتحقق من كفاءة عمل وحدة الطاقة المثبتة في موضع القلب، كانت تردد لنفسها: لا بد وأن أفعلها الآن، اليوم.

لم تكن أوينون زيرو أول من يسعى لتدمير فانج، فمن قبلها حاول جميع دعاة السلام المتشددين وأنصار جماعة مناهضة التحرك القديمة اغتيالها دون جدوى، فقط كانت سكاكينهم وخناجرهم تتكسر على دروعها الفولاذية، أو تخرج سالمة دون خدش من بين ركام التفجيرات وحطام المناطيد التي تعرضت للقصف منهم.

لكن زيرو تختلف عنهم جميعًا، فهي عالمة، وقد استخدمت مهاراتها العلمية في ابتكار السلاح الذي سيمكنها من تدمير المطارد فانج.

ولكن، كانت المشكلة الوحيدة التي تواجه أوينون أنها... لم تكن تملك الشجاعة لاستخدامه بعد، وكانت الأفكار تتلاطم داخل عقلها: ماذا إن لم تنجح في مسعاها؟ وماذا إن نجحت كذلك؟!. كانت أوينون على يقين بأن نظام العاصفة الخضراء سينهار لا محالة بدون المطارد فانج، لكنها لم تكن واثقة من أنه سينهار بالسرعة التي تسمح لها بالإفلات بفعلتها تلك قبل أن يجد أنصار فانج الوقت الكافي لقتلها؛ وكانت قد سمعت الكثير حول ما يفعلونه فيمن يوقعون بهم من الخونة.

كانت أوينون زيرو مستغرقة في أفكارها لدرجة أنها لم تلحظ أنها يتم ملاحقتها بينما هي تعبر جسر "قوس قزح" المزدوج وتنعطف إلى شارع العشرة آلاف إله "تن ثاوزاند ديتيز"... على مدار قرون، فر مناهضو التحرك من جميع أرجاء أوروبا وآسيا إلى تلك الجبال، حاملين معهم آلهتهم، وفي هذا الموضع الذي تسير فيه قاموا ببناء معابدهم المختلفة جنبا إلى جنب.

وعبر الشارع شقت أوينون طريقها من بين موكبين للزفاف، وجنازة، ومرت من أمام أضرحة مليئة بعملات جلب الحظ، والألعاب النارية. ثم إنها اتخذت طريقها بين معبد آلهة السماء والمعبد الذهبي لآلهة الجبال، ومعبد الإله "بوسكيت"، وبستان إلهة التفاح، ثم دار إلهة الموت.

وفي نهاية الشارع، كانت كنيسة مسيحية صغيرة تقع بين معابد الديانات الأكثر شعبية. وقفت أوينون لهنيهة وراحت تتطلع من حولها للتحقق من أن أحدًا لا يراقبها، قبل أن تدلف إلى داخل الكنيسة، ولم يخطر ببالها قط أن تنظر نحو الأعلى حيث الأسطح.

كانت أوينون قد وجدت تلك الكنيسة الصغيرة بمحض الصدفة، ومن وقتها صارت

تتردد عليها من حين لآخر، ولم تكن تدري بالضبط ما الذي يشدها للعودة إلى ذلك المكان، فهي لم تكن مسيحية. ففي هذا الزمن لم يكن ثمة من يعتنق هذه الديانة سوى قليل من الناس، باستثناء أفريقيا وبعض الجزر في أقصى الغرب. وكان كل ما تعرفه أوينون عن المسيحيين هو أنهم يعبدون إلهًا تم وضعه على الصليب بمسامير، وكانت تتساءل في أعماقها متعجبة حول نفع ذلك الإله الذي سمح بأن يتم تثبيته بمسامير، لا عجب إذن أن ينهار ذلك المكان ويستحيل خرابًا تنمو في أرجائه الأعشاب حول خشب المقاعد المتعفن.

ومع ذلك، في ليالٍ تشبه تلك الليلة، حينما تشعر بأنها في حاجة للخروج من "جيد باجودا" وإلا ستفقد عقلها، لم تكن تجد مكانًا آخر تستريح فيه وتهدئ من روعها سوى الكنيسة.

أزاحت أوينون غطاء الرأس عنها، فسقطت على شعرها الأخضر بعض من ندف الثلج المتساقط عبر العوارض الخشبية المتشققة في السقف. ثم راحت تمرر يدها على الجدران وتقرأ النقوش المنحوتة على الأحجار القديمة وهي تمرر أطراف أناملها عليها. كان معظمها غير قابل للقراءة، لكن نصًّا بعينه كانت مولعة به مذ قرأته. كان جزءً من نص قديم يعود لما قبل حرب الستين دقيقة، ولم تكن أوينون تدرك ما يعنيه بالضبط، لكن شيئًا ما فيه كان يشعرها بالمواساة:

"نموت مع الموتى...

يرحلون ونرحل معهم

إننا نولد مع الأموات...

يعودون ونعود معهم

لهما ذات الدوام...

لحظة الوردة، ولحظة شجرة الطقسوس".

ركعت أوينون أمام المذبح الحجري وأحنت رأسها. إنها لا تؤمن بذلك الإله القديم، لكنها تحتاج للتحدث لأحد ما.

"ساعدني"، قالتها هامسة، "لو أنك موجود حقًّا فلتمنحني القوة، امنحني

الشجاعة... إنني قريبة للغاية منها ويمكنني استخدام السلاح الآن، فقط لو أنني امتلكت الجرأة الكافية. إن ذلك لن يكون قتلًا، وكيف يكون كذلك إذا كنت سأقتل شخصًا ميتًا بالفعل؟! هذا ليس سوى تدمير لآلة، آلة خطرة، مدمِرة".

كانت تتحدث همسًا، وبالكاد تحرك شفتيها بحيث لا يمكن لأذن بشرية أن تسمعها. لكن أذنًا أخرى قد سمعتها، أذنًا ليست بشرية؛ فمن فوق البرج المتهدم للكنيسة كان المطارد جريك جاثمًا كتمثال حجري، يرصد كل كلمة تتفوه بها.

"أولستُ على حق في أن أفعل ذلك؟ لقد كان كل شيء واضحًا أمامي سابقًا، أما الآن فقد بتُ أشاهدها وأتعامل معها يوميًا، وقد لمستُ كم هي ذكية وقوية... ربما يكون ذلك قتلًا، أو ربما أنا أختلق لنفسي الأعذار كي لا أفعل؟ ربما أنا أبحث عن عذر يعفيني من قتلها فقط لأنني أخشى على حياتي... أيها الإله، لو أنك موجود حقًا، فلترسل لي إشارة، أرشدني لما عليّ أن أفعله...".

ثم إنها طفقت تنتظر، وفي الأعلى كان جريك ينتظر هو الآخر، ولكن ما من إشارة ظهرت. لطالما كانت الآلهة الصاخبة الأكثر شعبية في المعابد المجاورة تمنح النصائح المريحة والإرشادات بإفراط، ككُتَّاب أعمدة الرأي في الصحف، أما إله هذا المكان فيبدو أنه لا يكترث. ربما هو نائم، أو ربما ميت. ربما هو مشغول بتسيير عالم آخر أفضل من هذا العالم، على الجانب الآخر من الكون.

راحت أوينون تهز رأسها وتلوم نفسها على حماقتها، ثم نهضت استعدادًا للمغادرة، فقفز جريك من مكانه، وهبط عبر الجدار إلى حيث كوة بجوار المدخل، فاختبأ بها وطفق ينتظر. لقد كانت شكوكه صحيحة، دكتور زيرو خائنة، وبرغم كونه مولعًا بها . على طريقة المطاردين بالطبع . إلا أنه كان يعرف جيدًا أنه بات عليه التخلص منها قبل أن تؤذي سيدته. وهنا أصدرت دائرته الكهربائية أزيزًا مع تأجج شهوة القتل بداخله.

كانت زيرو قد جردته من مخالبه القاطعة، ومع ذلك فهو لا يزال قويًا، ولا يتمتع بأدنى قدر من الرحمة... فقط لن يحتاج الأمر سوى لكمة واحدة من قبضته ليجهز عليها بسهولة.

سمع جريك صوت خطوات عند المدخل، ثم خرجت أوينون وقد أعادت غطاء

الرأس فوق دماغها من جديد اتقاءً للرياح الباردة ثم مضت في طريقها دون أن ترى جريك! فقط مرت بجواره مسرعة عبر الشارع، وراحت تهرع عائدة إلى مقرها في "الباجودا" قبل أن تدق الأجراس معلنة بدء حظر التجوال.

خفض جريك قبضته، وكان لا يزال لم يبارح مخبأه، وقد شعر بالدهشة والحماقة... ما الذي حدث له؟! إنه مطارد، آلة قتل، ومع ذلك حين صارت فريسته في متناوله وكان على وشك سحق رأسها كقشرة بيض، لم يستطع ضربها!

"يجب أن أحذر الشرطة السرية للعاصفة الخضراء" هكذا قال لنفسه، ثم خرج من الكوة ومشى في إثر أوينون عبر الزحام. سوف يدع الأمر للفانين ليتعاملوا مع بعضهم بطريقتهم، في غرف التعذيب أسفل الـ "جيد باجودا".

لكنه ما إن مشى بضع خطوات حتى توقف من جديد. لقد تكشَّف له أنه ليس في مقدوره خيانة أوينون زيرو، وأن هي من جعلته عاجزًا عن ذلك؛ وراح يتذكر تلك الليالي التي قضتها أوينون في ورشة المطاردين... لقد صنعت تلك الجرّاحة الميكانيكية الشابة . بطريقة ما . حاجزًا في عقله يجعل من المستحيل عليه إيذاؤها أو إبلاغ أي شخص بما تخطط له. لقد كان هو ذاته جزءً من خطتها طوال الوقت، لقد صنعت للمطارد فانج حارسًا غير قادر على حمايتها.

كان جريك يدرك تمامًا أنه، وبعد كل ما تبين له، ينبغي أن يشعر بالكراهية تجاه دكتور زيرو، لكن حتى ذلك لم يكن بقادر عليه.

شق جريك طريقه عبر جموع المحتشدين في مواكب خارج ضريح "جومو"، ثم اتجه صوب "جيد باجودا" عبر الظلام والثلوج. وفي عقله قرر أنه لن يكون دمية في يد أوينون زيرو، صحيح أنه لا يستطيع إيذاءها، لكن بإمكانه في ذات الوقت منعها من إيذاء سيدته؛ لقد بات عليه أن يعرف، بطريقة أو بأخرى، طبيعة خطتها وأن يضع حدًا لها.

***

"18"

الناجفلار

أغلق كول الباب على أصدقائه والأطفال في مقر جارجل، ثم آب عائدًا بسرعة عبر الدَّرَج إلى غرفة شاشات المراقبة. كان يرتجف قليلًا وقد اعتراه شعورًا بالرغبة في العودة وتحرير أصدقائه، لكنه راح يؤكد لنفسه أنه لم يفضل العم على فريا والباقين وإنما سيعمل على إيجاد وسيلة ليبقى وفيًا لكلا الطرفين.

وما إن دلف كول إلى الغرفة وانضم للعم من جديد، حتى قال الأخير:

"إن أول شيء يتوجب علينا فعله حقًّا هو التخلص من أولئك النسوة، إنهن يجلبن سوء الحظ".

وكانت الشاشات تعرض صور الأسرى سجناء الغرفة في الأسفل، من بينها لقطات كبيرة لهيستير وفريا، فاستطرد العم: "إنهما تبدوان جميلتين، أنا واثق أنك تفكر الآن كم أنهما لطيفتين. ولكن دعني أؤكد لك، لسوف يلتففن عليك ويحاولن خداعك وخيانتك، تمامًا مثلما فعلت آنا فانج معي في الماضي. ولهذا وضعتُ قاعدة عدم السماح بوجود فتيات في جريم سباي".

وضع كول بندقية هيستير إلى جانبه، وقد اعتراه شعور بالغباء، ثم قال وهو يمسك بالبندقية من جديد:

"ولكن... ماذا عن الفتاة التي كانت على متن الأوتوليكوس بصحبة جارجل؟".

"ريمورا؟"، قالها العم وهو ينزع البندقية من يد كول ويلقيها بين أغراضه الرثة، "أعرف ما تقصد. فتى غريب المظهر هو، صوتٍ عالٍ رفيع وشعر طويل وكثير من مساحيق التجميل... لقد شككت فيه في بداية الأمر حينما قدمه لي جارجل، لكنه أكد لي أنه صبي وليس فتاة. لص جيد هو... يا لريمورا المسكين، أحسب أنه ميت هو الآخر؟".

"أيها العم، هناك فتيات عديدات بين هؤلاء الأطفال المساكين الذين وجدناهم في الأسفل".

"فتيات؟! هل أنت واثق؟"، ثم أخذ العم يضغط على بضعة أزرار في جهاز التحكم عن بُعد لتظهر على الشاشات لقطات مقربة للأطفال. ورأى كول أصدقاءه يتطلعون للأعلى في عصبية بينما راحت الكاميرات السلطعونية تتحرك على السقف من فوقهم وتتدلى من المعلقات التي صنعتها ريمورا.

وكانت وجوه الأطفال على الشاشات ضبابية غير واضحة الملامح، فقال العم من بين أسنانه:

"ربما قامت فرق الخطف التابعة لجارجل باختطاف بعض الفتيات عن طريق الخطأ... على أي حال سيتعين علينا الخلاص منهم كذلك لو أننا نرغب حقًّا في صنع بداية جديدة لنا، ولسوف نفعل. كول يا بني، لسوف نعيد بناء جريم سباي ولسوف تكون أقوى وأفضل مما كانت عليه من قبل. وستكون أنت ذراعي اليمنى، ويمكنك الانتقال للعيش في مقر جارجل والاعتناء بكل شيء من أجلي، مثلما كان يفعل جارجل".

فجأة انطفأت مجموعة من الشاشات، مما جعل الغرفة أكثر إظلامًا، ومن مكان ما انبعثت رائحة احتراق أسلاك، فذهب كول ليتحقق مما حدث، فوجد مياهًا تتدفق من فوق سطح الشاشات وتنساب لتتجمع على الأرض، وحين تذوق بضع قطرات من تلك المياه وجدها ذات مذاق مالح.

العم يعرف الأفضل دائمًا... هكذا راح يردد لنفسه، وكان يريد أن يصدق هذا من أعماق قلبه، فقد كان يتوق للعودة للأيام الخوالي حين كان يملك يقينًا حول كل شيء... كان يؤمن أن كل شخص ينبغي أن يكون لديه ما يثق به أكثر من نفسه. فأما توم وفريا فلديهما آلهتهما، وأما هيستير فلديها توم، أما هو، كول، فلم يكن لديه سوى العم، وهو لن يخذله مرة أخرى، حتى ولو كان عجوزًا ضريرًا، مضطرب العقل، وحتى ولو لم يعد من الممكن إنقاذ جريم سباي من أن يبتلعها البحر.

لكنه كذلك لا يمكنه أن يخذل أصدقاءه ولن يدعهم يغرقون معه.

"إنك تبدو مُتعَبًا أيها العم"، قالها كول برفق، وكان مُصيبًا، فقد أمضى العجوز أوقاتًا طوالًا، وحيدًا، في غرفة المراقبة يحدق عبر شاشاته إلى تلك الرسائل الخداعية الواردة من برايتون.

"ينبغي أن تحصل على قسط من الراحة"، همس كول وهو يربت على يده، "أنا هنا الآن، وسأراقب الأوضاع".

رفع العم رأسه نحو كول وأخذ يحدق إليه، وقد التمعت علامات المكر القديم في عينيه، وقال:

"أنت تحاول خداعي يا كول، أليس كذلك؟ هذا ما فعله جارجل من قبل... اذهب وانعم ببعض القيلولة أيها العم... هذا ما كان يقوله لي، وعندما أستيقظ كنت أجد بعضًا من الأشياء قد ضاعت، أو أكتشف أن أحد صبيتي الذين كنتُ أثق بهم قد مات، ثم يخبرني جارجل أن ذلك كان حادثًا...".

"ولماذا تركته يفلت بأفعاله إذن؟".

"لأنني كنتُ خائفًا منه"، قالها العجوز وهو يهز كتفيه، "ولأنني كنت فخورًا به كذلك... لقد كان ماهرًا حاد الذكاء، وأنا من جعلته كذلك... لقد كان بمثابة ابن لي. لو لم تكن آنا فانج قد خدعتني وفرّت على متن ذلك المنطاد الذي قامت بصنعه، لصار لدي منها أبناء، وكم كنت لأود حينها أن يكونوا أذكياء مثل جارجل.

لكني رغم ذلك سعيد بأنه قد رحل، وكذلك سعيد لأنك هنا الآن يا بني".

ثم إن الرجل راح يدمدم بشيء ما لنفسه، وترك نفسه لكول ليقوده عبر الدَّرَج إلى حيث غرفة نومه. ومن فوقهما كان البالون الذي يحمل كرة شاشات المراقبة يتحرك معهما وقد راح يصدر صريرًا ويئن بحمله، بينما العم ينقل عينيه شبه الضريرتين بين الشاشات في عصبية.

وكان مدخل غرفة العم قد تم توسيعه بما يسمح بمرور بالون الشاشات هذا إلى الداخل.

"أبقِ عينيك مفتوحتين وراقب هؤلاء السجناء جيدًا، فلا تدري ما قد يفعلونه. راقب الجميع في كل موضع، دائمًا".

كانت غرفة نوم العم فاخرة فيما مضى، مفروشة بأفخم وأغلى القطع التي سرقها الصبية المفقودون من على متن المدن. ولكن مع مرور السنوات لم يجد جارجل حرجًا في سلبها قطعة تلو الأخرى ونقلها إلى غرفته هو، حتى لم يتبقَّ في غرفة العم سوى

سرير ذي لحاف رث وبعض الأكوام من الكتب المتعفنة، وصندوق مقلوب يستخدمه كـ "كومودينو"، وقد وُضِع فوقه مصباح أرجون قديم وصورة فوتوغرافية باهتة لامرأة شابة جميلة ترتدي زي عُمَّال أركانجيل.

"إنني أحتفظ بها لتذكرني دوما بآنا فانج"، قالها العم وهو يقلب الصورة على وجهها بسرعة وقد لاحظ نظرات كول نحوها، "جميلة، أليس كذلك؟ لقد حولوها الآن لمطارد وقاموا بوضعها على رأس "العاصفة الخضراء"، وها هي الآن تحكم نصف العالم بأساطيل من المناطيد والأسلحة. لقد تتبعتُ أخبارها، ولدي كتاب من القصاصات يحوي كل شيء عنها، إنه في مكان ما.

لقد ظن جارجل أن بإمكانه عقد صفقة معها، لكني كنت أعرف أن ذلك لن ينجح ولن يجلب علينا سوى المشاكل...".

"أي نوع من الصفقات؟"، تساءل كول، وكان قد سبق له أن استمع للعم وهو يروي قصة حبه الضائع، ذات يوم، لكنه لم يسمع من قبل عن صفقات يحاول الصبية المفقودون عقدها مع العالم الخارجي، "ألهذا جاء جارجل إلى أنكوراج؟ لماذا أراد كتاب الصفيح؟".

جلس العجوز فوق فراشه، فيما هبطت كرة شاشات المراقبة إلى أن صارت فوق رأسه مباشرة، ثم قال:

"قال جارجل إن هناك مشكلة ما على وشك الوقوع، قال ذلك حينما فقدنا ثلاث من المركبات، وقد كان محقًّا، أليس كذلك؟ فقط لم يكن يعرف متى ستقع بالضبط؛ وقد ظن أنه إذا امتلك كتاب الصفيح هذا فقد يتسنى له حينها إعطاؤه للعاصفة الخضراء في مقابل حمايتهم لنا وأن يقوموا بسحق أي مدينة تأتي لمهاجمتنا".

"ولكن، ما الذي يجعل العاصفة الخضراء ترغب في كتاب الصفيح؟".

هز العم كتفيه وقال:

"لا أحد يعلم... منذ نحو عامين، أرسلوا حملة لمحاولة التنقيب عن بقايا أنكوراج، لكنهم لم يستطيعوا العثور عليها بالطبع. حينها نجح جارجل في تسريب إحدى كاميراتنا إلى متن سفينتهم، واكتشف من خلالها كنه الشيء الذي كانوا يأملون في

إيجاده بين أطلال أنكوراج".

"كتاب الصفيح؟".

أومأ العم، ثم أضاف: "لم تكن تلك البعثة تتألف من أفراد عاديين من العاصفة الخضراء، بل كانوا فريقًا من العملاء الخاصين، يتبعون فانج مباشرة. لذا فقد حسب جارجل أنه طالما كانت فانج على استعداد لإرسال سفنها عبر نصف العالم في خضم الحرب الدائرة، فقط بحثًا عن ذلك الكتاب، فلا بد إذن أنها ترغب فيه بشدة. وتذكر أنه قد رأى ذلك الكتاب حينما كان يسطو على أنكوراج، لكنه لم يفكر في أي قيمة له في ذلك الوقت".

ثم إن الرجل هز رأسه واستطرد:

"لقد أخبرته أن خطته تلك لن تنجح، وطلبتُ منه البقاء هنا، لكن... هكذا هو جارجل الشاب، ما إن تخطر فكرة بباله حتى يهرع وراءها وما من شيء كان يمكنه إيقافه. وانطلق في رحلته، وها هو الآن قد مات، واستولت تلك المدينة الشريرة على صبيتي جميعًا".

"ولكن لماذا؟ أعني... ما الذي يجعل هذا الكتاب قيمًا إلى هذا الحد؟".

تمخط العم في أحد المناديل المرقطة، ثم تطلع نحو كول وقال: "لا أعلم، هذا ما لم نعرفه أبدًا، لكن جارجل كان يتحدث عن أن الكتاب يحوي تصميمًا لإحدى الغواصات القديمة الكبيرة، وقال إن مثل تلك الغواصة يمكن أن تنقذنا جميعًا. لكني أعتقد أنه قد اختلق هذه القصة اختلاقًا؛ لماذا تريد آنا فانج غواصة؟ وبم ستفيدها؟ لا، أظن أن الأمر يتعلق بسلاح ما، سلاح ضخم".

ثم إنه كَوَّم المنديل وألقاه بعيدًا وتثاءب.

"والآن يا بني، كفى حديثًا عن الماضي ولنفكر في المستقبل. علينا أن نضع خطة، فالوقت قد حان للبدء في إعادة بناء جريم سباي. سوف نحتاج لسرقة بعض المعدات. من الجيد أنك أحضرت "الدودة الحلزونية" معك إلى هنا، فسوف نحتاجها كثيرًا. أما أنا فما زلت أحتفظ بال "ناجفلار" القديمة، أتتذكرها؟".

"لقد رأيتها في المستودع حينما وصلنا"، أجابه كول، وقد لاحظ أن العم على وشك

النعاس، فعاونه على الاستلقاء وقام بسحب اللحاف الممزق عليه حتى أسفل ذقنه.

"عليك أن تنام الآن أيها العم، وحينما تستيقظ سوف نبدأ".

فابتسم له العم ثم أغلق عينيه، وعلى وهج كرة الشاشات المعلقة فوق رأسه بدا وجهه العجوز منيرًا.

وفي الغرفة بالطابق الأسفل كان بعض الأطفال قد راحوا في النوم أيضًا، بينما جلس البقية في هدوء وقد راحوا ينصتون إلى توم بأعين متسعة وهو يروي على مسامعهم واحدة من تلك القصص التي اعتاد أن يحكيها لرين وهي صغيرة حينما كانت تستيقظ خائفة أثناء الليل. إلا أن هؤلاء الأطفال لم يبدُ عليهم أي خوف، سواء من اهتزازات المدينة المحتضرة، أو من تسربات الماء المنساب على الجدران. لقد كان الأمر مخيفًا لهم حينما كانوا بمفردهم، أما الآن فقد وصل هؤلاء الكبار اللطفاء، فبات الأطفال يشعرون بالثقة من أن كل شيء سيكون على ما يرام.

كانت هيستير تتجول عبر الغرفة وتفتش أركانها بحثًا عن أي سلاح أو أداة لفتح أقفال الباب الثقيلة، وقد تعاظم غضبها حين لم تجد أيًّا منهما.

"ماذا ستفعلين لو أنك وجدتِ مخرجًا من هنا؟"، سألتها فريا بهدوء، "... اجلسي رجاءً، فأنتِ تخيفين الأطفال على هذا النحو".

فصاحت هيستير: "ماذا سأفعل؟! سوف أنزل إلى مراسي المركبات بالطبع وأرحل على متن الدودة الحلزونية".

"لكن الدودة الحلزونية لن تسعنا جميعًا. وحتى لو حشدنا جميع الأطفال في مستودع المركبة، فلن يكون هناك هواء ولا وقود كافٍ لإعادتنا لأنكوراج".

"ومن قال إننا سنأخذ الأطفال معنا؟ لقد جئتُ إلى هنا لإنقاذ رين وليس هؤلاء الهمجيون الصغار. ورين ليست هنا، إذن سآخذ المركبة إلى برايتون وأحاول البحث عنها هناك".

"ولكن... الأطفال..."، صاحت فريا، لكنها تراجعت عما كانت ستقول والتزمت الصمت، إذ لم تكن ترغب في أن يسمعها الأطفال ويدركون ما تضمره هيستير بصددهم. ثم قالت في تؤدة: "هيستير، كيف يمكنكِ أن تفكري مجرد تفكير في ذلك؟

أنتِ نفسك لديكِ طفلة!".

"هذا صحيح، ولو أنك كان لديكِ أطفال لكنتِ علمتِ كم من مشاكل ومتاعب يجلبونها، فما بالك بهؤلاء الهمجيين؟ إنهم حتى ليسوا أطفالًا عاديين، بل صبية مفقودون، ولا يمكنك أن تأخذيهم إلى أنكوراج... ماذا ستصنعين معهم هناك؟".

"سأمنحهم حبي بالتأكيد"، أجابتها فريا ببساطة.

"آه، كما فعلتِ مع كول؟ وقد صارت الأمور بينكما على ما يرام بالفعل! أليس كذلك؟!... هؤلاء سوف يسرقونكِ وربما يقتلونكِ أيضًا. لقد فقدتِ عقلك على ما يبدو يا ملكة الثلوج... لقد طلبتِ مني ذات يوم أن أساعدك على حماية أنكوراج، حسنًا، وها أنا ذا أحميها بالعمل على ضمان ألا تجلبي عصابة من اللصوص الصغار معنا إلى الوطن كهدايا تذكارية من جريم سباي!".

تراجعت فريا خطوة إلى الوراء، وكأنها لا ترغب في أن تبقى قريبة من هيستير، ثم قالت: "لا أظن أن أنكوراج في حاجة لحمايتك بعد الآن... لقد كنتُ ممتنة لكِ يومًا، وكنت آمل في أن تنجح كل تلك السنوات من العيش في سلام في تغييرك وتحويلك إلى إنسان مسالم، ولكن يبدو أنكِ لم تتغيري".

همت هيستير بالرد عليها، حين انفتح الباب من ورائها فجأة ودخل كول، فالتفتت له وصاحت: "ها أنت ذا قد جئت لمشاهدة سجنائك؟".

تعمد كول ألا تلتقي عيناه بعينيها، ثم قال: "أنتم لستم سجناء، لقد أردتُ فقط ألا يتأذى أحد، وكذلك لم أشأ أن أدعكِ تجبرين العم على الرحيل. إنه رجل مسن وسوف يموت إن غادر جريم سباي".

"هو سوف يموت بالفعل لو بقي هنا..."، قالت هيستير، "... إلا إذا كان سباحًا ماهرًا".

تجاهلها كول ووجه حديثه إلى فريا وتوم: "إنه نائم الآن، وسوف يبقى نائمًا لساعات. هذا سيمنحكم الفرصة للخروج من هنا".

"وماذا عنك؟"، سألته فريا، فهز رأسه وقال: "عليَّ أن أظل هنا معه، فأنا كل ما تبقى له الآن".

"لكنك أكثر مما يستحق..."، قالها توم بسخط، "... أنت تعلم جيدًا أنه لن يتمكن بأي حال من إعادة بناء هذا المكان، أليس كذلك؟".

"أنت لا تفهم..."، أجابه كول، "... يشق عليَّ أن أراه على ذلك الوضع المزري... مسنًا، مجنونًا، مسكينًا... نعم، جريم سباي قد انتهت بالطبع، لكن العم لا يدرك ذلك، وأنا الآن آخر صبيته ويجب أن أبقى معه حتى النهاية".

كانت فريا على وشك الجدال معه، لكن هيستير قطعت عليها الطريق قائلة: "هذا أمر جيد بالنسبة لي، والآن كيف سنغادر هذا المكان؟".

ابتسم كول لها وقد سرَّه سماع سؤال عملي أخيرًا، وقال: "الناجفلار، غواصة الشحن التي رأيناها في مراسي المركبات حين وصلنا إلى هنا. صحيح أنها قديمة لكنها تعمل بكفاءة لا شك فيها، وسوف تعود بكم إلى أنكوراج سالمين".

"إذن ينبغي أن تأتي معنا أنت أيضًا..."، قالت فريا بشيء من الارتياح، "... فأنا لا يمكنني قيادة غواصة بنفسي، أو حتى توجيه مسارها".

"توم وهيستير سوف يساعدانِك".

"توم وهيستير سيأخذان الدودة الحلزونية وسيتجهان إلى برايتون"، قالتها هيستير.

"لا..."، أجابها كول، "... عليكما الذهاب مع فريا. أما أنا فسأبقى مع العم. سوف أساعدكم على تزويد "الناجفلار" بالوقود والمؤن كي تعودوا إلى أنكوراج. وبعدها، بمجرد أن تصبح فريا والأطفال في أمان، يمكنكما التوجه إلى برايتون وإيجاد رين".

وهكذا، وللمرة الأخيرة، عاد مستودع المركبات في جريم سباي للعمل من جديد، وامتلأت جنباته بأصوات إعداد الغواصة للإبحار.

كانت الناجفلار عبارة عن غواصة صدئة متداعية، لكن كول أكد لهم أنها ستنجح في شق طريقها عبر البحر والوصول بهم إلى بر الأمان؛ وكان بها متسع يكفي لجميع الأطفال.

إلا أن كول لم يخبرهم بكل شيء عنها، فقد كانت تلك الغواصة هي ذاتها التي سرقها العم منذ سنوات بعيدة من جامعي مخلفات المدن، وأبحر بها ليبدأ

إمبراطوريته المائية. كذلك لم يذكر كول شيئًا حول سبب تسميتها بهذا الاسم؛ "ناجفلار"، ولا أصل التسمية... فقد جاء اسمها من أساطير الشمال القديم، حيث الـ "ناجفلار" عبارة عن سفينة تم بناؤها من أظافر الموتى كي تبحر بها آلهة الظلام وتخوض بها المعارك في نهاية العالم.

لم يشأ كول أن يروي تلك القصة كي لا يصيب الأطفال بالذعر ويجلب لهم الكوابيس.

وهكذا، عكف توم وكول على تجريب المحركات القديمة للغواصة، بينما قامت هيستير بملأ الخزانات بالوقود. أما فريا فقد طلبت من بعض الأطفال الأكبر سنًا أن يرشدوها إلى مخازن الطعام في جريم سباي، وقامت بأخذ ما تيسر من المؤن بما يكفي لرحلة العودة إلى فينلاند.

كان ينبغي الانتهاء من كافة الاستعدادات بسرعة، وقد راح صوت صرير المعدن أسفل الممرات يزداد ارتفاعًا، بينما تتفسخ ألواح جسم المبنى المتضررة أصلًا بفعل قذائف برايتون، حتى انفصلت عن بعضها البعض بفعل ضغط المياه المندفعة، فيما انغلقت الحواجز لتفصل الأقسام التي غمرتها المياه عن باقي المدينة.

كذلك لم ينسَ أي منهم أن العم لم يزل هناك في مقره يخطط لتحقيق حلمه المجنون. لكنه كان في تلك الأثناء لا يزال نائمًا؛ وحين فتح توم غطاء فتحة الغواصة العلوية وأطل منها نحو الخارج، لم تكن ثمة كاميرات سلطعونية تراقب تحركاتهم.

استند توم قليلًا إلى غطاء الفتحة، مستمتعًا بلفحة الهواء البارد التي لفحته في الخارج، حيث كان الجو في غرفة محركات الناجفلار حارًا خانقًا، وكان قد أنهك نفسه في العمل في الأسفل لدرجة أن جرحه القديم عاد يؤلمه من جديد، بينما الآلام الحادة تمزق قلبه وكأنما امتلأ بشظايا زجاج مكسور. في تلك اللحظة، ومع اشتداد حدة الآلام شعر توم أنه ربما بات على وشك أن يقضي نحبه، لكنه لم يكن خائفًا من الموت في حد ذاته، إنما كان كل ما يخشاه هو أن يموت قبل أن يجد رين.

ثم إنه، بدلًا من الانشغال بنفسه والاستغراق في أفكاره، راح يفكر في كول، فخرج من الغواصة ليجد هيستير قادمة نحوه عبر رصيف الإرساء، فتوجه نحوها وانتحى بها جانبًا، وبرفق سألها: "ماذا سنفعل حيال كول؟ إنه لا يزال مصرًا على البقاء هنا...

هل نسي ما فعله به ذلك العم وأنه حاول قتله؟!".

فهزت هيستير رأسها وقالت: "هو لم ينسَ، ولا أظنه يرغب في البقاء حقًا، ولكن كل ما في الأمر أنه يحب ذلك الرجل رغم كل شيء".

"لكنه كاد يقتله في الماضي!".

"هذا لا يعني شيئًا في مثل تلك الأمور، إن ذلك العم يمثل لكول الأم والأب، ولا يوجد أحد يمكن أن يكره والديه... ربما لا يدرك المرء أحيانًا أنه يحب أبويه، بل وربما يشعر كذلك بأنه يمقتهما، ولكن يبقى الحب قائمًا دومًا، ولو كان ممزوجًا بالمقت... وهو ما يجعل الأمر... معقدًا على نحو ما".

ثم صمتت ولم تزد، فهي لم تكن بقادرة على التعبير عن نفسها، وقد راحت تفكر في مشاعرها المختلطة المركبة تجاه والدها "فالانتاين"، وكذلك ابنتها المفقودة. ولكم تمنت في تلك اللحظة لو أن ابنتها أحبتها كما يحب كول "العم".

"لقد أخبرتني فريا أن كول كان يحلم بجريم سباي كل ليلة...". قالها توم، "... وكان صوت العم يأتيه في أحلامه ويهمس له بذات الطريقة التي كان يحدثه بها حين كان طفلًا... ترى، لماذا كان يعمد إلى التحدث إليهم جميعًا عبر مكبرات الصوت طوال الوقت حتى أثناء نومهم؟".

"ربما كان يمارس نوعًا من غسيل المخ لهم"، أجابته هيستير.

"هذا بالضبط ما كنت أفكر فيه، لقد كان يتغلغل في أذهانهم بحيث يشدهم إليه ويعيدهم إلى جريم سباي مهما ابتعدوا عنه".

"حسنًا، يمكننا التغلب على كول... ضربة على رأسه ثم سحبه إلى متن الغواصة والإبحار، وسوف يعود إلى رشده بمجرد أن نبتعد عن هذا المكان".

"ربما..."، قال توم "... ربما ينتهي كل شيء بمجرد غرق ذلك المكان وموت العم، حينها قد يتمكن كول من نسيانه".

فجأة دوت صرخة طفولية مدوية من داخل الناجفلار: "الكاميرات!".

وكانت فريا قد طلبت من أحد الصبية . ويدعى "إل" . أن يتولى عملية

مراقبة الأجواء...

"الكاميرات تتحرك!"، صرخ الصبي من جديد.

فالتفت توم وهيستير بسرعة نحو الأعلى ليجدا الكاميرات السلطعونية تتسلق الأذرع الصدئة للرافعات من فوقهم، وقد ركزت عدساتها نحو حوض الإرساء الذي تقبع فيه الناجفلار.

"لقد استيقظ الرجل العجوز"، صاح كول وهو يندفع من داخل الغواصة ويخرج عبر الفتحة إلى الرصيف، ومن ورائه فريا.

"وماذا إذن؟"، قالت هيستير، "... لا يمكنه منعنا من المغادرة الآن".

"من قال إن أحدًا سيغادر؟"، صاح العم بصوت أجش، "... لن يرحل أحد من هنا".

ثم إنه راح يقترب نحوهم وهو يعرج، وفي يده المجعدة المرتجفة كانت بندقية هيستير، وقد بدت ضخمة. ومن فوق رأسه كان بالون الشاشات القديم الخاص به معلقًا في الهواء أشبه ما يكون بفقاعة رثة تخرج من رأسه، وقد تدلت منها الشاشات تعرض الصور التي تبثها الكاميرات.

رفع العم البندقية عاليًا وضغط الزناد، فانطلقت رصاصة لترتطم بالجسم المعدني للناجفلار محدثةً دوي راح يتردد صداه بين الرافعات. وفي اللحظة التالية انبعث صوت صرير مدوٍّ من الألواح المتهالكة من مكان ما في الطوابق العليا . وكأنها استجابة لدوي الطلقة . كتأوُّهٍ طويل صادر من مخلوق ضخم يحتضر بسبب عسر الهضم ويتلوى ألمًا. إلا أن العم تجاهل الصرير، وصرخ بحدة: "العم يعرف الأفضل... إما أن تبقوا هنا وتساعدونني في إعادة بناء جريم سباي، وسوف أكافئكم حينها، أو حاولوا الهرب وسوف تلقون عبر بوابات الحواجز المائية لتصيروا طعامًا للأسماك".

ارتعد الأطفال وراحوا يتخبطون في ذعر، بينما اندفعت هيستير لتغطي توم بجسدها حمايةً له. أما كول فقد هرع نحو العجوز قائلًا: "أيها العم، إن الدمار الذي لحق بجريم سباي أسوأ بكثير مما كنا نحسب".

"إذن؟"، قالها العم وهو ينظر نحو الشاشات المعلقة أعلاه طلبًا لرؤية أوضح لكول، "... وماذا في ذلك؟ لقد كانت في حال أسوأ بكثير يوم جئت إليها لأول مرة".

"يا سيد كايل..."، قالتها فريا برفق، "... ستيلتون؟".

ثم مشت عبر الرصيف نحو الرجل بينما راحت تتابعها الكاميرات السلطعونية المحتشدة فوق الرافعات، وتركز على وجهها وحركة يديها. حاول كول منعها من التقدم، لكنها أشارت له مبعدةً إياه ومدت يدها نحو العم وقالت: "كول معه حق... لقد شارفت جريم سباي على الانهيار. لقد كانت فكرة جسورة أن تبني حياة هنا، وأنا سعيدة بأني قد تسنى لي رؤية هذا المكان بعيني. لكن وقت الرحيل قد حان، يمكنك القدوم معنا إلى أنكوراج... أولا ترغب في تَنَسُّم الهواء النقي وأن ترى الشمس من جديد؟".

"الشمس؟"، همس العم، واغرورقت عيناه بالدموع فجأة. لقد مر وقت طويل منذ أن عامله أحد بهذا اللطف، وانقضت سنين عدة منذ أن دعاه أحدهم باسمه "ستيلتون".

وكانت فريا لا تزال تمد يدها نحوه، فيما راح هو يحدق عبر الشاشات إلى يدها البيضاء الرقيقة الممتدة إليه في لطف.

"أترك جريم سباي؟!"، همس العم بصوت خافت يشوبه التعجب، بينما راحت الكاميرات تثبت عدساتها على أنحاء فريا وتبث صورًا مكبرة لكل جزء فيها عبر الشاشات: وجهها... عينيها... فمها... انحناءة وجنتها الملساء... يديها... صور أكبر من الحقيقة بمراحل، وكأنها تجميع لحنايا إلهة عملاقة.

وكان العم لا يزال يتطلع نحو صورة يديها الممدودتين عبر الشاشة، وقد أراد حقًّا أن يتشبث بهما ويرحل معها بعيدًا ليرى الشمس مرة أخرى قبل أن يموت. فتقدم نصف خطوة نحوها، إلا أن صورة آنا فانج وذكرى خيانتها له قد قفزا إلى عقله دفعة واحدة...

"لا!"، صرخ العم، "لا! لن أذهب، إنها خدعة، كل هذا خدعة".

وفي لحظة واحدة صوب البندقية في يده نحوها وضغط الزناد، لتنطلق الرصاصة ويدوي صخب شديد ملأ أرجاء المستودع وجعل الأطفال جميعًا يصرخون ويغطون آذانهم بأيديهم.

انطلقت الرصاصة لتصيب وجه فريا المبتسم، ليستحيل شظايا ويسود ظلام يتخلله شرر كهربائي، فيما تناثرت أمطار من الزجاج المتشظي... ليدرك العم حينها أنه لم يطلق النار على فريا ذاتها وإنما على صورتها على أكبر شاشات المراقبة المعلقة فوقه. فالتفت سريعًا يبحث عن فريا الحقيقية، إلا أن كول كان قد سحبها جانبًا ووقف أمامها ليحميها بجسده، ولم يكن العم يرغب في إصابة كول.

ومن مكان ما فوقه صدر صوت تنفيس هواء طويل عالٍ. تدلت البندقية الثقيلة من يده ونظر لأعلى، ليس هو فقط بل الجميع شخصوا بأبصارهم عاليًا، حتى الأطفال المرتعدون، فقد كان صوت التنفيس يزداد ارتفاعًا؛ هنا فقط اكتشف العم أنه حين أطلق الرصاص لم يصب الشاشة فقط، وإنما اخترقت الرصاصة البالون الذي يحمل كرة الشاشات كذلك. وأمام عينيه المذهولتين انفتق البالون سريعًا واتسع الثقب ليستحيل فتحة فاغرة أشبه ما تكون بفم يتثاءب...

"أيها العم!"، صرخ كول وقد هم بالاندفاع نحو الرجل، إلا أن فريا جذبته للخلف ثانية وهي تصرخ: "كوول"، وتتشبث به بقوة.

"آنا..."، همس العم باسم آنا فانج في اللحظة الأخيرة قبل أن تسقط كرة الشاشات الثقيلة فوق رأسه كحذاء ثقيل يدعس عنكبوتًا. ثم انفجرت الشاشات وانبعث الشرر الأزرق والأبيض في كل مكان وانتشر وابل من الشظايا الزجاجية عبر الرصيف.

ثم سقط البالون الممزق أخيرًا فوق الحطام ليغطيه، فيما راح الدخان يتصاعد من الآلات المحطمة نحو السقف. وفي اللحظة التالية بدأ نظام إطفاء الحرائق في العمل ليمطر المستودع برذاذ من الماء البارد المالح.

ركض توم، بينما أمسكت هيستير بفريا من كتفيها المرتعشين وقالت: "هل أنتِ بخير؟".

"أظن هذا..."، أجابتها فريا وهي تومئ برأسها، وقد أغرقها الماء تمامًا، فيما أخذت تسعل جراء الدخان الكثيف، "... هل العم...؟".

أما كول فقد راح يدور حول ركام الشاشات المحطمة المشتعلة، ومن تحتها رقد العم، لا يظهر منه سوى قدميه في نعليه المتسخين ذوي شكل الأرنب، وقد أخذتا تنتفضان لبضع مرات قبل أن تهمدا تمامًا.

"كول؟"، هتفت فريا.

"أنا بخير"، قال كول، وقد كان سالمًا لم يمسه أذى، لكنه لم يستطع منع نفسه من البكاء. ثم إنه سحب جزءً من قماش البالون ليغطي قدمي العم، قبل أن يلتفت نحو رفاقه ويقول:

"هلموا، علينا البدء في تشغيل الناجفلار والرحيل بسرعة قبل أن ينهار المكان تمامًا. والدودة الحلزونية كذلك، فتوم وهيستير سيحتاجانها للارتحال في إثر رين".

انطلق الجميع يعملون بوتيرة أسرع، فيما كانت جنبات جريم سباي تئن دون توقف، وقد راحت المياه تتماوج في أحواض الإرساء مع ترنح المدينة القديمة، وكأنما قد أدركت بشكل أو بآخر أن صانعها قد رحل فقررت الرحيل معه.

وبعد عمل شاق، انتهت أخيرًا آخر مراحل تزويد المركبات بالوقود وتركيب البطاريات الجديدة، ووضع المزيد من براميل المياه على متن المركبتين. بينما قامت هيستير بجمع ما تيسر من كنوز جرين سباي والعملات الذهبية، حيث ارتأت أن هذه الأموال قد تكون ذات نفع لهم على متن برايتون. ومن دون أن يراها أحد، تسللت نحو ركام الشاشات الخربة وقامت بالتفتيش بين البقايا المحترقة إلى أن وجدت بندقيتها، وكانت لا تزال في يد العم، فانتزعتها، وكانت على يقين بأنها ستحتاج إليها.

وعلى رصيف الإرساء عانق توم فريا مودعًا، متمنيًا لها التوفيق في رحلة عودتها لأنكوراج: "حظ موفق".

"حظ موفق لكما أيضًا"، قالتها فريا وهي تمسك بوجهه بين كفيها وتبتسم، ثم إنها راحت تنظر إليه في تردد وقد احمر وجهها، فقد أرادت تحذيره بصدد زوجته، وكانت تعرف جيدًا أنه لا يدرك مدى قسوة هيستير وعنفها. صحيح أنها على يقين بأن هيستير تحبه بحق، لكنها في المقابل لا تكترث لأي شخص آخر. والحق أن فريا كانت تخشى دائمًا أن تتسبب قسوة هيستير يومًا في وقوع كليهما في المتاعب.

"توم..."، قالت فريا وقد حسمت ترددها، "... كن حريصًا بصدد هيستير".

"آه، سيكون كلٌّ منا حريصًا على الآخر كما اعتدنا دومًا"؟، أجابها توم دون أن يفهم مقصدها على النحو الصحيح، فاستسلمت فريا ولم تزد، فقط طبعت قبلة على وجنته

ثم قالت: "سوف تجد رين، أنا واثقة من ذلك".

فأومأ توم وقال: "وأنا أيضًا، وسوف أعثر على كتاب الصفيح كذلك، إذا استطعت. وإذا كان ما قاله العم لكول بصدد قيام العاصفة الخضراء بشن حرب على المدن صحيحًا، وإذا كان ذلك الكتاب يمثل مفتاحًا لشيء خطير حقًا، فإنه ينبغي علينا ألا ندعهم يحصلون عليه...".

"نحن لا نعلم على وجه التحديد ما يمثله ذلك الكتاب ولا ما إذا كان بالفعل مفتاحًا لأي شيء..."، قالتها فريا، "... ربما يكون من الأفضل استعادته إذا استطعنا لذلك سبيلًا، فقط كي نكون في مأمن. لكن الأهم والأولى من أي شيء آخر هو استعادة رين. جِدها يا توم وعودوا إلى الوطن في فينلاند بسلام".

ودع توم فريا، ثم اتجه نحو هيستير وصعدا إلى متن "الدودة الحلزونية"، ووقفت فريا تلوح لهما بينما مركبتهما تتخذ طريقها إلى أعماق المياه. وظلت واقفة بجوار كول على حافة حوض الإرساء إلى أن تلاشت التموجات الأخيرة في موضع المركبة. بينما كان الأطفال في انتظارهما على متن المركبة الأخرى، الناجفلار، وقد راحت ثرثرتهم العالية تتصاعد من فتحتها:

"هل نحن ذاهبون الآن؟".

"هل أنكوراج بعيدة عن هنا؟".

"هل سيكون لنا حقًا غرفنا الخاصة وأشياء أخرى هناك؟".

"هل العم قد مات؟".

"أشعر بالغثيان!".

أمسكت فريا بيد كول بين كفيها، وقالت:

"والآن، ماذا؟".

"هيا بنا..."، أجابها كول، "... دعينا نعود إلى الوطن".

وهكذا انطلقوا في رحلة العودة، وأمست جريم سباي مهجورة خاوية على عروشها، وفي غضون أيام قلائل اختفى آخر قبس من ضوء من نوافذها، وتعطلت

مضخات الهواء بها الواحدة تلو الأخرى.

وعبر الشقوق الآخذة في الاتساع، التي صارت تصدعات في جسد المدينة المحتضرة، فيما لم يتبقَّ أحد لإصلاحها، تدفقت مياه البحر إلى الداخل، وانطلقت الأسماك تسبح عبرها وتتخذ من أركان غرف الصبية المفقودين مأوى لها.

وعلى متن "الدودة الحلزونية" كان توم يفتقد رفقة فريا وكول، أما بالنسبة لهيستير فقد كان هذا الوضع أفضل، حيث سيتسنى لها أخيرًا الانفراد بتوم من جديد. إنها لم تشعر يوما بالارتياح لرفقة أي شخص آخر فيما عدا توم، ورين حينما كانت طفلة صغيرة. جلست هيستير تتأمل توم بحب بينما كان هو منهمكًا في العمل على أجهزة التحكم الغريبة للمركبة، مقطِّبًا جبينه من فرط التركيز، وقد راح يحاول تَذَكُّر كل ما لقنه إياه كول.

وفي تلك الليلة، بينما شرعت المركبة تتخذ سبيلها في البحر بسلاسة نحو الجنوب إلى الجنوب الغربي باتجاه برايتون، انسلت هيستير إلى فراش زوجها ولفَّت أطرافها حوله وراحت تُقَبِّله، وتذكرت الأيام الخوالي حينما كانا أصغر سنًّا، يرتحلان معًا على متن منطاد "جيني هانيفر"، وكيف كانا ينخرطان في تبادل القبلات لساعات.

لكن توم كان مهموم مشغول البال بابنته رين، وقد غمره قلق شديد عليها بحيث لم يكن في وضع نفسي يسمح له بمجاراتها وتقبيلها كما اعتادا؛ فاستلقت هيستير في الفراش وقد جفاها النوم، فيما استسلم زوجها للنعاس، وراحت تفكر بمرارة... إنه يحب ابنتهما أكثر مما أحبها هي.

***

"19"

إكليل الزفاف

كانت أولى موجات الصقيع قد وصلت إلى فينلاند قبل وصول الـ "ناجفلار" بفترة ليست بقصيرة. حيث استغرقت رحلة الغواصة ذات المحركات العتيقة، بكل ما تحمله من أفراد، عدة أسابيع للعودة إلى القارة الميتة، عبر الأنهار المتعرجة التي سبق وقطعتها "الدودة الحلزونية" في أيام.

لكن كول تمكن من قيادة الناجفلار ببراعة والوصول بمن تحملهم على متنها إلى بر الأمان على شواطئ أنكوراج أخيرًا. وعبر طبقة رقيقة من الثلج ظهرت المركبة على السطح قبالة الشاطئ، وأطلت فريا من فتحتها تلوح لبني وطنها، لتقابلها طلقات الرصاص مرة ثانية، لكن هذه المرة من بندقية السيد سميو الذي راح يصوب سلاحه ويطلقه نحو المركبة ظنًّا منه أن عصابة الصبية المفقودين قد عادوا لغزوهم.

والحق أن اعتقاده هذا لم يجافِ الحقيقة بشكل أو بآخر، فمع كل هؤلاء الأطفال الصاخبين مضطربي السلوك سيئي الخلق، الذين جلبتهم فريا معها ليعيشوا في وطنها... فلن تعود أنكوراج كما كانت عليه قبل تلك الرحلة.

وعلى متن المدينة، شرعت فريا تفتح الطوابق العليا المهجورة من القصر الشتوي لسكنى الأطفال، وبين ليلة وضحاها استحال المبنى القديم المهجور إلى مكان ينبض بالحياة والصخب بينما انطلق الأطفال عبره إلى حيث سكنهم الجديد. وكان بعضهم لم يعتد بعد فكرة أنهم لم يعودوا لصوصًا ولم يعد مفترض بهم أن يمارسوا السرقة، كذلك كان بعضهم يعاني من الكوابيس، وكان منهم من يصرخ طوال الليل باسم العم وجارجل.

لكن فريا كانت على يقين من أنها . ببعض من الصبر والمحبة . ستتمكن من مساعدتهم على نسيان الفترة التي قضوها تحت البحر في تعلم السرقة، وسينشئون نشأة صحية كمواطنين فينلانديين سعداء.

وأخيرًا، وبعد كل ما مر به، تغير كول ولم يعد ذلك الشخص المنعزل المنكفئ على ذاته، وجرى الوضع بينه وبين فريا على أفضل حال. صحيح أنها لم ترو ما كان بينها

وبينه من أمور خلال رحلة العودة، لكنه لم يعد إلى كوخه النائي في حي المحركات.

ومع بداية شهر أكتوبر، حيث كان موسم الحصاد قد حل، والحيوانات قد نزلت إلى السفوح من مراعيها البعيدة، بينما المدينة تستعد لموسم الشتاء المقبل، تزوج كول والمارجرافين.

وفي صبيحة اليوم التالي لزفافهما، استيقظت فريا في ساعة مبكرة، في الخامسة صباحًا، تمامًا كما اعتادت مذ كانت صغيرة، فقامت من فراشها بهدوء كيلا توقظ كول، واتجهت نحو نافذة غرفتها حافية القدمين، تلسع الأرضية الباردة باطنهما، بينما إكليل الزفاف كان لا يزال مثبتًا إلى شعرها.

سحبت فريا الستائر، لتجد البحيرة وقد غطتها طبقة سميكة من الجليد، بينما ندف من الثلوج التي ظلت تتساقط طوال الليل، تتناثر هنا وهناك. وقد شعرت بسعادة عارمة إذ ترى مدينتها وقد عادت تحت سيادة آلهة الجليد من جديد ولمدة ستة أشهر أخرى.

لقد أحسنت آلهة الصيف والبحيرات والصيد إلى شعبها كثيرًا، كذلك كانت آلهة البحر وإلهة الحب لطيفة معها، ولكن ظلت آلهة الجليد تحظى لديها بمكانة خاصة، فقد نشأت تحت رعايتهم ولطالما وثقت بهم أكثر من أي آلهة أخرى.

ثم إنها رسمت رمز ندفة الثلج بين البخار المترسب على زجاج النافذة وراحت تتضرع لآلهتها أن:

"احفظوا توم، وهيستير أيضًا، رغم أنها لا تستحق ذلك، وارشدوهما إلى حيث رين أينما توجد. آمل أن يعودوا جميعًا إلينا من جديد آمنين سعداء".

لكن حتى وإن كانت صلواتها قد بلغت آلهة الجليد، إلا أنها لم ترسل إليها أي إشارة، وكان الجواب الوحيد الذي تلقته فريا هو صوت الرياح في أبراج القصر الشتوي، وصوت زوجها الهادئ الناعس يناديها كي تعود لفراشها.

***

الجزء الثاني

"20"

الحياة فوق أمواج المحيط

"بيني رويال؟ عزيزي؟".

"هممم؟".

كان العمدة وزوجته يجلسان متقابلين إلى مائدة الإفطار صباحًا، وقد تم إسدال الستائر لتقيهما أشعة الشمس اللافحة. وخلف مقعد زوجة العمدة كان عبدها الإفريقي يقف ملوحًا بمروحة من ريش النعام لتلطيف الأجواء الحارة بنسيم من هواء بارد راح يداعبها ويحرك صفحات الجريدة التي كان زوجها يحاول قراءتها.

"بين رويال، أنا أتحدث إليك"، قالتها الزوجة، فأطلق نيمرود بيني رويال زفرة ووضع الجريدة جانبًا، وقال:

"نعم يا بوبو، يا كنزي!".

كان من البديهي لمستكشف مزيف ثري مثل بيني رويال أن يبحث لنفسه عن زوجة له، وبالفعل اقترن بـ "بوبو هيكموندويك". وكان ذلك منذ خمسة عشر عامًا، حين كان كتابه "ذهب المفترسين" يتصدر قوائم الكتب الأكثر مبيعًا على متن كافة مدن ساحة الصيد؛ وقد بدا له مشروع الزواج هذا رابحًا، فقد كانت "بوبو" تنتمي إلى إحدى العائلات الأرستقراطية العريقة في برايتون، لكنها كانت قد أمست عائلة فقيرة، وفي المقابل كان بيني رويال مجرد مغامر، لكنه ثري يمتلك ثروة هائلة.

وهكذا جاءت تلك الزيجة بمثابة فرصة جيدة لآل "هيكموند ويك" لاستعادة ثرائهم السابق، وفي نفس الوقت منحت بيني رويال الوضع والنفوذ الاجتماعي اللازمين كي يتسنى له بلوغ منصب العمدة.

وقد كانت "بوبو" زوجة مثالية بحق لرجل طموح مثله، فقد كانت لبقة تجيد أصول الضيافة وتنسيق الزهور وإقامة أمسيات العشاء بدقة عظيمة، كما كانت خبيرة في إقامة الحفلات المفتوحة والكرنفالات وافتتاح المستشفيات الصغيرة.

ومع ذلك فقد بات بيني رويال يشعر بالندم لزواجه منها، فقد كانت امرأة قوية لدرجة أن مجرد وجوده معها في غرفة واحدة كان مرهقًا له.

وكانت "بوبو" تحب الغناء وتعشق الأعمال الأوبرالية التي تنتمي لثقافة "بلو ميتال"، تلك التي تستمر عروضها لفترات طويلة وتنتهي بموت جميع شخصياتها.

وحينما كان بيني رويال يزعج زوجته بطريقة أو بأخرى، سواء بمناقشة تكاليف أحدث فساتينها وثيابها، أو بمغازلة واحدة من زوجات أعضاء مجلس البلدية على العشاء، كانت "بوبو" تقيم الدنيا ولا تقعدها، إذ تشرع في استعراض مواهبها وصوتها الجهوري بغناء واحدة من أوبراتها المفضلة، حتى ترتجف النوافذ ويهتز زجاجها، أو تقوم بتشغيل الجرامافون الخاص بها وتجبر من في المنزل على سماع كافة الأبيات الستمائة من "أغنية الحربة" من أوبرا "ديانا أميرة الحيتان".

"أتوقع منك أن تنصت إليَّ حينما أحدثك يا بيني رويال".

"بالطبع، بالطبع يا عزيزتي، فقط كنت أقرأ أحدث التقارير الواردة في صحيفة "باليمبسيست" عن الحرب الدائرة. إنها أخبار ممتازة من الجبهة، تجعل المرء فخورًا بكونه مواطنًا على متن مدينة متحركة، أليس كذلك؟".

"بيني رويال!".

"نعم يا عزيزتي؟".

"كنت أتَفَقَّد الترتيبات الخاصة بحفل مهرجان القمر الذي سنقيمه، ووجدت أنك قد قمت بدعوة مجموعة "النمس الطائر"!".

فتحرك بيني رويال في كرسيه قليلًا وهز كتفيه، فاستأنفت زوجته حديثها:

"لا أعتقد أن من واجبنا تسلية المرتزقة هنا يا نيمرود".

"لقد قمتُ فقط بدعوة قائدتهم "أورلا تومبلي"..."، قالها بيني رويال معترضًا، "... ربما قلتُ لها أن بإمكانها إحضار بعض أصدقائها إذا أرادت. لم أشأ أن تشعر بأنها غير مرغوب في وجودها، فكما تعلمين... إنها ملاحة شهيرة، وقد تمكنت آلتها الطائرة "كومبات وومبات" وحدها من إسقاط ثلاث مقاتلات جوية في حرب خليج البنغال".

وفيما كان بيني رويال يتحدث كانت صورة الملاحة الجوية الحسناء ماثلة تلوح في مخيلته، ناعمة فائقة الجمال، في زيها الجلدي وردي اللون. لطالما تباهى بيني رويال بأنه محبوب من قِبَل النساء، ولكم استمتع أيام شبابه بصحبتهن وإقامة علاقات رومانسية مع أجمل النساء وأكثرهن غرابة . مثل منتي بابسناك وبيتشز زانزيبار وعضوات فريق الكروكيت النسائي في تراكشن جراد سمولنسك . وقد حَلّت أطيافهن جميعًا في ذهنه في هذه اللحظة، وكان يأمل في أن تضاف الملاحة الجسورة "أورلا تومبلي" إلى قائمة علاقاته النسائية تلك.

"جميلة هي، أليست كذلك؟"، قالتها بوبو بلهجة باردة كالصقيع.

تململ بيني رويال قليلًا وقد بدا عليه الارتباك، ثم تمتم:

"لا أعلم، لم أنتبه لذلك...".

لقد كان يمقت مثل تلك المواقف، وتلك النظرة المتشككة الكريهة في عينيّ بوبو، وهو ما كان كفيلًا بجعله يتوقف عن تناول إفطاره.

ثم جاءه طوق النجاة أخيرًا . ولحسن حظه . من هذا الاستجواب الزوجي، حين دخل أحد عبيد المنزل ليعلن أن:

"السيد "بلوفري" يرغب في رؤية جلالتك".

"عظيم!"، صاح بيني رويال وقفز من كرسيه للترحيب بالزائر، "بلوفري، رفيقي العزيز، كم هو رائع أن أراك!".

"والتر بلوفري"... تاجر تحف من واحدة من أكثر المناطق فسادًا في المدينة، ومستشار العمدة للتقنيات القديمة، وقد ساعد بيني رويال في الماضي في تكوين ثروته من خلال بيع بعض مقتنيات متحف برايتون سرًا. كان "بلوفري" رجلًا ضئيل الحجم عصبي المزاج، له وجه يبدو وكأنما صُنِع من عجين نيء لم يتم خبزه.

بدت أمارات الدهشة على ملامح الرجل لاستقبال بيني رويال له بتلك الحرارة، فهو لم يكن يومًا من الرجال الذين يسعد الآخرون برؤيتهم. ولكن كان حضوره هذه المرة يستحق الاحتفاء بحق، إذ جاء بمثابة إنقاذ للعمدة من استجوابات زوجته بصدد الملاحات الحسناوات!

"كنت أقوم ببعض البحث حول ذلك الشيء الذي أريتني إياه جلالتك"، قالها الرجل وهو يدنو من بيني رويال، بينما عيناه تطرفان نحو "بوبو" في ارتباك، إذ لم يكن متيقنًا مما إذا كان يمكنه التحدث في الأمر أمامها، وراح يقول:

"ذلك الشيء، هل تتذكره جلالتك؟".

"آه، لا داعي للتكتم يا "بلوفري"..."، قالها بيني رويال، "بوبو تعلم كل شيء عنه. أليس كذلك يا حلوتي؟ إنه يتحدث عن ذلك الكتاب المعدني الذي أخذته من شكين العجوز الأسبوع الماضي، لقد عرضته على بلوفري لأخذ مشورته...".

ابتسمت بوبو نحوه ابتسامة باهتة، ومدت يدها لتلتقط الجريدة ثم راحت تقلب صفحاتها، إلى أن وصلت لصفحة الشائعات، وقالت:

"عذرًا يا سيد بلوفري، فأنا لا يستهويني الحديث عن التقنيات القديمة...".

فأومأ بلوفري وانحنى تحيةً لها، ثم التفت نحو بيني رويال قائلًا:

"ألا زال ذلك الكتاب في حوزتك؟".

"إنه في خزنة مكتبي، لماذا؟ أترى أن له قيمة ما؟".

"محتمل"، قالها بلوفري بلهجة حذرة.

"الفتاة من جماعة الصبية المفقودين التي جلبته معها تعتقد أن له علاقة ما بالغواصات"، قالها بيني رويال.

فضحك "بلوفري" ضحكة مكتومة وقال:

"آه، لا، يا جلالتك، يبدو أنها لا تعلم شيئًا عن اللغات الآلية لدى القدماء".

"لغة الآلة؟ أتقصد هذا؟".

"نعم، مجموعة من الرموز كان يستخدمها أسلافنا للتواصل مع العقول الحاسوبية. إنني لم أتمكن من إيجاد أي شيء مماثل لتلك اللغة في السجلات التاريخية، ومع ذلك هي تشبه ما جاء في إحدى الشذرات التي تم العثور عليها من الشفرات العسكرية الأمريكية".

"أمريكية؟"، قالها بيني رويال، "... عسكرية؟ لا بد أن ذلك يساوي الكثير حقًا. إن الحرب الحالية مستمرة منذ أربعة عشر عامًا، حتى يئس الناس من انتهائها، ولا بد أن أقسام البحوث والتطوير في المدن المتناحرة الكبرى ستكون على استعداد لدفع ثروة مقابل سلاح خارق ينهي تلك الحرب لصالحها".

تورَّد وجه "بلوفري" لدى سماعه هذا، وقد راح يحاول تخمين كم ستكون نسبته من تلك الثروة، ثم قال:

"أترغب جلالتك في أن أقوم بترتيب صفقة لبيعه؟ لدي اتصالات كثيرة في الولايات المتحركة الحرة و...".

إلا أن بيني رويال هزَّ رأسه مقاطعًا إياه وقال:

"لا يا بلوفري، سوف أتعامل مع هذا الأمر بنفسي، ولا داعي لاتخاذ أي خطوة لحين انتهاء مهرجان القمر. سوف أحتفظ بالكتاب في خزنتي لحين مرور فترة الاحتفالات، وبعدها سوف أشرع في إجراء اتصالاتي. يوجد بين رفاقي عالمة آثار، امرأة شابة ساحرة تدعى "كرويس موركارد"، كثيرًا ما تأتي إلى برايتون في فصل الخريف، وهي دائمة التنقيب عن التقنيات القديمة غير العادية. نعم، يمكنني ترتيب تلك الصفقة بنفسي".

ثم قام بيني رويال بصرف تاجر التقنيات القديمة، الذي خرج وقد اعتراه شعور بالسخط والغيظ، بينما جلس هو ليكمل وجبه الإفطار، فقط ليجد نفسه في مواجهة صورة له منشورة على صفحات "باليمبسيست" في باب الشائعات والثرثرة، وكانت زوجته في انتظاره لتواجهه بها. كانت عبارة عن صورة كاملة له وهو يدخل أحد الكازينوهات في حي "اللينز" متأبطًا ذراع "أورلا تومبلي" التي بدت في الصورة أشبه بإلهة، ربما أكثر مما يذكره بيني رويال عنها.

"حسنًا..."، هتف بيني رويال، "... إنها ليست من نوع النساء الذي يروق لي، ولا أراها جميلة...".

وفي البهو المرتفع المؤدي إلى غرفة الإفطار، كانت رين تقف بجوار صديقتها الجديدة "سينثيا توايت".

"يا لكِ من مسكينة يا "بوبو"..."، قالتها رين؛ وكان حديث بيني رويال وبلوفري خافتًا بحيث لم تستطع سماع أي شيء منه، بينما بلغت مسامعها كل كلمة قيلت في السجال الذي دار بينه وبين زوجته حول "أورلا تومبلي"، "لا أعرف كيف أمكنها تحمل ذلك...".

"تحمل ماذا؟"، سألتها سينثيا ببراءة.

"ألم تسمعي؟ "بوبو" تعتقد أن زوجها يواعد أورلا تومبلي".

"ما معنى يواعد؟ أهو نوع من الحلوى؟".

تنهدت رين، فقد كانت سينثيا جميلة ولطيفة... وغبية في نفس الوقت! وقد كانت تعمل في القصر "البافليون" ضمن عبيد المنزل منذ سنوات عدة، وحينما وصلت رين، طلبت منها السيدة "بوبو" أن تكون رفيقتها وأن تعلمها كل شيء عن الأعمال المنزلية. وقد كانت رين مسرورة بتلك الرفقة، لكنها شعرت بعد حين بأنها أكثر دراية بالحياة في هذا القصر أكثر من سينثيا بمراحل.

"بوبو تظن أن بيني رويال والآنسة تومبلي على علاقة عاطفية"، قالتها رين في صبر.

"أوه!"، صاحت سينثيا وقد اعتراها الاستياء، "... يا لسيدتي المسكينة، كيف لرجل في مثل عمره أن يلقي بنفسه في علاقة مع الملاحات على هذا النحو!".

"يمكنني إخبارِك بأمور أسوأ بكثير عن بيني رويال"، قالتها رين همسًا، ثم توقفت بغتةً وقد تذكرت أن عليها ألا تخبر سينثيا بأي شيء تعرفه، فبالنسبة لكل فرد على متن "السحابة التاسعة" هي ليست سوى فتاة من الصبية المفقودين لا تعلم شيئًا عن بيني رويال أكثر مما كتبه هو عن نفسه في كتبه السخيفة.

"ماذا؟"، سألتها سينثيا وقد أثار كلام رين فضولها، "... أي أمور؟".

"سأخبرك في وقت آخر"، أجابتها رين، وكانت تعلم أن الفتاة ستنسى الأمر بعد فترة. ثم قالت لها كي تحول وجهة الحديث إلى دفة أخرى:

"من هو ذلك الصبي الواقف خلف مقعد بوبو؟ ذلك الذي يحمل المروحة؟ لقد رأيته عند المسبح من قبل، إنه يبدو حزينًا دائمًا".

"آه، إنه وافد جديد مثلك..."، أخبرتها سينثيا بحماسة، "جاء منذ بضعة أسابيع فقط. اسمه "ثيو نجوني"، وقد كان ملاحًا لدى قوات العاصفة الخضراء إلى أن تم أسره في واحدة من تلك المعارك الكبيرة، فاشتراه بيني رويال لبوبو كهدية في عيد ميلادها. يا لها من لفتة أنيقة أن يكون لدى المرء ملاح جوي يعمل كعبد له. لكنني أشعر في بعض الأحيان أنه مخيف، أعني، أنني أخشى أن يقدم ذلك الفتى على قتلنا جميعًا ونحن نيام... انظري إليه، إنه يبدو متوحشًا أليس كذلك؟".

أخذت رين تتفحص الفتى مليًّا، ولم يبدُ لها متوحشًا أو شريرًا على الإطلاق. كان يماثلها في العمر تقريبًا، وفي ذات الوقت هو أصغر سنًّا بكثير من أن يشارك في المعارك. لا بد وأنها كانت تجربة مريعة له أن يُهزَم ويتم أسره وانتزاعه بعيدًا عن وطنه لينتهي به الحال هنا، واقفًا طوال اليوم يلوح بالمروحة لآل بيني رويال. لا عجب إذن أن يبدو بائسًا إلى هذا الحد.

وللحظات، اعترى رين شعور بالأسف تجاه الفتى، ثم تجاه نفسها إذ تذكرت أن عليها أن تجد وسيلة للفرار من هذا المكان.

على مدار عدة أيام، حازت رين اهتمامًا خاصًا من بيني رويال، حيث كان يدعوها: "معجبتي القادمة من أعماق البحر"، كما أعارها آخر كتبه: "تاريخ الحرب مع العاصفة الخضراء". إلا أنه سرعان ما نسي أمرها، وباتت مجرد واحدة من عبيد زوجته الكثر.

ولم تكن حياة رين قاسية أو معقدة في برايتون، بل كانت بسيطة، إذ كانت تستيقظ كل يوم في تمام السابعة، حيث تتناول طعام الإفطار، ثم تتوجه مع باقي فتيات السيدة بيني رويال إلى غرفة نوم سيدتهم لإيقاظها ومساعدتها في ارتداء ثيابها، ثم . ولمدة ساعة كاملة . يعكفن على تصفيف شعرها الغزير مفرط الطول. وبعد ذلك، خلال ساعات الصباح، وبينما يكون العمدة في مجلس البلدية، تمضي السيدة بوبو الوقت في حمام السباحة في استرخاء، وفي بعض الأحيان خلال فترة ما بعد الظهيرة، حين يعود بيني رويال مترنحًا من إحدى تلك المقابلات التي يدعوها دومًا "غداء عمل"، كانت بوبو تأخذ واحدة من مركبات التلفريك لتهبط إلى برايتون حيث تقوم ببعض الزيارات أو ما شابه، لكنها لا تصطحب معها أي من فتياتها أو وصيفاتها خلال تلك الزيارات، وإنما فقط اثنين من العبيد ليحملوا مشترياتها.

وفي تمام الثامنة مساءً، كان يتم تقديم العشاء، حيث تُفرَد مأدبة عارمة، عامرة بصنوف من الأطعمة، وإليها يجلس العديد من الضيوف، بينما تركض رين والفتيات جيئةً وذهابًا لخدمة الضيوف وتقديم الأطباق المتنوعة من لحم البجع المشوي وشرائح لحوم أسماك القرش وفطائر البحر، والحلويات اللذيذة.

ثم ينتهي العشاء، لتعود السيدة بيني رويال إلى غرفتها ومعها فتياتها ليساعدنها في الاستحمام ثم ارتداء ملابس النوم. وهنا ينتهي يوم الفتيات أخيرًا ويُسمَح لهن بالذهاب إلى أسِرَّتهن في عنبر النوم بالطابق الأرضي.

وقد كان العمل شاقًّا في بعض الأحيان، ولكن في ساعات الفراغ، حينما لا تكون زوجة العمدة في حاجة إلى فتياتها، كانت رين تجد الفرصة لممارسة هوايتها الجديدة المتمثلة في التجول في أنحاء القصر وجنباته بصحبة "سينثيا توايت".

كان قصر بيني رويال عبارة عن تحفة فنية تعج بالكنوز والعجائب، وقد أحبت رين الحدائق المحيطة به ذات الممرات الظليلة والنُزُل الصيفية، والمتاهات المعقدة بين الأشجار، وبساتين أشجار السرو ذات اللون الأخضر المائل للزرقة، ومزارات الآلهة العتيقة.

وفي بعض الأحيان كانت رين تقف عند حافة الحدائق لتتأمل المدينة البيضاء الجميلة المترامية في الأسفل تحت أشعة شمس الخريف الذهبية ومن حولها البحر المتلألئ، بينما أسراب النورس تدور في الأعلى والمناطيد تأتي وتروح. وفي رحاب كل تلك الروعة الأخاذة، بدأت رين تشعر أن ما حدث لها من اختطاف واستعباد على متن تلك المدينة لم يكن بالثمن الباهظ في مقابل رؤية كل هذا الجمال الخلاب والتمتع به.

ولكن مع كر الأيام وتوالي الأسابيع، باتت رين تفتقد أبويها، وكان يتأكد لها يوما بعد يوم أن عليها الفرار بأي شكل من "السحابة التاسعة". ولكن... كيف؟ فما من مناطيد مسموح لها بالهبوط في مرفأها الجوي، ولم تكن ثمة وسيلة للخروج من هنا سوى التلفريك، إلا أن محطته كانت تخضع لحراسة مشددة من قِبَل إحدى الفرق العسكرية ذات السترات الحمراء.

وحتى إن استطاعت بشكل أو بآخر النزول إلى برايتون، فما الجدوى؟ إنها تحمل

ختم شركة شكين، ولو أنها حاولت ركوب أي من المركبات المغادرة من المدينة، فسوف يتم الإمساك بها واعتبارها عبدة هاربة وسيتم تسليمها رأسًا إلى شكين.

ومع مرور الوقت، كانت المسافة تزداد اتساعًا بينها وبين موطنها، حيث كانت برايتون تتجه جنوبًا عبر الساحل الطويل لساحة الصيد، بينما كان عدد من البلدات ذات الطابقين تسير بمحاذاتها على الشاطئ.

وكان الجميع يتحدثون عن مهرجان القمر، وقد انهمكت بوبو في إعداد قوائم المدعوين للحفل في قصر العمدة، بينما راح العمل في مطابخ القصر يجري على قدم وساق على مدار الساعة لإعداد كافة المأكولات والحلويات الفضية والكعكات الدائرية التي تتخذ شكل القمر...

كان اكتمال القمر الأول لفصل الخريف بمثابة حدث مقدس في كافة الأديان الأكثر شعبية، حيث تقام الاحتفالات وتسير المواكب على متن برايتون، وعبر كافة أرجاء العالم يتم إشعال النيران احتفاءً بذلك المهرجان، في المدن المتحركة والثابتة على حد سواء. وفي القارة الميتة كان يتم إشعال النيران كذلك، ولكن في موضع واحد فقط: أنكوراج بفينلاند، حيث يمثل مهرجان القمر الحدث الاجتماعي الأكبر خلال العام.

وراحت رين تتخيل أصدقاءها إذ يكدسون قطع الأخشاب والأثاث المحطم في المرج الكائن خلف المدينة، بينما يتساءلون عن مكان تواجدها وما إذا كانت في أمان أم لا. ولكم تمنت لو تكون معهم، وقد أخذها العجب من نفسها، وتكاد لا تصدق أنها كانت ترى حياتهم مملة خاملة، وأنها كانت تتجادل إلى هذا الحد مع والدتها.

وفي كل ليلة، ما إن تستلقي فوق سريرها في سكن العبيد، كانت رين تلف ذراعيها حول جسدها وتغني لنفسها همسًا تلك الأغنيات التي اعتادت أن تغنيها حينما كانت طفلة، وتتخيل صرير الحبال الضخمة التي تربط طبقة "السحابة التاسعة" ببالوناتها الغازية وكأنه صوت الأمواج وهي تداعب شواطئ فينلاند.

وفي خضم كل ذلك، نسيت رين نابيسكو شكين، والحق أن الرجل كذلك كان قد نساها تقريبًا. وفي بعض الأحيان، حينما كان يتنقل لأداء بعض مهامه وإجراء مقابلاته العديدة، كانت تحين منه التفاتة ناحية" السحابة التاسعة"، فيتذكرها،

ويتخيل في استمتاع الانتقام الذي سينزله بتلك الفتاة التي خدعته، إلا أن خططه بصدد التوجه إلى فينلاند واستعباد أهلها كانت لا تزال في مراحلها المبكرة، كما كان لديه الكثير من الأعمال التي كان عليه أداؤها، منها على سبيل المثال تلك الرسالة المثيرة التي تلقاها اليوم من رجل يدعى "بلوفري"...

هبط شكين إلى حيث الطابق المتوسط من "وعاء الفلفل "ثم خرج من باب جانبي إلى حيث شوارع "اللينز" الضيقة المضاءة بمصابيح الأرجون المتذبذبة وأشعة الشمس المتسللة عبر الفتحات والمناور في ألواح الطبقة العلوية ؛ حيث المتسولون واللصوص والمشاغبون في كل مكان، لكن شكين كان قادرًا على التحرك في مثل تلك الأماكن دون حراسة، فحتى أكثر الناس حماقة وتهورًا في تلك الطبقات كان يعرف جيدًا ما قد يحدث لأي شخص يجرؤ على مس نابيسكو شكين.

وهكذا اتخذ شكين طريقه بينما الناس ينتحون جانبًا ويتنحون عن طريقه ثم يلتفتون نحوه فيما هو يمر عبرهم. وحتى مروجي المخدرات الغافلين وفتيات الليل كانوا سرعان ما يبتعدون عنه بمجرد أن يرمقهم بنظراته النارية. فقط كان متسول واحد بائس ومعه كلبه، من تجرأ ودنا من شكين متوسلًا:

"بضعة دلافين يا سيدي، فقط لأبتاع بعض الطعام".

"كُل الكلب إذن"، هكذا كان رد شكين، ثم إنه قام بتدوين ملاحظة في مفكرته كي يتذكر إرسال فرقة من فرق الخطف الخاصة به إلى هذه المنطقة بمجرد انتهاء مهرجان القمر، وفي ذهنه قرر أن يسدي معروفًا لمدينته بأن يخلصها من هؤلاء الحثالة الذين يملأون الشوارع، ولسوف يجلبون له ربحًا لا بأس به عند بيعهم في أسواق الخريف.

ثم إنه انعطف إلى زقاق ضيق خلف كشك لبيع السمك المقلي، وقد وضع منديلًا على أنفه وفمه اتقاءً لرائحة البول والعفن التي تفعم الزقاق.

وفي نهاية الزقاق، كان متجر ذو نوافذ متسخة تعرض أكوام من الخردة والتقنيات القديمة، ومن فوقها كانت لافتة باهتة تقول إن هذا المكان هو "محل بلوفري"، فتوجه شكين نحو الباب وفتحه، فجلجل جرس مُعَلَّقٌ في الأعلى معلنًا دخوله، فهرع تاجر التحف من غرفة خلفية ليقابل الوافد.

"أنت أرسلت في طلب مقابلتي؟".

"نعم، نعم يا سيدي.."، قالها بلوفري وهو ينحني مبتسمًا.

كان بلوفري قد استبد به الغضب من قرار بيني رويال بإتمام صفقة بيع كتاب الصفيح دون إشراكه بها، وقد اتخذ تاجر التحف بدوره قرارًا بأن يعقد صفقته الخاصة في هذا الصدد مع رجل ثري آخر. وهكذا وضع رسالته في صندوق الرسائل الخاص بشكين قبل ساعة واحدة فقط؛ وقد فوجئ حين وجد شكين واقفًا أمامه بهذه السرعة.

راح تاجر التحف، بشيء من التوتر، يروي لتاجر العبيد كل ما عرفه عن كتاب الصفيح...

"عسكري إذن؟"، قالها شكين، كما قالها بيني رويال من قبل، "... سلاح قديم؟".

"مجرد شفرة رمزية يا سيدي..."، أجابه بلوفري مُصحِّحًا، "ولكن ربما كان في مقدور شخص ما أن يفك تلك الشفرة ويتمكن من إعادة بناء الآلة التي وُضِعت لها تلك الرموز. إن ذلك قد يساوي ثروة يا سيدي. وقد أخبرني بيني رويال أنه حصل على ذلك الكتاب منك، بل قال نصًّا: لقد تمكنتُ من خداع شكين والحصول على الكتاب منه مجانًا. أرجو المعذرة على هذا يا سيدي... حسنا لقد اعتقدتُ أنك قد تهتم بالأمر".

"لقد اتخذت ترتيباتي بالفعل للرد على جلالته بصدد هذا"، قالها شكين، وكان منزعجًا بشدة بسبب معرفة ذلك الحقير الماثل أمامه كيف أن بيني رويال قد خدعه. لكن ما رواه له الرجل بصدد أهمية الكتاب قد أثار اهتمامه كثيرًا.

"هل تمكنت من عمل نسخة من الكتاب؟".

"لا يا سيدي، فبيني رويال لا يسمح أبدًا بأن يغيب الكتاب عن ناظريه. لقد وضعه بخزنته الخاصة في مكتبه بالقصر. ولكن لو أنني وجدتُ مشتريًا للكتاب، فربما يتسنى لي حينها أن أجد طريقة لأضع يدي عليه، فأنا دائم التردد على القصر يا سيدي".

راح شكين يفكر وقد رفع حاجبًا... صحيح أن أمر الكتاب قد أثار اهتمامه، ولكن ليس للدرجة التي تدفعه للتضحية بثروة من المال من أجل الحصول عليه...

“ولكنني تاجر عبيد وليس تقنيات قديمة”.

“صحيح يا سيدي، ولكن ماذا إن تمكن أحدهم من تحويل تلك الشفرة لسلاح من أسلحة الزمن القديم؟ ربما كان ذلك من شأنه أن يُحدِث توازنًا في القوى مما يفضي في النهاية لإنهاء الحرب؛ والحرب كما تعلم، مفيدة وضرورية لازدهار الأعمال، أليس كذلك؟”.

وقف شكين يتفكر في كلام الرجل للحظة، ثم أومأ موافقًا، وقال:

“حسنٌ للغاية، إن هذا الشيء ملكي من الأساس على أي حال، فكما تعلم: من يجد شيئًا يحتفظ به. ولا أريد لبيني رويال أن يتربح منه. أحسب أنك تعرف الأرقام السرية لخزنته؟”.

“اثنين اثنين، صفر تسع، تسع خمس سبع... الثاني والعشرون من سبتمبر عام تسعمائة وسبعة وخمسون. إنه تاريخ ميلاد جلالته”.

فابتسم شكين وقال:

“حسنٌ للغاية يا بلوفري، اجلب لي كتاب الصفيح”.

***

"21"

رحلة طائر النورس

في عصر ذلك اليوم، وكان وقت الغداء قد انتهى ولم تبدأ بعد الإعدادات للعشاء، خرجت رين إلى حديقة المطبخ ومنها إلى المنطقة خلف القصر لتشاهد فرقة "النمس الطائر" وهي تقلع للقيام بدوريتها.

وكانت تلك القوات قد أنشأت لنفسها قاعدة إقلاع مؤقتة في جزء غير مستخدم بالحدائق الكائنة خلف القصر. وبمرور الوقت كانت رين قد تمكنت من التعرف على غالبية تلك الآلات الغريبة، بل وبات في مقدورها تمييزها بمجرد النظر بينما تخرج من مستودعاتها الواحدة تلو الأخرى: البهلوان الطائر... البسكويت الجاف... ترس الجي إم دبليو... إلخ.

وكان الطاقم الأرضي قد انتهى من إعدادها جميعًا للإقلاع، ودفعها إلى حيث حافة المرفأ، فيما راح الملاحون يشغلون محركاتهم، آملين أن تكون الرياح مواتية لأجنحتهم لتمكنهم من الارتفاع عاليًا قبل أن يسقطوا في البحر.

وقفت رين تطالع المشهد عند أطراف الحدائق، بينما راحت الآلة تلو الأخرى تنطلق نحو المدينة فوق أسطح المباني، وقد أخذت تقوم ببعض الحركات البهلوانية في الهواء، مطلقةً أدخنة خضراء وأرجوانية. كانت رين تستمتع بهذا المشهد أيما استمتاع في السابق، أما اليوم فقد جعلها تشعر بمزيد من الحنين لموطنها وأبويها، ربما أكثر من أي يوم مضى عليها منذ غادرتهما، ولكم تمنت أن تتاح لها الفرصة لتعود إلى أنكوراج وتقص على أبيها ما رأته من تلك الآلات الطائرة.

ومن خلف ذلك المطار، كانت هناك كومة من النحاس ذات أشكال حيتان، محاطة بمجموعة من أشجار السرو، وكانت رين قد لمحت تلك الكومة من قبل من على بُعد، لكنها لم تكلف نفسها عناء الاقتراب وإلقاء نظرة فاحصة عليها، وقد افترضت أنها ليست سوى واحدة من تلك المنحوتات المتناثرة عبر مروج وحدائق "السحابة التاسعة"، والتي اشتراها بيني رويال إرضاءً لأنصاره في حي الفنانين.

لكنها قررت اليوم، حيث لم يكن لديها مهام لتؤديها، أن تقترب لتتفحص تلك

المنحوتة عن قرب. وما إن دنت قليلًا منه حتى تَكَشَّف لها أنها ليست بمنحوتة معدنية، بل هي عبارة عن مبنى! مبنى ذي أبواب ضخمة مقوسة، محاط برصيف معدني على شكل مروحة. وكانت منحنيات جدرانه وسقفه مزينة بنتوءات زخرفية جعلته يبدو من بعيد أشبه ما يكون بسمكة منتفخة عملاقة تسبح فوق العشب.

وكان للمبنى سلم خارجي طويل يقود نحو الأعلى، فصعدت رين عبره لتلقي نظرة على ما في داخله عبر نافذة عالية. وفي الداخل كان يخت جوي أنيق للغاية مستقر هناك، وقد بلغ من الفخامة والأناقة والجمال أنه حتى رين . التي لا تفقه شيئا عن المناطيد . كانت على يقين من أنه قيِّم باهظ الثمن.

"إنه ال يويت".

جاءها الصوت من خلفها فأجفلت والتفتت بسرعة لتجد سينثيا تقف أسفل الدَّرَج.

"لقد بحثتُ عنكِ في كل مكان يا رين..."، أضافت الفتاة، "أنا ذاهبة لمحراب آلهة القصر، ينبغي أن أقدم بعض الأضحيات لآلهة الجمال لتساعدني في خسارة بعض الوزن قبل حلول مهرجان القمر. وأنتِ يا رين، تعالي معي وتضرعي إليها علّها تخلصكِ من ذلك النمش المتناثر على وجهِك".

إلا أن اليخت الذي رأته قد استحوذ على اهتمامها مما لم يدعْ مجالًا للنمش أو لغيره في تلك اللحظة، فالتفتت من جديد نحو النافذة وهي تتساءل:

"ال "بيويت"؟ أهو لبيني رويال؟".

"بالطبع..."، أجابتها سينثيا وهي تعتلي الدرجات حتى منتصف الدَّرج،"... إنه من طراز "سيرابيس IV موون شادو". إنه مذهل، لكن العمدة لا يستخدمه أبدًا، وإنما يبقيه دائمًا في مستودعه نظيفًا لامعًا مزودًا بالغاز اللازم للإقلاع. أما المرة الوحيدة التي تم استخدامه فكانت حينما سافرت بوبو للتسوق على متن مدينة أخرى".

"أولن يستخدمه العمدة في احتفالات مهرجان القمر؟"، سألتها رين.

"أوه، لا، فلديه منطاد يرسو دائمًا في برايتون بالأسفل، وسوف يحلق به خلال الاحتفال بصحبة أورلا تومبلي كمساعد له. سيقود بيني رويال استعراض المناطيد الجوية الاحتفالية بنفسه، وستشارك بها مجموعة من المناطيد الجوية، كما سيتم

عرض معركة جوية بصواريخ حقيقية، تمامًا كتلك التي وردت في كتب بيني رويال. الحق أن البروفيسور قد خاض أكثر المغامرات إثارة عبر مسارات الطيور، إنكِ لن تدركي مدى روعتها حتى تريها رؤي العين".

ألقت رين نظرة أخرى على اليخت، وقد تذكرت المنطاد الذي سرقه بيني رويال من أبويها منذ سنوات طوال، وراحت تفكر... ماذا إن استطاعت التسلل في جوف الليل إلى هنا والدخول إلى مستودع ذلك اليخت الفاخر والإقلاع به؟ أولن تكون تلك عدالة شعرية بشكل أو بآخر؟!

أخذت رين تقلِّب الأمر في ذهنها وقد بدأ نبض من أمل يخفق في أعماقها، وراح خفقانه يعلو بها نحو سماوات الخلاص، بينما سينثيا تأخذها من يدها وتتجه بها نحو محراب العبيد والخدم خلف المطابخ. وبالكاد كانت تنصت للأحاديث المرحة لصديقتها حول التجميل وتصفيفات الشعر، فقد كانت في مخيلتها تحلق بعيدًا على متن الـ "بيويت"، وتقطع المسافات عبر التلال الميتة، ومن أسفلها تمتد بحيرات فينلاند متلألئة باللون الأزرق، فيما يهرع والداها لاستقبالها بينما تحط على الأرض بين جنبات أنكوراج.

ولكن... كانت هناك مشكلة وحيدة تقف أمام رين، ألا وهي أنها لا تجيد الطيران بل ولا تملك أدنى فكرة عنه أو عن قيادة يخت من طراز "سيرابيس IV موون شادو" أو غيره! لكنها تعرف شخصًا يجيده.

لم تكن بوبو بيني رويال تفضل أن يختلط عبيدها من الذكور والإناث معًا. ففي الأعمال الأوبرالية التي تعشقها كان الشباب الذين تجمعهم ظروف مأساوية يقعون في حب بعضهم البعض، لينتهي بهم الحال نهاية حزينة، فيلقون بأنفسهم إلى الهاوية، غالبًا من فوق المنحدرات، ولكن في بعض الأحيان كذلك من فوق الأسوار أو الأسطح أو من على حافة بركان.

وكانت بوبو مغرمة بعبيدها حقًّا، وكان من المؤلم لها أن تتخيلهم يلقون بأنفسهم من فوق حافة "السحابة التاسعة"، ولهذا عمدت إلى وأد كافة علاقات الحب "المأساوية" بينهم في مهدها بأن حظرت على فتياتها وفتيانها التحدث إلى بعضهم.

ومع ذلك، فالشباب هم الشباب في كل مكان، لا بد وأن يقعوا في الحب. وهكذا

كانت بعض من فتيات بوبو يقعن أحيانًا في حب فتيات أخريات، وكذلك فتيانها كانوا يغرمون بأقرانهم من فتيان القصر. ولكن نظرًا لكون ذلك النوع من الحب لم يرد في أي من الأوبرات المحببة إلى بوبو، لذا فلم تلحظ شيئًا بصدده.

أما باقي الفتيات والفتيان فكثير منهم كان يتمرد على قواعدها، ومن وقت لآخر كانوا يتسللون إلى مَخادع بعضهم، وهو ما كان يؤلم بوبو كثيرًا.

أما "ثيو نجوني" فلم يكن من بين هؤلاء الذين يثيرون المتاعب ويسببون لها الحزن، ولم تكن تقلق بصدده على الإطلاق، فهو لا يُحَدِّث أي شخص أيًا كان. ومع ذلك كانت رين مصممة على التحدث إليه بأي شكل، وقد وجدت فرصتها أخيرًا بعد بضعة أيام من اكتشافها لمستودع اليخت الطائر الخاص ببيني رويال...

كانت بوبو قد هبطت إلى برايتون، بينما كلف بيني رويال كلًّا من رين وسينثيا بمهمة حمل المناشف الخاصة به وقد قرر قضاء بعض الوقت في المسبح.

ولحسن الحظ كان ثيو حاضرًا في الخدمة، حيث وقف إلى جانب حوض السباحة حاملًا نظارات السباحة الاحتياطية الخاصة بالعمدة فوق طبق من الفضة، فيما غفا بيني رويال فوق سريره الهوائي العائم.

اقتربت رين من زميلها العبد رويدًا، ثم قالت بصوت هامس: "مرحبًا".

فنظر لها الفتى بطرف عينه ولم يرد، فصمتت رين بدورها وأخذت تفكر في الخطوة التالية. إنها المرة الأولى التي يتسنى لها فيها أن تكون على مقربة من ثيو، وقد وجدته شابًا شديد الوسامة، فارع الطول إلى الحد الذي جعلها تشعر بأنها صغيرة بجانبه.

"أنا رين"، قالتها همسًا، في محاولة أخرى لتجاذب أطراف الحديث معه، فنظر الفتى بعيدًا عبر الحدائق والبحر الأزرق نحو الأفق البعيد، الذي علمت رين أنه أفريقيا.

ربما كان يشعر بالحنين إلى موطنه... هكذا فكرت رين، فقالت:

"أهذا هو موطنك الذي جئت منه؟".

فهز ثيو رأسه ثم قال أخيرًا:

"موطني هو "زاجوا"، مدينة ساكنة بين الجبال تقع بعيدًا نحو الجنوب".

"آه..."، قالتها رين في نبرة مشجعة، "... أهي جميلة؟".

إلا أن الفتى صمت من جديد ولم يجبها، لكنها كانت مصممة على استمرار تلك المحادثة، فأضافت:

"لم أكن أعلم أن العاصفة الخضراء لديها قواعد في أفريقيا، فالكتاب الذي أعارني إياه بروفيسور بيني رويال يقول إن المدن الأفريقية الساكنة لم توافق على الحرب".

"هم كذلك بالفعل..."، أجابها ثيو وقد التفت لينظر نحوها نظرة باردة، "... لقد هربتُ من عائلتي وسافرتُ إلى "شان جو" للانضمام إلى جناح الشباب في العاصفة الخضراء. حسبتُ أنه سيكون فعلًا مجيدًا أن أشارك في الحرب ضد المدن الهمجية وإزالتها من على وجه الأرض".

"آه، نعم... أنا نفسي مناهضة للتحرك كما تعلم"، هتفت رين مؤيدة إياه، فرمقها ثيو، ثم قال:

"كنت أظن أنك من جماعة الصبية المفقودين، من ذلك المكان تحت البحر".

"آه، نعم، أنا كذلك..."، قالتها رين بسرعة وقد انزعجت لسهوها هذا، ثم أضافت، "... لكن جريم سباي ليست مدينة متحركة، وهو ما جعلني أكره تحرك المدن... هل شاركت في العديد من المعارك؟".

"واحدة فقط"، أجابها ثيو وهو ينظر بعيدًا مرة أخرى.

"تم أسرك في معركتك الأولى؟ يا له من حظ سيئ"، قالتها رين في لهجة حاولت أن تكون متعاطفة، لكنها كانت قد بدأت تفقد صبرها سريعًا مع هذا الفتى المتجهم الكئيب. ربما كان كل ما سمعته عن العاصفة الخضراء وجودها صحيحًا، ربما هم فعلًا مجموعة من المتعصبين الذين تم غسل عقولهم تمامًا. ومع ذلك كانت رين واثقة من شيء واحد، وهو أنه ولا بد يتوق للرحيل عن هنا، مثلها تمامًا، وقد ارتأت أنه من المستبعد أن يشي بها أو يخونها لصالح أهل هذه المدينة المتحركة الذين يكرههم، لذا فقد عقدت العزم على أن تستغل الفرصة وتعرض عليه خطتها.

راحت رين تتلفت حولها في حذر، ووجدت أن بيني رويال لا يزال نائمًا، وكذلك

باقي العبيد كانوا إما غافين أو يتهامسون مع بعضهم على الجانب الآخر البعيد من المسبح. أما سينثيا، التي كانت الأقرب إليها في المسافة، فقد وقفت تتأمل أظافرها المطلية حديثًا بتركيز عميق.

دنت رين أكثر نحو ثيو، وهمست:

"أنا أعرف وسيلة يمكننا الهروب بها من هنا".

لم يقل ثيو شيئًا، لكن كلامها قد أثار انتباهه وقد تخشب في وقفته نوعًا في تحفز، فارتأت رين أن هذه إشارة مشجعة.

"أعرف من أين يمكننا الحصول على منطاد... لقد أخبرتني سينثيا توايت أنك كنت ملاحًا جويًا".

هنا ابتسم ثيو وقال:

"سينثيا توايت فتاة حمقاء لا تفقه شيئًا البتة".

"صحيح، ولكن طالما أنك تستطيع قيادة منطاد...".

"أنا لم أكن قائد مناطيد، كنت أقود أقداحًا".

"ماذا؟ وماذا تكون تلك؟ أهي مثل المناطيد؟ أعني، لو أنك تجيد القواعد الأساسية للملاحة الجوية فـ...".

لكن ثيو التزم الصمت من جديد وضيق عينيه وراح يتطلع نحو الأفق. فهمست رين وقد نفد صبرها:

"هلم، أتريد أن تبقى عبدًا لبيني رويال؟ ألا ترغب في الفرار من هنا؟ لقد ظننت أنك تتحرق شوقًا للعودة إلى العاصفة الخضراء...".

"أنا لن أعود إلى العاصفة الخضراء مرة أخرى أبدًا..."، قالها ثيو على حين غرة بغضب، حتى أنه كاد يُسقِط نظارة العمدة وهو يلتفت نحوها "... كذب، حربهم العظيمة وشعارهم "العالم أخضر من جديد"، كله كذب، لقد كان والدي على حق، كل ذلك كذب!".

"آه!"، قالت رين، "... حسنًا، ماذا عن موطنك؟ لا بد أنك ترغب في العودة إلى

"زاجوا"...".

أخذ ثيو يحدق إلى الأفق، لكن هذه المرة لم يكن يرى البحر ولا السماء ولا الشاطئ البعيد، وإنما ـ من موضعه هذا، تحت السماء الساطعة "للسحابة التاسعة" ـ كان يرى تلك المعركة الأخيرة اليائسة التي تم أسره بها، بعيدًا فوق "راست ووتر"، وضوء طلقات البنادق والصواريخ والمركبات المحترقة ينعكس فوق الماء من تحته إذ يسقط. وبينما كانت الضاحية المنكوبة تطلق نداءات الاستغاثة، كانت أصوات رفاقه المبتهجة تصيح في السماعات المثبتة حول رأسه: "العالم أخضر من جديد" و" الموت لاتحاد مدن الجر الألماني".

لقد حسب أن تلك ستكون آخر أصوات يسمعها في حياته، لكن ها هو ذا هنا الآن على متن برايتون، منذ عدة أشهر، وعلى بُعد نصف العالم من موطنه، لا يزال حيًّا. لقد أبقت عليه آلهة الحرب ليجد نفسه واقفًا بجانب هذا المسبح، تحدثه تلك الفتاة الغبية البيضاء النحيلة التي تحسب نفسها شديدة الذكاء...

"لا يمكنني العودة إلى الوطن أبدًا..."، قال ثيو، "... ألم تسمعي ما قلت؟ لقد عصيت أبي وفررت من أسرتي، لا يمكنني العودة إلى هناك".

فهزت رين كتفيها وقالت:

"حسنًا، أنت حر".

ثم ابتعدت عنه قبل أن يستيقظ بيني رويال ويراهما يتحدثان إلى بعضهما. وكانت قد عقدت العزم على أن تثبت لثيو نجوني أنها قادرة على سرقة يخت العمدة بمفردها والعودة به إلى فينلاند بنفسها؛ إنه ليس سوى منطاد سخيف ولن تجد صعوبة في قيادته.

هبط الغسق على برايتون، وعلى طول المتنزهات عند حواف طبقات المدينة الثلاث، امتدت سلاسل من المصابيح الملونة المضاءة، بينما راحت الأنوار تومض وتتلألأ في كل مكان. كما تم وضع مصابيح قوية فوق عجلة الفنار الدوار المثبت بالقرب من مقدمة المدينة، والذي يمثل مزارًا سياحيًّا وكذلك منارة توجيه للمناطيد التي تأتي في رحلات ليلية إلى برايتون.

وكانت المدينة في تلك الأثناء تبحر باتجاه الشرق، لا يفصلها سوى وقت بسيط عن دخول المضيق الذي يفصل أفريقيا عن ساحة الصيد الكبرى، لتتجه منه نحو البحر الأوسط.

وكان رجال الأعمال في برايتون يأملون في أن يأتي المزيد من الزوار مع حلول مهرجان القمر، خاصة أنه لا بد وأن خبر الحملة التي شنتها المدينة ضد الصبية المفقودين قد انتشر الآن عبر مسارات الطيور، مما سيضفي مزيد من الزخم على احتفالات المهرجان، خصوصا مع عرض تلك المجموعة من المركبات التي تم أسرها.

وبالفعل بدأ عدد من الزوار يتوافدون من البلدات الصغيرة التي يمكن رؤية أضوائها على الشاطئ.

ومن فوق البالونات التي راحت تأتي وتغادر المدينة، امتدت ظلال المساء وتخللت بساتين أشجار السرو في "السحابة التاسعة"، فيما جعلت المصابيح الملونة قصر العمدة يتألق بالألوان الأرجوانية والذهبية.

وقد راحت بضعة مناطيد تحلق من برايتون نحو الأعلى في رحلة مسائية للاستمتاع، فيما كانت أصوات طياريها تصل خافتة عبر مكبرات الصوت إلى "السحابة التاسعة"، إلا أن الترتيبات الأمنية الجديدة قد حظرت على تلك المناطيد الاقتراب أكثر من ذلك.

ولم يلحظ أي من السائحين على متن تلك المناطيد هذه النافذة الصغيرة في إحدى قباب القصر إذ تنفتح ليخرج منها ذلك الطائر ويحلق عبر شبكة الحبال السميكة، لينضم إلى سرب النوارس المحلق في السماء.

على الرغم من أنه كان أبيض اللون مثل طيور النورس، ويطير مثلها، إلا أن ذلك الطائر لم يكن نورس، أو بالأحرى لم يعد كذلك، فقد استبدِل منقاره بشفرات حادة، بينما كان ضوء أخضر براق يتوهج في موضع العينين.

ارتفع الطائر عبر سرب الطيور التي تدور حول المدينة، ثم ابتعد ليختفي. ولأيام وأيام، بلا كلل، ظل الطائر محلقًا يقطع المسافات عبر إيطاليا، وفوق البراكين الثائرة في آسيا الصغرى... إلى أن بلغ القاعدة الجوية للعاصفة الخضراء في جبال "زيجانا سترا"، فهبط أخيرًا لتلتقطه قائدة القاعدة وتأخذ الورقة التي تم وضعها في فجوة

داخل صدره.

أطلقت القائدة سبة في قرارتها حين قرأت الاسم الذي تم توجيه الرسالة المشفرة إليه، ثم استدعت الجراح الميكانيكي، الذي كان نائمًا حينها، ليعيد شحن خلايا الطائر من جديد.

وهكذا، عاد الطائر إلى السماء يحلق مرة أخرى متخذًا طريقه عبر سحب الدخان فوق منطقة "راست ووتر"، حيث المدفعيات تهدر كالعواصف، بينما راحت عدد من مدن الجر العارمة تزحف باتجاه الشرق في محاولة منها لتفادي هجمات العاصفة الخضراء.

وبعد رحلة طويلة تعرض خلالها للعديد من المناطيد، وشظايا الانفجارات، سلك الطائر طريقه مع اتجاه الريح نحو الشرق، ثم ارتفع للأعلى فوق المعارك الدائرة رحاها، وحلَّق نحو الجبال البيضاء عند أطراف العالم.

كانت السماء تزداد برودة، وقد صارت الأرض أكثر ارتفاعًا، وراح الطائر يشق طريقه عبر الأفق الأبيض الساكن، بينما الأسفل يصطخب بحركة قوات العاصفة الخضراء.

وأخيرًا، في ليلة ثلجية تضيئها النجوم، وبعد أسبوع من مغادرته برايتون، وصل الطائر إلى وجهته، ليحط على حافة نافذة في "جيد باجودا"، ثم دق بمنقاره على اللوح الزجاجي.

انفتحت النافذة، ومدت المطارد فانج يديها لتمسك الطائر برفق بين كفيها الفولاذيين ثم فتحت صدره. كانت الرسالة التي تلقتها قد كتبها شخص تحت اسم "العميل 28". توهجت عيناها الخضراوان قليلًا، ثم مزقت الرسالة إلى قطع صغيرة وأرسلت في طلب الجنرال "ناجا"، قائد كتيبة النخبة الجوية.

"أعدوا وحدة هجوم"، قالتها فانج آمرة إياه، "وأعدوا منطادي للمعركة. سوف نتوجه إلى برايتون مع حلول الفجر".

***

"22"

جريمة قتل في "السحابة التاسعة"

أواخر أكتوبر... في موطنها بفينلاند، تمسي الأعشاب بيضاء يابسة في ذلك الوقت من العام بفعل الصقيع طوال الليل وحتى منتصف الصباح، بينما يغطي الضباب البحيرة، وربما تتساقط الثلوج كذلك.

أما هنا، في البحر الأوسط، حيث تبحر برايتون وعلى متنها رين أسيرة، بعيدة عن موطنها، فكان الطقس يبدو وكأنه لا يزال صيفًا، حيث الدفء يبسط حرارته على الأجواء، أما السحب القليلة الموجودة فكانت عبارة عن قطع بيضاء صغيرة رقيقة في السماء، بدت وكأنها قد تم وضعها هناك للزينة.

كانت برايتون تبحر ببطء على طول الشاطئ الجنوبي لساحة الصيد العظمى على مدار عدة أسابيع. ثم، ومع اقتراب مهرجان القمر، توجهت المدينة جنوبًا إلى حيث وجهتها المنشودة.

توجهت بوبو مع خادماتها إلى إحدى شرفات المتابعة على حافة "السحابة التاسعة" لتطالع المشهد حيث أصبحت اليابسة على مرمى البصر أخيرًا...

"انظرن يا فتيات، انظرن!"، راحت بوبو تصيح في سعادة وهي تشير بطريقة مسرحية نحو خط الساحل، "... أفريقيا".

وكانت رين تقف إلى جوار زوجة العمدة حاملة مظلة ضخمة، وتحاول أن ترسم على وجهها أمارات الإعجاب، إلا أن الأمر كان صعبًا، حيث لم تستطع أن ترى شيئًا سوى جرف منخفض مائل لونه للحمرة، يبرز من أرض بلون البسكويت، ومن خلفه انتصب جبلان تغلفهما سحب الضباب.

وكانت رين تعرف من خلال ما تعلمته من الآنسة فريا، وكذلك من المعلومات التي أخبرها بها أبوها، أن أفريقيا كانت مهد الجنس البشري، وملاذه كذلك خلال قرون الظلام عقب حرب الستين دقيقة، إلا أن الحضارات التي ازدهرت على تلك الشواطئ لم تترك أثرًا، أو ربما يكونوا قد تركوا بعض الآثار ثم جاءت بلدات جامعي المخلفات الجائعة فأتت عليها بالكامل منذ زمن بعيد.

"22"

جريمة قتل في "السحابة التاسعة"

أواخر أكتوبر... في موطنها بفينلاند، تمسي الأعشاب بيضاء يابسة في ذلك الوقت من العام بفعل الصقيع طوال الليل وحتى منتصف الصباح، بينما يغطي الضباب البحيرة، وربما تتساقط الثلوج كذلك.

أما هنا، في البحر الأوسط، حيث تبحر برايتون وعلى متنها رين أسيرة، بعيدة عن موطنها، فكان الطقس يبدو وكأنه لا يزال صيفًا، حيث الدفء يبسط حرارته على الأجواء، أما السحب القليلة الموجودة فكانت عبارة عن قطع بيضاء صغيرة رقيقة في السماء، بدت وكأنها قد تم وضعها هناك للزينة.

كانت برايتون تبحر ببطء على طول الشاطئ الجنوبي لساحة الصيد العظمى على مدار عدة أسابيع. ثم، ومع اقتراب مهرجان القمر، توجهت المدينة جنوبًا إلى حيث وجهتها المنشودة.

توجهت بوبو مع خادماتها إلى إحدى شرفات المتابعة على حافة "السحابة التاسعة" لتطالع المشهد حيث أصبحت اليابسة على مرمى البصر أخيرًا...

"انظرن يا فتيات، انظرن!"، راحت بوبو تصيح في سعادة وهي تشير بطريقة مسرحية نحو خط الساحل، "... أفريقيا".

وكانت رين تقف إلى جوار زوجة العمدة حاملة مظلة ضخمة، وتحاول أن ترسم على وجهها أمارات الإعجاب، إلا أن الأمر كان صعبًا، حيث لم تستطع أن ترى شيئًا سوى جرف منخفض مائل لونه للحمرة، يبرز من أرض بلون البسكويت، ومن خلفه انتصب جبلان تغلفهما سحب الضباب.

وكانت رين تعرف من خلال ما تعلمته من الآنسة فريا، وكذلك من المعلومات التي أخبرها بها أبوها، أن أفريقيا كانت مهد الجنس البشري، وملاذه كذلك خلال قرون الظلام عقب حرب الستين دقيقة، إلا أن الحضارات التي ازدهرت على تلك الشواطئ لم تترك أثرًا، أو ربما يكونوا قد تركوا بعض الآثار ثم جاءت بلدات جامعي المخلفات الجائعة فأتت عليها بالكامل منذ زمن بعيد.

وقد ظهرت واحدة من تلك البلدات على مرمى البصر بعد فترة وجيزة؛ بلدة صغيرة هي، مكونة من ثلاث طبقات، تسير فوق الرمال على عجلات واسعة شبيهة بالبراميل، مخلفة وراءها دوامة من الغبار الأحمر.

كانت رين تنظر نحو المشهد الممتد أمامها دون اهتمام كبير، وقد تذكرت كيف أنها في أحد الأيام، كان ذلك منذ أسبوعين لا أكثر، قد تركت عملها في مهام تصفيف شعر السيدة بيني رويال، وركضت نحو إحدى النوافذ لتتطلع في دهشة إلى إحدى البلدات الصغيرة إذ كانت تتجه نحو الشاطئ.

ومنذ ذلك الحين وهي تشاهد العديد والعديد من البلدات، بل وبعض المدن الصغيرة كذلك، حتى بات الأمر اعتياديًّا ولم يعد يثير فيها أي دهشة أو اهتمام، كما أنها اكتشفت أن كل ما رأته لا يشابه بأي حال الأمور المذهلة التي كانت تتخيل . وهي بعد في موطنها . أنها قد تراها لو أنها غادرت حدود فينلاند.

ثم إنها ألقت نظرة أخرى نحو البلدة، وتذكرت كم كانت ساذجة في ذلك اليوم حين رأت برايتون لأول مرة عبر منظار الأوتوليكوس وحسبتها جزيرة.

ومع اقتراب برايتون نحو الشاطئ، تبين لرين أن الجبال البعيدة التي رأتها منذ قليل ليست ببعيدة كما حسبتها، بل وليست بجبال أصلًا! وإنما هي عبارة عن مدينتين متحركتين ضخمتين لدرجة أن عقل رين لم يستوعب للوهلة الأولى ما تراه عيناها.

كانت تلك المدن تتخذ طريقها باتجاه البحر، عبر الغبار وسحب أدخنة العادم؛ ومع اقترابها استطاعت رين تمييز معالمها، حيث كانت كل منهما ذات تسع طبقات وعدد من المداخن والأبراج.

"تلك التي على اليسار هي مدينة "كوم أمبو"..."، قالتها زوجة العمدة، "... أما الأخرى فهي "بنغازي". لقد اتفق العمدة على الالتقاء بهما هنا كي يتمكن أهل المدينتين من الاستمتاع بمباهج برايتون خلال مهرجان القمر. إنهما عبارة عن مدينتي صيد صحراويتين قفرتين، وبالتالي لكم أن تتخيلن كم سيستمتعون بالأطعمة اللذيذة والترفيه والسباحة هنا على متن برايتون".

بالنسبة لرين، بدت لها تلك المدن في البداية شبيهة بالصور التي كانت تطالعها وهي صغيرة في كتاب "دليل الأطفال للقوانين الداروينية البلدية". ومع اقترابهما أكثر

فأكثر، بدأت تميز الاختلافات بين الواقع والصور، فالمدينتين كانتا مصفحتين تمامًا، وكانت المباني المكشوفة على حافة كل طبقة محمية بألواح فولاذية وشبكات مضادة للصواريخ.

وكانت اليابسة حول عجلاتهما الضخمة مترعة بالبلدات والضواحي الصغيرة، ومع ذلك لم تحاول أي منهما التهام تلك البلدات، وهو ما أثار اندهاش رين كثيرًا، فأبدت ملاحظة حوله، إلا أن زوجة العمدة قد فسرت لها السبب وراء ذلك:

"مهرجان القمر هو توقيت مقدس، بحيث يحظر . وفقًا للأعراف . على أي مدينة مهاجمة الأخرى".

"آها"، أومأت رين، وقد اعتراها شعور بالإحباط، فقد كانت تمني نفسها بمشاهدة واحدة من تلك المطاردات وعمليات الافتراس القديمة التي قرأت عنها.

"بالطبع..."، استطردت بوبو، "... مع استمرار الحروب وندرة الفرائس، فإن بعض رؤساء المدن لا يلتزمون كثيرًا بالأعراف والتقاليد هذه الأيام، ولكن إذا حاولت إحدى هذه المدن التي أمامنا أن تلتهم الأخرى فسوف تتدخل الآنسة تومبلي ورجالها".

وفي تلك اللحظة انطلق سرب من مجموعة "النمس الطائر" مخترقًا السماء نحو المدن والبلدات، وراح أفرادها يتقلبون في الهواء ويطلقون الصواريخ الملونة، في استعراض واضح للقوة، وكرسالة تحذير جلية لأي مدينة مفترسة بأنها إن فكرت في كسر قواعد مهرجان القمر فسوف يتدخلون بسرعة ويتصدون لها.

ثم قامت إحدى مركبات النمس الطائر بإطلاق دخان كثيف أرجواني في السماء لتتشكل منه عبارة: مرحبًا بكم في برايتون.

ومع دوي أصوات محركاتهم كالرعد عبر الصحراء، تناهى إلى مسامع رين كذلك صوت سلاسل ضخمة تخرج من برايتون، إذ كانت المدينة تنزل مرساتها.

"لدي شعور بأن ذلك المهرجان سيكون رائعًا بحق"، قالتها السيدة بيني رويال في غبطة، بينما فتياتها من حولها يصحن بإعجاب ويصفقن لملاحي النمس الطائر.

"هلموا الآن جميعًا، أرغب في أن يتم التقاط الصور لكُن بأزيائكن الجديدة لحفل العمدة"، قالتها بوبو ثم عادت إلى داخل القصر فتبعتها رين، وقد التفتت تلقي نظرة

أخيرة نحو المدينتين، ثم هرعت خلفها.

انخرطت الفتيات في حديث مرح حول حفل مساء الغد، والأزياء الساحرة التي سيرتديها عبيد المنزل، فيما جلست رين تنصت لهن وهي تشعر بالأسف لأنها ستُفَوِّت كل ذلك المرح، فقد عقدت العزم على أن تتسلل الليلة، بينما الجميع نائمين، إلى حيث المستودع وتسرق الـ "بيويت"، ومع بزوغ القمر المقدس ستكون قد حلقت بعيدًا عن برايتون.

كان القصر يصطخب بالإعدادات الأخيرة لحفل مهرجان القمر، وفي قاعة الاحتفالات، أسفل القبة الرئيسية، انهمك عمال الطلاء وكذلك عمال تركيب الستائر في أعمالهم، بينما راح فنيو الكهرباء يركبون مئات المصابيح الصغيرة، فيما كان الموسيقيون يتدربون على ما سيقدمونه من مقطوعات خلال الحفل. ومن برايتون وصلت صناديق النبيذ وسلال الطعام عبر التلفريك إلى القصر، بينما انتشر الحراس في كل حدب وصوب عبر حدائقه.

والحق أن ذلك الحفل قد تكَلّف ثروة من المال، فقد أراد أهل برايتون من عمدتهم أن يقيم احتفالًا فاخرًا لمهرجان القمر، متوقعين منه أن يغطي تكاليف كل ذلك البذخ من ماله الخاص، وهو ما ارتأى بيني رويال أنه أمر غير منصف له على الإطلاق، لذا، وبدون أن يعتريه أدنى شعور بالذنب، قام بدعوة "والتر بلوفري" إلى عشاء غير رسمي عشية الاحتفال. وبعد أن انتهيا من تناول الحلوى، وبينما كان باقي ضيوف العشاء يثرثرون حول خططهم بصدد مهرجان القمر، وأحدث الفضائح في حي الفنانين، أخذ بيني رويال تاجر التحف في جولة عبر القصر ليلقي نظرة على بعض من مجموعة التحف النفيسة لقصر العمدة والتي يضمها بين جنباته؛ ومعًا راح الرجلان يتفقدان التحف من غرفة لأخرى، يتفحصان رؤوس المطاردين، وقطعًا من السيارات القديمة، وصفائح المشروبات، والبدلات المدرعة العتيقة. وأخذا يدونان الملاحظات حول كل قطعة والتي قدّر بلوفري أنها قد تجلب ثروة لا بأس بها من المال إن تم بيعها إلى جامعي التحف والمخلفات الذين يعرفهم في "بنغازي".

وأثناء تناوله القهوة، راح الرجل يحسب ما قد يتحصل عليه لقاء تلك الصفقة التي وجدها مجدية كثيرًا له، لدرجة أنه . متخمًا بصنوف الطعام التي قدمها له بيني رويال، ومسحورًا برفقة ضيوف العمدة المتألقين . شعر بالندم إزاء تلك الصفقة

الأخرى التي أبرمها مع شكين بصدد كتاب الصفيح. لكن السيد شكين كان قد وعده بقدر كبير للغاية من الأموال، وكانت والدة بلوفري المسنة تعيش في دار لرعاية المسنين باهظ التكلفة في "بلاك روك"، ومن ثم فقد كان الرجل في حاجة إلى كل مبلغ من المال يتيسر له الحصول عليه.

وما إن انتهت الأمسية وغادر الضيوف القصر متجهين نحو التلفريك، انسل بلوفري عبر القصر واختبأ في واحدة من قاعاته.

***

كان هواء الليل باردًا لدرجة جعلت رين ترتجف في ثوب نومها الفضي، إذ تسللت عبر مدخل الخدم إلى الحديقة حيث البرد. ومن الأسفل تناهت إلى مسامعها أصوات موج البحر، وصفير الريح، وكذلك صوت شخص ما يبدو أنه ثمل وقد راح يغني مخمورًا بين شوارع برايتون.

تشبثت رين بالحقيبة التي تحوي الطعام الذي سرقته من مطابخ القصر، وهرعت فوق العشب الرطب نحو مستودع اليخت وأضواء قاعدة مركبات "النمس الطائر".

لم تكن أبواب المستودع تُغلَق أبدًا، كما أنها كانت سهلة الفتح بالرغم من ضخامتها، فما إن دفعتها رين حتى انفتحت بسلاسة.

وفي الداخل كان الغلاف الغازي الأملس لـ "بيويت" يلتمع، فاندفعت رين نحوه ثم تسللت إلى حيث الزورق وهي تحبس أنفاسها، ثم سرعان ما لامت نفسها على ذلك السخف، حيث لم يكن ثمة أحد في الجوار تخشى أن يسمع لها صوتًا.

ومن قاعدة النمس الطائر تناهى إلى مسامعها صوت أغنية شعبية تتصاعد من جرامافون هناك.

وصلت رين إلى باب الزورق، ولم يكن مغلقًا هو الآخر، فانسلت إلى داخله، ثم أضاءت مصباح يد صغير قامت بسرقته من بين أغراض المشرف على القصر، كي تتمكن من رؤية لوحة التحكم باليخت. وقد راحت تستعيد في ذاكرتها الرسومات البيانية التي اطلعت عليها في كتاب بمكتبة القصر يدعى: "الملاحة الجوية العملية لأغراض الاستمتاع والربح".

كانت خلايا الغاز ممتلئة، تمامًا كما أخبرتها سينثيا، بينما كان مؤشر قياس الوقود يشير إلى أن الخزان خاوٍ، لكن رين احتاطت لذلك الأمر ووضعت خطة للتعامل معه، فخلعت ثوب النوم الذي ترتديه وخبأته خلف لوحة أدوات التحكم، وكانت ترتدي من تحته ملابس خارجية.

ثم إنها أخذت تتلو صلاة سريعة متضرعة لآلهة فينلاند، وبعدها خرجت من اليخت الجوي واتجهت بخفة إلى الخارج عبر الغابة نحو قاعدة "النمس الطائر".

وفي إحدى المباني الصيفية القديمة التابعة للقصر والتي استحوذت عليها قوات المرتزقة، كانت "أورلا تومبلي" وعدد من الملاحين يلعبون الورق؛ وقد رفعوا رؤوسهم في ريبة عندما طرقت رين الباب عليهم...

"من هذه؟".

"تبدو واحدة من فتيات بوبو".

فنهضت الملاحة في تثاقل وفتحت الباب:

"ماذا تريدين؟".

"جئت برسالة من السيدة بيني رويال..."، قالتها رين وقد احتبس صوتها قليلًا، إلا أن الملاحة بدا أنها لم تلحظ شيئًا، ومع ذلك فقد اعترى القلق ملامحها، ربما حسبت أن بوبو أرسلت رين إليها لتكشف لها أنها تعلم بعلاقتها بالعمدة، إلا أن رين استأنفت كلامها قائلة:

".. زوجة العمدة ستتوجه إلى بنغازي صباح الغد، في ساعة مبكرة للغاية من الصباح، لتزور البازار هناك، وكانت تتساءل ما إذا كان بإمكان طاقمك الأرضي تزويد اليخت بالوقود".

قطبت أورلا جبينها وقالت:

"ولماذا نحن؟ أوليس ذلك من اختصاص رجال العمدة؟".

"نعم، كان من المفترض أن يقوم جلالته بإخطارهم عصر اليوم، لكنه نسي، وهم الآن خارج ساعات العمل. لذا تطلب منك السيدة بوبو بأن تجعلي طاقمك يقوم بتلك

المهمة، إن كنت لا تمانعين، وستكون ممتنة لك كثيرًا".

وقفت الملاحة الجوية تفكر قليلًا... هي لا تريد أن تثير استياء زوجة العمدة، وكانت تعرف جيدا أن بوبو لديها أقارب أقوياء في إمكانهم أن يجبروا بيني رويال على الاستغناء عن خدمات قواتها والاستعانة بقوات جوية مستقلة أخرى بدلًا منها، مثل قوات "ريتشارد استاردلي" أو "جانكي يارد أنجلز"، الذين يتطلعون للتعاقد مع برايتون.

"حسنًا"، أومأت أورلا موافقةً، والتفتت نحو رجالها:

"آلجي.. جينجر.. سمعتما ما طلبته الشابة...".

فنهض الملاحان وقد بدت عليهما ملامح الغضب، لكنهما أذعنا للأمر وتركا أوراق اللعب، وكذلك أكواب الكاكاو، وخرجا مع رين في ظلام الليل، وقد راحا يغمغمان في استياء حول ذلك الإهدار للوقود الجيد على تلك المناطيد في حين أن المستقبل هو لآلات الطيران الذاتي الخاصة بهم.

وعلى مسافة منهما وقفت رين تتابعهما وهما يأخذان خطوط تزويد الوقود من الخزانات الكبيرة خلف قاعدتهم الجوية، ثم يتجهان نحو الـ "بيويت" ويقومان بتوصيلها في فتحات الوقود الموجودة على الجانب السفلي منه.

"الأمر سيستغرق عشر دقائق"، قالها أحد الرجلين وهو يلتفت نحو رين ويغمز بعينه، "لا داعي لبقائك هنا في البرد أيتها الصغيرة".

فشكرته رين وآبت عائدة باتجاه القصر، وقد قدَّرت أن عشر دقائق مدة كافية لتجلب سينثيا معها.

كانت رين قد قررت منذ البداية أنها لن تبوح بأي شيء عن خطتها لسينثيا، فهي فتاة ساذجة كثيرة الضحك وكثيرة النسيان أيضًا، لا تقوى على كتمان سر، وغالبًا كانت ستفضح الأمر برمته أمام السيدة بيني رويال. ولكن في ذات الوقت ما كانت رين لتترك صديقتها وترحل، لهذا فقد عقدت أمرها على أن تأخذها معها لكنها لن تفصح لها عن شيء إلا في اللحظات الأخيرة، حيث ستتسلل بهدوء إلى مخادع الفتيات وتوقظها بهدوء لتأخذها معها إلى حيث مستودع اليخت لترحلا معًا عن

برايتون.

في تلك الأثناء كان بلوفري في سبيله لتنفيذ خطته، وقد تسلل إلى حيث غرفة مكتب العمدة، حاملًا معه أداة غريبة لفتح الأقفال كان رجال شكين قد تحصلوا عليها من الصبية المفقودين، وقام بفتح باب المكتب بواسطتها.

كان المكتب عبارة عن غرفة شاسعة ذات نوافذ طويلة تصل إلى السقف المرتفع؛ وكانت ستائر النوافذ مفتوحة مما أفسح المجال لضوء القمر الساطع ليتسلل إلى داخل الغرفة ويضيء أركانها، كاشفًا المكتب المكدس بالأوراق والأغراض، ولوحة الرسام "وولمارت سترينج" المعلقة على الجدار خلف المكتب لتخفي الخزنة الخاصة لبيني رويال وراءها.

تحرك بلوفري في خفة نحو موضع الخزنة، وفي تلك اللحظة شعر بحركة ما فوقه على السقف المقبب، فأجفل وقد تحفزت كافة حواسه، وقد غمره إحساس غريب بأنه مُرَاقَب.

تجمد الرجل في مكانه من الذعر، خاصة حين طرأ على ذهنه فجأة احتمال مرعب بأن بيني رويال ربما حصل على واحدة من تلك الكاميرات السلطعونية الخاصة بالصبية المفقودين وأنه يستخدمها لحماية خزنته! هنا كاد الرجل أن يستسلم ويطلق ساقيه للريح فرارًا، لكنه سرعان ما توقف وقد تذكر أمه وحاجته لقدر هائل من المال كي يتمكن من نقلها إلى واحد من الأجنحة الفاخرة في الطابق العلوي من دار الرعاية الذي تقيم فيه، وكان المال الذي وعده به شكين في مقابل كتاب الصفيح كفيلًا بتحقيق ذلك.

وقف الرجل محاولًا استعادة رباطة جأشه لاستكمال مهمته، وراح يطمئن نفسه بأن بيني رويال ليس بهذا الذكاء الذي يجعله يفكر في الاستعانة بالكاميرات السلطعونية لحماية مكتبه، وأنه لو كان يمتلك واحدة منها لتفاخر بها أمام ضيوفه.

هدأ بلوفري قليلًا، فاتجه نحو اللوحة التي تخفي الخزنة وانتزعها من على الحائط ثم وضعها بحرص على كرسي بيني رويال، ليظهر أمامه باب الخزنة والقرص الدائري ذو الأرقام، فمد يده وراح يدير القرص بعناية يمينًا ثم يسارًا، ثم يمينًا...

خلال زياراته السابقة للقصر، كان كثيرًا ما يرى بيني رويال وهو يفتح خزنته، وفي

كل مرة كان يصيخ السمع إلى عدد التكات التي يحدثها القرص أثناء فتحها إلى أن تمكن من تجميع سلسلة الأرقام السرية الخاصة بها... اثنان. اثنان، صفر. تسعة، تسعة. خمسة. سبعة...

وبهدوء وعناية شديدتين راح الرجل يدير القرص وفقًا للتسلسل الذي حفظه عن ظهر قلب، إلى أن انفتح الباب الثقيل.

وفي داخل الخزنة، استقرت حقيبة جلدية صغيرة وبداخلها كان كتاب الصفيح لأنكوراج. مد بلوفري يده سريعًا وأخذ الكتاب، وحمله بين كفيه بحرص، فقد كانت تلك الأشياء العتيقة هي شغفه ومصدر رزقه كذلك، وكان لا يخفي افتتانه بتلك المصنوعات اليدوية التي تبقى وتدوم لأزمنة طويلة أكثر بكثير من صانعيها.

وما إن هم بلوفري بإغلاق الخزنة حتى أحس بحركة خلفه، فالتفت بسرعة...

في ذات اللحظة كانت رين قد قطعت نصف المسافة نحو مخدع الفتيات، حين سمعت الصرخة المدوية المرتجفة، فأجفلت وصرخت بدورها صرخة قصيرة وجمدت في مكانها لهنيهة ثم هرعت تتوارى خلف أحد التماثيل، وغاصت في مخبئها.

انتهت الصرخة بصوت حشرجة عالٍ، قبل أن تخمد تمامًا ويسود الصمت للحظات قصار، قبل أن تقطعه من جديد جلبة راحت تضرب أطنابها بين جنبات القصر إذ استيقظ قاطنوه على الصوت المرعب، فهرعوا من مخادعهم وغرفهم يصيحون وينادون بعضهم. ومن مكان ما في الخارج سطعت أضواء قوية، فنظرت رين من نافذة بجوارها لتجد الحراس يركضون في كل صوب حول القصر وفي أياديهم المصابيح والكشافات الكبيرة يغمر ضوؤها الحدائق ويحيل ليلها نهارًا.

وهكذا أسقط في يد رين، ولم تعد ثمة فرصة أمامها للفرار الآن. ثم إنها سرعان ما بدأت تشعر بالخزي والخجل لكونها تفكر في ذاتها دون أن تفكر ولو للحظة واحدة في ذلك الذي أطلق تلك الصرخة المروعة وما عساه يكون قد وقع له.

ثم إنها استجمعت شجاعتها وخرجت من مخبئها، وانطلقت تركض باتجاه مخدعها، ثم انعطفت نحو أحد الأركان لتجد أمامها ثيو نجوني الذي كان قادمًا من ممر جانبي من ناحية المطبخ.

"آه..."، أجفلت رين وصاحت، "... ماذا تفعل هنا؟".

"لقد سمعتُ شخصا يصرخ...".

"وأنا كذلك...".

"جميع من في القصر سمعوا الصرخة يا أعزائي"، قالتها السيدة بيني رويال وهي تتجه نحوهما، في ثياب نوم فضفاضة جعلتها أشبه بسفينة انتصبت أشرعتها في مواجهة الريح.

أجفلت رين وابتعدت عن ثيو، وقد راحت تتساءل في داخلها عما إذا كان سيتم معاقبتهما بسبب تبادلهما الحديث معًا، لكن زوجة العمدة نظرت نحوهما بلطف وقالت:

"يبدو أن الصوت قد جاء من ناحية جناح زوجي، دعونا نذهب لنستطلع الأمر".

تبعها رين وثيو في إذعان، وبينما هم يتجهون نحو الجناح العلوي، أخذت رين تفكر فيما وقع وتستعيد الصرخة التي دوت فأسمعت كل من في القصر، وقد قدّرت أن تلك الصرخة كانت من النوع الذي ينبغي الفرار منه وليس الهرع نحو مصدره، لكن السيدة بيني رويال بدا وأنها مصرة على استطلاع الأمر بنفسها. ربما كانت تأمل أن تجد زوجها وقد سقط في الماء الساخن واحترق، أو ربما هوى من شرفته في الأعلى، ولا تريد أن تضيع على نفسها تلك اللحظة السعيدة التي تكتشف فيها ذلك.

صعدت بوبو ومن خلفها رين وثيو عبر الدَّرج المتعرج خلف قاعة الاحتفال، ودلفوا عبر الباب إلى حيث سلم آخر صغير يقود نزولًا إلى حيث غرفة التحكم في "السحابة التاسعة"، وكان بابها مفتوحًا، وفي الداخل كان أفراد طاقمها يتطلعون نحو الخارج وقد بدا عليهم القلق. ومن مكتب العمدة كانت الأضواء ساطعة، فما إن دنوا منه حتى سمعت رين صوت بيني رويال يصرخ بصوت مرتعش:

"ربما لا يزال الدخيل طليقًا".

وكان العبيد والحرس قد تجمعوا عند الباب المفتوح، لكنهم ما إن سمعوا خطوات زوجة العمدة تقترب منهم حتى تنحوا جانبًا في احترام مفسحين لها الطريق. وفي الداخل كان بيني رويال يقف بجوار مكتبه وبصحبته ضابطين من حرسه، ثم التفت

"بوبو، لا تنظري...".

لكن بوبو كانت قد نظرت بالفعل، فشهقت من هول ما رأت، وكذلك رين التفتت لتلقي نظرة على المشهد المريع، وتمنت حينها لو لم تفعل. أما ثيو فقد ظل هادئًا رابط الجأش رغم هول ما وقع عليه بصره؛ فقد انغمس في الماضي في ميدان المعارك ورأى مناظر مماثلة...

فعلى الأرض خلف مكتب بيني رويال وأسفل الخزنة المفتوحة، كانت جثة "والتر بلوفري" ممددة، بينما يده قابضة على كتاب الصفيح وقد رفعها أمام وجهه ليغطيه بها، وقد خمنت رين من تلك الوضعية أنه كان يحاول حماية نفسه حين هاجمه شيء ما. لكن محاولته باءت بالفشل، حيث استقرت آلة حادة في صدره في موضع القلب، وكانت رائحة الدماء تفعم المكان لتُذَكِّر رين بآخر ليلة قضتها في أنكوراج، يوم قُتِل جارجل وريمورا.

"لا بد أنها سكين..."، قالها أحد الحراس، "أو... ربما هو رمح".

"رمح؟"، صاح بيني رويال، "... في قصري؟ وفي عشية احتفال مهرجان القمر؟".

فصمت الحارسان وراحا يتبادلان النظرات المرتبكة؛ فقد كانا كأغلب جنود برايتون، لا يعرفان في مهنتهما تلك سوى زيهما الرسمي ذي الأرقام القرمزية المزركشة باللون الوردي، والشراشيب الذهبية، ولم يخطر في بالهما يومًا أنهما سيجدان نفسيهما في مواجهة جريمة قتل ودخلاء غامضين ينبغي البحث عنهم. والآن، ها هما ذا يقفان في ارتباك واضح وقد تملَّكهما شعور بالغثيان...

"ولكن كيف تسلل هذا القاتل إلى هنا؟"، تساءل واحد من الحارسين.

"لا توجد أي آثار لاقتحام أو كسر في الأبواب"، قالها الآخر.

"حسنًا، أحسب أنه قد استولى على المفاتيح الاحتياطية للمكتب من المزهرية الموضوعة في الخارج، فأنا أحتفظ بهم في داخلها"، قالها بيني رويال.

ثم إن الضابطين شرعا يتفحصان الجثة الملقاة عند أقدامهما، وقد تصلبت أناملهما في توتر على مقابض سيوفهما المزركشة. قبل أن يقول أحدهما:

"يبدو لي أن القتيل كان يحاول سرقة جلالتك".

فقال الثاني مؤيدًا:

"نعم، ما هذا الشيء الذي يقبض عليه في كفه؟".

"لا شيء!"، هتف بيني رويال بسرعة وهو ينتزع كتاب الصفيح من يد الرجل الميت ويعيده إلى داخل الخزنة ثم يغلقها، "ليس ذا قيمة، وعلى أي حال هذا الشيء غير موجود، أنتما لم تريا شيئًا مع القتيل...".

ومن خارج الغرفة تناهت إلى مسامعهم عاصفة من الأقدام ذات أحذية ثقيلة مبطنة، تصعد الدَّرَج، ثم اقتحمت أورلا تومبلي الغرفة مع نصف دزينة من أفراد "النمس الطائر" وقد استلوا جميعًا سيوفهم، ثم أشارت نحو رين بسيفها الخاص وصاحت:

"تلك هي الفتاة!".

"ماذا؟"، قالها بيني رويال وهو يلتفت نحو رين.

"لقد جاءت إلينا وطلبت من رجالي أن يعدوا يختك الطائر للإقلاع..."، قالتها أورلا وهي تتقدم نحو رين، "... وقد اختلقت قصة سخيفة حول رغبة زوجتك في التوجه إلى بنغازي للتسوق وأنها تريد من رجالي أن يقوموا بتزويد ذلك المنطاد بالوقود من أجل رحلتها...".

"هراء!"، صاح بيني رويال، "... يبدو أن تلك الفتاة كانت تعد العدة للفرار بمجرد أن تتم السرقة... إنها لصة، ليست سوى لصة".

يا للآلهة... أخذت رين ترتجف من الهلع والصدمة، فهي لم تتخيل أبدًا أن خطتها المحكمة قد تنقلب بهذا الشكل المريع. ترى، ماذا سيفعلون بها؟! ربما يعيدونها إلى شكين ويطالبون باسترداد ثمنها؟!

كان الجميع يتحدثون ويصيحون في وقت واحد، فرفع بيني رويال صوته عاليًا وصاح:

"لا بد أن بلوفري قد جَنَّدها لمساعدته على سرقتي، لكنها قتلته طمعًا فيما سينهبه، ولا شك أن هذا الشيطان كان معها!"، قالها بيني رويال وهو يشير نحو ثيو، "...

أحسنتِ يا أورلا يا ملاكي، فلولا سرعة بديهتِك وحسن تصرفك لكانا الآن على متن الـ "بيويت" وبحوزتهم... آآ... محتويات من خزنتي".

"هراء!"، صاحت بوبو بصوت جعل الجميع يلتزم الصمت ويلتفتون نحوها، ليجدوها وقد وقفت مشدودة الجسم منتصبة، رافعة رأسها، وقد اشتعل وجهها غضبًا لدى سماعها زوجها وهو يكيل آيات المديح وكلمات الغزل للملاحة الشابة أمامها؛ ثم إنها وضعت ذراعها حول رين وقالت:

"ما قالته رين للآنسة تومبلي كان صحيحًا تمامًا... لقد أرسلتُ في طلب تزويد الـ "بيويت" بالوقود، حيث كنت أخطط للارتحال إلى بنغازي صباحًا للتسوق، لكني الآن أرى أنني لن أقوم بتلك الرحلة. على أي حال رين وثيو كانا بصحبتي حينما دوت صرخة المسكين بلوفري، ولا يمكن أن يكون أي منهما قد ارتكب ذلك الفعل الشنيع".

أخذ رين وثيو يحدقان إلى بوبو في ذهول تام إزاء إقدامها على الكذب لحمايتهما.

"ولكن إذا لم يكونا هما، فمن إذن؟!"، صاح بيني رويال.

"هذا ليس شأني ولا من واجبي كذلك أن أكتشف الفاعل"، قالتها بوبو بغطرسة، "أنا عائدة إلى جناحي، من فضلك ابحث عن ذلك الجاني بهدوء دون جلبة. رين، ثيو، هلما، فلدينا يوم حافل غدًا".

ثم استدارت نحو الباب وخرجت من الغرفة متجاوزة رجال أورلا، أما رين فقد انحنت تحيةً للعمدة ثم هرعت تلحق بسيدتها وثيو.

"سيدة بيني رويال..."، همست رين بينما هم يتخذون طريقهم عائدين عبر الدَّرَج إلى الأسفل، "... شكرا لكِ".

إلا أن بوبو بدا وأنها لم تسمعها، إذ راحت تردد:

"يا له من أمر مروِّع... ذلك البائس، أنا على ثقة بأن زوجي يقف وراء هذا".

"أتظنين أن العمدة هو من قتله؟"، سألها ثيو بلهجة بدا منها أنه يستبعد أن يكون بيني رويال متورطًا في الأمر، لكن بالنسبة لرين فقد كانت تدرك جيدًا أن الرجل لا يتورع عن ارتكاب أي شيء حتى القتل إذا كان في ذلك تحقيقًا لمصالحه... أولم

الخداع واستوعبت جيدًا كيف استطاع خداع الجميع في أنكوراج قديمًا، إنه ممثل بارع بحق، ولا عجب إذن أن يظهر أمارات الصدمة أمام جثة بلوفري بينما قد يكون متورطًا بالفعل في قتله.

"التقنيات القديمة..."، قالتها بوبو وهي تطلق تنهيدة، "... إنها لا تجلب سوى الوبال.. أوه، أنا لا أقول إن بيني رويال قد غرس تلك الآلة الحادة في صدر الرجل بيده، لكني أتوقع أنه ربما نصب فخًا خبيثًا لحماية خزنته. إنه لن يدخر جهدًا ولن يردعه رادع عن حماية ذلك الكتاب السخيف بأي وسيلة كانت. أنا لا أفهم ما الذي يميز ذلك الكتاب إلى هذ الحد، هل تعرفين شيئًا عنه يا بُنَيَّتي؟".

فهزت رين رأسها نفيًا، وكان كل ما تعرفه على وجه اليقين هو أن ذلك الكتاب قد تسبب في قتل شخص جديد. ومن جديد راحت تلوم نفسها وتتمنى لو لم تُقدِم على أخذ ذلك الشيء الفظيع من مكتبة الآنسة فريا.

وعند باب مخدعها، قامت بوبو بإبعاد الحرس، ثم التفتت نحو رين وثيو وراحت تنظر إليهما نظرة متفحصة، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة حزينة، ثم مدت يدها وتناولت يد رين وقالت:

"أبنائي الأعزاء، أنا آسفة لفشل محاولتكما للرحيل عن هنا! أنا واثقة من أن ذلك هو ما كنتما تسعيان إليه، أليس كذلك يا رين؟ إن محاولتك لإعداد يخت زوجي للإقلاع لا تعني سوى أنكما كنتما تنويان الفرار به بعيدًا، معًا!".

"أنا..."، صاح ثيو.

"ثيو ليس له شأن بالأمر..."، قالت رين، "... لقد صادفته في الممر حيث رأيتنا، وكان كلانا قد هرع ليرى ما حدث...".

إلا أن السيدة بيني رويال رفعت كفها وقد أبت أن تسمع أيًا من تلك التبريرات. لقد فعلت كل ما في وسعها لتحول دون وقوع فتياتها وفتيانها في الحب، ومع ذلك فقد حدث ما جاهدت لمنعه، وها هي الآن ترى الأمر رومانسيًا ومثيرًا...

"لستما في حاجة لإخفاء الحقيقة عني..."، قالتها بوبو وقد احتشدت الدموع في عينيها، "... أتمنى أن أصبح صديقة لكما كما أنا سيدتكما... لقد فهمت الآن كل شيء،

وأدركت معنى الحب حين رأيتكما معًا وعلمت بمحاولتكما للفرار، التي أفسدتها صرخة موت ذلك الرجل التعس. لكم كنت أتمنى لو أنني ذقت تلك العاطفة الحارة التي تضطرم بداخلكما، بدلًا من الزواج من بيني رويال فقط لإرضاء عائلتي...".

"ولكن...".

"آه، ولكن حبكما هذا مُحَرَّمًا. أنتما تذكرانني بالأمير "أوزميرويد" والعبدة الجميلة "ميبسي" في الأوبرا البديعة "الأعشاب المنسحقة" لـ "ليمبيت أوريول". ولكن، عليكما أن تتحليا بالصبر يا أعزائي.. أي سعادة تأملان في تحقيقها لو أنكما هربتما من هنا؟ سوف تظلان عبدين هاربين، مفلسين وضائعين، وسينطلق في إثركما الصيادون أينما ذهبتما. لا، ينبغي أن تبقيا هنا لفترة، على أن تبقى لقاءاتكما سرية. أما أنا، وبعدما أدركت مدى توقكما للرحيل، فسوف أبذل كل ما بوسعي كي أقنع بيني رويال بأن يعتقكما".

احمر وجه رين خجلًا... كيف يمكن لأي شخص أن يتخيل أنها، من بين كل الناس، تقع في حب ثيو نجوني! ثم إنها نظرت نحوه فازداد انزعاجها، حيث وجدته هو الآخر محمر الوجه وقد بدا عليه الإحراج، وكأن مجرد فكرة أنه يحبها قد بدت له ضربًا من السخف.

"صبرًا يا طيور الحب!"، قالتها زوجة العمدة برفق، ثم طبعت قُبلة على جبين كل منهما، وفتحت باب غرفتها وهي تبتسم لهما، وقبل أن تدلف إلى الداخل قالت مستدركة:

"أوه، بالمناسبة، لا تنبسا بكلمة عن السيد بلوفري المسكين. لن أسمح لهذا الحدث المروع بأن يفسد احتفالاتنا بمهرجان القمر".

***

"23"

برايتون

مهرجان القمر... مع بزوغ شمس الصباح استيقظت المدينة الطوافة في حماسة وراحت تعج بالضجة، إذ راح الجميع يستعد للاحتفال الباهر.

وهب الفنانون، الذين لا يستيقظون عادة من نومهم قبل الظهر، من أسِرَّتهِم ليشرعوا في وضع اللمسات الأخيرة على الزينة والديكورات ومنصات الكرنفال، بينما فتح التجار محلاتهم في ابتهاج، آملين في تحقيق مبيعات قياسية خلال المهرجان.

لم تكن برايتون مدينة متدينة، فقد كان أغلب أهلها يرون أن الدين عبارة عن حكايات خرافية في أحسن الأحوال، وخدعة في أسوأها. وبينما سطوع أول قمر في فصل الخريف يمثل حدثًا مقدسًا في مدن أخرى، كان لا يعني لأهل برايتون سوى شيء واحد: أن وقت الاحتفال واللهو قد حان!

وفي واقع الأمر، ومنذ وصلت رين على متن برايتون، والاحتفالات لم تنقطع: مهرجان "الاستيفال"، وهو عبارة عن احتفالات متواصلة لمدة ستة أسابيع، مكرسة لآلهة الصيف، حيث الألعاب النارية والمواكب مستمرة بلا انقطاع. ولم يكد ذلك المهرجان ينتهي حتى بدأ مهرجان "القبعة الكبيرة"... ثم بينالي "منحوتات الجبن"... ثم مهرجان المسرح... أسبوع الإله "بوسكيت "... إلخ.

ومع ذلك، ظل مهرجان القمر يحتل مكانة خاصة في قلوب . وكذلك مَحَافِظ أموال . البرايتونيين، وموسمًا لجلب مزيد من الزائرين القادمين من البلدات التي تتجمع على طول الشاطئ لحضور المهرجان، مما يمثل فرصة اقتصادية واعدة للمدينة.

حتى محرِر صحيفة "باليمبسيست"، الذي كان سيسرّه كثيرًا أن ينشر الشائعات التي تناهت إليه حول وقوع جريمة قتل غامضة في "السحابة التاسعة"، قرر نشر القصة في عمود صغير بالصفحة الرابعة، في حين قام بتخصيص الصفحة الأولى لأخبار مهرجان القمر:

(فتيات بوبو الجميلات يزدن برايتون إشراقًا)... هكذا جاء العنوان الرئيس، فيما توالت الأخبار على صفحات الجريدة... (قالت زوجة العمدة السيدة بوبو بيني رويال

أمس أنها تتوقع أن يكون احتفال هذا العام أجمل وأفضل احتفال لمهرجان القمر في برايتون على الإطلاق...).

(وستقوم السيدة بيني رويال ـ التي وقفت أمام عدسة مصور الصحيفة بصحبة مجموعة من أجمل وصيفاتها ـ بضيافة السادة ضيوف الحفل من أغنى أغنياء البحر الأوسط، حين يفتح قصر العمدة أبوابه لاستقبالهم...).

(وقالت السيدة بيني رويال: الجميع في طريقهم إلى برايتون، بالطبع، فأين لهم أن يجدوا مكانًا أفضل للاحتفال بمهرجان القمر من هذه المدينة البيضاء المتألقة التي تطفو عبر البحر الأزرق؟!).

وبالطبع لم تكن برايتون بالضبط مدينة بيضاء تطفو عبر بحر أزرق كما وصفتها بوبو، وإنما هي كذلك فقط حين تنظر إليها من الأعلى عبر منصات "السحابة التاسعة". أما في الأسفل، وعلى طبقة سطح المدينة، كانت أسطح المنازل متسخة بفضلات طيور البحر، وشوارعها لزجة تسبح في القمامة والصرف الصحي.

لكن الطقس كان مثاليًا بحق، حيث النسيم العليل يتخلل سيارات الأجرة الطائرة العائدة إلى بنغازي وكوم أمبو، بينما الشمس الساطعة تُسَخِّن الأرصفة المعدنية بحرارتها وتبخر روائح شحوم المحركات، والقيء الذي خَلَّفه المحتفلون الصاخبون في الليلة السابقة. ومع مرور ساعات اليوم، استقرت المدينة في المياه، مُثقَلة بحشود الزائرين الذين ملأوا شوارعها وشواطئها الصناعية، وانتشروا على أطراف الحوض البحري.

وبحلول منتصف ما بعد الظهيرة، كانت صناديق القمامة تفيض بما فيها، فيما راحت النوارس تتقاتل فوقها للحصول على بقايا شطائر اللحم والفطائر، وتنقض على رؤوس صفوف المحتشدين أسفل عجلة الفنار وخارج مدخل حوض برايتون المائي.

وبين صفوف المصطافين، وقف توم ناتسوورثي ينتظر، وبين حين وآخر كان رأسه يغوص بين كتفيه تجنبًا لطيور النورس الصاخبة فوقه؛ وكان لا يزال يعاني من الخوف الشديد من الطيور كبيرة الحجم منذ قتاله الرهيب مع طائر مطارد من طيور العاصفة الخضراء المرعبة في "روجز رووست" قبل سنوات طوال.

ومع ذلك فقد كانت تلك النوارس الجشعة التي تمر من فوق رأسه هي أقل

مخاوفه في هذه اللحظة، حيث كان أكثر ما يخشاه هو أن يفتضح أمره، وكان على يقين بأن موظفي الحوض المائي ذوي الزي الرسمي سيكشفون حقيقته بمجرد النظر إليه وسيدركون على الفور أنه جاء على متن برايتون منذ ساعة واحدة ليس إلا، وأنه لم يدخل إلى المدينة بشكل طبيعي وإنما متسللًا عبر الفتحة الصغيرة التي صنعتها "الدودة الحلزونية" في بدن المدينة بالأسفل. كان يتوقع أن يُلقى القبض عليه في أي لحظة وجرَّه جرًّا من الصف والتنكيل به باعتباره دخيلًا متسللًا.

***

كانت "الدودة الحلزونية" قد بلغت برايتون صباح ذلك اليوم، وراح توم يدنو منها ببطء وحذر خشية أن تلتقط أجهزة الرصد قديمة التقنية . التي تستخدمها برايتون في اصطياد مركبات الصبية المفقودين . مركبته. ولكنه استنتج بعد حين أن المدينة قد أوقفت استخدام تلك الأجهزة وأغلقتها بعدما أجهزت على جريم سباي وأنهت رحلة صيدها للصبية.

ومع ذلك، لم يجرؤ توم وهيستير على المخاطرة، وقد حبسا أنفاسهما مع التصاق المشابك المغناطيسية للمركبة بأسفل المدينة، بينما صوت المثقاب المعدني إذ يخترق باطنها صانعًا فتحة لمرورهما ينبعث عاليًا.

وقد اقترح توم أن يقوما بإرسال بعضًا من الكاميرات السلطعونية أولًا إلى الأعلى لاقتفاء أثر رين، لكن هيستير لم توافقه الرأي:

"نحن لسنا صبية مفقودين ولا نملك مهاراتهم في توجيه تلك الكاميرات عبر شبكة أنابيب برايتون، وسوف يستغرق الأمر منا أسابيع قبل أن نتمكن من العثور على رين. علينا أن نصعد بأنفسنا إلى متن المدينة، وسوف يكون بمقدورنا حينها إيجاد أي أثر يدل على تلك المركبات التي قاموا باصطيادها".

وكانت هيستير محقة، فبمجرد خروجهما من المركبة عبر الفتحة إلى حيث زقاق مهجور خلف منطقة محركات برايتون، كان أول ما شاهداه تقريبًا هو ملصقًا تم تثبيته إلى أحد أنابيب العادم، يصور واحدة من المركبات محاطة بعدد من الصبية الهمجيين، وأسفل الصورة كُتِب:

(قراصنة الأطلسي الطفيليون!

مركبة صناعية ومجموعة من الأسرى

تم التحصل عليها من وكر لصوص الأعماق "جريم سباي" خلال أحدث حملات برايتون

معروضة للجمهور في حوض برايتون المائي 11-17 ميدان بورشيل).

"أسرى!"، قالها توم "ربما كانت رين بينهم، علينا أن نذهب إلى هناك...".

فسألته هيستير، التي كانت بطيئة في القراءة ومن ثم كانت لا تزال عند منتصف النَص:

"ما هو الحوض المائي؟".

"مكان لعرض الأسماك والأحياء المائية، إنه شيء أشبه بحديقة الحيوان، أو المتحف".

فهزت رأسها وقالت:

"المتاحف من اختصاصك أنت، إذن فلتتوجه إلى هناك وألقِ نظرة، أما أنا فسأذهب لاستطلاع الأجواء حول الميناء الجوي، ربما أسمع شيئًا عن رين هناك. كذلك سأحاول العثور على منطاد لنا كي نعود على متنه، لا أتخيل الارتحال على طول الطريق إلى أنكوراج داخل تلك المركبة العتيقة العطنة".

"ولكن... لا ينبغي لنا أن نفترق"، هتف توم مُعترضًا.

"لفترة مؤقتة لا أكثر، ذلك سيجعلنا نعثر على رين بشكل أسرع"، قالتها هيستير، إلا أن ذلك لم يكن سوى ذريعة لا أكثر، ففي حقيقة الأمر كانت تريد الاختلاء بنفسها قليلًا، فقد جعلتها الفترة التي قضتها وتوم تحت الماء عصبية سريعة الانفعال، لهذا أرادت الانفراد بنفسها لبعض الوقت كي تستطيع استعادة توازنها، وفي ذات الوقت كي تتمكن من التجول في المدينة واستكشافها دون الإزعاج بحديث توم المتواصل حول قلقه على رين.

وهكذا، منحته قُبلة سريعة ثم قالت:

"سوف ألتقيك بعد ساعة".

“في الدودة الحلزونية؟”، سألها توم، فهزت رأسها أن لا، فقد بدأ حي المحركات في الازدحام بالبشر مع بدء فترة مناوبة جديدة به، ومن ثم فقد يلحظهما أحد من المارة وهم يتسللان نحو الفتحة السرية المؤدية للمركبة. ثم إنها أشارت نحو إعلان آخر، كان نصفه مخفيًا تقريبًا خلف إعلان الحوض المائي، عن مقهى في شارع “أولد ستاين” يدعى “مقهى بينك”، وقالت:

“سألتقيك هناك...”.

ولحسن الحظ كان الموظفون منهمكين تمامًا في بيع التذاكر والثرثرة مع بعضهم حول خططهم لحفل المساء، لذا لم يلحظ أي منهم توم ولم يكترثوا باكتشاف متسللين بين الزائرين. وحتى وإن انتبهوا إليه، ما كانوا ليجدوا فيه أمرًا مميزًا، وإنما مجرد شاب خشن المظهر أصلع الرأس، يبدو أشبه ما يكون بعالِم أو باحث جاء من الطبقات الوسطى لكوم أمبو، يرتدي ملابس مجعدة قديمة الطراز، تفوح منه رائحة عطن وملوحة خفيفة، ولم يكن ثمة قانون يحظر ذلك!

وعند الباب الدوار، لم تكلف الفتاة المسؤولة عن الدخول نفسها عناء النظر نحوه، وإنما تناولت منه النقود وأشارت له أن يدخل دون أن تعيره التفاتًا.

وفي داخل الحوض المائي، كانت رائحة الماء المالح والصدأ تفعم المكان لدرجة أن توم شعر لوهلة وكأنه عاد إلى “جريم سباي”، فيما كانت مجموعة من الأسماك المملة تسبح في خزانات كبيرة من المياه. ولم يكن أحد يكترث بالأسماك السابحة ولا بأفراس البحر أو أسوده، بل كان شيء واحد فقط هو ما يثير اهتمامهم ويدفعهم للاحتشاد في هذا المكان، إذ كانوا يتجهون رأسًا نحو القاعة المركزية متبعين الإشارات الإرشادية الملونة التي تقودهم نحو: (معرض القراصنة الطفيليين).

اتجه توم مع الحشد، محاولًا ألا يبدو متلهفًا أكثر من اللازم، وأخذ يذكر نفسه بأن هناك احتمالًا ألا يجد رين في الداخل. ثم إنه راح يشق طريقه بين الزوار، ويحدق مثلهم إلى عدد من الكاميرات السلطعونية المعروضة، ثم إلى إحدى المركبات، وتدعى “العنكبوت الصغير”، تم وضعها فوق منصة في وسط القاعة في وضعية تمثيلية، حيث استندت إلى سيقانها الخلفية فيما رفعت سيقانها الأمامية وكأنها على وشك الهجوم على الزوار. وقد وقفت العديد من الأسر تلتقط الصور التذكارية إلى جانب

المركبة بينما راح الأطفال يرسمون تعبيرات الخوف على وجوههم أو يخرجون ألسنتهم للآلة.

ومن خلف المركبة، في قفص مبطن بالقش، جلس عدد من الصبية المفقودين الأسرى وراحوا يحدقون إلى الحشود المارة أمامهم. وفي بعض الأحيان كان واحد من هؤلاء الصبية يندفع نحو القضبان صارخًا في الجموع، مطلقًا السباب، فكانوا يبتعدون مرتعدين، ومسرورين في ذات الوقت، بينما يسارع أحد الحراس إلى لكزه بجهاز الصاعق الكهربائي في يده.

غمر توم شعور بالأسف تجاه هؤلاء الصبية، لكنه في ذات الوقت شعر بالارتياح لأن رين ليست بينهم.

وفي الجوار كانت امرأة شابة جميلة ترتدي زِي العاملين في الحوض، وقد وقفت تشرح بعض التفاصيل لمجموعة من الأطفال. فانتظر توم حتى انتهت، ثم توجه نحوها وقال:

"أرجو المعذرة، ولكن أيمكنكِ أن تخبريني كم عدد المركبات التي تم اصطيادها؟".

كانت الشابة جميلة حقًّا، وقد فُتِن توم بابتسامتها العذبة وهي تجيبه:

"تسعة عشر مركبة يا سيدي، بينما تم تدمير ثلاث في البحر".

"وهل كان من بين تلك المركبات واحدة تدعى "أوتوليكوس"؟".

هنا تلاشت ابتسامة المرأة وحل محلها الارتباك، ثم راحت تتصفح كتيب المعرض الخاص بها، فلم يسبق لها أن سألها أحد من الزوار عن مركبة بعينها، ثم غمغمت وهي تقلِّب أوراقها:

"دعني أرى..."، ثم أجابته وقد عادت الابتسامة إلى وجهها، "أعتقد... آه، نعم، الأوتوليكوس كانت واحدة من المركبات الأولى التي صادتها مدينتنا في المياه الغربية بعيدًا عن وكر الطفيليين. لا بد أنها كانت في طريقها لمهمة سرقة عندما التقطناها...".

"وماذا عن طاقمها؟"، سألها توم.

وكانت المرأة لا تزال مبتسمة نحوه، لكن الارتباك قد بدا جليًا في عينيها، وقد بدأت تتساءل في قرارتها حول ما إذا كان الرجل الواقف أمامها واحدًا من غريبي الأطوار، ثم إنها أجابته:

"عليك أن تسأل السيد شكين يا سيدي، السيد نابيسكو شكين. كل الأسرى يصبحون ملك لشركة شكين".

"وما هي شركة شكين هذه؟" تساءلت هيستير، والتي كانت قد تحصلت على نفس المعلومات من أحد بائعي بالونات الطيران المستعملة عند الميناء الجوي.

"عبيد..."، قالها لها الرجل وهو يبصق بقايا سوداء من التبغ فوق الأرض عند قدميه ويغمز لها، "... كل هؤلاء الصبية والفتيات الذين يتم اصطيادهم قد باتوا عبيدًا الآن".

عبدة! راحت الكلمة تتردد في عقل هيستير بينما هي تبتعد عبر الشوارع الآخذة في الازدحام، وظلال المناطيد وبالونات الأجرة الطائرة تنزلق عليها بينما يهبطون في المرفأ الجوي ليفرغوا من أحشائهم حشود السائحين.

عبدة! كيف لها أن تخبر توم بذلك النبأ؟ كيف لها أن تقول له إن ابنته الصغيرة الحبيبة قد باتت عبدة وإنها الآن حبيسة في أحد عنابر العبيد في مكان ما، بين يدي أشخاص لا أحد يعلم مدى قسوتهم ووحشيتهم...

ومما زاد الطين بلة أنها اكتشفت أن خطتها لشراء منطاد غير قابلة للتنفيذ، فأسعار المناطيد قد تضاعفت كثيرًا منذ آخر مرة كانت فيها على متن إحدى المدن، وأن كل الذهب الذي أخذته من جريم سباي لن يكفي حتى لشراء محرك احتياطي من ساحات المناطيد المستعملة.

وهكذا، أنفقت هيستير بعضًا من تلك الأموال في شراء نظارات شمسية سوداء لتخفي بها عينها التالفة، وغطاء رأس فضي لتداري به تلك الندبة في جبينها، من أحد الأكشاك خلف المرفأ. كذلك ابتاعت وشاحًا جديدًا ومعطفًا أسودًا طويلًا يصل حتى الكاحل مرصع بالعديد من الأزرار، بدلًا من ذلك المعطف الرث الذي ظلت ترتديه منذ غادرت أنكوراج.

ومع تجولها بين أرجاء المدينة تحسن مزاجها نوعًا... لقد بدأت تحب هذه المدينة،

حيث الشمس الساطعة والزحام وأصوات الآلات وواجهات الفنادق؛ كما راقت لها فكرة أنها الآن بين أناس لا يعرفونها وليس لديهم فكرة عما يخفيه ذلك الوشاح الذي لفته حول وجهها. وقد شعرت بالغبطة إزاء نظرات الملاحين مليحي الوجه الذين راحوا يتبسمون لها وعيونهم مشدودة نحو هذه المرأة الغامضة ذات الجسد الطويل النحيل التي تخفي وجهها...

أما الأمر الأهم، والذي لم تشأ الاعتراف به حتى لذاتها، هو أنها... استطابت الحياة بدون رين، بل إنها تكاد تكون مسرورة لكون الفتاة قد اختُطِفَت.

ثم إنها توقفت قليلًا لتتفحص خارطة الشارع واتجاهاته، ثم استأنفت مسيرها وعبرت جسر المشاة الممتد فوق الحوض البحري، ثم توجهت نحو شارع "أولد ستاين" حيث مقهى "بينك".

وهناك لم تجد هيستير أثرًا لتوم على الطاولات خارج المقهى، فوقفت تفكر في الجلوس وطلب قهوة لنفسها ريثما يأتي زوجها، لكنها سرعان ما تراجعت وقد أدركت أن الأموال التي في حوزتها لا تكفي لشراء كوب منها بأسعار برايتون، فقررت التجول قليلًا في المكان ومطالعة واجهات المحلات لحين وصوله.

راحت هيستير تسير على مهل، إلى أن استوقفها شيء في إحدى الواجهات...

مبنى قديم متهالك هو، وقد بدا وأنه كان مسرحًا يومًا ما، وفوق بابه كانت لافتة وردية مبهجة الشكل كُتِبَ عليها: (خبرات نيمرود بيني رويال)، ومن حولها ملصقات تعلن: (إحياء مغامرات العمدة نيمرود بيني رويال في خمس قارات على متن ألف مدينة . عرض تعليمي وترفيهي). وفي واجهة المبنى استقر تمثال من الشمع لبيني رويال يحدق إلى نصل هلالي الشكل يتدلى من بندول مثبت فوق رأسه يتحرك جيئة وذهابًا ومعه تتحرك رأس التمثال.

العمدة بيني رويال؟! لطالما تساءلت هيستير عما آل إليه مصير ذلك المستكشف الزائف بعد إطلاقه النار على توم وفراره على متن منطاد "جيني هانيفر" الذي سرقه منهما، وقد افترضت أن الآلهة لا بد قد أنزلت به العقاب على كل ما اقترفه من أكاذيب وخداع. ولكن يبدو أن الآلهة، بدلًا من أن تعاقبه، قد كافأته وأجزلت له العطاء!

بيني رويال لا يزال حيًّا إذن، وهو يعرف جيدا ما اقترفته في الماضي وأنها قد دَلّت "أركانجيل" على مسار أنكوراج، لقد أخبرته بذلك بنفسها في تلك الليلة في مطبخ منزل السيد والسيدة "آكيوك" بينما كانت تستعد لقتل "ماسجارد" ورجاله.

توجهت هيستير بسرعة نحو منفذ التذاكر وناولت العامل عملة من البرونز، ثم دخلت إلى المسرح. وفي الداخل بدا لها أن زوار برايتون بالتأكيد قد وجدوا لأنفسهم وسائل للترفيه والتعلم أفضل من التعرف على خبرات بيني رويال، فقد كان المكان مهجورًا تقريبًا، تفوح منه رائحة الغبار المميزة للمتاحف المهجورة، بالإضافة إلى رائحة أخرى غامضة لكنها بدت لها مألوفة في ذات الوقت.

أخذت هيستير تتجول بين قطع فنية مملة موضوعة في الواجهات الزجاجية، ونموذج لموقع مكب عتيق للنفايات كان بيني رويال قد قام بالتنقيب فيه يومًا، ولوحات وتماثيل شمعية تجسد إحداها بيني رويال وهو يقاتل دبًّا، وأخرى تصوره وهو يفر من جماعة من القراصنة الجويين، وثالثة وهو يتم تقديمه كقربان لأحد الآلهة في عبادة قديمة لإحدى قبائل المحاربات النساء... إلخ. وكانت كل تلك الأعمال مستوحاة من كتب بيني رويال الأكثر مبيعًا بما تحويه من أكاذيب؛ إلا أن لوحة واحدة فقط استرعت انتباه هيستير، حيث يظهر فيها بيني رويال وهو يمسك سيفًا في يده ويقاتل حشدًا من الصيادين الهمجيين، وإلى جواره امرأة شابة جميلة تلفظ أنفاسها.

وقفت هيستير تحدق إلى اللوحة لنحو دقيقة أو أكثر، حين لاحظت أن الفتاة المحتضرة كانت تضع رقعة على إحدى عينيها، وعلى خدها كانت ندبة صغيرة.

"يا للآلهة!"، صاحت هيستير بصوت مسموع، "أهذه المرأة... هي أنا؟!".

وتردد صوتها عاليًا في الفراغ المحيط، وما كاد صداه يتلاشى حتى سمعت صوت خطوات تأتي نحوها، ثم أطل الرجل الذي كان في كشك التذاكر برأسه من الباب وسألها:

"هل كل شيء على ما يرام يا سيدتي؟".

فأومأت هيستير، وكانت تشتعل غضبًا لدرجة أنها لم تقوَ على الرد.

"لوحة رائعة، أليس كذلك؟"، قالها أمين المتحف، وكان رجلًا ذا وجه ودود، في منتصف العمر، أصلع الرأس لا يملك سوى خصلات قليلة من شعر في لون الرمال قام بتمشيطها بعناية عبر رأسه. وكان قد اقترب من هيستير إلى أن توقف بجوارها مبتهجًا في فخر وهو يشير إلى اللوحة ويقول:

"إنها مستوحاة من الفصول الأخيرة من كتاب "ذهب المفترسين"، حيث خاض جلالته معركة مع صيادي أركانجيل".

"من هذه الفتاة؟"، سألته هيستير.

"ألم تقرئي كتاب "ذهب المفترسين"؟"، سألها الرجل وقد بدا مُتفاجئًا، "... إنها هيستير شاو، الملاحة التي باعت أنكوراج لصيادي أركانجيل. لقد ضَحَّت بنفسها للتكفير عما اقتَرَفَت . يا لها من مخلوقة مسكينة . وماتت وهي تقاتل في صف بيني رويال، قتلها زعيم الصيادين بيتور ماسجارد".

لم تتمالك هيستير نفسها من الغضب، فهرعت تركض بعيدًا عن اللوحة نحو سلم معدني مغبر يقود إلى الطابق العلوي من المتحف، فشرعت تصعد عبره وهي لا تكاد تبصر أيًا من المعروضات التي مرت بها.

وفي رأسها كانت الأفكار تتصارع وقد تملكها الذعر... لقد انهار كل شيء، فبيني رويال لا يدري فقط بما اقترفته وإنما وضع كتابًا عنه كذلك! بل وتم تصويره في لوحات! وحتى وإن كان قد قام بلي الوقائع وتحريفها، تبقى الحقيقة ثابتة، قابعة بين صفحات كتابه، مُدَوَّنة بالمداد الأسود فوق الأوراق البيضاء: هيستير شاو باعت أنكوراج لصيادي أركانجيل. ترى هل سيظل توم يحبها حتى حينما يكتشف حقيقة ما فعلت؟

بلغت هيستير قمة الدَّرَج حيث الطابق العلوي، وقد ازدادت الرائحة الغامضة المألوفة قوة هنا، وفجأة تذكرت كُنه تلك الرائحة: إنها مزيج من رائحة وقود الطيران وغاز المناطيد. ثم إنها نظرت نحو الأعلى...

كان الطابق العلوي عبارة عن غرفة واحدة ذات سقف زجاجي، وفي منتصفها، فوق دعامة عمودية، استقر منطاد قديم مهترئ، وقد كُتِب اسمه على جانبه: "أركتيك رول"، لكن هيستير كانت تعرف ذلك الزورق جيدًا، وتلك المحركات من طراز (جانيت

كاروت) ... لقد عاشت بين مقصوراته الضيقة لعامين، وحَلَّقت به عبر نصف العالم تحت بالونه الغازي الأحمر القديم... إنه "جيني هانيفر"!

"أيها الزورق القديم القبيح، أهذا أنت حقًا؟!"، قالتها هيستير وهي تشهق من المفاجأة، وفي غمار دهشتها لم تلحظ أن أمين المتحف قد لحق بها في الأعلى، حيث وقف خلفها مباشرة، وقال مبتسمًا:

"لقد منحته هيستير شاو للبروفيسور بيني رويال وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، وقد حَلَّق به عائدًا إلى الوطن "برايتون"، عبر عواصف القطب الشمالي وهجمات القراصنة الجويين".

وبجوار الزورق كان قد تم إقامة ممشى خشبي، فاتجهت هيستير نحو الدرجات المؤدية إليه وصعدت عبرها نحوه وهي بالكاد تنصت لما يقوله الرجل، إلى أن بلغت الزورق، فراحت تنظر إلى داخله عبر نوافذه المغبرة، وتستعيد في ذاكرتها حقيقة ما جرى مع هذا المنطاد.

وكانت تتذكر تصميمه من الداخل جيدًا... هناك تقع المقصورة الخلفية، والسرير الضيق الذي اعتادت النوم فوقه بجوار توم... وهنا مقعد القيادة حيث قضت العديد والعديد من الساعات... وهناك، عند تلك الألواح على أرضية الزورق، حبلت هيستير في رين...

راحت هيستير تتشمم الهواء من حولها، ثم قالت للرجل:

"رائحتها تشي بأنها جاهزة للإقلاع...".

"نعم بالفعل يا سيدتي، هل أنتِ ملاحة جوية؟".

فالتفتت هيستير نحوه وهي تتساءل في قرارة نفسها عما إذا كان قد استنتج من تكون، لكنها استبعدت ذلك وخمنت أنه فقط يتجاذب معها أطراف الحديث الودي. "نعم، أنا كذلك"، أجابته، "أنا كابتن فالانتاين، من فريا".

"آه..."، قالها الرجل، ثم أشار برأسه نحو "جيني هانيفر" من جديد وقال:

"هذا المنطاد سيقود العرض الجوي للمناطيد التاريخية غدًا يا آنسة فالانتاين".

تلمست هيستير الجانب السفلي البارد لغطاء المحركات وراحت تتخيله إذ يعود للحياة. وكانت قد بدأت تستعيد توازنها من أثر الصدمة التي تعرضت لها منذ قليل؛ فعلى أي حال توم يعرف جيدًا أن بيني رويال رجل كاذب، فما الذي سيدفعه لتصديق أي شيء يقوله عنها ذلك المحتال؟ ومن وراء وشاحها افتر ثغر هيستير عن ابتسامتها الملتوية.

"لا بد أنه سيكون عرضًا رائعًا..."، قالها الرجل وكان لا يزال يبتسم لها، "... سيتم إعادة تمثيل أحد أكثر مغامرات البروفيسور بيني رويال خطورة، معركته على متن منطاده "أركتيك رول" في مواجهة مجموعة من سفن القراصنة الجويين، وسيتم استخدام صواريخ حقيقية أثناء العرض...".

جالت هيستير ببصرها عبر أرجاء القاعة، ثم سألت الرجل:

"وكيف ستُخرِجون المنطاد من هنا؟".

"نعم؟ آه، عبر السقف، إنه ينفتح نحو السماء، تمامًا كمستودعات المناطيد، ليحلق به العمدة نحو الأعلى".

فأومأت هيستير، ثم نظرت إلى ساعة جيبها لتتفقَّد الوقت، لقد نسيت موعدها مع توم، وقد مرت بالفعل عشرون دقيقة على موعدهما. ثم إنها آبت عائدة عبر الدرجات إلى الأسفل، بينما هرع الرجل خلفها. وفي الأسفل، في محل التذكارات بجوار باب الخروج، ابتاعت هيستير لنفسها نسخة من كتاب بيني رويال "ذهب المفترسين" وأعطت الرجل قطعتين من العملة.

"آ.. إذا سمحتِ لي يا آنسة فالانتاين..."، قالها الرجل بينما هو يفتح صندوق النقود ليجلب لها الباقي، "... هل لي أن أتجرأ وأطلب منك أن ترافقيني غدًا للعرض الجوي؟ وربما للعشاء بعدها؟".

ولكن حين رفع الرجل رأسه كانت الملاحة الغامضة قد اختفت من أمامه، بينما باب الخروج ينغلق خلفها.

مشت هيستبر بخفة عبر "أولد ستاين" نحو المقهى، ووضعت كتاب بيني رويال في جيبها. وكان إحساس بالسعادة يغمر كيانها، وقد جعلها تودد أمين المتحف

الأحمق لها تشعر بأنها جذابة، لدرجة أن الذعر الشديد الذي كانت تشعر به منذ لحظات قد تلاشى تقريبًا.

وكانت هيستير قد أدركت بعد تفكير أن بإمكانها جعل الأمور تسير على ما يرام، إذ يمكنها أن تطلع توم بنفسها على الكتاب وأن يضحكا معًا على ما جاء فيه من أكاذيب بيني رويال بصددها؛ كذلك كانت تشعر أن بإمكانها تحرير رين من عنابر العبيد واستعادة الجيني هانيفر والتحليق به بعيدًا، معًا.

كانت طاولات المقهى جميعها تعج بالبشر، لكن توم لم يكن على أي منها، فراحت تدور حول المقهى بحثًا عنه في الجوار وقد انتابها الانزعاج، فتوم لم يكن ممن يتأخرون عن مواعيدهم بهذا الشكل، كما أنها كانت متشوقة لإطلاعه على خطتها.

"هيستير؟"، قالتها واحدة من العاملين في المقهى وهي تدنو نحوها وفي يدها ورقة مطوية، "أنتِ هيستير، أليس كذلك؟ لقد جاء أحد السادة وقال إنكِ ستأتين إلى هنا، وطلب مني أن أسلمك هذه الورقة".

كانت الورقة عبارة عن إعلان دعائي لعروض الحوض المائي، وعلى ظهرها كتب توم بخط أنيق:

"عزيزتي هيت، سأقابلك عند "الدودة الحلزونية". رين تم أسرها كعبدة، وسأذهب إلى مكان يدعى "وعاء الفلفل "لأرى ما إذا كان بالإمكان إعادة شرائها".

***

"24"

ريكوام فورتيكس

منذ مغادرتهم "شان جو"، قضى الأسطول الجوي وقتا طيبًا، حيث عبروا المياه الفيروزية المتلألئة للخليج الفارسي، ثم اتجهوا غربًا فوق تلال "جبل حَمَر". وقد حلقت المدمرات الأربع الواحدة تلو الأخرى، ومن حولهم كان هدير محركات المناطيد المقاتلة المرافقة لهم . موراساكي فوكس سبيريتس وزانج شين هوكموث . تشق الهواء.

وعبر فرجة في الزورق المدرع لمنطاد المطارد فانج "ريكوام فورتيكس"، راحت أوينون زيرو تتطلع نحو اليابسة البعيدة. لم يكن ثمة شيء يتحرك هناك فيما عدا ظلال المناطيد، ولكن حيثما توجهت بناظريها كانت تجد الحفر العميقة التي خلفتها عجلات المدن المتحركة، وعند سفوح الجبال كانت مدن التعدين قد قامت بجرف كميات كبيرة من الصخور.

حينما علمت أوينون أنها سترافق سيدتها في تلك الحملة الغامضة، شعرت بسعادة كبيرة، فبعيدًا في السماء، على متن تلك المركبة، سوف تجد الفرصة لاستخدام سلاحها. إلا أن ما رأته على طول الطريق خلال الرحلة من آثار الدمار الذي خلفته "الداروينية البلدية" قد جعلها تتشكك من جديد حول ما إذا كانت على صواب فيما تريد فعله! إنها تكره الحرب، لكنها تكره المدن المتحركة كذلك، وفي حال قتلت فانج فإنها بذلك ربما تمنحهم مفتاح النصر بيدها!؛ وإذا انهارت العاصفة الخضراء فلن يمر وقت طويل حتى تستحيل الأرض برمتها خرابًا ودمارًا كهذا الذي تراه في الأسفل، أكوام من الأنقاض المنهارة، وهذا أيضا مما يأباه ضميرها...

"ما زلتِ تحاولين اختلاق المبررات لعدم تنفيذ ما جئتِ من أجله إلى هنا يا أوينون"... هكذا راحت تلوم نفسها في خذلان، بنفس النبرة التي كانت تؤنبها بها أمها وهي بعد طفلة حينما كانت تتهرب من أداء واجباتها المدرسية، "يا لكِ من جبانة".

ثم إنها راحت تتطلع عبر الأفق الضبابي المائل للون البني، والذي كانت تعلم أنه كذلك جزئيًا بفعل عوادم المدن والأدخنة المنبعثة منها. ومن وراء ذلك الضباب يقع البحر الأوسط، الذي لم يعد على مسافة بعيدة الآن.

حاولت أوينون التخلص من شكوكها ومخاوفها، وراحت تعد نفسها للحظة الحاسمة؛ فقد كانت المعركة التي جاءت تلك الحملة من أجلها على وشك الوقوع، وقد صار لأوينون خبرة لا بأس بها بالمعارك، ولهذا كانت تدرك جيدًا أن في أي معركة لا بد من لحظة ما تضرب فيها الفوضى كل شيء ويسود اضطراب تام، وهو ما كانت تحتاجه بالضبط، ففي تلك اللحظة تحديدًا سيكون في مقدورها إطلاق سلاحها على المطارد فانج دون أن يدرك أحد ما فعلته.

ثم إنها أشاحت بوجهها عن الفرجة، وتوجهت نحو الممرات داخل الزورق إلى حيث المقصورة التي يجلس بها عدد من الضباط يتبادلون الأحاديث. ومع اقترابها من باب المقصورة تناهى إلى مسامعها بعضًا مما يقولون، فوقفت عند الباب تنصت للحديث الدائر، دون أن يلحظ أحد وجودها...

"... إنها تقول إننا سنستهدف برايتون فقط"، قالتها الملازم "زاو"، ضابط المدفعية، بصوت خفيض خشية أن تسمعها المطارد فانج، "ولكن... لماذا برايتون تحديدًا؟ لقد قرأتُ كافة التقارير الاستخباراتية عنها، إنها أقل المدن خطورة ولا تعدو كونها مجرد مدينة طوافة للمتعة والترفيه".

"فانج لديها جواسيسها هناك..."، قالها الملاح "شيونج" وهو يحدق إلى كوبه الفارغ بتركيز، وكأنما يسبر أغوار خطط فانج في بقايا الشاي المترسبة بقاعه، "... لديها عملاء خفيون على متن المدينة يرسلون تقاريرهم السرية إليها مباشرة وليس لغيرها".

"نعم، ولكن ما الذي يدفعها لزرع جواسيس لها على متن برايتون؟".

"لا أحد يعلم! لا بد أن هناك شيئًا ما هامًّا في هذا المكان".

"مثل ماذا؟"، تساءلت "زاو" وهي تهز رأسها، "هناك بلدات مفترسة سمينة تقبع بين تلك التلال في الأسفل، فلماذا ندخر صواريخنا لبرايتون في حين يمكننا تفجير تلك البلدات المفترسة؟".

"ليس لنا أن نراجعها في أوامرها يا زاو"، قالها الجنرال "ناجا"، الرجل الثاني على رأس تلك الحملة، ورأت أوينون الضباط الأقل رتبة يقفون في انتباه ويحنون

رؤوسهم لدى سماعهم صوته.

كان "ناجا" مع العاصفة الخضراء منذ تأسيسها، وتوجد صورة فوتوغرافية شهيرة له . وكان لا يزال شابًا وسيمًا وقت التقاطها . وهو يرفع راية الصاعقة فوق حطام مدينة "تراكشنجراد"، وكان لدى أوينون ملصق من تلك الصورة على جدار غرفة نومها حينما كانت فتاة صغيرة. لكن ناجا لم يعد الآن شابًا ولا وسيمًا، فقد غزا الشيب مفرقه وصار شعره رماديًا، وأمسى وجهه الطويل مصفرًّا مجعدًا مليئًا بالندوب. إنه لم يتجاوز بعد الخامسة والثلاثين من العمر، لكنه بمعايير جيش العاصفة الخضراء قد بات رجلًا عجوزًا. وكان الرجل قد فقد إحدى ذراعيه في حرب "زان . ساندانسكي"، وكذلك أصيب بالشلل في ساقيه خلال الحصار الجوي لـ "أومسك"، إلا أن "فيلق البعث وإعادة إحياء المطاردين" تمكن من تصميم هيكل خارجي له يعمل بالطاقة، وبذلك صار بإمكانه التحرك والمشاركة في المعارك من جديد.

"أنا أيضًا لا تروق لي تلك الحملة..."، أقر "ناجا"، وقد راحت أجزاؤه الميكانيكية تصدر صريرًا حينما اتكأ إلى الطاولة، "فبرايتون لا تمثل تهديدًا لنا، وقد سمعت أنها قد قضت الصيف في مهاجمة تلك العصابات الطفيلية بعيدًا في شمال الأطلسي. كنت لم أزل متدربًا عسكريًّا في "روجز رووست" حينما هاجمت تلك العصابة من الشياطين قاعدتنا هناك، وقد فقدتُ خيرة أصدقائي في ذلك الهجوم، وبالتالي فقد أسعدني كثيرًا ما أنزلته برايتون بهم من تنكيل. ومع ذلك، تبقى الأوامر هي الأوامر، خاصة وأنها صادرة من "زهرة النار" فانج...".

ثم أنه توقف فجأة عن الحديث حين شعر بأوينون إذ تقف هناك عند المدخل...

"الجراح الميكانيكي"، قالها ناجا بفظاظة وهو يلتفت نحوها بينما قبضت يده المعدنية على مقبض سيفه، وقد راح هيكله الخارجي يصدر صوت قعقعة وصرير إذ انحنى نصف انحناءة تجاهها. ومن ورائه لاحظت أوينون تعبيرات الخوف ترتسم على وجوه الضباط، وكانت تدرك تمامًا ما يدور في أذهانهم في تلك اللحظة: ترى منذ متى وهي واقفة هنا؟ ماذا سمعت من أحاديثنا؟ هل ستخبر المطارد فانج؟

وحتى ناجا، بدا خائفًا منها.

"أرجو المعذرة"، قالتها أوينون وهي تنحني بشكل رسمي للجنرال وباقي الضباط،

ثم تقدمت إلى داخل المقصورة وصبَّت لنفسها كوبًا من شاي الياسمين . على غير رغبة حقيقية منها . وشربته سريعًا وفي صمت، فيما ظلت عيون الجمع معلقة عليها.

لقد كانوا يتوجسون منها، تمامًا مثلما كانوا يتوجسون خيفة وحذرًا من فانج ذاتها، وكانت أوينون تشعر بالسرور إزاء ذلك، فعلى الاقل هذا دليل على أنهم لا يشكون فيها ولا في نواياها على الإطلاق.

ولكن في موضع آخر خارج المقصورة، على متن الـ "ريكوام فورتيكس"، كان ثمة من يشك بها بشدة... جريك. وبينما هي تخرج من مقصورة الضباط وتصعد الدرج نحو مقصورتها الخاصة في الأعلى، كان هو يقف هناك في الظلال يراقبها وينتظر في صبر أن تقدم على تنفيذ خطوتها المزمعة.

***

"25"

وعاء الفلفل

كان المساء قد اقترب، بينما اتخذ توم طريقه نحو "وعاء الفلفل" عبر الشوارع المزدحمة بمظاهر الاحتفال والكرنفالات.

وكان أحد المواكب يمر بجواره عبر "أوشن بوليفارد"، محملًا بفتيات حسناوات، وفتيان، وقد ارتدين زي حوريات البحر، يتمايلن فوق عوامات كهربائية، وحولهم جميعًا دمى ضخمة راقصة تمثل آلهة البحر، ومصابيح ورقية على أشكال أسماك وأفاعٍ تلتف حول أعمدة طويلة. وفي بالون طائر على ارتفاع منخفض جلست مجموعة من الفتيات يرتدين زي الملكات وعلى رؤوسهن قبعات ضخمة من الريش، وقد رحن ينثرن القصاصات الملونة على الحشود.

ومن بين الممرات والفرجات بين المباني البيضاء، راح توم يتطلع نحو البحر، إلى أن دوى صوت هدير محركات صاخب يشق الأجواء، فالتفت توم نحو مصدر الصوت ليفاجأ بدورية من الأفراد يحلقون بواسطة آلات غريبة الشكل، ويندفعون على ارتفاع منخفض فوق أسطح المنازل.

وضع توم كفيه على أذنيه اتقاءً للصوت المدوي، وراح يتابعهم بنظره إذ يمرون. في الماضي كان يمكن لمثل ذلك المشهد أن يثير ذهوله تمامًا، أما الآن فلم تعد مثل تلك الأشياء تثير فيه أي شيء، وإنما فقط تذكره بمدى خطورة ذلك العالم وكم التغيرات التي طرأت عليه منذ أن انعزل عنه بعيدًا في أنكوراج بفينلاند، وهو ما جعله أكثر توقًا للعثور على ابنته والعودة بها في سلام إلى الوطن.

مضى توم في طريقه عبر الزحام متجهًا إلى العنوان الذي أعطته إياه الفتاة في الحوض المائي. وكان يعلم أن هيستير بالتأكيد ستوبخه لاحقًا على ذهابه إلى هناك بدونها، لكنه كان شديد التوتر بحيث لم يكن في مقدوره الانتظار في مقهى "بينك" لحين عودتها. علاوة على ذلك، كان ما فعلته زوجته بجارجل لا يزال ماثلًا في ذهنه، وهو ما جعله يشعر بعدم الارتياح إزاء ما قد تقدم على ارتكابه إن هي عرفت بما آل إليه مصير رين، لذا فقد قرر التوجه بمفرده لمقابلة ذلك المدعو "شكين" ومحاولة حل الأمور بهدوء وحكمة، لعل الرجل يكون عقلانيًا ويوافق على إعادة رين لأبويها

طواعية بمجرد أن يعرف حقيقتها، فإن لم يفعل فسيسعى توم لترتيب إعادة شرائها منه، وفي كلتا الحالتين لا يوجد أي داعٍ لاستخدام العنف.

بلغ توم وجهته أخيرًا، وما إن وقعت عيناه على برج شكين، "وعاء الفلفل"، حتى شعر بمزيد من التفاؤل. فمن المعتاد أن تكون أوكار تجار الرقيق عبارة عن أماكن قذرة في الطبقات السفلى في عمق المدن والبلدات المتوحشة، أما ذلك المبنى الماثل أمامه فكان عبارة عن برج أبيض أنيق ذي بوابات زجاجية يقف أمامها حرس في أزياء سوداء مهندمة.

توجه توم نحو البوابة الرئيسة، فاستوقفه أحد الحراس في أدب وقام بتمرير آلة كشف المعادن حول جسده قبل أن يسمح له بالدخول إلى قاعة استقبال فخمة وكأنها بهو للاستقبال في أحد الفنادق، حيث تناثرت عدد من المقاعد الطرية، وأصص لنباتات خضراء لامعة، وعلى الجدار استقرت لافتة كُتِب عليها بخط كبير: (شركة شكين) وتحت ذلك التعريف كُتِب بخط أصغر: (مستثمِر في البشر). أما الشيء الوحيد الذي يدل على حقيقة ذلك المكان فقد جاء لتوم من أسفل الأرضية ذات البساط ذي ألوان أعشاب البحر، حيث تناهت إلى مسامعه أصوات خافتة لصيحات وصراخ غاضب مكتوم.

"أعتذر عن الضوضاء"، قالتها له امرأة حسنة المظهر تجلس خلف مكتب أسود، "إنهم هؤلاء الحثالة من الصبية المفقودين. لقد كانوا شديدي السكون حينما انتشلناهم من الأعماق، لكنهم يزدادون إزعاجًا وإثارة للمتاعب يومًا بعد يوم. على أي حال هذا لا يهم، فمزاد الخريف سيبدأ غدًا ولسوف نتخلص منهم قريبًا".

"إذن أنتم لم تقوموا ببيعهم بعد؟"، هتف توم، "أنا سعيد للغاية لذلك، فأنا أبحث عن ابنتي، رين ناتسوورثي، لقد كانت مع الصبية المفقودين وأظن أنكم ربما قمتم بأخذها عن طريق الخطأ...".

رفعت المرأة حاجبيها الرفيعين كالأسلاك، في دهشة، ثم قالت:

"لحظة واحدة من فضلك".

ثم انحنت فوق مكتبها وراحت تتحدث همسًا عبر جهاز الاتصال الداخلي الموضوع أمامها، الذي بدا بالنسبة لتوم أداة متقدمة للغاية.

ومن الجهاز انبعث صوت هامس، وبعد لحظة رفعت المرأة عينيها نحو توم وقالت مبتسمة:

"السيد شكين سوف يقابلك بنفسه. يمكنك التوجه إلى مكتبه في الطابق الأعلى".

فتوجه توم صوب دَرَج حلزوني يقود إلى الأعلى، إلا أن المرأة ضغطت زرًّا على مكتبها، فانفتح باب صغير في الحائط، وأدرك توم أن هذا باب مصعد، فاتجه نحوه فورًا.

كان المصعد صغيرًا للغاية لا يشبه بأي حال تلك المصاعد العامة الضخمة التي يتذكرها من طفولته في لندن، بل كان أشبه ما يكون بخزانة صغيرة مغطاة بألواح من عرق اللؤلؤ. ومع ذلك فقد حرص توم على ألا يبدو عليه الاندهاش، وخطا إلى داخل المصعد في هدوء.

انغلق الباب، وشعر توم بمعدته تتقلص مع حركة المصعد السريعة؛ وحينما انفتح من جديد، وجد توم نفسه داخل غرفة مكتب فاخرة، فيما نهض رجل من وراء مكتب معدني أسود وتقدم نحوه لملاقاته.

"السيد شكين؟"، سأله توم، ومن ورائه كان باب المصعد قد انغلق بهدوء وعاد المصعد إلى الطابق السفلي.

انحنى نابيسكو شكين في تهذيب ترحيبًا بضيفه، ثم مد نحوه يدًا مغطاة بقفاز رمادي، وقال في تؤدة:

"عزيزي السيد ناتسوورثي... الآنسة وييمز أبلغتني أنك جئت في طلب واحدة من عبيدنا، الفتاة التي تدعى رين".

شعر توم بالغضب يجتاحه وهو يسمع الرجل إذ ينعت ابنته بالعبدة، لكنه تمالك أعصابه ومد يده يصافح شكين، ثم قال:

"رين هي ابنتي، وقد اختطفها واحد من الصبية المفقودين، وقد جئت الآن لاستعادتها".

"حقًّا؟"، قالها شكين وهو يتفرس في توم مليًّا، ثم: "للأسف لا أعرف شيئًا عن قصة

تلك الفتاة، لقد بيعت بالفعل".

"بيعت؟!"، صاح توم، "أين هي؟ أما زالت على متن برايتون؟".

"عليَّ أن أعود لسجلاتي للتأكد، فقد قمنا ببيع العديد من العبيد هذا الشهر...".

ثم إن المصعد انفتح من جديد، ومنه خرج عدد من الرجال المسلحين يرتدون الزي الأسود، فيما ظل توم واقفًا في مكانه شاخص البصر وقد أخذته المفاجأة؛ ولم يكد يدرك ما يحدث حتى قام أحد الرجال بضربه بمقبض هراوته في جانبه بينما أمسك به رجلان آخران وقد انثنى على نفسه من أثر الضربة والصدمة معًا، غير قادر على التنفس.

سار نابيسكو شكين عبر أرجاء الغرفة وراح يغلق ستائر النوافذ الطويلة ليحجب الرؤية عن المتواجدين في الخارج، قائلًا:

"هناك الكثير من المناطيد وبالونات التنزه في السماء اليوم... لا أريد أن يرى أي من السائحين السعداء ما يدور هنا".

وما إن انتهى من إغلاق الستائر حتى أمست الغرفة مظلمة، فتوجه الرجل من جديد نحو مكتبه وضغط على زر جهاز الاتصال الداخلي:

"مونيكا، أرسلي الصبي إلى مكتبي، دعينا نكتشف ما إذا كان هذا البائس هو ما يدعيه حقًا".

ثم قام آسرو توم بلي ذراعيه إلى الخلف بقسوة وقيدوهما، بلا داعٍ في واقع الأمر، فهو لم يكن قادرًا على الوقوف فضلًا عن محاولة مقاومة أربعة من الحراس الأشداء والتغلب عليهم. وكانت نبضات قلبه تتسارع بشكل مضطرب بينما الألم يعصف بجنبه.

اقترب شكين من توم ورفع كُم ردائه وهو ينظر نحوه بشيء من النفور، ثم انتزع منه سوار زواجه...

"إنه يخصني!"، صاح توم، "أعده إليَّ!".

إلا أن شكين راح يطوح السوار في الهواء ويلتقطه، ثم قال:

"منذ الآن ليس لك ملكية لأي شيء... أنت نفسك صرت مِلكًا لي، ما لم يكن لديك

أوراق تثبت أنك رجل حر. أما إن كنت حقًا من تزعم، فإنك لن تكون في حاجة لذلك".

ثم إنه رفع السوار لأعلى وحدق إليه قليلًا ليقرأ الحروف المنقوشة عليه:

""ه. ش" و" ت. ن"... يا له من أمر مؤثر...".

دق جرس المصعد من جديد وجاء واحد آخر من حراس شكين، إلا أن هذا الحارس كان مجرد صبي يرتدي نفس الزي الذي يرتديه البقية: زي أسود وقبعة سوداء ذات حافة حادة كتب على مقدمتها شعار "شكين" باللون الفضي.

"حسنًا يا فيش كيك..."، قالها شكين، "... هل تعرف ضيفنا هذا؟".

فتطلع الصبي نحو توم قليلًا ثم قال:

"إنه هو، نعم يا سيد شكين، لقد رأيته على الشاشات حينما كنا في أنكوراج. إنه والد رين".

"كيف لك أن تعرف ر..."، شرع توم يسأله ملهوفًا، ثم سرعان ما أدرك من عساه يكون الصبي، إنه فيش كيك، ذلك الذي تحدث عنه العم، إنه من قام باختطاف رين كذلك!

وكان توم يعرف جيدًا في أعماقه أنه، بطبيعة الحال، لا بد وأن يشتعل غضبًا من الصبي، إلا أن ما رآه وسمعه لم يزده إلا غضبًا وحنقًا تجاه شكين، فقد لاحظ ذلك الشعار المختوم بالنار على ظاهر يد الصبي النحيلة... أي نوع من البشر هذا الـ "شكين"؟! كيف له أن يفعل هذا بطفل؟ وأي مدينة تلك التي تسمح لرجل مثل هذا بأن يعمل بها ويزداد ثراءً؟!

ثم إن توم صاح:

"فيش كيك، رجاءً، هل رين بخير؟ هل تأذَّت؟ هل تعرف من اشتراها؟".

هم الصبي أن يجيب، إلا أن شكين أسكته:

"لا تجب على أسئلته أيها الصبي".

وفي اللحظة التالية ضرب أحد الحراس توم من جديد ضربة جعلت الهواء يخرج من رئتيه دفعة واحدة محدثًا صوت زفير عالٍ.

"لقد تعلّم فيش كيك الطاعة"، قالها شكين، "وهو يعرف جيدًا أنه إذا لم يطعني فسوف أعيده إلى أقفاص العبيد مع رفاقه، ولسوف يتكفلون هم بتقطيعه إربًا جزاء خيانته لجريم سباي".

ثم إنه مزق صدرية توم ورفع قميصه، وراح بإصبع واحد يتتبع أثر الندبات التي خلفتها الجراحة غير الاحترافية لـ "ويندولين باي"، وقد لاح خيال ابتسامة على وجهه، ثم قال:

"إن عمدة هذه المدينة رجل مزعج للغاية يا سيد ناتسوورثي، وإني لأعتقد أن في إمكانك مساعدتي على كشفه أمام العالم كرجل محتال وكاذب، ولكن أولًا سيتعين على ابنتك مساعدتي في استعادة شيء سرقه مني. ومن يدري، ربما إذا تعاونتما معي فقد أقوم بإطلاق سراحكما".

ومن جديد راح الرجل يطوح سوار زواج توم في الهواء ويلتقطه بينما هو يتوجه نحو مكتبه. ثم إنه انحنى نحو جهاز الاتصال الداخلي وقال:

"آنسة وييمز، جهزي زنزانة في الطبقات الوسطى للسيد ناتسوورثي، وبلغي رجالي أن يعدو مركبة لي للتوجه نحو "أولد ستاين". أعتقد أن عليَّ أن أحضر حفل جلالته رغم كل شيء".

وفي تلك الأثناء، كانت هيستير واقفة عند الباب الزجاجي للمبنى الأبيض الأنيق، تتطلع نحو الداخل، لكن دون أن تجد أي أثر لتوم. لقد بحثت عنه في كل مكان، على أمل أن يكون قد عاد إلى "الدودة الحلزونية" قبل التوجه لمقابلة تاجر العبيد، أو أن يكون قد رجع إلى مقهى "بينك". لكنه لم يفعل، وها هي ذي تقف خارج "بيبر بوت" وقد اعتراها الغضب، وكذلك شعور آخر خافت بدأ يتسلل إلى نفسها: الخوف، فقد كانت على يقين بأن توم في الداخل، وأن شيئًا سيئًا قد وقع له.

وكانت الستائر مسدلة في أحد الطوابق العلوية، كذلك كان عدد من الحراس في ثيابهم السوداء يملؤون قاعة الاستقبال ويتحدثون إلى امرأة بدت لهيستير متعجرفة. وقد طفقت هيستير تحاول تقييم الموقف وتقلبه في ذهنها، وتفكر فيما إذا كان يتعين عليها الدخول ومجابهتهم. إلا أنها تراجعت عن هذه الفكرة، إذ لم تشأ الدخول والوقوع في نفس الفخ الذي تشعر في داخلها أن توم قد وقع به.

وقد لاحظت أن واحدًا من الحراس ينظر نحوها وقد انتبه إلى أنها تحدق نحو الداخل باهتمام، فقررت أن تتصرف بشكل لا يثير الشكوك، فسارعت نحو الاتجاه الآخر ومضت في طريقها وكأنها مجرد سائحة فضولية، ثم توجهت نحو أحد المقاهي على الجانب الآخر من الساحة المقابلة للمبنى، وطلبت لنفسها كوبًا من القهوة المثلجة، وراحت ترتشفها وتفكر...

لا بد أن هذا الـ "شكين" قرر أن يحتجز توم لديه لسبب ما، ربما ظن أن لزوجها علاقة بالصبية المفقودين... حسنًا، هذه ليست بمشكلة عويصة بالنسبة لها، فسوف تتمكن بشكل أو بآخر من إنقاذه كما سبق وحاول هو إنقاذها حين كانت أسيرة في "روجز رووست" ذات يوم. ولكن كيف لها أن تدخل إلى ذلك البرج؟ لقد رآها الحارس الواقف عند الباب وبدا مرتابًا في أمرها بالفعل؛ وبالطبع لن يمكنها اقتحام المكان في ظل كل تلك الزحام والحشود.

يا لتوم المسكين، لماذا أتى وحده إلى هنا؟ كان عليه أن يعرف أنه لن يتمكن وحده من التعامل مع أشخاص مثل نابيسكو شكين.

دفعت ثمن قهوتها المثلجة، ثم سألت النادل:

"أهذا هو مقر شكين؟ ذلك البرج؟ إنه يبدو صغيرًا للغاية كي يأوي أعدادًا كبيرة من العبيد".

"آه، إنهم يوضعون في طوابق تحت الأرض"، أجابها النادل وهو ينظر في سعادة للبقشيش الذي وضعته على الطاولة، "الزنازين وما تحويه من عبيد تقع في الأسفل. إنه المكان الذي يضعون فيه كل هؤلاء القراصنة المرعبين".

تذكرت هيستير "روجز رووست" مرة وكيف أنها استطاعت أن تنجو بنفسها وبتوم وأن تخرج بهما إلى بر الأمان هناك عبر الفوضى التي خلفتها غارة الصبية المفقودين على المكان.

ثم إنها غادرت المقهى وسارت بسرعة وهي تتحقق بنظرة خاطفة من البندقية المثبتة في حزامها للتأكد من أنها لا تبرز من أسفل المعطف أو تفسد شكله.

***

"26"

في انتظار القمر

ما إن راحت الشمس تغوص بين الغيم فوق أفريقيا، بدأت برايتون تشق طريقها بتؤدة نحو الشاطئ، محملة بالحشود ومسيرات الأطفال حول "أوشن بوليفارد" حاملين اللافتات الملونة والمصابيح الورقية الكبيرة التي اتخذت شكل القمر، وآلاف من الفنانين المشهورين الذين راحوا يتبادلون الزيارات ويؤدون العروض الخاصة هنا وهناك.

"إنهم منشغلون للغاية على ما أحسب!"، قالها بيني رويال متذاكيًا وهو يتطلع إلى الأسفل، من فوق واحدة من منصات المتابعة العديدة في "السحابة التاسعة"، "... هناك الكثير من الرسامين والفنانين والممثلين في هذه المدينة. نحتاج لإقامة مهرجان كبير كل أسبوع أو اثنين لجعلهم يشعرون أن حياتهم السخيفة تلك ذات قيمة".

ومن أمامه حلقت العديد من البالونات والفقاعات الاحتفالية الملونة لتنطلق نحو سماوات المساء البعيدة. وقد حمل الهواء الأصوات الصاخبة وضجيج الاحتفال وأصداء الموسيقى والألعاب النارية.

وبين ظلال بساتين أشجار السرو عبر المروج الخضراء في حدائق القصر، بدأ ضيوف العمدة في الاحتشاد، حيث الرجال يرتدون الملابس الرسمية، والنساء يبدين رائعات في فساتين السهرة الفضية والزرقاء، فيما تناثرت المصابيح الورقية على طول الطريق وبين أعمدة المنصة التي استقرت فوقها الفرقة الموسيقية حيث كان بعض الموسيقيين منشغلين في ضبط آلاتهم.

ثم وصلت مجموعة "النمس الطائر"، بأشكالهم المربعة وبذلات الطيران المبطنة الخاصة بهم والأوشحة الحريرية البيضاء حول أعناقهم، حيث راحوا يصطخبون ويتحدثون بصوت عالٍ عن المركبات وقُطّاع الطرق والحمولات التي سقطت في المياه و...

ثم وصلت "أورلا تومبلي"، التي صففت شعرها اللامع إلى الخلف على شكل

جناحين خلفيين، وهي تتأبط ذراع بيني رويال.

ثم بدأ تقديم المشروبات والوجبات الخفيفة والمقبلات قبل بدء الرقص، وكانت رين واحدة من القائمين على خدمة الضيوف، وقد راحت تمر بين الحاضرين وقد غمرها إحساس بأنها جميلة ومتألقة في ذلك الزي الذي منحوها إياه: سروال فضفاض وسترة طويلة مصنوعة من قماش فضي انسيابي لم تشهد مثله من قبل.

إلا أن أيًّا من الضيوف لم يبدُ أنه لاحظ وجودها أصلًا، فقط كانوا مهتمين بما تحمله من أطعمة ومشروبات، وبينما هي تطوف بهم راحت أياديهم تمتد نحو ما في الصينية التي بين يديها من مقرمشات وحلوى وكؤوس الشراب، دون اكتراث بها هي.

إلا أن رين لم تهتم كثيرًا بذلك، فقد كانت لا تزال متعبة ومرتبكة بسبب الأحداث التي جرت في الليلة السابقة وما تلاها.

ففي صبيحة يوم الحفل، وعلى مدار الساعات السابقة عليه، سادت أجواء مضطربة وغريبة في القصر، حيث ظل الحرس يجيئون ويروحون، وتم تشديد الإجراءات الأمنية في كل مكان. علاوة على ذلك، راحت باقي فتيات القصر يمطرن رين بالأسئلة حول ما جرى وما إذا كانت شاهدت الجثة بنفسها؟ وهل كان هناك الكثير من الدماء؟ و... إلخ.

ومما زاد الطين بلة أن السيدة بيني رويال لم تكف طوال الوقت عن التبسم لرين كلما رأتها ابتسامات ذات معنى، وراحت تختلق الأسباب لترسل رين إلى حيث يتواجد ثيو نجوني، أو تبعث به إلى حيث تكون رين، وكأنها تأمل في أن تتحول قصتهما إلى واحدة من الأعمال الأوبرالية التي تعشقها، وأن يكون لها دور فيها باعتبارها السيدة الذكية العطوف التي جعلت حبهما ممكن.

الغريب أن كل ذلك اللطف لم يزد رين محبة لبوبو، بل على العكس؛ فأن تمتلك سيدتها عبيدًا لهو أمر، وأن تسعى لتسيير علاقاتهم العاطفية كما يتراءى لها، لهو أمر مختلف تمامًا. وقد شعرت بأن زوجة العمدة تحاول التأليف بينها وبين ثيو، تمامًا كما لو كانت تآلف بين كلبين.

لذا فقد أحست رين بالراحة والسرور لكون أحد لا يلاحظ وجودها، وراحت تمضي الوقت في متابعة ما يدور حولها؛ وأينما ولت وجهها كانت ترى شخصيات شهيرة بات

من السهل عليها تمييزها، إذ كان كثير منهم ممن تظهر صورهم على صفحات الاجتماعيات في صحيفة "باليمبسيست"، من رسامين مشاهير مثل "روبرتسون جلوم" و"أريان آراي". كذلك كانت الممثلة الرائعة "دافينا تويستي"، التي حققت نجاحًا باهرا في عملها "هارتس أكيمبو" الذي عرض على مسرح "مارلبورو". وهذا الرجل الذي يرتدي القبعة، لا بد أنه النحات "جورملس" التي تملأ منحوتاته السخيفة الأماكن والساحات العامة في المدينة... أوليس ذلك الذي يقف هناك هو المؤلف العظيم "بي بي بيلمان"؟ مؤلف الكتب الإلحادية للطفل العصري؟

راحت رين تتأمل هؤلاء المشاهير اللامعين من حولها، وتساءلت في قرارة نفسها حول ما سيكون عليه شعور كل هؤلاء لو أنهم علموا أن رجلًا قد قتل هنا على متن "السحابة التاسعة" منذ أقل من أربع وعشرين ساعة؟!

ثم إنها التقت سينثيا في طريقها، فسألتها:

"هل ثمة أخبار جديدة؟".

"أخبار؟"، رددت سينثيا في سذاجة جلية.

"أخبار حول ذلك المسكين السيد بلوفري؟ هل وجدوا قاتله؟".

"آه!"، قالتها سينثيا وهزت رأسها نافية، "لا، وقد أمرتنا السيدة بيني رويال بعدم التحدث عن ذلك مطلقًا... ولكن، ما هذا الذي سمعته بصددك أنتِ وثيو؟".

"لا شيء، إنه فقط في خيال بوبو لا أكثر".

"أرى أن وجهك قد احمرَّ الآن! رين، أنا أعلم أنكِ معجبة به، لقد رأيتكِ تحدثينه في ذلك اليوم عند المسبح، أتذكرين؟".

إلا أن رين تركت سينثيا دون أن تنطق بكلمة ومضت في طريقها بين الجموع، وراحت تسألهم في أدب:

"أترغب في شراب يا سيدي؟ بعض المقبلات يا سيدتي؟"، أو تجمع الأكواب والكؤوس الفارغة وكذلك شذرات من المحادثات الدائرة هنا وهناك...

"انظري ماذا ترتدي تويستي...".

"يجب أن تقابلي جلوم، إنه مدهش...".

"هل قرأت أحدث أعمال بيلمان؟ إنها رائعة، بل هي واحدة من أفضل الأدبيات التي كتبت في عصرنا للأطفال دون سن الخامسة...".

مضى الوقت وحل الغسق ليتسيد السماء، وكانت "دافينا تويستي" تحاول إقناع بعض أصدقائها ومعجبيها أن ينطلقوا معها في مغامرة عبر متاهة الغابات المعقدة في "السحابة التاسعة"، فيما بدأت الفرقة الموسيقية في عزف مقطوعات "الأصداء الذهبية" و" تهويدة القمر".

وكان لم يبقَ سوى وقت قليل قبل أن يرتفع القمر في السماء وتبدأ الألعاب النارية في الخارج في الانطلاق ليستمتع بها الجميع، ثم يتوجهوا بعدها إلى القصر حيث الرقص من جديد مع مزيد من الأطعمة والمشروبات.

كان الإنهاك قد تمكن من رين تمامًا، فوقفت لتستريح قليلًا في ركن هادئ من الحديقة بالقرب من حافة الطبقة، مستمتعة بانفرادها بنفسها أخيرًا، وراحت تنظر عبر البحر إلى حيث المدن المدرعة على الشاطئ، وتفكر كم تبدو تلك البلدات كئيبة قاتمة، إذ تقبع هناك فوق الكثبان كمعابد مهجورة لسلالة مندثرة من البشر.

فجأة شعرت بيد تنسل على كتفها كعنكبوت رمادي، فأجفلت والتفتت لتجد نفسها تتطلع في وجه نابيسكو شكين الخالي من أي تعبيرات.

"يبدو أنك تستمتعين بالمنظر، أليس كذلك يا عزيزتي؟"، قالها شكين، "آمل ألا يكون أي من ضيوف جلالته قد لاحظ تسكعك هنا، فشركة شكين لها سمعتها الحسنة في أنها لا تتاجر سوى في العبيد المجتهدين في العمل".

تراجعت رين بعيدًا عنه وحاولت العودة إلى حيث الأضواء والضحكات المنبعثة من الحفل، إلا أن شكين اعترض طريقها... ما الذي يريده هذا الرجل منها؟ هكذا راحت تفكر في خوف... لا بد وأنه قد تتبعها عبر الحدائق المزدحمة للقصر منتظرًا اللحظة المناسبة كي يتمكن من الانفراد بها.

كانت رين في تلك اللحظة تشعر بالهلع وقد تجمدت أطرافها، فرفعت الصينية الفارغة التي في يدها وكأنها تتخذ منها درعًا تحتمي وراءه من الرجل، لكن شكين

أخذ يضحك بطريقة لم تستسغها، لدرجة أنها فضلت لو أنه ظل صامتًا جامد الملامح.

"ما الذي يدفعني لإيذائك أيتها الطفلة؟"، قالها شكين، "... أنا فقط أريدك أن تؤدي مهمة لأجلي، مهمة بسيطة وسهلة للغاية. هل تعرفين مكان خزنة سيدك الخاصة؟".

فأومأت رين أن "نعم".

"يا لك من فتاة طيبة!".

ثم رفع شكين يده ممسكًا بورقة مستديرة صغيرة كُتِب عليها مجموعة من الأرقام، وقال:

"تلك هي الأرقام السرية لخزنته، أريد منك أن تفتحيها وتجلبي لي كتاب الصفيح منها. لقد أرسلتُ صديقًا لأداء تلك المهمة أمس، لكن بلغني أنه قد تعرض لحادث".

خفضت رين الصينية وهي تفكر ما وقع لبلوفري، وقد لاحظ الرجل ما اعترى ملامحها من وجوم، فقال:

"لا تكوني متجهمة هكذا، لقد سبق وسرقتي ذلك الكتاب، لقد أخبرني الصغير فيش كيك بكل شيء".

"أنا لن أفعل ذلك..."، قالت رين، "... لا يمكن لك أن تستغلني".

فقام شكين بطي الورقة ووضعها في جيب داخلي بسترة السهرة التي يرتديها، ثم هز كتفيه وقال:

"يا لوالدك المسكين... لقد قطع كل تلك المسافة لإنقاذك، يا للمسكين".

لم تستوعب رين في البداية ما قاله الرجل، إلا أنه مد يده في جيب آخر ثم أخرج منه سوار الزواج الخاص بأبيها ووضعه على الصينية أمام عينيها، وعلى ضوء المصابيح الساطعة كان بمقدور رين أن تتعرف بسهولة عليه... ذلك السوار من الذهب الأحمر الذي يحمل الأحرف الأولى من اسميّ والدها ووالدتها. ولكن ما الذي أتى بهذا السوار إلى هنا؟

"هذه خدعة..."، صاحت رين، "... لا بد أن فيش كيك قد وصفه لك وأمرت أنت بصنع سوار مماثل...".

"ولماذا لا تقولين إن والدك العزيز قد جاء إلى برايتون لإعادتك إلى موطنك؟ إنه الآن ضيف على شركة شكين، ولو أنك فشلت في مهمتك فسوف يموت ببطء. لذا كوني فتاة مطيعة وتوجهي إلى مكتب بيني رويال لتجلبي لي ما طلبت".

كانت الأجواء في الحديقة قد بدأت تهدأ نوعًا، حيث راح بعض الضيوف يقتفون أثر دافينا تويستي التي انطلقت عبر متاهة الأشجار بينما البعض الآخر يحاول إسكات صخبهم استعدادًا لبزوغ القمر بعد لحظات قلائل. أما رين فقد أمست في حالة يرثى لها، حيث جعلتها فكرة وجود والدها بالقرب منها هنا في برايتون تبكي... كيف تأتّى له أن يصل إلى هنا؟ وكيف أمسك به شكين؟ وأين أمها؟ ثم إنها مدت يدها لتمسك بالسوار، إلا أن يد شكين كانت أسرع منها والتقطه من جديد من فوق الصينية، وبدلًا منه وضع الورقة التي تحمل الأرقام السرية للخزنة، وقال:

"فلتؤدي تلك المهمة الصغيرة من أجلي... وسوف يلتئم شملكما معًا من جديد، سوف أعيدكما معًا إلى موطنكما في فينلاند على متن واحدة من سفني".

لم تصدق رين وعده هذا، لكنها صدقت أخيرًا أن والدها بالفعل في قبضته، ولو أنها لم تمتثل لأوامره وتفعل ما طلبه فسوف يقوم بقتله... وكل هذا بسببها. لقد كان خطأها منذ البداية، فلو لم تكن قد قامت بسرقة ذلك الكتاب منذ البداية لما حدث كل ما حدث، ولظل والدها آمنًا في أنكوراج. والآن، لو أن سرقة ذلك الكتاب مرة أخرى هي السبيل الوحيد لإنقاذه وإبقائه على قيد الحياة، فسوف تفعلها.

"ولكن لماذا أنا؟"، سألته رين، "لا بد أنك تعرف أُناسًا يمكنهم أداء تلك المهمة وفتح الخزائن أفضل مني...".

"عليكِ أن تثقي في قدراتك..."، قالها شكين، "يبدو لي مما سمعت عنكِ أنك لصة بارعة حقًا. علاوة على ذلك، لو أنه تم الإمساك بك فإنني لن يكون لي صلة بذلك، فأنت من جلبتِ ذلك الكتاب إلى هنا منذ البداية، وسوف يحسب بيني رويال أنكِ إنما أردتِ استعادته لنفسك".

التقطت رين الورقة، وكان الظلام يزداد، وقد راح زملاؤها من العبيد يتحركون بين الأشجار ويطفئون الفوانيس، لكن الورقة البيضاء في يدها بدت لها وكأنها تلتمع بذاتها.

"حسنًا"، قالتها رين بصوت خافت، "... ولكن، ما هذا الشيء بالضبط؟ أظن أن الوقت قد حان لأفهم كنه كتاب الصفيح وما يمثله؟ ولماذا يرغب الجميع فيه بهذا الحماس؟".

"هذا ليس من شأنك"، أجابها شكين وهو ينظر من ورائها نحو الأفق، "هذا الكتاب يمكنني أن أحقق من ورائه أرباحًا لا بأس بها، وهذا هو كل ما يهمني في الأمر، ولا تعنيني أي أسباب أخرى... والآن اذهبي، فلديك عمل لتؤديه".

فأذعنت رين ومضت في سبيلها، وراحت تركض بعيدًا بين الأشجار، حيث كان القمر المقدس قد بدأ في البزوغ عبر الأفق.

ولبضعة ثوانٍ ساد الصمت التام أرجاء برايتون، فوفقًا للأعراف القديمة، تستقبل إلهة القمر أمنيات البشر ودعواتهم في تلك الليلة المقدسة لحظة ظهور القمر، وتقوم بتلبيتها جميعًا.

ولم يكن ضيوف بيني رويال ممن يعتقدون في تلك الأمور، حيث كانوا على درجة من الثقافة تجعلهم يعتبرون ذلك محض خرافات، ومع ذلك فقد أحنوا رؤوسهم جميعًا في تلك اللحظة، وقد عمد بعضهم إلى التبسم أو حتى الضحك بسخرية كي يظهروا للآخرين أنهم إنما يؤدون تلك الطقوس على سبيل المزاح لا أكثر. لكنهم في حقيقة الأمر . وعلى الرغم من ذلك . قد تأثروا في أعماقهم بتلك اللحظة، وفي مخيلاتهم راحوا يستعيدون ذكريات طفولتهم عن أعياد القمر.

وتصاعدت الأمنيات والدعوات على اختلافها... أمنيات بالحب... السعادة... المزيد من الثروة... إلخ، وفي الأسفل، على متن المدينة، راح فنانو برايتون يتمنون تحقيق المزيد من الشهرة والنجاح لأعمالهم. أما في الطبقات السفلى تحت سطح المدينة، راح العبيد والعمال البائسون يتمنون أن ينالوا حريتهم.

ثم انطلقت أولى الألعاب النارية لتكسر الصمت، وتلتها الثانية، فالثالثة، ثم انطلقت الصواريخ ودقت الأجراس، وقعقعت الأواني المعدنية والملاعق في المطابخ، وعاد الصخب من جديد يتفجر في كل مكان، ليصل إلى إلهة القمر في عليائها.

حتى لو لم يكن أسطول العاصفة الخضراء قد تمكن من التقاط إشارة برايتون اللاسلكية، كانت الألعاب النارية المنطلقة منها كفيلة بإرشادهم إلى موقعها بسهولة.

وقامت المركبات الحربية بإعادة ضبط إحداثياتها للتوجه نحو هدفها.

انتشرت المناطيد الحربية للعاصفة الخضراء عبر السماء، بينما أخذت طواقمها يعدون مطلِقات الصواريخ والمدافع الآلية والقنابل والمقاتلين الآليين، للهجوم.

وفي باطن مركبة المطارد فانج، راح جريك يفتش عن أوينون زيرو، إلى أن وجدها في مقصورتها تعكف على ارتداء خوذة فولاذية جعلتها تبدو أصغر سنًا وأقل صرامة عسكرية من ذي قبل!

لقد حيره جبنها كثيرًا، وكان على يقين من أنها ستحاول مهاجمة المطارد فانج قبل أن يصل الأسطول إلى وجهته، لكنها لم تفعل حتى هذه اللحظة، فهل تراجعت؟ ربما، فقد قام بتفتيش مقصورتها مرارًا ولم يجد أي دليل على وجود أي سلاح بحوزتها.

انطلقت الصافرات، وامتلأت ممرات المركبات الحربية بالمقاتلين البشر الخائفين والمطاردين المقاتلين، كل يهرع إلى موقعه.

توجه جريك إلى مقدمة الزورق فوجد سيدته تقف هناك تحدق إلى القمر الساطع دونما اكتراث لطاقمها وما يدور من عمل.

"لماذا نحن هنا؟"، سألها جريك.

فالتفتت تنظر نحوه بقناع الموت البرونزي، وكانت لم تخبر أحدًا بعد بالسبب وراء تلك الحملة. وكان جريك يعرف أنه لو كان أي من المقاتلين البشريين هنا قد جرؤ على توجيه ذلك السؤال لها، حتى لو كان الجنرال ناجا نفسه، لقامت فانج بتمزيق عنقه بمخالبها جزاءً لوقاحته. ولكن بالنسبة له، فقد اكتفت بالتحديق إليه لهنيهة ثم قالت بصوتها الهامس:

"قل لي يا سيد جريك، هل تتذكر حياتك السابقة؟ حياتك كإنسان؟".

"أنا حتى لا أتذكر حياتي السابقة كمطارد"، أجابها جريك، ومع ذلك فقد كانت . في تلك اللحظة . ذكرى باهتة تلوح في عقله: ذكرى طفلة ذات وجه دامٍ مشوه، ملقاة فوق كومة من الفلين القديم المستخدم في الصيد، لكنه سرعان ما أبعد الذكرى عن مخيلته، وأضاف:

"لا أتذكر أي شيء مما جرى معي قبل أن تقوم دكتور زيرو بإعادتي".

فأشاحت فانج بوجهها وراحت تنظر من جديد عبر النافذة، لكنه استطاع أن يرى انعكاس وجهها على الزجاج، ولاحظ تلك الغيمة من الغاز التي تلوح على عينيها الخضراوين؛ ثم إنها قالت:

"لقد تذكرتُ شيئًا ذات يوم... أو بالأحرى كدتُ أتذكر. كان هناك رجل شاب قابلته في روجز رووست، اسمه توم. حينما رأيته في ذلك اليوم أدركت أنني أعرفه من قبل. كان شابًا لطيفًا ووسيمًا، لا بد أن آنا فانج كانت مغرمة به. أنا لستُ "آنا فانج"، لكنني... حين نظرت إليه... شعرت... بتلك المشاعر الحارة".

"نحن موتى"، قالها جريك، وقد بدأ يعتريه شعور بعدم الارتياح، "نحن لا نملك عاطفة أو مشاعر، ولا ذاكرة. لقد تم إنشاؤنا لغرض واحد هو القتل، فما حاجتنا للذكريات إذن؟".

"ولكن من يدري لأي غرض تم إنشاء الجيل الأول من نوعنا قديمًا، في القرون المظلمة؟"، تساءلت فانج، "ذكرياتي هي ما أتى بنا إلى هنا يا سيد جريك. لقد بحثت كثيرًا عن معلومات بصدد توم. كنت أرغب في معرفة المزيد عنه، وقد وجدت أنه ورفاقه على صلة بمدينة جليدية تدعى أنكوراج، فأرسلت إلى مكتبة "تينجينج" العظمى في طلب كتب عن تلك المدينة. وقد أرسلوا لي كتابًا واحدًا لا غير: موسوعة أنكوراج التاريخية، لكني لم أجد به أي معلومات عن توم، إلا أنني، في تلك الموسوعة، قرأت للمرة الأولى عن ما يدعى "كتاب الصفيح"، وقد خمنت ما يحتويه".

"وما هو كتاب الصفيح هذا؟"، سألها جريك.

"كتاب الصفيح؟"، قالتها فانج وهي تنظر نحوه بغموض وقد أمالت رأسها جانبا ووضعت إصبعًا فوق شفتيها متفكرة، "كتاب الصفيح هو ما جئنا من أجله إلى هنا يا سيد جريك".

كانت هيستير كذلك في انتظار القمر، وقد جلست على مقعد في أحد المنتزهات بالطبقة السفلى، وراحت تمرر الوقت بتصفح نسختها من كتاب "ذهب المفترسين". وقد جعلها ما وجدته بالكتاب تبتهج كثيرًا، إذ بدا لها أن بيني رويال قد قام بدفن الحقائق تحت أطنان من الأكاذيب بحيث لم يعد بمقدور أي من كان أن يعيد اكتشافها.

ومع بزوغ القمر، تدافعت الحشود الصاخبة قادمة من أسفل المدينة لتشاهد الألعاب النارية، فقامت هيستير وراحت تشق طريقها عبرهم، في عكس الاتجاه، صوب موقع ثكنات العبيد في منطقة تدعى "مولز كومب".

وحين وصلت إلى سفح برج شكين، كانت الشوارع المحيطة بالمكان قد باتت خاوية على عروشها، وليس ثمة مخلوق بها سوى طيور النورس التي وقفت في الأعلى كأشباح بيضاء.

وكانت هيستير قد تفحصت منطقة "وعاء الفلفل "في وقت سابق ووجدت طريقة للدخول إليه. ففي الجانب الخلفي من المبنى، حيث تتراكم العديد من الصناديق القديمة والشحوم وأنابيب الصرف، يوجد باب خلفي صغير مصنوع من معدن متآكل، تناثرت فوقه العديد من قطع اللحام حتى بدا أشبه بغطاء فتحة غواصة. ومن فوق ذلك الباب استقرت كاميرا مراقبة نحاسية لرصد الزوار والمتجولين، وفيما عدا ذلك لم يكن ثمة أي وسائل حماية أمنية أخرى. وقد أدركت هيستير أن ذلك المبنى قد تم تصميمه لإبقاء أفراده في الداخل بحيث لا يمكنهم الخروج.

ثم إنها اقتربت بحذر وقد حرصت على أن تبقى في الظلال قدر الإمكان، بينما أخذت نبضات قلبها تتسارع، وقد راحت تتخيل دماء أبيها الحقيقي . فالانتاين . إذ تندفع عبر عروقها وشرايينها لتمنحها قوته وقسوته. كذلك كانت تشعر بأن رين وتوم على مقربة منها، وأنهم قريبًا سيلتئم شملهم معًا من جديد ويعودون جميعًا إلى أنكوراج.

تبسمت هيستير من وراء وشاحها إزاء تلك الأفكار، ثم سحبت بندقيتها من تحت معطفها، ووقفت تنتظر في الظلام لحين إطلاق آخر دفعة من الألعاب النارية، وأطلقت النار على الكاميرا. ثم أعادت تعبئة البندقية سريعًا قبل أن ينفتح الباب ويظهر رجل، حيث وقف ينظر في سخط نحو الكاميرا المحطة.

"عيد قمر سعيد"، باغتته هيستير، فالتفت الرجل مشدوهًا ليجد أمامه امرأة ملثمة بوشاح تسير نحوه، ثم وقبل أن يفهم ما هناك غرست سكينها بين ضلوعه ليخر صريعًا على الفور، فقامت بسحب جثته إلى حيث الظل خلف ركام الصناديق، ثم إتجهت نحو الباب ودلفت منه وأغلقته ورائها في هدوء.

وفي الداخل، وجدت هيستير نفسها تقف في ممر، وكانت الأضواء والأصوات تنبعث من غرفة الحراسة الصغيرة أمامها، فتوجهت صوبها. وفي الغرفة كان هناك ثلاثة رجال، وقد راح أحدهم يعبث في سخط في الأزرار الموجودة أسفل شاشة دائرية، فيما جلس الآخران في ملل وفي أيديهما أكواب الشراب، وقد استغرق كل منهما في التفكير في زوجته وأطفاله، متمنيًا لو كان معهم يستمتعون بالاحتفالات مجتمعين.

ولكن لم تمض لحظات حتى كانت قد أجهزت على ثلاثتهم... إذ قامت بمباغتتهم وإطلاق النيران أولًا على الشخص الواقف أمام شاشة المراقبة، وقبل أن يستوعب الاثنان الآخران الأمر ويهما بسحب سلاحيهما، كانت قد صرعتهما كذلك. ثم إنها توارت سريعًا في الظلام وقبعت في صمت في انتظار أن يأتي مزيد من الحراس، إلا أن أحدًا لم يأتِ، وقد كانت أصوات الألعاب النارية والصواريخ الاحتفالية في الخارج كافية للتغطية على صوت إطلاق الرصاص.

وهكذا أعادت تعبئة بندقيتها، وقد لاحظت في سرور أن يديها لم تهتزا بتاتًا عند إطلاقها للنيران على هؤلاء الجنود.

كان مبنى شركة شكين جيد التصميم والتنظيم، وقد سرَّها ذلك كثيرًا إذ وقفت تتفحص ذلك المخطط المثبت إلى جدار غرفة الحراسة والذي يُظهِر تفاصيل المبنى والاتجاهات به، وقد أخذت تحفظ التفاصيل المهمة سريعًا في ذاكرتها، ثم . في هدوء وثقة . توجهت نحو عنابر العبيد.

وهناك، وجدت هيستير رجلين يقفان خارج بوابة مزدوجة ثقيلة، ما إن رآها أحدهما حتى اندفع نحوها وفي يده جهاز صاعق كهربائي، إلا أنها تفادته بأن انتحت جانبًا ليمر بجوارها بسرعة البرق بفعل قوة اندفاعه، ثم استدارت وغرزت سكينها في ظهره، ثم سحبتها سريعًا لتقطع بها عنق الحارس الآخر الذي كان في تلك اللحظة يحاول الوصول لجرس الإنذار.

وكان في حزام الحارس الثاني حلقة من المفاتيح، فانتزعتها منه، ولم تستغرق وقتًا حتى وصلت للمفتاح المنشود.

كانت عنابر العبيد تعج بأصوات التنفس والحركات الخافتة الصادرة من داخل

الأقفاص، ومع اعتياد عينيها على الظلام، بدأت ملامح تلك الأقفاص المتراصة على طول الجدران تتضح لهيستير، فيما كانت الوجوه في داخلها تتطلع إليها من وراء القضبان.

"توم؟"، راحت هيستير تنادي، وكان الجميع من حولها يتهامسون لبعضهم، وقد رأى سجناء الأقفاص المجاورة للباب جثتي الحارسين، فراحوا ينقلون الخبر للبقية...

"من أنتِ؟"، صاح صوت من داخل أحد الأقفاص.

"ومن أنت؟"، بادلته هيستير السؤال.

"اسمي كريل".

"هل أنت من الصبية المفقودين؟"، سألته هيستير وهي تتجه نحو مصدر الصوت، إلى أن وقفت أمام الصبي مباشرة، ورأت عينيه الملتمعتين على بصيص الضوء الخافت القادم من الباب الذي فتحته، وكان يتطلع نحو المفاتيح في يدها ككلب جائع يتطلع نحو صحن من الطعام. وقد لاحظت هيستير نظراته، فراحت تهز المفاتيح بتؤدة لتشجيعه على الكلام، بينما هي تسأله:

"هل رين هنا؟ رين ناتسوورثي؟".

"تلك الفتاة من اليابسين؟ التي كانت على متن "الأوتوليكوس"؟ من الذي يسأل عنها؟".

"تسأل عنها المرأة التي تحمل مفاتيح أقفاصكم"، أجابته هيستير، ورأته إذ يهز رأسه في الظلام ويقول:

"لقد كانت موجودة في قفص بالقرب من قفصي لفترة، ثم جاءوا وأخذوها".

"لماذا؟".

"لا أعلم، كذلك أخذوا فيش كيك بعدها بفترة وجيزة"، ثم إنه بصق على الأرض وكأنه يريد تنظيف فمه من اسم الصبي، فيما تصاعدت همسات غاضبة ومستاءة من باقي الأقفاص لدى سماع اسمه.

"لقد أخبرونا رجال شكين أن فيش كيك قد وشى بمكان جريم سباي، وهو الآن

يرتدي زي هؤلاء الحراس وكأنه صار منهم. أما ما حدث للفتاة فهذا ما لا أعرفه، لكني أعتقد أنه قد تم بيعها".

"وماذا عن أبيها؟ توم؟ لقد تم أخذه اليوم".

"لم أسمع عنه أي شيء... لا يوجد يابسون هنا يا سيدتي، لا يوجد سوى الصبية المفقودين".

"أيمكن أن يكون قد تم وضعه في الزنازين في الطبقة الوسطى؟"، سألته هيستير من جديد.

"ربما"، أجابها كريل وهو يدنو منها، ومن حوله كان باقي الصبية الأسرى يقتربون كذلك، مرهفين السمع للحديث الدائر، ومتحفزين كالحيوانات البرية، بينما الأسرى الأقرب لمكان هيستير لم يخفضوا أعينهم لحظة عن المفاتيح.

"هناك الكثير من الحراس في الأعلى، وسوف تحتاجين لوسيلة لتشتيت انتباههم..."، قالها كريل، فسألته هيستير: "وهل توجد فكرة معينة في بالك؟".

فافتر ثغر الصبي عن ابتسامة، ومن خلف وشاحها ابتسمت هيستير كذلك وقد أدركت أن ما يفكر فيه هو بالضبط ما خططت له. ثم إنها ألقت بالمفاتيح في قفص كريل وقالت:

"كن حذرًا".

ثم هرعت تركض في اتجاه الدَرَج، ومن خلفها تناهى إليها صوت المفاتيح وقد التقطها الصبي وراح يجرب المفتاح تلو الآخر في قفل باب قفصه بينما تصاعدت أصوات باقي الصبية يحثونه على الإسراع.

***

"27"

الخزنة غير الآمنة

كان العمدة بيني رويال قد أمر بإعادة تصميم وتزيين قاعة الرقص في قصره خصيصًا للمهرجان. حيث تم استبدال الجدار الأمامي بصف من النوافذ على الطراز الفرنسي، تُفتَح على الشرفة الشمسية في الخارج لتسمح بدخول أشعة القمر المقدس ليلًا.

وحول حلبة الرقص انسدلت شلالات من الأقمشة الفضية من كل عمود، تعكس الأضواء المنبعثة من المصابيح الصغيرة المتناثرة عبر السقف كحلي اللون الذي بدا وكأنه صورة لمجرة درب التبانة، فيما تم تسليط الكشافات الساطعة على المنصة التي استقرت فوقها الأوركسترا الموسيقية الصغيرة المشارِكة في إحياء الحفل.

أما باقي الجدران فكانت مغطاة بأعمال فنية ولوحات قَيِّمة لا تقدر بثمن، أعمال من روائع "سترينج" و" نياس"، معلقة بجوار أحدث لوحات "هوفر دالي".

ومن خلف القاعة الرئيسة، كانت مجموعة من الغرف الصغيرة في انتظار الضيوف، تضم كافة أنواع التسلية والترفيه، وفي إحداها تم تصميم نسخة طبق الأصل مما يدعى "القلعة النطاطة"، وهي عبارة عن حصن مطاطي قابل للنفخ، ادعى بيني رويال أنه كان يمثل أحد الاستخدامات الأساسية في الحروب القديمة، لكنه كذلك يمكن استخدامه كوسيلة للتسلية والقفز في الهواء على سبيل المرح.

وفي غرفة أخرى تم تشغيل آلة عرض سينمائي، حيث راح الضيوف يطالعون نسخًا من بقايا أحد الأفلام التي تم اكتشافها والتي تعود لحقبة ما قبل حرب الستين دقيقة، تصوِر مجموعة من الفرسان المدرعين يقفزون عبر ركام من الخشب المشتعل... آلات طائرة ترتفع في السماء خلال الفجر في إحدى المناطق الاستوائية... متشرد صغير يسير عبر طريق مغبر... سيارات أرضية تطارد بعضها، تمامًا كما تفعل المدن الصغيرة المتحركة... رجلًا يتدلى من ساعة عالية مكسورة فوق إحدى المدن الثابتة... وأخيرًا، لقطات ناعمة عن قرب، تبرز وجوه بعض فاتنات الشاشة في تلك الحقبة البعيدة.

في تلك الأثناء كانت رين تركض عبر الحديقة لأداء مهمتها السرية التي كلفها بها شكين، دون أن تلحظ أيًا مما يدور هناك، لكنها ما إن اندفعت عبر الغرفة التي يُعرَض بها الفيلم باتجاه السلم الحلزوني الذي يقود إلى الأعلى حيث غرفة مكتب بيني رويال، حتى اصطدمت بثيو الذي كان قادمًا من الاتجاه الآخر، ممسكًا بمروحة ريش النعام. وكان الفتى يرتدي سراويل فضية واسعة وزوجًا من الأجنحة الفضية كأجنحة الملائكة.

"مرحبًا"، هتفت رين، ثم سألته، "لأي غرض هذه الأجنحة؟".

فهز الفتى كتفيه وقال:

"لقد جعلوا كل الفتيان يرتدون هذا، إنها فكرة بوبو. مريعة، أليس كذلك؟".

"رديئة بالفعل"، أجابت رين مؤيدة، ومع ذلك فقد كانت تراه جذابًا حقًّا في هذا الزي.

"اسمعي، إن ذلك الأمر الذي تحسبه بوبو بيننا..."، قالها ثيو، إلا أن رين قاطعته قائلة:

"لا عليك، أنا أيضًا لست معجبة بك".

"هذا جيد".

"نعم، جيد".

ولكن، برغم ذلك كانت رين تشعر بسعادة لوجودها معه ولم تكن ترغب في تركه. ثم إنها أخذت تفكر في أن مهمتها الخاصة بسرقة خزنة بيني رويال قد تصير أكثر يسرًا لو أنها اتخذت شريكًا لها بها، خاصة لو كان شريكًا مثل ثيو، الذي سبق له الانخراط في المعارك، ومن ثم فلا بد وأنه أكثر جرأة وشجاعة منها بكثير.

"انظر، هناك شيء يتعين عليَّ فعله...".

"أهي محاولة هروب أخرى؟"؟

"لا، هناك شيء يجب أن أتحصل عليه من خزنة بيني رويال".

"ماذا؟! بعد ما جرى لتاجر التحف هذا؟"، قالها ثيو وراح يحدق إليها متوقعًا أن

تخبره أن ما قالته توًّا لم يكن سوى مزحة، لكنها لم تفعل، فقال:

"أهو ذلك الكتاب المعدني؟ أهذا ما تريدين الحصول عليه؟".

"كتاب الصفيح لأنكوراج"، أجابت رين، "شكين هو من أرسل بلوفري للحصول عليه، وقد مات بلوفري، وها هو الآن قد أرسلني لإتمام تلك المهمة".

"ولماذا؟"، سألها ثيو بتعجب، "ما هو الأمر المهم إلى هذا الحد في ذلك الكتاب؟".

فهزت رين كتفيها ثم قالت:

"كل ما أعرفه أن الجميع يتوقون للحصول عليه... أعتقد أنه يحوي شيئًا ما عن الغواصات، ولكن..."، ثم إنها صمتت في ارتباك. ربما كان يتوجب عليها ألا تخبر ثيو بذلك، فهو - رغم كل شيء - ينتمي للعاصفة الخضراء، أو كان كذلك. ومع هذا فقد شعرت بالسرور لكونها فعلت، ثم إنها مست ذراعه وقالت:

"لقد أسر شكين أبي، وهو حبيس لديه الآن في "وعاء الفلفل "، وإذا لم أفعل ما طلب مني فسوف... لا أعرف ما قد يفعله بأبي... هل ستساعدني؟".

وفي أعماقها كانت رين سعيدة للغاية - حتى وإن لم تشأ الاعتراف بذلك حتى لنفسها - بأن القدر قد ساق إليها ثيو كي توليه ثقتها.

"والدك؟"، تساءل ثيو، "لم أكن أعلم أن للصبية المفقودين آباء...".

"في الحقيقة أنا لست من جماعة الصبية المفقودين... إنها كذبة، لقد اضطررتُ لأن أخبر بيني رويال بأنني جئت من جريم سباي لأن... آه، ثيو، الأمر معقد للغاية، فقط ينبغي عليَّ الآن أن أنقذ أبي".

ومن ملامحه استشفَّت رين أنه فهم ما قالته، لكنه بدا خائفًا، وقال:

"ولكن ماذا لو أن الخزنة كانت مؤمَّنة بفخاخ للإيقاع بمن يقترب منها...".

"لهذا السبب أريدك معي كي تراقب الأجواء من حولي ريثما أنهي المهمة. ثيو، رجاءً، لا أريد أن أذهب إلى هناك وحدي".

"أنا الآن مكلف بالخدمة في قاعة الاحتفال، هكذا أمرت بوبو".

"بوبو تقضي وقتًا ممتعًا الآن بين ضيوفها، ولن تلحظ غيابنا لو أننا تسللنا إلى هناك لخمس دقائق لا أكثر".

وقف ثيو يفكر في الأمر مليًا، ثم أومأ موافقًا:

"حسنًا...".

ثم إنه أمسك بالمروحة وكأنها فأس في معركة، وتبع رين صعودًا عبر الدرج نحو الأعلى، ثم دلفا عبر باب إلى حيث ممر محفوف بالتحف على جانبيه. وما إن انغلق الباب خلفهما حتى خفتت أصوات الضوضاء والصخب القادمة من الأسفل حيث الحفل الدائر، ثم تلاشت تمامًا بمجرد أن انعطفا نحو ممر جانبي إلى اليسار، وساد الصمت.

ومن أمام الدَّرَج الصغير الموصل إلى غرفة المراقبة، انسل رين وثيو، وقد تناهت إلى مسامعهما أصوات طاقم المراقبة إذ يتبادلون الأحاديث، ولكن فيما عدا ذلك لم تكن ثمة أصوات أخرى، فقد كان جميع خدم القصر منشغلين إما في الحفل أو في المطابخ، بينما بقي ذلك القسم مهجورًا.

أخيرًا وصلا إلى نهاية الممر، ووقفا يحدقان إلى باب مكتب بيني رويال.

"ماذا إن كان قد قام بتغيير الأرقام السرية لخزنته بعد واقعة الأمس؟"، همس ثيو، "... وماذا لو أنه قام كذلك بتغيير رتاج الباب؟".

لم تكن رين قد فكرت في أي من ذلك، فراحت تتضرع إلى الآلهة ألا يكون بيني رويال قد فعل، ثم إنها مدت يدها إلى حيث المزهرية التي يضع فيها العمدة المفتاح الاحتياطي لمكتبه وأخذت تبحث بأناملها داخلها إلى أن وجدته، وبسرعة التقطته وشرعت تدسه في ثقب المفتاح.

في البداية لم تتمكن رين من إدخال المفتاح في موضعه، حتى أنها ظنت أنه ليس المفتاح الصحيح وأن الرجل ربما قام بالفعل بتغيير الرتاج. لكنها سرعان ما أدركت أن السبب هو أن يدها ترتعش بشدة. فعادت وحاولت إدخال المفتاح من جديد وهي ترغي وتزبد، ومع ارتجاف يدها استغرق منها الأمر بضع لحظات، إلى أن نجحت أخيرًا ودخل المفتاح في مكانه، ثم أدارت المقبض فانفتح الباب.

وفي الداخل كان المكتب يبدو آمنًا تمامًا، وقد استقرت لوحة "ولمارت سترينج" في مكانها على الجدار، فتوجهت رين إليها مباشرة ورفعتها بحرص من مكانها ثم وضعتها على المكتب. ومن ورائها دخل ثيو وأغلق الباب ببطء، وبينما هو يستدير نحوها ارتطمت المروحة في يده بإحدى التماثيل وكاد أن يسقط عن قاعدته.

"أما كان بإمكانك ترك تلك المروحة السخيفة في الخارج؟"، قالتها رين مزمجرة.

"وماذا إن رآها أحدهم؟".

لم تجب رين وعادت للخزنة، ثم قالت:

"هل أنت مستعد؟".

إلا أن ثيو بدا غير مستعد على الإطلاق! وهمس:

"هل تظنين أنه ربما يوجد فخ داخل الخزنة؟".

فهزت رأسها وقالت:

"لقد كانت الخزنة مفتوحة ليلة أمس ولم أرَ بها أي شيء يمكن أن يكون فخًا".

ثم أضافت وهي تمد يدها نحو قفل الخزنة:

"لقد تمكن السيد بلوفري من فتح تلك الخزنة وأخذ منها كتاب الصفيح بالفعل، ذلك حين هاجمه شيء ما. والآن صمتًا".

ثم إنها راحت تدير قرص القفل وهي تسترجع الأرقام في ذاكرتها... اثنان . اثنان، صفر . تسعة، تسعة . خمسة . سبعة...

وما إن أصدر القفل صوت الدقات الدالة على فتحه، حتى راح ثيو يتلفت حوله ويمسح الأركان بعينيه بحثًا عن أي شيء مريب قد يمثل فخًا. ولكن لم يكن ثمة شيء، ولم تكن الغرفة كبيرة لدرجة تسمح بإخفاء أي فخاخ. وعلى المكتب كان هناك بعض الأقلام، وصورة لبوبو في إطار ثقيل أسود، بينما استقر بعيدًا على الحائط حامل خشبي للملفات والأوراق، أعلاه صورة معلقة، ومن فوق ذلك كله بعض الزخارف المعمارية تزين أعلى الجدران وصولًا إلى قبة السقف العالية و...

ترى، هل عيناه تخدعانه أم أن ثمة شيئًا يتحرك هناك عند السقف؟!

"رين..."، همس ثيو.

كانت رين في هذه اللحظة قد فتحت الخزانة وأخرجت من داخلها حقيبة سوداء صغيرة مهترئة، وقالت:

"وجدته!".

"رين!"، صاح ثيو وهو يدفعها جانبًا بقوة لدرجة أن الحقيبة وقعت من يدها، وفي هذه اللحظة شعرت وكأن شيئًا أبيض يطير من خلفها، ثم سمعت صوت ارتطام شيء معدني بباب الخزنة وقد تطاير الشرر منه من أثر الاحتكاك.

استدارت رين بسرعة لتجد ذلك الشيء يستدير بدوره ويطير في اتجاهها بينما هي ملقاة على الأرض، وهنا لمحت رين تلك الأجنحة الخشنة والمنقار الفولاذي المعقوف والعينين الخضراوين المتوهجتين.

وقبيل أن يهجم هذا الشيء عليها تمكن ثيو من ضربه بقوة بالمروحة الثقيلة في يده، ليرتطم الكائن بالحائط ويسقط، وسمعت رين صوت شيء ما ينكسر.

وعلى الأرض راح ذلك الشيء يرفرف ويخفق بأجنحته، وقد برزت من قدميه مخالب كالشفرات الفولاذية، فضربه ثيو من جديد بالمروحة، فيما تشبثت رين بالمكتب وراحت تبحث بيدها عن شيء ما، إلى أن وجدت صورة بوبو ذات الإطار الثقيل، فأمسكت بالصورة وهوت بها فوق رأس المخلوق العجيب.

"حسنًا، هل أنتِ بخير؟"، قالها ثيو وهو يلهج ويرتعش، بينما راح يساعد رين على النهوض.

"أعتقد هذا، وأنت؟".

"نعم".

وللحظة لفهما الصمت تمامًا، وكان ثيو لا يزال يحيط رين بذراعيه، فدفنت وجهها في كتفه وقد شعرت بالدفء والاستكانة حتى أنها تمنت لو تبقى كذلك لفترة أطول، لكنها سرعان ما استعادت نفسها، فرفعت رأسها عن كتفه وانتزعت نفسها من بين ذراعيه، وراحت تهز رأسها لتطرد عنها تلك الأفكار التي حلَّقَت بها بعيدا عن أرض

الواقع للحظات.

"ماذا كان هذا الشيء؟"، قالتها رين بتوتر وهي تجس الطائر الميت الملقى على الأرض بطرف قدمها.

"مطارِد..."، أجابها ثيو، "... طائر ميت أعيد إحياؤه وتحويله إلى مطارِد. كنت أحسب أن العاصفة الخضراء فقط هي من يستخدم مثل تلك الأشياء. لا بد أنه تم وضعه هنا لحماية الخزنة".

"وكيف لبيني رويال أن يتسنى له الحصول على شيء كهذا؟".

هز ثيو رأسه في قلق وحيرة، ثم قال:

"ربما هذا الطائر ليس لبيني رويال".

"لا تكن سخيفًا.. ومن غير بيني رويال سيهتم بحراسة خزنته؟".

ثم إنها التقطت الحقيبة السوداء وفتحتها، وفي الداخل كان كتاب الصفيح يلتمع لمعة خفيفة على أضواء الألعاب النارية القادمة من الخارج عبر النافذة. وقد بدا الكتاب غير ذي قيمة، كما كان يبدو دومًا، حتى أنه كان من الصعب عليها تصديق أن مثل هذا الكتاب قد تسبب في كل تلك المتاعب. ثم إنها نظرت لثيو وقالت:

"اذهب أنت... سأعيد تنظيف المكان ثم أتوجه إلى شكين".

إلا أن ثيو قال لها وهو يتطلع نحو الكتاب:

"سأعاونك".

"لا..."، قالتها رين، وكانت تشعر بامتنان عظيم نحوه، ولم تشأ توريطه معها أكثر من ذلك، فهي لن تسامح نفسها أبدا لو اكتُشِف أمرهما وعوقب ثيو بسببها، "... عُد الآن وسأتبعك خلال دقيقة أو اثنتين. سألتقيك لاحقًا".

هم ثيو أن يعترض، لكنه سرعان ما تراجع وقد بدا أنه وجد كلامها منطقيًا، فأومأ مُذعنًا، ورمقها للحظة، ثم تناول مروحته، التي كانت قد تمزقت بفعل المعركة، وغادر المكتب بينما بقيت رين لتزيل آثار ما وقع.

وبحذر شديد، التقطت الطائر الميت من على الأرض وقامت بدسه في واحد من

أدراج المكتب مع باقي الريش المتساقط منه. وكان الكائن قد ترك بقعة من الدماء أو الزيت، أو مادة ما لم تدرَ رين كنهها، على الأرض، لكنها لم يكن بوسعها تنظيفها.

ثم إنها أخرجت الكتاب من الحقيبة ووضعت مكانه صورة بوبو المحطمة والتي كانت من نفس حجم ووزن الكتاب تقريبًا.

فجأة سمعت رين صوتًا قادمًا من الممر، وشخص ما يصرخ بشيء لم تتبينه، فتجمدت في مكانها. كان الصوت يبدو غاضبًا ومرتعبا في ذات الوقت، إلا أن رين لم تتمكن من تمييز ما يقوله، وبعد لحظات ساد الصمت.

"ثيو؟"، نادت رين بصوتٍ عالٍ، ثم . وعلى حين غرة . راحت غرفة المكتب تهتز بقوة، وكأن يدًا عملاقة تمسك بالقصر وترجه رجًا.

وحتى الصوت الخافت القادم من قاعة الاحتفال تضاءل كثيرًا وتحوَّل إلى همسات وهمهمات، فيما توقفت الأوركسترا عن العزف؛ وقد تخيلت رين العازفين وهم يتلفتون حولهم في قلق. ثم تناهت إليها أصوات ضحك عالية وعادت الموسيقى تهدر من جديد، وعاد صخب الضيوف كذلك إلى سابق عهده، وكأنها حفلة مسجلة قام أحدهم برفع مستوى صوتها دفعة واحدة.

"ربما هو اضطراب أو مشكلة ما في المحركات..."، هكذا قالت رين لنفسها، أما الصيحات التي سمعتها فربما كانت قادمة من غرفة المراقبة وقد تردد صداها حتى بلغها.

تنفست رين الصعداء، ثم عادت إلى ما كانت تفعله، فقامت بإعادة الحقيبة إلى الخزنة وأغلقتها، ثم أعادت لوحة "ولمارت سترينج" أمامها. ثم إنها رفعت ظهر سترتها الطويلة ووضعت كتاب الصفيح في سروالها تحت حزام الخصر، وقد ارتأت أنه سيكون في أمان إن هي أخفته في ثيابها؛ إلا أن المعدن البارد كان يلامس ظهرها العاري مباشرة وقد آلمتها برودته، بينما راحت الأسلاك التي تربط صفحاته إلى بعضها تخدش جلدها.

خرجت رين من المكتب إلى الممر وأغلقت الباب، وأعادت المفتاح إلى مكانه، ثم أخذت تنادي همسًا:

"ثيو؟"...

لكنها لم تتلقَّ إجابة، فقالت لنفسها أنه ولا بد قد عاد إلى قاعة الاحتفال سالمًا.

ثم إنها لمحت حركة ما بركن عينها فالتفتت نحو اتجاه الحركة، فوجدت باب الدرج المؤدي إلى غرفة المراقبة مفتوحًا وقد أخذ يتأرجح مع الحركة الخفيفة للقصر، فوقفت في مكانها وراحت تحدق إلى الباب، وقد كانت على يقين من أنه كان مغلقًا حينما مرت من أمامه بصحبة ثيو قبل دقائق... ترى، هل سمعهما أحد الرجال في تلك الغرفة بينما هما في مكتب بيني رويال، فجاء لاستطلاع الأمر؟

ومن قاعة الاحتفال، ارتفع صوت الضوضاء فجأة ثم انخفض من جديد. ومن نهاية الممر تناهى إلى رين صوت خطوات تهرول عبره، وعند المنعطف ارتمى ظل شخص على الجدار المقابل!

تملَّك الذعر من رين تمامًا، فهرعت من جديد باتجاه مكتب بيني رويال، لكنها لم تكن تملك وقتًا كي تجلب المفتاح، فأسرعت الخطى نحو الباب المفتوح للدرج المؤدي لغرفة المراقبة، ثم أغلقته وراءها، لتجد نفسها في ركن صغير يؤدي إلى سلم معدني حلزوني يمتد إلى الأسفل عبر الأرضية، وقد أدركت أنه يمر عبر الطابق الأسفل ومنه نحو الطابق الأرضي حيث تلك الفقاعة الزجاجية الصغيرة التي رأتها أول مرة حين وصلت إلى "السحابة التاسعة" بصحبة شكين.

وقفت رين في مكانها دون حراك، ثم إنها وضعت أذنها على الباب، فسمعت صوت الخطوات إذ تبتعد عبر الممر.

ومرت لحظة دون أن يحدث شيء فاطمأنت رين نوعًا وكانت على وشك تنفس الصعداء، حين باغتها الصوت من الأسفل:

"من هناك؟".

بدا لها الصوت خائفًا، ومألوفًا في ذات الوقت...

"ثيو؟"، قالتها رين من جديد وقد اجتاحها شعور بالارتباك... ما الذي يفعله ثيو بالأسفل، في فقاعة التحكم تلك، المليئة برجال بيني رويال؟ أيعقل أنه يعمل لصالح العمدة منذ البداية؟ هل ذهب وأخبرهم عن العبدة التي سرقت خزنة سيدهم؟

"رين"، صاح الصوت من جديد، "هناك شيء ما قد حدث، لا أدري ماذا أفعل...".

كان صوته خائفًا بالفعل، ولم تملك رين إلا أن تثق به من جديد، فهرعت تهبط السلم الحلزوني، وكتاب الصفيح يتأرجح ويلطم ظهرها مع كل حركة. ثم إنها مرت عبر مدخل آخر في الطابق الأرضي، وهبطت من جديد عبر سلم معدني عمودي مطلي بالأبيض يقود إلى الأسفل عبر الطبقة.

وكان ثيو يقف في انتظارها عند أسفل السلم، ثم انتحى جانبًا ليفسح لها المجال للهبوط إلى حيث غرفة التحكم.

وعبر الجدران الزجاجية كان بوسع رين رؤية كافة أنحاء برايتون أسفلها، تتألق بأضواء عيد القمر، والألعاب النارية إذ تنطلق في الهواء من كل مكان. ربما كان ذلك أفضل مشهد للمدينة يمكن أن يراه المرء من "السحابة التاسعة"، لكنه قد فات طاقم غرفة التحكم، إذ كانوا جميعًا فوق مقاعدهم... موتى!

وكان سكين قد استقر في عنق أحدهم، سكين عادي من سكاكين مطابخ القصر التي تحمل شارة بيني رويال على مقابضها...

"يا لكويرك!"، صاحت رين وهي تشهق من هول الصدمة، ثم انثنت على نفسها وراحت تفرغ كل ما في معدتها، وقد تمنت لحظتها لو لم تكن قد تناولت كل تلك المقبلات التي أكلتها خلال الحفل.

ثم راحت الأفكار القاتمة تتواتر على رأسها... ألم يكن ثيو قادمًا من اتجاه المطابخ حين صادفته ليلة أمس؟ والآن ها هو يقف في غرفة قُتِل جميع أفرادها بسكين مطبخ؟ وهي الآن وحيدة معه!

"لا بأس"، قالها ثيو محاولًا طمأنتها، لكنها أجفلت وصرخت رعبًا ما إن لمس ذراعها، فتراجع وهو لا يفهم ما الذي جعلها تخشاه على هذا النحو فجأة، ثم قال وهي تبتعد عنه:

"أعني، الأمور ليست على ما يرام... انظري..."، وأشار نحو إحدى الرافعات النحاسية فوق لوحة أدوات التحكم، "إنها مكسورة، كلها مكسورة، وهنا...".

وأشار إلى لوح التحكم الرئيس نحو رافعة حمراء كبيرة محاطة بصندوق زجاجي،

وقد ثُبِّتَت عليها إشارات وتحذيرات تفيد بأنها للاستخدام في حالة الطوارئ فقط، وقد استخدمها شخص ما بالفعل، إذ كان الصندوق الزجاجي مكسورًا.

"ولكن، فيم تستخدم هذه الرافعة؟"، سألت رين، لكن نظرة واحدة نحو برايتون كانت كافية لتجيبها، فقد باتت المدينة . إذ تنظر نحوها من موقعها في الغرفة الزجاجية . صغيرة للغاية، أصغر بكثير مما رأتها عليه حين وصلت إلى هذه الغرفة قبل دقائق، وقد راحت الألعاب النارية والتوهجات تتلاشى شيئًا فشيء.

"قذائف متفجرة"، قالها ثيو، ثم أضاف مفسرًا، "إنها تستخدم لقطع الكابلات والحبال التي تربط "السحابة التاسعة" بالمدينة في حال تعرضت برايتون للغرق أو أي شيء من هذا القبيل. ألم تشعري بذلك الاهتزاز منذ قليل؟ رين، يبدو أن شخصًا ما قطع الحبال، ونحن الآن نحلق نحو السماء على غير هدى!".

وقفت رين تحدق إلى ثيو برعب، وفي ظل الصمت الذي لف الغرفة كان بإمكانها سماع أصوات الحفل الصاخب المستمر في الطابق العلوي، وقد أدركت أنها وثيو ربما هما الوحيدان على متن السحابة التاسعة اللذان يدريان بما حدث.

"ثيو..."، أخيرًا نطقت رين، "... باستطاعتك أن تأخذ الكتاب".

"ماذا؟!".

سحبت رين الكتاب من سروالها ومدت يديها به إليه، وكانت يداها ترتعشان لدرجة أن انعكاسات الضوء راحت تتراقص على غلافه المعدني وتنعكس على وجه ثيو الذي غمرته الدهشة.

"رين... أتظنين حقًا أنني أستطيع فعل ذلك؟ وبفرض أنه في مقدوري ارتكاب كل هذا، فلماذا؟ ولأي غرض؟".

"لأنك تسعى خلف الكتاب، مثل الجميع... أنت عميل للعاصفة الخضراء، أليس كذلك؟ كنت أعلم أن ثمة أمرًا غامضًا فيك... إنني أحسب أنك قد سقطت في أسر شكين عن عمد كي تتمكن من الوصول إلى قصر العمدة والتجسس علينا جميعًا. وأنت من أطلقت ذلك الطائر ليراقب الخزنة، والآن حررت السحابة التاسعة من حبالها إلى السماء كي تتمكن من قتل الجميع والحصول على الكتاب. لهذا لم تساعدني في

سرقة ال "بيويت" والفرار به، كي تتمكن أنت لاحقًا من الهرب على متنه بمجرد أن تحصل على الكتاب!".

"رين!"، صرخ ثيو فيها، "أنتِ لا تعتقدين هذا حقًا، لا يمكن!".

ثم أمسك بها بكلتا يديه بقوة حين حاولت الفرار نحو الدرج، ونظر مباشرة في عينيها وصاح: "لو أنني أردت كتاب الصفيح اللعين هذا فلماذا تركتك تسرقينه من الأساس؟ أولم يكن في مقدوري أن أدع طائر النورس هذا يقتلك في مكتب بيني رويال ثم آخذ الكتاب؟ الحقيقة أنه . وبعد كل ما عرفته وسمعته . ربما تكونين أنتِ عميلة العاصفة الخضراء. لقد كنتِ تتوقين للحصول على هذا الكتاب، وكنتِ في الجوار حين قُتِل بلوفري... في البداية قلتِ إنكِ من الصبية المفقودين، ثم بعد ذلك قلت إنك لستِ منهم... ربما أنتِ من ارتكب هذا كله".

"لا لست أنا! أنا لم أفعل!"، صرخت رين.

"حسنًا، وليس أنا كذلك".

ثم إنه تركها، فتراجعت إلى الوراء، مرتعدة، وكانت لا تزال ممسكة بكتاب الصفيح.

"لقد كنت في طريقي عائدًا إلى قاعة الاحتفالات، حين سمعت شخصًا يصرخ مستغيثًا..."، قال ثيو، "... ففتحت الباب ورحت أصيح متسائلًا عما هناك، لكني لم أتلقَّ إجابة، ثم تناهى إليَّ صوت خطوات قادم من الأسفل، فنزلت عبر الدرج، لكني حين وصلت إلى هنا وجدت الجميع موتى، واكتشفت أن الكابلات التي تربط الطبقة بالمدينة قد تم قطعها؛ وكنت على وشك إطلاق جرس الإنذار، لكني خشيت أن تكوني لا تزالين في الأعلى وأن يراكِ أحدهم".

ثم إنه راح يمسح وجهه بيده، وكان يرتجف قليلًا من أثر الانفعال.

"لقد كان هناك شخص في الأعلى"، قالت رين، وقد تذكرت وقع الأقدام التي سمعتها في الممر، والظل الذي رأته، "لقد سمعت وقع أقدام تتجه نحو الباب، ولكن لم يكن ثمة غرف أخرى في الممر فيما عدا مكتب بيني رويال. لا بد أنه قد توجه إليه لنفس الغرض الذي جئنا من أجله، كتاب الصفيح".

وقف ثيو يرمقها قليلًا، ثم قال:

"ربما كان الأمر كذلك. لقد جاؤوا إلى هنا في البداية وفعلوا ما فعلوه، لكنهم سمعوا صوت خطواتي إذ تقترب قبل أن يتمكنوا من الصعود إلى الأعلى حيث المكتب، وما كان لهم أن يخاطروا بقتلي أيضًا، إذ ربما أكون أحد الضيوف المهمين الذين من الممكن أن يمسي غيابهم عن الحفل ملحوظًا، لذا تسللوا إلى الخارج عبر المطابخ ثم عادوا إلى القصر حيث قاعة الرقص ومنها صعدوا إلى الأعلى حيث المكتب... ولكن، لماذا قطعوا الكابلات وأطلقوا "السحابة التاسعة"؟ لماذا لم يتوجهوا مباشرة للاستحواذ على الكتاب؟".

شعرت رين بالإعياء، وحاولت التقيؤ من جديد، لكن معدتها كانت قد صارت خاوية تمامًا وقد أفرغت كل ما فيها في المرة الأولى. ثم قالت:

"لا بد أنهم رأوني... ولو لم أكن قد تواريت في الوقت المناسب ربما كانوا قتلوني أنا أيضًا مثلما فعلوا مع هؤلاء الرجال...".

حاول ثيو الاقتراب من رين مرة أخرى، لكنه كان مترددًا، ولم يدرِ ماذا قد تكون ردة فعلها إن هو لمسها هذه المرة، ثم قال:

"ألا زلتِ ترين أنني أنا من ارتكب هذا؟".

فهزت رين رأسها، ثم دنت منه وعانقته، ودفنت رأسها في صدره:

"ثيو، أنا آسفة...".

"لا بأس"، قالها ثيو برفق، "بالنسبة لليلة السابقة، كنت فقط أعاني من الأرق ولم أستطع النوم بتاتًا، فتوجهت إلى المحراب لأتلو بعض الصلوات لأمي وأبي وإخوتي. لقد مر عام الآن منذ آخر عيد للقمر كنت فيه في "زاجوا"، حيث فررت من منزل أسرتي بينما الجميع يحتفل بالعيد، واختبأت على متن مركبة شحن كانت متجهة إلى "شان جو" لأنضم إلى العاصفة الخضراء. لقد جعلتني الاستعدادات التي كانت تجرى أمس أفكر في أسرتي وما عساهم يفعلون الآن، وما إذا كان أبواي قد غفرا لي ما فعلت، وهل ما زالا يفتقدانني...".

"أثق أنهما يفتقدانك بالفعل".

ثم إنها ابتعدت عنه واستدارت نحو النافذة وأسندت رأسها إلى الزجاج

البارد وأضافت:

"هكذا هم الآباء، يغفرون لنا أخطاءنا، ويشتاقون لنا إن غبنا عنهم، مهما كان ما فعلناه... ها هو ذا أبي جاء عبر كل تلك المسافة ليبحث عني...".

ثم تطلعت نحو برايتون في اشتياق إلى والدها. ومن مكان ما راحت الألعاب النارية تتفجر لتنطلق الشظايا الحمراء والذهبية اللون نحو السماء، وقد باتت أكثر بُعْدًا مع انجراف "السحابة التاسعة" مع الريح.

استرعى انتباهها حركة أخرى، فالتفتت تنظر نحو الأفق، لكنها لم تجد شيئًا سوى البحر، وشيء ما يتحرك عبر ضوء القمر... ما هذا؟!

فجأة، وجدت رين جسمًا ضخمًا غريب الشكل يحجب الرؤية أمامها، ثم بدأ الجسم يتضح أكثر... محرك ضخم، ثم زورق مدرع تخرج منه المدافع، ومن موضعها كان باستطاعة رين رؤية هؤلاء الرجال المسلحين على متنه الذين يرتدون النظارات الواقية والخوذات، وقد اتخذوا وضع الاستعداد خلف بنادقهم؛ وعلى مراوح التوجيه الضخمة، برزت علامة الصاعقة الخضراء.

"ثيو!"، صرخت رين... فعلى بعد عشرين قدمًا منهم، كانت مدمرة جوية تنطلق في إثر "السحابة التاسعة".

***

"28"

الهجوم الجوي

في إحدى الزنازين، أسفل قاعة الاستقبال الفخمة بـ "وعاء الفلفل"، رقد توم نصف نائم، وكان لا يزال يشعر بوجهه متورمًا من أثر الضرب الذي تلقاه، بينما كان قلبه مثقلًا بالخوف على رين. لقد كان كل ما يهمه في بداية الأمر أن يتيقن من أن رين على قيد الحياة وليكن بعدها ما يكون، فطالما هي بخير فلا يهم ما قد يحدث له هو. ولكن... هل هي بخير حقًّا؟ هل هي في أمان؟ لقد أخبره رجال شكين أنها قد بيعت لبيني رويال، من دون كل البشر صارت ابنته في قبضة بيني رويال.

وكان توم يعرف أن الرجل ليس شريرًا، لكنه أناني طائش، عدم الضمير، ولم ينسَ توم أن الرجل قد أطلق عليه النار ذات يوم. والآن ها هو ذا لا يزال مكان الرصاصة يؤلمه وهو مستلقٍ على هذا السرير في زنزانته منتظرًا ما سيحدث، لكنه لم يكن متيقنًا ما إذا كان الألم حقيقيًّا أم أن جسده فقط استعاد ذكرى تلك الرصاصة.

وفي تلك الغرفة المظلمة التي لم يكن بها ولا حتى نافذة واحدة، فقد توم الإحساس بالوقت، ولم يكن من مصدر للنور يضيء الأجواء من حوله سوى مصباح أرجون معلق من السقف؛ لذا لم يكن يدري ما إذا كان الوقت ليلًا أم نهارًا، حين انفتح الباب أخيرًا.

"جئتك ببعض الطعام يا سيد ناتسوورثي..."، قالها صوت رفيع، "... وبهذا أيضًا".

تقلَّب توم في فراشه واعتدل جالسًا وهو يفرك وجهه المتورم، فيما وقف الصبي "فيش كيك" أمام الباب يحمل صينية بها إناء للطعام وكوب من الصفيح، ومن خلفه امتد ممر طويل؛ وقد راح توم يتطلع نحو الممر وهو يفكر في الفرار، لكن صدره كان يؤلمه لدرجة تجعله بالكاد يستطيع التحرك.

اقترب فيش كيك منه ووضع الصينية على الأرض، ثم قال:

"لقد قمت بتبديل فترة دوامي مع حارس آخر كي أتمكن من أن آتي لأراك. وقد كان ذلك سهلًا، فجميع الحرس كانوا يتوقون للتفرغ خلال الليل للاحتفال بمهرجان القمر... كل هذا الصخب في الخارج للاحتفال بالعيد".

أرهف توم السمع، فجاءته أصوات ضوضاء خافتة بعيدة، وصدى انفجارات الألعاب النارية من الشوارع.

"آسف لكونك قد أُسِرت يا سيد ناتسوورثي... لقد كانت رين لطيفة للغاية معي، لذا أعتقد أنك ربما ترغب في رؤية هذا...".

ثم إنه أخرج من جيب زيه الرسمي ورقة مجعدة مقتطعة من صحيفة، وناولها لتوم.

كانت الورقة من صحيفة "باليمبسيست" تحمل صورة أسفل العنوان الرئيس، لعدد من الفتيات وقد جثين حول امرأة ذات شعر غزير، وكانت ابنته رين من بين الفتيات...

"ها هي رين..."، قال الصبي، "انظر، لقد قدّرتُ أنك بالتأكيد تتوق للاطمئنان عليها والتحقق من أنها بخير. الحياة جيدة في الأعلى كما يقولون. انظر، لقد حصلت على ثياب فاخرة وتصفيفة شعر جديدة، وكل شيء... يقولون إن العاملين في الخدمة المنزلية بـ "السحابة التاسعة" يحظون بحياة طيبة".

"السحابة التاسعة؟ هل هذا هو المكان الذي توجد به رين؟"، سأله توم، وقد تذكر ذلك القصر الطائر الذي رآه يحلق فوق المدينة حين وصل إليها. ثم إنه مد يده ووضعها على كتف فيش كيك، وقال:

"فيش كيك، أيمكنك أن تجد زوجتي وتبلغها برسالة؟ أن تخبرها بمكان تواجد رين؟".

"أتقصد تلك المرأة ذات الندبة؟"، سأله فيش كيك وهو يتملص منه وقد بدا عليه الخوف والقرف، "... إنها ليست هنا، أليس كذلك؟".

"إنها في برايتون، لقد جئنا معًا".

تغير لون وجه فيش كيك بمجرد أن سمع ذلك، وراحت يداه ترتجفان، ثم هتف:

"أنا لن أقترب من تلك المرأة... إنها شريرة، لقد قتلت جارجل وريمورا، وكانت لتقتلني كذلك لو أنها استطاعت، لهذا اضطررتُ لأخذ رين، لم أكن أرغب في ذلك، لكن لو لم أفعل لكانت قتلتني أنا أيضًا".

“أنا واثق أن هيستير قد فعلت ذلك لأنها اضطرت لفعله ليس إلا”، قالها توم بارتباك وعدم ارتياح، فهو نفسه لم يكن واثقًا من صحة ما قاله، “... لقد كان حادثًا مأساويًا، ولكن...”.

“إنها شريرة...”، صاح فيش كيك مقاطعًا في إصرار، “... وأنت كذلك، حتى وإن كنت لا تدري، فمجرد وجودك معها يجعلك شريرًا سيئًا مثلها”.

“ومع ذلك فقد جئتني بتلك الورقة... أنت ولد طيب يا فيش كيك”، قالها توم وهو يبتسم نحو الصبي المفقود الذي كان ينظر نحوه بتشكك. وقد شعر توم بالأسف تجاهه، فلا بد وأنه قد تعرض للأذى والخيانة من قِبَل العديد من الأشخاص، مما جعله ينساق وراء أول شخص يعامله بلطف، حتى وإن كان ذلك الشخص هو نابيسكو شكين. وتمنى توم حينها لو كان بوسعه أن يأخذ الصبي معه بعيدًا عن تلك المدينة المروعة إلى حيث السلام في فينلاند، ليحيا حياة طبيعية، مثل هؤلاء الأطفال الذين أنقذتهم فريا من جريم سباي.

“فيش كيك... هل يمكنك إخراجي من هنا؟”.

“لا تستخف بالأمور هكذا...”. أجابه الصبي “... السيد شكين سيقتلني لو فعلت ذلك”.

“السيد شكين لن يعثر عليك، سوف آخذك معي إن أردت هذا... سوف نجد هيستير ثم نرحل من هنا جميعًا”.

“إلى أين؟ لقد انتهت جريم سباي، وها أنا قد حصلت على عمل جيد هنا. إلى أين يمكن أن أرحل؟”.

“لأي مكان تشاء، يمكننا أن نرسو بك في أي مكان تختاره، أو يمكننا أن نصحبك معنا إلى أنكوراج في فينلاند لتحيا معنا هناك”.

“أحيا معكم؟”، ردد فيش كيك وقد التمعت عيناه واتسعتا، “أتعني... كعائلة؟”.

“فقط إذا كنت ترغب في ذلك”، أجابه توم.

ابتلع فيش كيك ريقه بصوت عالٍ. إنه لا يتخيل أن يذهب إلى أي مكان مع

هيستير، فهي تستحق الموت، وكان قد أقسم على أن يقتلها يومًا، وهو لم ينسَ قسمه؛ لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه عن أن يحب توم، فهو يبدو لطيفًا ودودًا، ربما أكثر لطفًا من السيد شكين، وكذلك رين كانت لطيفة معه، حتى وإن كانت لم تنقذه من فخ برايتون... إنه حقًّا يود أن يحيا مع توم ورين.

"حسنًا"، أجاب الصبي وهو ينظر ناحية الباب في خوف من أن يكون أحد قد استرق السمع لحوارهما، "حسنًا، طالما أنك وعدتني...".

فجأة انطلق صوت جرس كهربائي مدوي عبر الممر، فأجفل توم وفيش كيك وقفزا من موضعهما، ثم راحت الأبواب تنفتح ثم تنغلق واقترب صوت أقدام تضرب الأرض بأحذيتها الثقيلة، فانتزع فيش كيك ورقة الصحيفة من توم واندفع خارج الزنزانة ثم أغلق الباب خلفه.

هرع توم إلى حيث الباب وراح ينظر عبر الشبكة الصغيرة المثبتة أعلاه، لكنه لم يستطع أن يرى أي شيء، ولم يصله سوى صوت الجرس المجلجل وصيحات الرجال من الطرف الآخر من الممر، ومزيد من أصوات الأحذية تضرب الأرض.

ثم دوى صوت إطلاق نار مرة، فالثانية، ودوت صرخة من شخص ما، فصاح توم:

"فيش كيك!".

ثم تردد صوت إطلاق النار من جديد، من مكان قريب هذه المرة، ثم جاءه صوت هيستير قادمًا من الممر وهي تصيح:

"توم...".

"هنا، أنا هنا"، صرخ توم، وفي اللحظة التالية ظهر أمامه وجهها الملثم، عبر الشبكة العلوية للباب.

"لقد استلمت الملاحظة التي تركتها لي"، بادرته هيستير بينما هو يبتعد عن الباب، فيما صوبت هي فوهة بندقيتها نحو الرتاج وأطلقت النار، ثم ركلت الباب فانفتح على مصراعيه.

"أين فيش كيك؟"، بادرها توم بالسؤال، "أنتِ لم تؤذيه، أليس كذلك؟ لقد كان هنا منذ دقيقة واحدة، وكان معه صورة فوتوغرافية... رين في السحابة التاسعة".

أنزلت هيستير وشاحها وقبّلت توم بسرعة بينما رائحة الدخان والبارود تفوح منها، وقد توهج وجهها العزيز القبيح.

"اصمت واركض!"، قالتها هيستير، فامتثل لها، وراح يركض متجاهلًا ضربات الألم التي تمزق صدره.

وفي الممر خارج زنزانته ارتمت جثتا رجلين على الأرض عند الزاوية، ولم تكن أي منهما لفيش كيك. خطا توم بحذر من فوق الجثتين وراح يتبع خطى زوجته عبر درج صغير، ثم مر بجوار بضع جثث أخرى، بينما الدخان يفعم الهواء. ومن مكان ما في الأسفل تصاعدت صيحات وصراخ.

"ما الذي يحدث؟"، سألها توم، "ما الذي يجري في الأسفل؟".

فالتفتت نحوه هيستير مبتسمة، ثم قالت:

"شخص ما قام بتحرير الصبية المفقودين... فكرة طائشة، أليس كذلك؟ من الأفضل أن نسرع الخطى نحو الأعلى".

هنا انطفأت الأضواء دفعة واحدة، واصطدم توم بهيستير فتلقفته قبل أن يسقط، وقالت بهدوء شديد:

"لا تقلق".

كان الظلام دامسًا، وقد راحت ضربات قلب توم تتسارع. ثم ظهرت أضواء حمراء خافتة.

"إنه مولّد الطوارئ الكهربائي"، قالت هيستير.

مشى توم وراء زوجته عبر مجموعة من المكاتب الخاوية، وقد راح يتساءل في داخله من أين حصلت هيستير على معطفها الجديد هذا، وأين الآخر القديم. وقد ظل غارقًا في تساؤلاته إلى أن فوجئا أمامهما بعدد من رجال شركة شكين يهرعون نحوهما.

"انبطح!"، صاحت هيستير وهي تدفع توم إلى الأرض، "أما أنتم فلا!"، قالتها للحراس الذين انبطحوا بدورهم.

كان المكتب مفعم بالدخان وألسنة اللهب والضجيج، ولم يكن كل الرجال يحملون بنادق، بينما راح المسلحون منهم يمطرون المكان بوابل من الطلقات التي ارتطمت بالجدران، وحطمت مُبَرِّد المياه، بل وحتى التقويم الذي كان فوق المكتب تمزقت أوراقه بفعل الطلقات وراحت تتطاير.

سارع توم للاختباء خلف خزانة الملفات، ومن مكمنه راح يشاهد هيستير إذ تفتح نيرانها على الرجال وتصرع الواحد منهم تلو الآخر... منذ سنوات، حينما هاجم صيادو أركانجيل أنكوراج، لم يكن توم بصحبة هيستير وهي تقاتلهم، ولطالما حسب أنها ولا بد كانت خائفة وغاضبة أثناء قتالها في مواجهتهم؛ أما الآن فها هي ذي أمامه تقاتل أفراد الحراسة وترديهم قتلى الواحد تلو الآخر، في هدوء وصلابة تثيران تعجبه. وحينما فرغت بندقيتها من الطلقات، ألقتها من يدها وسارعت نحو آلة كاتبة كانت على المكتب، فحملتها وهوت بها فوق رأس آخر الرجال لتحطم جمجمته تحطيمًا، ثم إنها اتجهت نحو بندقيتها من جديد وأعادت تعبئتها وهي تبتسم، وقد بدت لتوم أكثر حيوية وحياة من أي وقت مضى.

"هل أنت بخير؟"، سألته هيستير بينما مدت يدها لتجذبه وتساعده على النهوض على قدميه.

لكن توم لم يكن بخير على الإطلاق، بل كان يرتجف لدرجة لم يستطع معها أن ينطق بكلمة، لذا فقد تبعها في صمت صعودًا عبر المزيد من السلالم، ليجد أنهما قد وصلا أخيرًا إلى قاعة الاستقبال الفاخرة التي سبق وتحدث فيها إلى الآنسة وييمز قبل مقابلته لشكين، وكان مقعدها خاويًا بينما تم وضع علامة (مغلق) على الباب، كذلك لم يكن الحارس الخارجي موجودًا في موقعه.

وفي الخارج كانت الألعاب النارية تدوي، لتنطلق أضواؤها القرمزية والزمردية وتتبدى من الفراغات بين الستائر المسدلة على نوافذ القاعة.

رفعت هيستير بندقيتها وصوبتها نحو قفل الباب وأطلقت رصاصة، فانفتح، وتوجه توم من فوره نحو الباب، إلا أن صوت أنفاس تلهج خوفًا تناهى إلى مسامعه، ثم أنين خافت، قادم من أسفل مكتب الآنسة وييمز، فركع على ركبتيه ونظر أسفل مقعدها ليجد وجه فيش كيك الشاحب ينظر إليه في هلع.

"فيش كيك.. لا بأس، لا تخف"، صاح توم وراح يحاول طمأنة الصبي الذي كان يزداد انكماشًا تحت المقعد.

"إنه فيش كيك"، قالها توم لهيستير وهو يلوح لها كي يبقيها بعيدًا.

"دعه إذن"، هتفت هيستير.

"لا، لا يمكننا ذلك، إنه وحيد وخائف، ثم إنه كان يعمل لدى شكين، ولو وقع في أيدي الصبية المفقودين فسوف يمزقونه إربًا"، قالها توم بينما الصبي يئن من الرعب.

"إنه خطؤه هو... دعه"، أجابته هيستير وهي تقف عند الباب متلهفة للخروج.

"لكنه هو من أخبرني بمكان رين".

"جميل! لقد أخبرك وانتهى الأمر، إذن فنحن لم نعد في حاجة إليه، دعه إذن ولنمضي".

"لا..."، صاح توم بحدة، ربما أكثر مما أراد، ثم مد يده وأمسك بيد الصبي ليخرجه من مخبئه، وأضاف، "سوف يأتي معنا، لقد وعدته".

أخذت هيستير تحدق إلى فيش كيك، وكذلك هو راح يبادلها النظرات، وللحظة ظن توم أنها سوف تقوم بإطلاق النار عليه. ولكن فجأة تردد عواء مدوٍ مفعم بالغضب والتحدي، قادم من أعماق "وعاء الفلفل"، حيث كان الصبية المفقودون الذين حررتهم هيستير في طريقهم عبر الممر في الأسفل، وقد راح زئيرهم يرج أركان المبنى.

سارعت هيستير لإمساك مقبض الباب لإبقائه مفتوحًا ريثما يتمكن توم من سحب الصبي المرتعد والخروج من المبنى، ثم عبر السلالم الأمامية نزولًا إلى الساحة المحيطة به.

وفي الخارج، فوجئ توم بصدى انفجارات ضخمة تتردد كالرعد في كل مكان، بينما الألعاب النارية تدوي بصوت أعلى كثيرًا مما اعتاد عليه منذ أيام طفولته؛ وحين رفع رأسه نحو السماء فوجئ بمناطيد بيضاء ضخمة تنقض على المدينة وتمطرها بوابل من الصواريخ، تنطلق من زوارقها الحربية.

"يا للآلهة والإلهات!"، صاحت هيستير، "كأن هذا ما كان ينقصنا!".

"ما هذا؟!"، صرخ فيش كيك وهو يتشبث بتوم "ما الذي يحدث؟".

وكان ما يحدث هو أن سربًا من قوات "روح الثعالب" التابعة لأسطول العاصفة الخضراء، قد توجهت في مهمة لتدمير الدفاعات الجوية لبرايتون.

وفي غضون لحظات معدودات استحالت احتفالات عيد القمر إلى حالة عارمة من الهلع والذعر، حيث ظن ملاحو السرب الحربي أن تلك الألعاب النارية المنطلقة صوب السماء من متنزه "كوينز "و" بلاك روك" هي مضادات للطائرات، فبدأوا في قصفها.

وبينما كانت المواكب الاحتفالية تجوب المدينة وتعبر حنايا شارع "أوشن بوليفارد" كثعابين طويلة دون رأس، انطلقت مركبة "ريكوام فورتكس" عبر سحب الدخان من فوقهم، مباشرة صوب "السحابة التاسعة".

ومن الأعلى، رصد الجنرال ناجا مدينتي "كوم أمبو" و"بنغازي" الشبيهتين بجبلين مدرعين، وبجوارهما تناثرت عدد من البلدات والضواحي المتحركة الصغيرة، فصاح مبتهجًا في حماسة، كصياد وجد فريسته أخيرًا:

"مجموعة كاملة من المدن المتحركة! تلك المدينة الكبيرة قد التهمت مدينة "تدمر" الساكنة منذ بضع سنوات".

ثم إنه التفت نحو المطارد فانج، وقد راحت دروعه الميكانيكية تصدر صريرًا مع التفاتته، رافعًا ذراعه في تحية عسكرية لها، وقال:

"لهذا جئتِ بنا إلى الغرب. عظيم للغاية، كنت أعلم أن هذه الحملة لا يمكن أن تكون فقط من أجل ذلك المنتجع الطواف الرث! نحن في انتظار أوامرك لشن الهجوم...".

"صمتًا..."، قالتها فانج بصوتها الهامس، بينما ألسنة النيران المندلعة في برايتون تنعكس على وجهها البرونزي، "... تلك المجموعة من المدن ليست ذات أهمية... باقي سفن الأسطول ستعمل على تشتيت دفاعاتهم ومقاتليهم، وضمان عدم تمكن البرايتونيين من إغاثة عمدتهم. هدفنا الحقيقي هو القصر الطائر. أعدوا العدة للإنزال".

على مدار ستة عشر عام، ظل ناجا مطيعًا للمطارد فانج، إلا أن ما يحدث الآن كان

أكبر مما يمكنه تحمله. وبينما سارع ضباطه لتنفيذ أوامرها وتجهيز الأسلحة النارية والدروع، وقف هو للحظة مشدوهًا ذاهلًا، يحاول استجماع شتات أمره. لكنه سرعان ما استفاق من ذهوله وحنقه، وقد تذكر ما وقع من قبل للضباط الذين تجرأوا على مجادلة فانج أو مراجعتها في أمر من أوامرها، فهرع بدوره لتنفيذ الأوامر.

ركض رين وثيو نحو الجانب الآخر من غرفة التحكم، وعبر الأفق شاهدا المسافة بين برايتون والشاطئ تتوهج بانفجارات من القذائف من الدفاعات الجوية لمدينة بنغازي، وعلى الضوء المتوهج للانفجارات، رأى الاثنان أربع مقاتلات حربية على متنها عدد لا يحصى من المقاتلين...

"إنها وحدة الهجوم الجوي لقوات العاصفة الخضراء"، قالها ثيو.

"أوه، يا لكويرك!"، همست رين، وهي تفكر في أبيها حبيس برايتون، "أتظن أنهم سيقومون بإغراق برايتون في البحر؟ أبي موجود بها... ثيو، أبي سيموت وسأكون أنا السبب في ذلك".

"هم لم يأتوا إلى هنا من أجل برايتون"، قال ثيو، ومد يده ليمسك بيدها، "لقد جاءوا من أجل الكتاب بلا شك، وأيًّا كان من وضع ذلك الطائر المطارد لحراسة خزنة بيني رويال وقام بقتل كل هؤلاء الرجال، فلا بد أنه قد قام باستدعاء تلك المركبات الحربية إلى هنا. لقد قطعوا الحبال التي تربط "السحابة التاسعة" بالمدينة كي يتمكنوا من الإنزال هنا والسيطرة علينا بسهولة".

ومن مكان ما من الخارج جاءهم صوت الصرير المزعج لأجهزة إنذار الغارات الجوية، وكأن أظافر عملاقة تحتك بقوة بلوحة السماء مصدرة ذلك الصوت.

"يجب أن نفر من هنا"، قالت رين.

"كيف؟".

"على متن الـ "بيويت" بالطبع، لقد تم تزويدها بالوقود ليلة أمس كما تعلم، ولا أحسب أنهم كان لديهم الوقت الكافي في القاعدة الجوية كي يقوموا بتفريغها من جديد".

إلا أن ثيو هز رأسه رافضًا الفكرة وقال:

"حتى وإن وصلنا إلى مستودع الـ "بيويت"، العاصفة الخضراء سوف تقوم بإسقاطه ونحن على متنه حتى قبل أن نتمكن من مغادرة المجال الجوي للسحابة التاسعة".

"ولكن الـ "بيويت" مجرد يخت جوي وليس منطادًا حربيًّا ليقصفوه!".

"العاصفة الخضراء لا تكترث بمثل هذه التفاصيل".

"لكن، ألست تجيد التعامل مع الإشارات والشفرات وما إلى ذلك؟ ألا يمكنك أن ترسل لهم رسالة لاسلكية تخبرهم فيها أنك واحد منهم بحيث يتركوننا سالمين؟".

"رين، أنا لست واحدًا من أعضاء العاصفة الخضراء، لم أعد كذلك. لقد خذلتهم، ولو أنهم أمسكوا بي فسوف يرسلونني إلى "باتمونخ تساكا" ليتم قتلي".

لم تفهم رين بالضبط ما يعنيه ثيو، لكن قد بدا جليًّا لها أنه خائف بالفعل، ربما مثلها.

فجأة اهتزت غرفة التحكم بعنف، وكأن شيئًا ما اصطدم بالطبقة فوقها، وراح وابل من الشظايا والحطام المحترق يتساقط من أمام النوافذ. نظرت رين إلى ثيو وقالت محاولة أن تبدو شجاعة:

"ثيو، والدي ينتظرني في برايتون، وكذلك والداك ينتظرانك في "زاجوا"، وسوف يتألمون كثيرًا لو أننا استسلمنا للموت. هلم، علينا أن نحاول".

أخيرًا بدا أن ثيو اقتنع بكلامها، وراحا، بأيادٍ متشابكة، يركضان صعودًا عبر الدرج إلى حيث مدخل الطابق الأرضي، ثم دلفا عبر الباب الذي لا بد أن القاتل قد خرج منه، والذي كان ينفتح على ممر خارج منطقة المطابخ. ولم يكن ثمة أحد هناك، ومن فوقهما تناهت إليهما أصوات الصراخ والصيحات، ووقع أقدام الضيوف إذ يتدافعون للخروج من القاعة. وفي السماء كانت الانفجارات تدوي لتلقي بالشظايا واللهب على الأرض أسفل نوافذ المطابخ وعلى أوعية وأطباق الطعام الملقى على الأرض حيث ألقاها العبيد من أياديهم بينما كانوا يفرون من ذلك الهول.

ظل ثيو ورين يركضان إلى حيث أقرب مخرج، ومنه خرجا إلى الحدائق الأمامية للقصر، فيما كانت حشود الضيوف تهرع عبر المروج كالخراف المذعورة، ولم يكن لهم

أي مخرج من السحابة التاسعة بعدما تم قطع حبالها المتصلة بالمدينة، لكنهم أرادوا الابتعاد قدر الإمكان عن القصر خشية أن تقوم قوات العاصفة الخضراء بإلقاء القنابل عليه.

على أي حال، كان هؤلاء القوم شديدي الثراء وقد اعتادوا الحصول على أي شيء يرغبون فيه أو يحتاجونه. ومن ثم فحتى إذا كان التلفريك الموصل للمدينة قد انتهى أمره، فسوف يجدون سفينة جوية هنا أو سيارة أجرة طائرة هناك. ومن يدري، ربما يقوم بعض من سكان برايتون الأكثر شجاعة بترتيب عملية إنقاذ لهم باستخدام الزوارق أو اليخوت الجوية!

خوفًا من أن يسحقهما التدافع، قام ثيو بدفع رين دفعًا للاحتماء أسفل واحد من تماثيل بيني رويال. وهناك ظل الاثنان في مكانهما يحاولان التقاط أنفاسهما، وعلى ضوء القمر أخذا يطالعان آثار العادم إذ تتدفق نحو السماء حول السحابة التاسعة، كخيوط العنكبوت، فيما راحت آلات "النمس الطائر" تطن وهي تندفع بقوة لمهاجمة مناطيد العاصفة الخضراء، إلا أن المناطيد المقاتلة تصدت للهجوم، وفوجئ فريق "النمس الطائر" بأسراب من الصقور المطاردة، وكذلك طيور الكوندور المطاردة، إذ تنقض عليهم بضراوة كسحب سوداء كثيفة، وقامت بتمزيق أجنحة آلات الطيران، ثم راحت تهاجم الملاحين أنفسهم الذين لم يكن ثمة شيء يمكنهم الاحتماء خلفه. ولم تجد قوات "النمس الطائر" بُدًّا، فتقهقرت وحاولت الهرب، لتتلقفها المناطيد الحربية بصواريخها ومدافعها الآلية. ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى كانت مجموعة "النمس الطائر" قد تم تمزيق أجنحتها تمزيقًا وانفجرت خزانات الوقود في الكثير منها، وسقطت مراوحها ومحركاتها لتتناثر عبر مروج القصر.

أما تلك الآلة التي تحمل شعار "يوم سيئ" فقد انفصلت أجنحتها عنها تمامًا، لتسقط بملاحها في محطة التلفريك بالسحابة التاسعة، فيما اصطدمت آلتان ببعضهما وبأحد جوانب إحدى مدمرات العاصفة الخضراء، ليسقطوا جميعًا كبرميل ضخم من النيران، في البحر.

وقبالة طرف الحدائق كان منطاد آخر من مناطيد العاصفة الخضراء يقف في السماء في انتظار انتهاء مقاتليه من الإجهاز على "النمس الطائر"، ومن خلفه رأت رين الطبقات العليا من كوم أمبو تقف كجزيرة مدرعة وسط بحر من الدخان، ومن

فوقها كان منطاد حربي ضخم يمطرها بقذائف تتقلب وتدور في الهواء . وكانت تبدو أشبه ما يكون بأوعية فضية . إلى أن تمكن من تفجير أحد حصونها الدفاعية، وتناثرت شظايا الانفجار البيضاء والحطام عاليًا في سماء الليل. وكان المشهد مروعًا لدرجة أن رين شعرت وكأن الانفجارات تدوي في صدرها، وراح قلبها يخفق بعنف كقرع الطبول.

"أقداح!"، دمدم ثيو.

"ماذا؟ تلك الأشياء الفضية؟"، سألته رين، "لا، إنها قنابل... لقد قلت لي يومًا إنك كنت قائدَ... أقداح؟!".

فأومأ ثيو.

"أتعني أن تلك الأشياء بداخلها ملاحون؟ لكنها موجهة لتنفجر في أهدافها وتتحول إلى أشلاء!".

أومأ ثيو من جديد دون أن ينطق بكلمة.

"إذن، كيف بقيت أنت ...؟".

"كيف بقيت على قيد الحياة؟"، قالها ثيو وهو يهز رأسه ويشيح بوجهه عنها، "لأنني جبان، هذا هو السبب".

راح منطاد "ريكوام فورتكس" يجوب بين سحب الدخان الكثيف والرماد المعلق في الهواء فوق الساحل، فيما انتشر الذعر بين البلدات والمدن المتجمعة هناك، وقد افترضوا أن أسطول العاصفة الخضراء جاء من أجلهم، فراحوا يركضون على عجلاتهم في هلع بحثًا عن ملجأ لهم في الصحراء، بينما راح بعضهم يملأون طوافات النجاة الخاصة بهم بالهواء ثم يلقون بها إلى البحر محاولين الفرار على متنها، فيما حاول بعضهم الآخر استغلال الفوضى الضاربة أطنابها في المكان والتهام بعض من جيرانهم.

أما كل من بنغازي وكوم أمبو فقد حاولتا إطلاق أساطيلهما من المناطيد الحربية، التي ما إن ارتفعت في السماء حتى انقضت عليها مركبات "روح الثعالب" التي كانت أسرع منها وأكثر شراسة، وكذلك أسراب من الطيور المطاردة، وراحت تمزقها

وتدمرها عن بكرة أبيها.

ومن مكان ما بالقرب من مؤخرة مركبة "ريكوام فورتيكس" انفجرت إحدى خلايا الغاز، واشتعلت النيران، فسارع فيلق العناكب المطاردين من المركبة "مارك IV" يزحفون على جوانب غلاف الغاز ويوجهون طفايات الحريق نحو ألسنة اللهب إلى أن تمكنوا من إطفائها، إلا أن مراوح التوجيه كانت قد تضررت بشدة، وراحت أصوات تهدر من أجهزة الاستقبال تبلغهم أن الزورق الخلفي قد دُمِّر.

وعلى متن المركبة كانت وجوه الجنود البشريين قد شحبت تمامًا من هول الأنباء الواردة، وقد تقلصت ملامحهم في توتر، وعلى ضوء اللهب المنعكس عبر نوافذ المركبة لاحظ جريك جباههم إذ تتفصد عرقًا من الرعب. أما أوينون زيرو فقد راحت تبكي في خوف من وراء خوذتها الفولاذية... ففي تلك اللحظات كان جهاز الاستقبال يهدر بنداءات الاستغاثة القادمة من المركبات الأخرى، والتقارير المتواترة عن الدمار الذي لحق بالمناطيد الأخرى: مركبة "سورد فلوريشد" قد دُكّت في المعركة واستحالت إلى كتلة من النيران... منطاد "أوتومن راين" انكسرت دفته وجرفته الرياح إلى أن سقط في أحد جوانب بنغازي. ومن إحدى السفن الحربية الأخرى المحتضرة جاءهم صوت أحد أفراد طاقمها إذ يصرخ ويصرخ إلى أن انقطعت الإشارة فجأة.

ومع ذلك، وبرغم كل هذا الدمار، ظلت المطارد فانج واقفة كما هي في هدوء تام بجوار قائد الدفة، دون أن تعير أي التفات أو تبدي أدنى اهتمام بتلك الأنباء المروعة، فقط راحت تتطلع نحو "السحابة التاسعة" وهي تحلق ببطء بعيدًا عن المدينة...

"انطلق في إثر ذلك القصر الطائر"، قالتها آمرة لقائد الدفة.

وفوق برايتون، انطلقت المركبات الحربية المكلفة بمهاجمتها بعيدًا نحو باقي أهدافها، تاركة المنتجع الطواف في وضع يرثى له، حيث اشتعلت النيران في غرفة محركاته، بينما تعطلت حوالي نصف عجلات التجديف به. كذلك كانت مراسي المدينة بالكامل قد سقطت عنها مع بدء الهجوم، وها هي الآن تطفو بعيدًا على غير هدى وقد تسرب وقودها المشتعل. أما كل من كانوا بإمكانهم تولي قيادة دفة المدينة وإنقاذها فكانوا إما قد أمسوا موتى أو هم في حفل العمدة في الأعالي.

وفي وسط كل هذه الفوضى، لم ينتبه أحد لأجراس الإنذار المدوية داخل "وعاء

الفلفل"، وهكذا تمكن الصبية المفقودون من التغلب على آخر أفراد الحراسة، ثم انطلقوا بعدها في صخب إلى الأعلى حيث سطح المدينة.

ومن حي المحركات، والأزقة الغارقة في الصرف الصحي أسفل الطبقة الدنيا، وأحواض الترشيح والفلترة الواقعة أسفل الحوض البحري الفاخر، اندفع عبيد برايتون إلى السطح متسلحين بكل ما طالته أياديهم، من مفاتيح ربط الآلات، وجرافات، ثم تدفقوا عبر سلالم المدينة، وراحوا ينهبون متاجر التحف ويشعلون النيران في معارض اللوحات والأعمال الفنية.

أما الفنانون والممثلون ذوو الحس الإنساني، الذين قضوا العديد من أمسيات العشاء يتناقشون حول معاناة العبيد والحياة المريعة التي يحيونها، ويقدمون الأعمال الفنية التي تجسد آلام تلك الفئة، فقد ولوا الأدبار فرارًا بحياتهم، وراحوا يتكدسون في المناطيد والسيارات الطائرة.

حقًّا، لقد جرت الكثير من الأحداث الجسام في تلك المدينة العائمة، التي باتت خرابًا، تغطيها سحب من الدخان الكثيف، لدرجة أن أحدًا لم يلحظ على الإطلاق أن "السحابة التاسعة" لم تعد متصلة بباقي برايتون.

***

"29"

الفتى الذي لم يتفجر

ظل رين وثيو قابعين في مخبئهما أسفل ظل التمثال الضخم في انتظار انتهاء المعركة، وقد أسندا ظهريهما إلى قاعدته.

وكان بعض الضيوف قد تركوا كؤوس الشراب الخاصة بهم بالقرب من موضع اختبائهما، فتناولت رين واحدًا منها وشرعت في تجرع ما فيه... منذ متى بدأ هذا الكابوس؟ خمس دقائق؟ عشر؟ لقد بدا لها وكأنه امتد لعمر كامل، حتى أنه بات في مقدورها مع مضي الوقت التمييز ما بين طلقات "النمس الطائر" ونيران "العاصفة الخضراء"، ولكن كان من الصعب عليها التمييز بين الصواريخ. أما فيما يتعلق بـ "الأقداح" فقد كان تمييزها يسيرًا، ففي كل مرة تنفجر فيها إحدى تلك المركبات الصغيرة، كان ثيو يقفز من مكانه في فزع ثم يتكور حول نفسه ويغوص برأسه بين كتفيه ويغمض عينيه بقوة.

"ألا تريد أن تخبرني عنها؟"، سألته رين، "أعني تلك الآلات، الأقداح".

"لا".

"بلى، يمكنك، فليس بوسعنا الآن سوى الانتظار والحديث".

أجفل ثيو من جديد مع دوي انفجار "قدح آخر" قادم من بعيد من أطراف كوم أمبو. ثم . وبصوت خفيض، بالكاد تمكنت رين من سماعه وسط كل تلك الضوضاء العارمة . بدأ يقص عليها تاريخ حياته المهنية القصيرة...

"كان ذلك مع بداية المعركة في "راست ووتر"... حيث كانت ضواحي العدو تحرز تقدمًا على طول خط الجبهة، بينما تقهقر أسطول العاصفة الخضراء نحو الحدود الغربية لـ "شان جو". لم يكن أي منا يتوقع أن يحدث أي تحرك من جانب قوات العاصفة. ثم صدرت الأوامر: على القوات أن تبذل قصارى جهدها للإبقاء على منطقة تدعى "الجزيرة السوداء" تحت سيطرتها لبضع ساعات أخرى، حيث كان أحد الجراحين الميكانيكيين من فيلق البعث وإعادة الإحياء يعكف على التنقيب هناك لاستخراج آلة قيمة لا ينبغي بأي حال أن تقع في يد العدو...".

وكان ثيو حتى تلك اللحظة يشعر في أحشائه بالاهتزازات المثيرة للغثيان التي أحدثتها المركبة التي نقلته ورفاقه إلى ذلك الموقع، والذعر الذي انتابهم بينما ملاحو "الأقداح" يندفعون نحو مركباتهم تلك.

"كان الانتظار أسوأ ما في الأمر..."، استطرد ثيو، "حيث كنا نقبع في مركباتنا على منصة الإطلاق في انتظار الأوامر، وفي الأسفل كنا نرى انفجارات المدافع. ثم يصدر الأمر: انطلق، فننطلق بقوة نحو مركبات العدو، لتأتي لحظة السقوط الطويل وسط انفجارات الصواريخ والنيران...

لقد كانت تلك المركبات أوتوماتيكية في البداية، يتم تسييرها من خلال تزويدها بعقول المطاردين الآلية. لكن عقول المطاردين لا يمكنها أن تنسل وتناور بين النيران على الأرض وصولًا لهدفها بالطريقة التي يمكن لملاح بشري أن يفعلها. كذلك ارتأت العاصفة الخضراء أنه لا داعي لإهدار المطاردين في مثل تلك المهام طالما يوجد شباب مثل ثيو نجوني يتوقون لتحقيق المجد وعلى استعداد للموت تحت شعار (العالم أخضر من جديد).

كان الهدف عبارة عن مدينة تدعى "جاكدستات ماجدبرج"، حيث انطلقت مركبتي نحوها إلى أن اصطدمت في مكان ما على الطبقات الوسطى منها. كنت أظن أنني متجه صوب حصن مدرع، لكني فوجئت بمركبتي تصطدم بسطح بلاستيكي رقيق في إحدى المناطق الزراعية، انكسر بسهولة تحت وطأة الاصطدام، لأجد نفسي وقد سقطت بالمركبة فوق كومة من العلف، ولهذا لم تنفجر المركبة تلقائيًا كما يفترض بها عند الاصطدام. ومع ذلك فقد كانت تلك المركبات مزودة بنظام تفجير يدوي في حال فشل التفجير التلقائي، وكان بإمكاني الضغط على الزر وتنفيذ مهمتي... لكني لم أستطع فعل ذلك... لم أجرؤ على...".

"بالطبع..."، قالتها رين في رفق، "... لقد أخطأت الهدف وسقطت في منطقة زراعية، وما كان لك أن تفجر نفسك في عمال مدنيين، كان ذلك ليكون جريمة قتل".

"هي كذلك بالفعل... ولكن، لم يكن هذا هو السبب الذي منعني، كل ما هناك أنني لم أشأ أن أموت".

"قرارك هذا جاء متأخرًا بعض الشيء، أليس كذلك؟".

فهز ثيو كتفيه، وراح يستأنف حكايته:

"ثم إنني جلست هناك وانخرطت في البكاء. وبعد حين جاء سكان المدينة وأبطلوا نظام التفجير وسحبوني إلى الخارج وأخذوني. حسبت وقتها أنهم سيقتلونني، والحق أنني ما كنت لألومهم لو فعلوا. لكنهم لم يقتلوني... لطالما كنت أسمع طوال حياتي قصصًا مروعة عن وحشية الهمجيين وكيف أنهم يقومون بتعذيب سجنائهم وأسراهم. ربما يكون بعضهم يفعل ذلك بالفعل، لكن هؤلاء القوم الذين وقعت في أيديهم لم يوقعوا بي الأذى على أي نحو، بل عاملوني وكأني واحد من أبنائهم، وأطعموني، ثم إنهم راحوا يعربون لي عن أسفهم لاضطرارهم لبيعي كعبد حيث أنهم لا يمكنهم الإبقاء على الأسرى من أعضاء العاصفة الخضراء على متن مدينتهم، خوفًا من أن يتحدوا معًا ضدهم ويقوموا بحركة تمرد عليهم. والحقيقة أنني عن نفسي ما كنت لأتمرد عليهم أبدا، فقد تكَشَّف لي خلال فترة وجودي مع هؤلاء القوم أن العاصفة الخضراء على خطأ فيما تنتهجه، وأن كل ذلك القتال والقتل ليس سوى أمر سخيف".

ثم إنه نظر نحو رين وقال:

"لهذا السبب تخليت عن انتمائي للعاصفة الخضراء. والآن، حين سأقع في أيديهم ويعرفون هويتي وما فعلت، فسوف يقتلونني لا محالة".

"هذا لن يحدث"، قالتها رين، "لأننا ببساطة لن ندعهم يوقعون بك! سوف نرحل عن هنا بشكل أو بآخر...".

وفجأة دوى هدير محركات قوي، فهبت رين من مكانها وأخذت تنظر عبر الحدائق بحذر، فرأت منطادًا حربيًا أبيض مليئًا بالسحجات يشق طريقه عبر "السحابة التاسعة".

"يا للآلهة العظيمة!"، صاح ثيو وهو يتطلع نحو المنطاد من فوق كتف رين، "... إنه "ريكوام فورتيكس"، إنه منطادها".

ثم استقر المنطاد أخيرًا، وراحت قاذفات الصواريخ المثبتة فوق محركاته تدور في كل صوب استعدادًا لنسف أي من آلات "النمس الطائر" بمجرد اقترابها. وبالفعل حطمت الصواريخ عددًا من تلك الآلات وحولتها إلى أشلاء تناثرت شظاياها عبر

المروج المحيطة بالقصر. ثم جاءت آلة أخرى من آلات "النمس الطائر" وراحت تحوم حول المنطاد، في مشهد بدا أشبه ما يكون ببعوضة تحوم حول ديناصور، لكنها لم تستطع النفاد إلى غلاف المنطاد المدرع، وفي غضون ثوانٍ كانت الطيور المطاردون قد تكفلت بها ومزقتها إربًا. بينما دمرت الصواريخ آلة أخرى كانت قد اندفعت نحو المنطاد في محاولة يائسة من ملاحها للاصطدام به، لتنفجر الآلة وتصطدم بأحد أغلفة الغاز التي تحمل "السحابة التاسعة"، فارتج القصر، وتعالى صراخ الضيوف الفارين عبر المروج.

ولم تمر لحظات حتى بدأ لوح الطبقة برمته يميل بشدة مع تسرب الغاز من بعض الأغلفة الغازية الأخرى التي تحمله.

أما أورلا تومبلي ومن تبقوا من طاقم النمس الطائر فقد أدركوا أنهم هالكون لا محالة إن ظلوا في مكانهم، وأنهم لن يستطيعوا فعل أي شيء، فولوا الأدبار.

رفعت رين ذراعيها لتحمي وجهها من الغبار والدخان بينما كان منطاد "ريكوام فورتيكس" يهبط إلى أرضية السحابة التاسعة. أما الضيوف الفارون فقد راح بعضهم يهرع نحو القصر من جديد مرورًا بموضع اختباء رين وثيو، فيما وقف بعضهم الآخر في مكانهم وقد نزعوا قمصانهم ومناديلهم الحريرية وراحوا يلوحون بها في إشارة للاستسلام.

حتى الحراس ذوو الأزياء الحمراء الفاخرة أخذوا يخلعون معاطفهم ويلقون بأسلحتهم.

ومن زورق المنطاد الحربي بدأ عدد من الأفراد المدرعين فارعو الطول يخرجون إلى العراء...

"المطاردون!"، صاحت رين في فزع؛ ولم تكن قد رأت في حياتها مطاردًا من قبل، بل إنها حتى لم تكن تعتقد في وجودهم من الأساس، إلا أن شيئًا ما في هيئة هؤلاء وطريقة مشيتهم جعلها تدرك على الفور أنهم ليسوا بشرًا، مما بثَّ رعبًا هائلًا في قلبها وشعرت أنها ترغب بشدة في إطلاق ساقيها للريح فرارًا منهم. وبالفعل لم تتردد رين وشرعت تركض وتنادي ثيو كي يتبعها:

"هلم... هلم، سوف نتوجه نحو مستودع المنطاد عبر القصر".

كانت سلالم القصر خاوية الآن، وهرع رين وثيو يصعدان عبرها سريعًا، ويتعثران في قبعات الحفل الملقاة هنا وهناك، وكذلك في الجثث المترامية. وعند المسبح، حيث باعها شكين لبيني رويال، انزلقت رين وسقطت على ظهرها، لتخدش حافة كتاب الصفيح . المخبأ في بنطالها . جلدها وتنغرس في لحمها أسفل عمودها الفقري بقوة، حتى حسبت أنها ولا بد قد جرحت وأن الدماء ستسيل تحت سروالها، بينما هرع ثيو ليساعدها على النهوض. لكنها لم تكترث كثيرا للألم المبرح الذي اجتاحها وإنما راحت تفكر فيما إذا كان عليها التخلص من ذلك الكتاب، ربما بتسليمه للعاصفة الخضراء استجداءً للرحمة، إلا أنها سرعان ما تراجعت عن تلك الفكرة وقد تذكرت أنهم لا يتحلون بأي رحمة؛ فمنذ جاءت إلى برايتون وهي تسمع وتقرأ في المنشورات والملصقات، وكذلك في صفحة الشؤون الخارجية بصحيفة "باليمبسيست"، عن (فظائع العاصفة الخضراء) وال (مزيد من الأعمال الوحشية) التي يرتكبونها، وأدركت أنهم لو وجدوا أن كتاب الصفيح بحوزتها فسوف...

ثم أنهما هرعا نحو قاعة الرقص، وعند مدخلها التفتا ليلقيا نظرة عبر المروج. كانت المعركة قد انتهت، وراح المطاردون ينتشرون في كل صوب هناك، يجمعون حشود الضيوف الذي انتهى بهم الحال أن أمسوا أسرى.

"ترى، هل شكين بينهم هناك؟"، تساءلت رين.

"وماذا عن بوبو؟ ترى أين هي؟"، قالها ثيو بينما هما يستأنفان طريقهما عبر القاعة التي كانت أضواؤها البراقة قد انطفأت، فراحا يتحسسان طريقهما في الظلام والزجاج المتهشم ينسحق تحت أقدامهما، "... وماذا عن بيني رويال؟".

"آه، سوف يكون بخير... أراهن أنه هو من أتى بقوات العاصفة الخضراء إلى هنا. لقد قال شكين إن الرجل كان يبحث عن مشترٍ للكتاب... إن بيني رويال لا يتورع عن فعل أي شيء، حتى ولو كان بيع مدينته من أجل الربح".

وبينما هما يمران عبر غرفة عرض الأفلام، لمحت رين، على الضوء المنبعث من جهاز العرض الذي كان لا يزال يعمل، حركة على السلم الحلزوني...

"سينثيا!"، صاحت رين وقد تمكنت من تمييز صديقتها.

كانت الفتاة تركض نزولًا عبر السلم بينما زيها يلتمع على ضوء الفيلم الملون المعروض على الشاشة... ما الذي كانت تفعله في الأعلى؟! هذا ما لم تستطع رين معرفته، لكنها خمنت أنها ربما ضلت الطريق في غمار خوفها وارتباكها بينما الجميع يهرعون للفرار، أو ربما أرسلتها السيدة بيني رويال لجلب شيء ما، وكانت الفتاة بالفعل تحمل في إحدى كفيها شيئًا لامعًا.

"سينثيا..."، هتفت رين، "... لا تخافي، نحن سنرحل من هنا وسوف نأخذك معنا، أليس كذلك يا ثيو؟".

"أين هو يا رين؟"، صاحت سينثيا.

"ما هو؟!"، بادلتها رين السؤال في عدم فهم.

"كتاب الصفيح بالطبع"، أجابتها الفتاة، وقد ارتسم على وجهها تعبير لم تعهده رين من قبل قط: تعبير بارد قاس، بينما كانت عيناها تلتمعان بالذكاء والحنكة، وكأن وجهها قد تبدل أو صار وجه فتاة أخرى تمامًا...

"لقد فتشتُ خزنة بيني رويال للتو..."، قالت سينثيا، "... ولم أجده، أنا على يقين أنكِ أنتِ من أخذ الكتاب، كنت أعلم أنكِ تضمرين شيئًا ما منذ جئتِ إلى هنا. من هم الذين تعملين لصالحهم؟ اتحاد مدن الجر؟ أم الأفارقة؟".

"أنا لا أعمل لصالح أحد!"، أجابتها رين.

"أنتِ من يعمل لصالح جهة ما يا سينثيا توايت..."، هتف ثيو، "... أنتِ تعملين لصالح العاصفة الخضراء، أليس كذلك؟ انت من قام بقتل بلوفري والبقية. وأنتِ كذلك من قطع حبال ربط السحابة التاسعة!".

ضحكت سينثيا وقالت:

"أووه، لقد أدركت الحقيقة سريعًا أيها الإفريقي"، ثم إنها انحنت في أدب في حركة مسرحية ساخرة، "... أنا العميل 28 بجماعة الاستخبارات الخاصة التابعة للمطارد فانج. لقد أديت دوري ببراعة، أليس كذلك؟ سينثيا الساذجة التي يسخر منها الجميع، أنت وبوبو والبقية. طوال الوقت كنت أعمل لحساب سيدة أخرى، سيدة سوف تجعل العالم أخضر من جديد".

ثم إنها رفعت ذراعها صوب رين، لتكتشف الأخيرة أن الشيء اللامع في يدها هو عبارة عن مسدس.

كالمنومة، أخرجت رين كتاب الصفيح من تحت سترتها، ورفعته أمام سينثيا، التي انتزعته بسرعة ثم تراجعت نحو الوراء وقالت، وقد بدا في صوتها شيء من لطفها القديم:

"شكرا لكِ... المطارد فانج سوف تسعد بذلك".

"هل هي أرسلتكِ إلى هنا للحصول عليه؟"، سألتها رين في ارتباك، "... ولكن، كيف عرفت أنه هنا بالأساس؟".

"أوه، لا، لقد كانت تحسب أن الكتاب لا يزال في أنكوراج، وقامت بإرسال حملة إلى المكان الذي قال بيني رويال إن تلك المدينة قد غرقت به، لكن الحملة لم تجد شيئًا هناك. لذا تم زرعي هنا على متن السحابة التاسعة كي أتجسس على الرجل في حال توصل إلى أي معلومة عن المصير الفعلي للمدينة وأين عساها توجد الآن. ولم أصدق كم أنا محظوظة حين علمت أنكِ قد جلبتِ كتاب الصفيح إلى هنا. فقمت من فوري بإرسال رسالة إلى "جيدباجودا"، ثم جاءتني الأوامر بأن أدع الكتاب آمنًا في خزنة بيني رويال لحين وصول المساعدة. هذا الكتاب هام للغاية، وربما يمثل السبيل إلى النصر التام في حروب العاصفة الخضراء، وقد رفضت سيدتي أن يتم نسخ الكتاب أو إرساله إليها عبر الطرق العادية، بل فضلت أن تأتي لتأخذه بنفسها. إنه منطادها، ذاك الذي يقبع هناك فوق المرج".

ثم إنها نظرت بسعادة واعتزاز للكتاب وقالت:

"سوف تكافئني مكافأة عظيمة حين أعطيها الكتاب".

توقف صوت إطلاق النار القادم من جهة الحدائق، وسمعت رين أصوات أناس من ناحية المسبح يتصايحون بلهجة آمرة، بلغة لا تعرفها. ثم إنها اقتربت من سينثيا، محاذرة السلاح في يد الفتاة، وقالت:

"رجاءً يا سينثيا، ها أنتِ قد حصلت على الكتاب، دعينا نذهب الآن. لو أن العاصفة الخضراء أمسكت بثيو...".

"سوف يقتلونه..."، قاطعتها الفتاة، "... بالضبط كما يستحق شخص جبان مثله. كنت لأفعلها بنفسي، لولا أنني على يقين بأن سيدتي سترغب في استجواب كل منكما أولًا حول ما تعرفانه عن هذا الكتاب".

"نحن لا نملك أي معلومات بصدده"، صاح ثيو.

"هذا ما تقوله الآن أيها الإفريقي، لكنك ربما تغير كلامك بمجرد أن يبدأ استخدام أدوات الاستجواب معك".

"لكن يا سينثيا..."، قالت رين وهي تهز رأسها، وكانت لا تزال تحت تأثير الصدمة من اكتشاف حقيقة الفتاة وغدرها بهما، "... أظن أن اسمكِ الحقيقي ليس سينثيا، أليس كذلك؟".

فنظرت لها الفتاة باندهاش وقالت:

"بالطبع هو اسمي الحقيقي، ولمَ لا يكون كذلك؟".

"حسنًا، يبدو لي غير ملائم لجاسوسة!".

"لماذا؟ ما خطب الاسم؟".

"لا شيء، لا شيء... فقط...".

فجأة، هوت حقيبة منتفخة من الأعلى لتضرب رأس سينثيا بعنف، ثم سقطت على الأرض وقد انفتحت ومنها تبعثرت عملات ذهبية ومجوهرات وقطع ثمينة من التقنيات القديمة.

"آااه..." صرخت الفتاة ثم سقطت فوق الأرضية، ومن مسدسها انطلقت رصاصة طائشة لتستقر في السقف فوق رأس رين، فسارع ثيو يجر الأخيرة من يدها ودفعها نحو الخلف خشية أن تسقط مزيد من الأشياء الثقيلة. وحينما نظرا نحو الأعلى، وجدا الوجه المستدير لنيمرود بيني رويال . وقد شحب تمامًا . يطل عليهم من فوق درابزين الدرج، ثم قال في توتر:

"هل فقدت وعيها؟".

فتوجهت رين نحو سينثيا وانحنت تفحصها. كانت الدماء تنساب بين خصلات

شعر الفتاة، وحين تحسست رين عنقها لم تشعر بأي خفقان للنبض، لكنها لم تكن واثقة من أنها تتحسس نبضها من الموضع الصحيح، ثم قالت:

"أعتقد أنها قد ماتت".

فهرع بيني رويال عبر الدرج نحو الأسفل وهو يقول:

"هراء، إنها مجرد ضربة خفيفة. على أي حال إنها عميلة للعدو وربما كانت لتقتلكما لولا سرعة بديهتي. لقد كنت في الطابق العلوي أحاول جمع ما تيسر لي من الأشياء الثمينة، حين سمعت حديثكما معها".

ثم إنه ضحك في انتصار وهو يلتقط كتاب الصفيح من بين أصابع الفتاة الملقاة على الأرض وهتف:

"يا له من حظ سعيد! لقد حسبت أنني فقدته. والآن هلما، ساعداني في جمع باقي الأشياء".

فامتثل رين وثيو وشرعا في مساعدته، فيما قام هو، ربما بدافع من خوف أن يحاولا سرقته، بالتقاط سلاح سينثيا وأبقاه جاهزًا للاستخدام، ثم راح يجمع بدوره العملات المعدنية والتماثيل والتحف والمصنوعات القديمة المتناثرة ويعيدها إلى الحقيبة التي صارت منتفخة تمامًا، ثم جلس فوقها ليضغط محتوياتها بداخلها ويتمكن من إغلاقها.

كانت أصوات صياح جنود العاصفة الخضراء في الخارج تقترب، إذ اجتذبهم صوت الطلق الناري الذي وقع لحظة سقوط سينثيا.

"هلما!"، صاح بيني رويال، "أسرعا الآن نحو المرفأ، لو أنكما ساعدتماني على حمل تلك الأشياء فسأصطحبكما معي ونفر من هنا، لكن أسرعا".

"لا يمكنك الرحيل هكذا!"، هتفت رين محتجة وهي تتبعه عبر الممرات، بينما ثيو يحمل الحقيبة الثقيلة بصعوبة، "... ماذا عن قومك؟".

"آه، قومي!"، قالها بيني رويال باستخفاف.

"وماذا عن زوجتك؟ ربما تكون أسيرة الآن في أيدي العاصفة الخضراء...".

“نعم، يا للمسكينة بوبو...”، قالها بيني رويال وهو يفتح أحد الأبواب ويتقدمهما نحو الحدائق، “... سوف أفتقدها بالطبع، يا لها من خسارة كبيرة... لكن الوقت مُعالِج عظيم. على أي حال لا يمكنني المخاطرة بعنقي في محاولة إنقاذها. يتوجب عليَّ أن أنقذ نفسي من أجل القراء، كي يتمكن العالم من قراءة وصفي لمعركة برايتون وصمودي البطولي في وجه العاصفة الخضراء...”.

ثم إنهم راحوا يخفون الخطى عبر الحدائق، يتقدمهم بيني رويال، بينما رين وثيو يتناوبان على حمل الحقيبة. وكانت قوات العاصفة الخضراء لم تبلغ بعد ذلك القسم من السحابة التاسعة، لهذا كان المكان يلفه الصمت ولم تكن ثمة حركة بين أشجار السرو والممرات.

كان الدخان يتصاعد كثيفًا من حطام القاعدة الجوية لقوات “النمس الطائر”، إلا أن مستودع يخت بيني رويال كان سالمًا لم يُمَس، لا بد أن العاصفة الخضراء قد اعتبرته هدفًا لا يستحق عناء قصفه، فتركته كما هو.

“هناك صوت محركات تدور!”، قالها ثيو بينما كان ثلاثتهم يشقون طريقهم عبر الأشجار نحو ساحة الهبوط أمام المستودع، “... شخص ما قد فتح أبواب المستودع...”.

“يا لبوسكيت العظيم!”، صرخ بيني رويال.

وفي الداخل، كانت أضواء زورق الـ “بيويت” مضاءة، بينما محركاته تهدر استعدادًا للإقلاع، وقد لمحت رين نابيسكو شكين واقفًا داخل مقصورة التحكم، وأدركت أن الرجل قد تخلى أخيرًا عن رغبته في الكتاب وقرر الفرار بحياته.

تراجعت رين للوراء خوفًا من الرجل، أما بيني رويال فقد ركض بكل قوته مندفعًا نحو المركبة وهو يصيح:

“شكين! إنه أنا، صديقك القديم بيني رويال”.

التفت شكين نحو الفتحة الجانبية للزورق، ودون كلمة واحدة سحب مسدسا من ردائه وأطلق النار مرتين على بيني رويال.

وعلى أضواء اليخت الجوي، رأت رين الدماء تنفجر من الرجل بينما جسده يرتد

للخلف ليسقط فوق كومة من الحبال.

"يا للآلهة!"، قالتها رين وهي تشهق من هول المفاجأة. لطالما كان بيني رويال جزءً من حياتها! حتى قبل أن تأتي إلى برايتون، من خلال كل تلك القصص والحكايات التي نشأت عليها في أنكوراج، لدرجة أن فكرة هلاكه كانت بالنسبة لها أمرًا لا يمكن حتى تخيله.

ثم إن شكين ترجل عن الزورق وهرع صوبهما والمسدس في يده:

"هل كتاب الصفيح بحوزتِك؟"، وجه الرجل سؤاله إلى رين، إلا أن ثيو بادر بالإجابة قبل أن تنطق هي:

"لا... أخذته العاصفة الخضراء".

"إذن ما الذي يوجد بداخل تلك الحقيبة؟".

فتح ثيو الحقيبة أمام عيني الرجل، فابتسم تاجر العبيد ابتسامته الباردة ما إن رأى محتوياتها الثمينة، ثم قال:

"حسنًا، هذا أمر جيد"، ثم أمر ثيو، "أغلق الحقيبة وناولني إياها".

ففعل ثيو ما أمره به الرجل.

ثم إن شكين أخذ يرمق رين بعينيه الباردتين، فقالت له:

"والآن، هل ستطلق علينا النار كما أحسب؟".

"لا بحق الآلهة... أنا لست بقاتل، أيتها الطفلة، أنا رجل أعمال، ما الذي سأكسبه لو أنني قتلتكما؟! صحيح أنكِ أزعجتني كثيرًا، ولكن قوات العاصفة الخضراء ستلقنك درسًا قاسيًا عما قريب، فلا حاجة بي للانتقام منك".

وفيما كان الرجل يتحدث، تناهى إلى مسامع رين أصوات خشنة تتحدث لغة أجنبية، تقترب عبر الحديقة، بينما كانت الأضواء تتحرك هنا وهناك بين الأشجار خلف المستودع.

همت رين بأن تسأل الرجل عن والدها، إلا أنه كان قد عاد إلى متن الـ "بيويت" ومعه حقيبة بيني رويال الثقيلة، ثم سرعان ما هدرت المحركات.

"لاااا"، صرخت رين، ولم تكن بقادرة على مجرد تخيل أن الآلهة يمكن أن تدع ذلك الشرير شكين ينجو بنفسه هكذا دون عقاب. ولكن بالفعل كانت مكابح اليخت الجوي قد انفتحت، وبدأت المركبة في التحرك والارتفاع رويدًا عن الأرض، فيما راحت المحركات تتخذ وضع الإقلاع.

"هذا ليس عدلًا!"، صرخت رين في لوعة، ثم صاحت بأعلى صوتها، "الكتاب، إن الكتاب بحوزتنا، ثيو كذب عليك، خذنا معك وسوف أعطيك الكتاب...".

وبالفعل بلغ صوتها مسامع شكين لكنه لم يفسر ما قالته، فنظر نحوها وهو يبتسم بسخرية، ثم عاد من جديد لأدوات التحكم. وانطلق اليخت عبر ساحة الإقلاع والهبوط أمام المستودع، ومنها عبر صفين من الأشجار، ثم بدأ يرتفع في خفة نحو السماء.

"هذا ليس عدلًا!"، أخذت رين تصيح من جديد. كانت تشعر بالاشمئزاز من شكين، وبالاستياء من كونها خائفة هكذا. الآن فقط فهمت السبب وراء رفض أبويها التحدث عن المغامرات التي خاضاها في الماضي، ولو أنها نجت من هذا المأزق فسوف تعمل على نسيان تلك الليلة الفظيعة ولن تعاود مجرد التفكير فيها أبدًا.

"لماذا كذبت عليه بصدد الكتاب؟"، تساءلت وهي تنظر نحو ثيو، "ربما كان ليأخذنا معه لو أعطيناه إياه".

"ما كان ليفعل يا رين... وعلى أي حال، طالما أن الجميع يرغبون في هذا الكتاب بهذا الشكل، فلا بد أنه يحوي أمرًا شديد الخطورة، ومن ثم لا يمكن لنا أن ندعه يقع في يد رجل من نوعية شكين".

"لا ينبغي أن يقع في يد أي شخص"، أجابت رين مؤيدة وهي تتنشق، ثم إنها توجهت إلى حيث يرقد بيني رويال، وبحذر شديد التقطت كتاب الصفيح من داخل ردائه الممزق. وكانت واحدة من رصاصات شكين قد أحدثت نقرة في غلافه، لكن فيما عدا ذلك كان الكتاب سليمًا تمامًا.

وبعد كل ما مر من أحداث، وكل المشكلات التي تسبب فيها هذا الكتاب، وحوادث القتل التي ارتكبت من أجل الحصول عليه، بات ملمسه في يد رين يثير اشمئزازها...

"سوف ألقي به في البحر"، هكذا قالت في تصميم، ثم راحت تركض عبر القاعدة الجوية المشتعلة باتجاه حافة الطبقة.

لكن حينما وصلت إلى الإفريز وأطلت نحو الأسفل، لم يكن البحر هو ما وجدته! فقد حلقت "السحابة التاسعة" عبر مسافات أبعد وأكبر مما كانت تظن، وقد تقلص الخط الأبيض المتعرج الذي يميز الساحل حتى بات على بعد عدة أميال نحو الشمال، فيما راحت النيران المشتعلة في المدن والبلدات المتناثرة عبره تتوهج وقد أمست عبارة عن كرات شديدة الصغر عبر تلك المسافة، تمامًا كدرر مبثوثة فوق قلادة.

ومن تحتها كذلك كانت تلال إفريقيا تلتمع على ضوء القمر.

كانت رين لا تزال واقفة تحملق مشدوهة إلى المشهد الممتد أسفلها، ممسكة بكتاب الصفيح، حين سمعت أصوات أقدام تركض باتجاهها، فالتفتت لتجد نفسها في مواجهة كشافات وبنادق ضخمة صُوِبَت نحوها، يرفعها عدد من الجنود من بينهم مجموعة من المطاردين، وقد أمسك أحدهم بثيو، بينما تقدم نحوها رجل بدا هو نفسه كالمطاردين، ذو دروع ميكانيكية وذراع معدنية تحمل سيفًا، وقال:

"لا تتحركي. أنتما الآن أسرى العاصفة الخضراء".

في تلك الأثناء كان نابيسكو شكين يحلق على متن الـ "بيويت" بعيدًا عن السحابة التاسعة نحو السماوات المفتوحة، فيما كانت معظم مركبات العاصفة الخضراء على بعد أميال منه، لا تزال منشغلة في مهمتها فوق بنغازي وكوم أمبو، أما القوات التي حطت على متن "السحابة التاسعة" فكان لديهم أمور أهم من الانشغال بملاحقة تاجر عبيد هارب.

ابتسم شكين في رضا، واسترخى فوق أحد المقاعد المريحة باليخت الطائر، وراح يربت في سعادة على الحقيبة النفيسة التي استقرت فوق أرضية اليخت بجواره.

وعبر الأفق الممتد أمامه، كانت أضواء المدن الصغيرة تلتمع في ليل الصحراء، وقد قرر أن يستقر في واحدة منها إلى أن يتأكد من انتهاء الحملة العسكرية التي تشنها العاصفة الخضراء على برايتون ثم يعود إلى هناك للوقوف على مدى الضرر الذي لحق بشركته هناك. لا بد وأن "وعاء الفلفل" قد تعرض للقصف، وأن خدمه وعماله وبضاعته من العبيد قد قتلوا جميعًا، على الأرجح. لا بأس، فسوف يحصل

على مبالغ التأمين المستحقة عنهم.

فقط كان يأمل أن يكون الصبي فيش كيك لا يزال على قيد الحياة، ولكن... حتى إن لم يكن، فسوف يتمكن من العثور على أنكوراج في فينلاند وحده، وسوف يملأ بأهلها مستودعات سفن العبيد الخاصة به...

كان شكين مستغرقًا تمامًا في أحلامه ومشاريعه بصدد فينلاند، حين عثر على اليخت سرب من الطيور المطاردين كان قد تم إطلاقه كدورية حراسة تجوب السماء حول "السحابة التاسعة".

في البدء، حسب شكين أنهم مجرد سحابة كثيفة تقترب من اليخت وتحجب عنه ضوء القمر، ثم رأى رفرفة أجنحتها. وفي اللحظة التالية مباشرة كانت الطيور تحتشد أمامه وتضرب النوافذ الزجاجية لليخت بمناقيرها ومخالبها الفولاذية، بينما راح بعضها يمزق غلافه الغازي الرقيق ويحطم مراوح التوجيه التي راحت أجزاؤها تتساقط وتتطاير مع الريح.

صحيح أن عددًا من المراوح قد قطَّعَت العشرات من هذه الطيور إربًا بشفراتها الحادة، إلا أن أعداد هذه الكائنات كانت من الضخامة بحيث راحت العشرات منها تحل محل الأخرى الممزقة، إلى أن امتلأت فتحات محركات الـ "بيويت" بالريش المتطاير وكذلك بمادة لزجة قوية.

اندفع شكين في هلع نحو جهاز المذياع وفتح كل قنوات الإرسال وراح يصرخ:

"أوقفوا هجومكم، أنا رجل أعمال شرعي، أنا محايد تمامًا ولست طرفًا في معارككم".

إلا أن ذلك كان دون جدوى، وحتى المناطيد الحربية للعاصفة الخضراء التي التقطت رسالته لم تستطع تحديد مصدرها.

أما الطيور المطاردون فلم تفهم بطبيعة الحال شيئًا من صراخه، واستمروا في عملهم، يمزقون ويقطعون وينتزعون ما يمكنهم انتزاعه من قطع الغلاف عن هيكله المعدني.

وعبر الهيكل العاري والنوافذ، لم يعد نابيسكو شكين قادرًا على رؤية أي شيء

سوى سحب كثيفة من الطيور تدور حوله على ضوء القمر المقدس. وحينما بدأ اليخت المحطم في الترنح والسقوط، كانت الطيور قد تمكنت من اختراق سقف الزورق والولوج إلى الداخل.

لم يكن نابيسكو شكين من الرجال الذين يطلقون لمشاعرهم العنان أو يسمحون لها بالظهور، لكنه في تلك اللحظات، ومع ذلك العدد الضخم من الطيور المطاردة، معه على متن الزورق المحتضر، راح يصرخ ويصرخ، ليملأ صراخه الأجواء على طول المسافة الطويلة نحو الأرض.

***

"30"

أسرى العاصفة

"ناجا"... هذا هو الاسم الذي سمعت رين جنود العاصفة الخضراء ينادون به قائدهم ذا الدروع الميكانيكية حين انتزعوا منها كتاب الصفيح ثم راحوا يدفعونها دفعًا نحو القصر. وقد بدا لها الاسم مخيفًا في حد ذاته، تمامًا كصاحبه الذي كان يتحرك بينما هيكله الخارجي الميكانيكي هذا يصدر صريرًا وقعقعة.

ومع ذلك، فقد كان الرجل على شيء من التحضر، إذ نهى جنوده عن نكزها بفوهات بنادقهم كي يحثوها على المشي بخطوات أسرع؛ وقد تفاجأت كثيرًا بتصرفه هذا الذي منحها شيئًا من الشعور بالارتياح، خاصة بعد كل ما سمعته من قصص عن جنود العاصفة الخضراء وكيف أنهم يقتلون أسراهم في الحال.

وبينما هم في طريقهم نحو القصر، فكرت رين في أن تسأل ناجا عما ينوون فعله بها، لكنها لم تجد الشجاعة الكافية لذلك. ثم إنها نظرت نحو ثيو على أمل أن يشرح لها ما كان جنود العاصفة يقولونه لبعضهم بلغتهم الأجنبية الغريبة، لكن الفتى كان يسير مطأطئ الرأس دون أن ينظر نحوها.

أخيرًا وصلوا إلى أحد السلالم الخارجية للقصر، فصعدوا عبرها نحو حديقة مسورة تم حشد جميع أسرى العاصفة الخضراء من عبيد وضيوف بها، وكانت بوبو من بين هؤلاء الأسرى، وقد أخذت تحاول رفع معنويات الجميع بأن رفعت عقيرتها وراحت تغني أغنية مبهجة، إلا أن الأمر قد بدا لرين غير ذي جدوى.

وقد حسبت رين في البداية أنها وثيو سوف ينضمان إلى حشد الأسرى، لكن الجنود ساروا بهما عبر الشرفة الشمسية مرورًا بمسبح بيني رويال . الذي فرغ من مياهه مع ميل الطبقة جانبًا أثناء الغارة . وصولًا إلى خارج قاعة الرقص، حيث وقف مطارد أكثر إرعابًا من كل المطاردين الذين شاهدتهم حتى الآن. كان ضخمًا لامعًا، ولم تكن جمجمته المعدنية تغطي كامل وجهه مثل البقية، وإنما تركته عاريًا جزئيًا ليتبدى وجه الميت الشاحب، بينما كان فمه عبارة عن فتحة طويلة. وما إن اقترب الجميع، طفق ذلك المطارد ينظر إلى رين بعينيه الخضراوين المتوهجتين وقد اختلج فمه الرفيع قليلًا، فيما أشاحت هي بوجهها عنه سريعًا في رعب وهي تفكر: ترى هل يريد

التحدث إليها؟ أم الهجوم عليها؟ إلا أنه لم يفعل هذا أو ذاك، وإنما اكتفى برد التحية العسكرية لناجا ثم انتحى جانبًا، مُفسحًا الطريق للجنود المطاردين والأسيرين كي يستأنفوا طريقهم نحو قاعة الرقص.

وفي الداخل كانت الإضاءة قد عادت من جديد، بينما كان طاقم طبي يحمل سينثيا إلى الخارج فوق نقالة، وقد سمعت رين أنينها وهم يمرون بها، وشعرت بالسرور أن صديقتها لا تزال حية، لكنها ما لبثت أن تذكرت أن الفتاة لم تكن سوى صديقة مزيفة، فلم تعد واثقة ما إذا كان ينبغي لها أن تكون سعيدة بنجاتها أم لا.

وعلى المنصة، حيث كان الموسيقيون يعزفون مقطوعاتهم خلال الحفل، تجمع عدد من الضباط، فسار "ناجا" نحوهم ثم أدى التحية العسكرية، وشرع يدلي بتقريره. ثم التفت أطول الضباط نحو الأسيرين وراح يحدق إليهما، وكان وجهه عبارة عن قناع موت من البرونز، ذي عينين زمرديتين تتألقان بالضوء الأخضر...

"آآآآه!"، صاح ثيو في وجل، أما رين فلم تكن بحاجة إلى توضيح، وقد أدركت منذ الوهلة الأولى أن هذا هو المطارد فانج، قائدة العاصفة الخضراء.

كانت فانج تنضح بالقوة، وقد أحاطتها هالة من الموجات الكهربائية الاستاتيكية جعلت الشعيرات الصغيرة في مؤخرة عنق رين تنتصب كالدبابيس، أما ثيو الواقف إلى جوارها فقد كان يرتجف رعبًا ورهبةً وكأنه ماثل في حضرة إلهة.

قال ناجا شيئًا ما، فنزلت المطارد فانج بخفة عبر درجات المنصة، وقد راحت عيناها تتألقان بوميض أخضر براق بمجرد أن أخرج كتاب الصفيح من فتحة في دروعه. وعلى الفور التقطت الكتاب منه وأخذت تتفحص الرموز المنقوشة على غلافه، وأطلقت تنهيدة ارتياح طويلة مرتجفة.

ثم أشار ناجا نحو رين وثيو وسأل سؤالًا ما، إلا أن فانج تجاهلت سؤاله، ثم جلست واضعة ساقًا فوق ساق وفتحت كتاب الصفيح وشرعت تقرأ ما فيه.

"ماذا الآن؟"، دمدم ثيو، "لقد اعتقدت أنها ستقوم باستجوابنا...".

"أعتقد أن ناجا كان يظن هذا هو الآخر..."، قالتها رين.

طال الانتظار، وبدا لرين وثيو أن المطارد فانج قد نسيت أمرهما تمامًا، إذ راحت

تقرأ ما في الكتاب، فيما وقف باقي الجنود والضباط يتطلعون نحوها في انتظار أوامرها، لكنها كانت منغمسة في كتاب الصفيح تمامًا.

تمتم ناجا بشيء ما لأحد مرافقيه، ثم قامت امرأة شابة جميلة، ترتدي زيًّا أسود مماثلًا للزي الأبيض الذي يرتديه البقية، وراحت تتحدث إلى الجنرال، ثم انحنت تحية له وقفزت من المنصة متجهة نحو الأسيرين:

"من فضلكما تعالا معي"، قالتها باللغة الأنجليكانية.

شعرت رين بشيء من الارتياح أخيرًا، فقد كانت المرأة تبدو أقل صرامة من بقية أفراد العاصفة.

دكتور زيرو، لا بد أن هذا هو اسمها، حيث قرأته رين على بطاقة التعريف المثبتة إلى زيها الرسمي، ومن تحته كُتِب شيء ما بحروف غريبة خمنت رين أنه اسمها كذلك، مدونًا بلغة "شان جو". وكانت المرأة تبدو أصغر سنًّا من أن تكون طبيبة، إذ راحت رين تتأمل وجهها ذا عظام الوجنتين العريضتين والعينين الواسعتين، وقد ذكرتها ملامحها بصديقيها في موطنها أنكوراج، الأخوين "إينويت"، بينما كان شعرها الأخضر القصير يلائم وجهها بشدة.

ومع ذلك لم يكن صوت دكتور زيرو يحمل أي نوع من اللطف أو المودة. ثم إنها أخذت مسدسًا من أحد الجنود ووجهته نحو رين وثيو وقالت:

"إلى الخارج الآن، من فضلكما!".

فامتثلا لأمرها.

وبينما كانت تقودهما نحو الشرفة الشمسية، لاحظت رين أن ذلك المطارد الضخم الذي رأته من قبل كان لا يزال موجودًا، وقد أخذ يحدق إليها من جديد. "ما الذي يثير اهتمامه بي إلى هذا الحد؟"، هكذا راحت تفكر وقد أشاحت بوجهها عنه سريعًا، ومع ذلك فقد كانت تشعر بنظراته تتبعها.

ثم أشارت دكتور زيرو لأسيريها بسلاحها أن يعبرا الشرفة ويهبطا الدرج، وقد حسبا أنها ستصحبهما إلى حيث ينضمان لباقي الأسرى في الحديقة المسورة، ولكن ما إن بلغا نهاية الدرج، وبات ثلاثتهم بعيدين عن مرمى الأبصار والأسماع، حتى توقفت

زيرو فجأة وأوقفتهما، ثم سألت بصوت رفيق:

"ما هذا الشيء الذي أخذه المطارد منكما؟".

فأجابتها رين:

"كتاب الصفيح، كتاب الصفيح من أنكوراج".

قطبت زيرو جبينها وقد بدا أنها تسمع بالكتاب للمرة الأولى.

"أوليس هذا ما جئتم من أجله إلى هنا؟"، سألها ثيو.

"هذا ما يبدو عليه الأمر، لا أحد يعلم على وجه الدقة"، أجابته زيرو وهي تهز كتفيها وتنظر نحو قاعة الرقص، ثم أضافت بصوت خفيض خشية أن تسمعها سيدتها عبر تلك المسافة:

"لقد ارتأت سيادتها عدم مشاركة أسبابها وراء مهاجمة هذه المدينة مع أي أحد... ولكن، ما هو كتاب الصفيح هذا؟ ما الذي يجعله على هذه الدرجة من الأهمية كي تأتي على رأس مركباتها العسكرية إلى هنا لتحصل عليه؟".

"سينثيا تقول إن من يحوز ذلك الكتاب سوف ينتصر في الحرب." أجابتها رين، في محاولة منها كي تبدو ذات نفع، إلا أن زيرو ظلت تحدق إليها دون كلمة، وقد لاحظت رين أن وجهها قد استحال شاحبًا، لكنها لم تكن واثقة ما إذا كان ذلك بفعل ضوء القمر أم لسبب آخر.

وقفت زيرو كما هي تحدق إلى رين للحظات، ثم راحت عيناها تتسعان أكثر فأكثر وقد بدا فيهما شيء من الرعب، وكأنها تستشرف مستقبلًا مروعًا... "آه!... نعم، بالطبع، لا بد أن ذلك الكتاب يمثل دليلًا إرشاديًا نحو صناعة نوع ما من أنواع الأسلحة القديمة. ربما شيء مثل ميدوسا، قويًا بما يكفي لتدمير كافة المدن. وقد منحتماه للمطارد فانج. يا لكما من غبيين!".

"هذا ظلم!"، صاحت رين محتجة، "... إنه لم يكن ذنبنا...".

إلا أن زيرو قاطعتها بضحكة قصيرة خلت من أي شكل من أشكال المرح أو الفكاهة، فقط الخوف ولا شيء غيره، "لقد بات الأمر مرهونًا بي أنا! لقد آن الأوان أن

أوقفها!".

ودون كلمة أخرى، استدارت وانطلقت تركض صعودًا نحو قاعة الرقص بالقصر، وقد ألقت المسدس من يدها.

***

"31"

لحظة الوردة

تقدم الجنرال ناجا، الذي كان لا يزال يشعر بالغضب لحرمانه من فرصة تدمير بنغازي وباقي المدن والبلدات المحيطة وإفنائهم، بقواته عبر أنحاء القصر وطوابقه الدنيا، عله يجد بعضًا من محاربي المدينة الذين ربما يخططون لخوض هجوم مضاد.

وفي قاعة الرقص كان عدد من الجنود المطاردين يقفون للحراسة، فيما انهمكت المطارد فانج في قراءة كتاب الصفيح الذي كانت صفحاته المعدنية تتوهج بانعكاس الضوء الأخضر من عينيها، فيما راحت أصابعها الفولاذية تتبع النقوش القديمة عليها محدثة صوت دقات خافتة.

وعند النافذة وقف جريك ينظر نحو سيدته، لكنه في الحقيقة لم يكن يراها. ففي عقله كان وجه آخر يستحوذ على تركيزه: تلك الفتاة الأسيرة التي أخذتها أوينون زيرو بعيدًا، فقد كان على يقين، أو شبه يقين، بأنه قد رأى ذلك الوجه من قبل... هاتين العينين الرماديتين المائلتين للزرقة، الوجه الطويل، الشعر النحاسي...

لقد أثارت تلك الملامح شيئًا ما في عقله، وراحت شرارات الإدراك تنبعث عبر أسلاكه. ومع ذلك حينما حاول مضاهاة وجه تلك الفتاة مع باقي الوجوه المحفوظة في ذاكرته، لم يجد شيئًا.

ثم إنه سمع أصوات أقدام تهرع نحو الشرفة الشمسية، فالتفت، وقد استشعر ردة فعل باقي المطاردين في قاعة الرقص تجاه صوت الأقدام هذا الذي كان قد بلغ مسامعهم كذلك، فبرزت مخالبهم من أذرعهم في وضع الاستعداد.

لكن القادم لم يكن سوى دكتور زيرو.

"سيد جريك!"، هتفت أوينون زيرو، وشقت طريقها نحوه من بين الجثث الملقاة على الأرض، وهي تحاول رسم ابتسامة على وجهها، لكنها لم تفلح، وبدت ابتسامتها وكأنها تكشر عن أنيابها. وقد استشعر جريك أنفاسها المتقطعة وضربات قلبها المتلاحقة، وكذلك رائحة عرقها الحادة التي تفوح بالخوف والحذر، فأدرك على الفور أن شيئًا ما على وشك الوقوع، وأنه، لسبب أو لآخر، قررت أوينون زيرو أن اللحظة

المناسبة قد حانت لإطلاق سلاحها الغامض ضد المطارد فانج، ولكن... أين هو هذا السلاح؟! فقد كانت يداها خاويتين، كما أن زيها الأسود لا يصلح لإخفاء أي سلاح قوي بما يكفي لإيذاء مطارد.

ثم إنه قام بتحويل عينيه بسرعة إلى نظام تحليل الأطياف، وراح يبحث عن مسدس مخفي أو آثار كيميائية لمتفجرات، ولكن دون جدوى.

"سيد جريك"، هتفت دكتور زيرو من جديد وقد بلغت موضعه، فتوقفت إلى جواره وراحت تتطلع نحوه، "هناك شيء هام ينبغي أن أخبرك به".

وكان العرق ينبثق عبر مسامات وجهها، وقد لاحظ جريك هذا أيضًا، ثم إنه التفت نحو القاعة حيث تجلس فانج، وراح يمسحها ضوئيًا عله يجد شيئًا ما ربما تكون قد أحضرته معها من الـ "ريكوام فورتيكس" حين هبطوا منه وقامت بإخفائه في القاعة. لكنه لم يجد أي شيء، فشرع يمسح الشرفة بحثًا عن أي أداة مخفية خلف التماثيل... لا شيء، لا شيء على الإطلاق.

ثم إنه شعر بلمسة على يده، فنظر إلى الأسفل ليجد أصابع دكتور زيرو قد استقرت بخفة على قبضته المدرعة بينما كانت هي تبتسم له ابتسامة لطيفة، ومن خلف عويناتها السميكة كانت الدموع تحتشد في مقلتيها، وقالت:

"لهما ذات الدوام

لحظة الوردة ولحظة شجرة الطقسوس!".

وفهم جريك الأمر.

ودونما تردد، استدار المطارد وسار بخطى سريعة نحو قاعة الرقص. إنه لم يشأ التحرك ولم يفعل ذلك بإرادته، وإنما تحركت ساقاه تلقائيًا... الآن فقط أدرك الحقيقة: لقد كان هو سلاح دكتور زيرو منذ البداية.

"أوقفوني!!"، تمكن جريك من الصراخ بذلك بصعوبة بينما هو يقترب نحو المطارد فانج، فقفز اثنان من المطاردين الحراس في طريقه محاولين الحول بينه وبينها، لكنه قام بإصابتهما بالعطل التام بضربة واحدة منه لكل منهما، ليسقطا دون حراك، وقد راح الشرر والسوائل ينبعثان منهما.

لم تكن إرادته هي ما يحركه نحو فانج، لكنه على الأقل تمكن من تحذيرها مما سيقع؛ فالتفتت نحوه ثم نهضت لمواجهته، بينما كان كتاب الصفيح لا يزال يلتمع بين يديها الطويلتين.

"ما الذي تفعله يا سيد جريك؟"، قالتها فانج.

لكن جريك لم يكن بإمكانه تفسير أي شيء، لقد بات سجين جسده الذي ما عاد يملك أي سلطة عليه أو أدنى قدرة على التحكم في تحركاته. ثم إنه رفع ذراعيه، أو بمعنى أدق، ارتفع ذراعاه وتكورت قبضتاه، ومنهما... خرجت شفرات لامعة أطول وأثقل من مخالبه القديمة، وراح يشاهد نفسه إذ يندفع نحو المطارد فانج.

أطلقت فانج مخالبها هي الأخرى واستعدت لمجابهته، واشتبك الاثنان معًا وراحت دروعهما تحتك ببعضها بعنف مصدرة صرير وأزيز عاليين، وتطاير الشرر من الجسدين الفولاذيين. ومن خلف قناع الموت الخاص بها راحت فانج تصدر فحيحًا غاضبًا، ومن يدها سقط كتاب الصفيح ليصطدم معدنه بالأرض.

"لهذا لم أتمكن قط من اكتشاف الخطر..."، هكذا راح جريك يفكر، مسترجعًا في ذاكرته تلك الورديات الليلية التي كانت أوينون زيرو تقضيها بجواره في ورشة المطاردين، بينما أناملها تتحرك في دماغه... لماذا لم يخمن قط ما كانت تفعله به؟ لقد فتش في كل مكان بحثًا عن سلاحها الذي ستستخدمه لاغتيال المطارد فانج، بحث في كل مكان إلا نفسه! لم يخطر في ذهنه البتة أنه سيكون هو السلاح، وأن الرغبة في قتل سيدته قد زُرِعَت في عقله منذ البداية، وأنه طوال الوقت كان في انتظار أن تهمس له أوينون زيرو بالكلمات التي ستوقظ تلك الرغبة. والآن، راح صوتها يتردد بين جنبات القاعة حيث اندفعت بين الحطام وهي تصرخ لتحفيزه:

"لهما ذات الدوام، لحظة الوردة ولحظة شجرة الطقسوس...".

وفي لمح البصر، اندفعت يده اليمنى بشفراتها الحادة لتنغرس في صدر فانج، لتنطلق الزيوت والشرر. كانت مخالبه الجديدة تلك قوية حادة بالفعل، وكانت أكثر صلابة بحيث أمكنها اختراق هيكل المطارد فانج، التي راحت تصدر هسيسًا من جديد وقد تمزق ردائها الرمادي وكذلك درعها، لتنساب السوائل اللزجة السميكة التي تتخذ مجرى الدم.

كانت زيرو تقف خلف فانج، وتصرخ:

"ليس بإمكانِك أن تؤذيه، لقد صممته لقتلك، وزودته بالأسلحة الكفيلة بأداء تلك المهمة، حصنته بدروع كثيفة حصينة، وزرعت في ذراعيه مخالب بتارة من معدن "التنجستين". لقد بات يملك من القوة ما تحلمين أنتِ بامتلاكه".

فالتفتت فانج نحوها في غضب، وبضربة خاطفة طوحتها عبر حلبة الرقص، فاندفع جريك نحو المطارد ووجه لها ضربة عنيفة أبعدتها عن زيرو وألقت بها نحو الشرفة.

ومن نفس الشرفة اندفع عدد من المطاردين نحو جريك وأمسكوا به، إلا أنه أوقعهم أرضًا وغرس مخالبه في أعناقهم، والتي تبين له أنها النقطة الأضعف في المطاردين الذين سبق وصنعهم دكتور بوب جوي، فانفصلت رؤوسهم عن أجسادهم لتسقط فوق الأرضية وقد انطفأت عيونهم وخمد لونها الأخضر البراق، ثم قام جريك بالإطاحة بتلك الأجساد الساقطة بعيدًا عن طريقه.

وقد تشبث واحد من المطاردين المحطمين بإحدى الستائر الممزقة المتدلية فوق النوافذ، بينما الشرر يتطاير من موقع عنقه نحو الستائر حتى أمسكت بها، فاشتعل القماش واندلعت النيران لتنتشر سريعًا عبر سقف القاعة، ينعكس توهجها على دروع فانج وهي تندفع بعيدًا عبر الشرفة؛ وقد تعطلت إحدى ساقيها، فراحت تزحف على ساق واحدة، بينما انقطعت إحدى ذراعيها وتدلّت إلى جانبها من مجموعة من الأسلاك المتشابكة.

وقد أراد جريك أن ينتهي القتال عند ذلك الحد، لكنه لم يكن يملك أي قدرة على التحكم في جسده الذي كانت له قرارات أخرى! إذ استمر في ملاحقته لفانج، وحينما استدارت لمهاجمته، كان مستعدًا تمامًا لها.

وفي سرعة خاطفة أمسكها من رأسها ثم غرس شفراته في محجري عينيها، ليموت الضوء الأخضر المتوهج في ثانية واحدة، ثم راحت مخالبه الطويلة تتوغل أكثر في عمق جمجمتها.

صرخت فانج وراحت تحاول ركله، وقد كانت تملك مخالبًا في أصابع قدميها، وهو ما لم يكن جريك يتوقعه، ففرستها بقوة في دروعه وراحت تقطعها، لكنه دفعها نحو

الإفريز على حافة الشرفة بقوة، بينما تهاوت الأعمدة والتماثيل الحجرية على الأرض لتنكسر وتتطاير أجزاؤها وشظاياها في كل مكان، وراحت فانج تتعثر فيها وهي تحاول الإفلات من جريك الذي قفز نحوها بعنف، وقد اجتاحته لذة القتل الأصيلة في المطاردين.

أما رين وثيو، اللذان تُرِكا وحدهما دون حراسة، وقد نسيهما الجميع في غمار المعركة العارمة، فقد وقفا عند مدخل الشرفة الهلالية الشكل، يحدقان إلى بعضهما في ذهول، غير مصدقين أنهما قد تركا هكذا؛ وقد تملَّك الذعر منهما حين أتتهما الأصوات المزلزلة القادمة من داخل الشرفة. وقد بلغ منهما الذعر مبلغ لدرجة أنهما لم يجرؤا حتى على محاولة الفرار.

وفي اللحظة التالية تحطم الإفريز وتناثرت شظاياه حولهما في كل مكان، ثم سقط المطاردان المتقاتلان من الأعلى على مقربة منهما. ومع ذلك لم يبرح أي من ثيو أو رين مكانهما، بل ظلا في موضعهما يتطلعان في ذهول نحو المعركة الرهيبة، فقد كان مشهد قتال مطارد ضد مطارد من الحوادث التي لم يشهدها أحد منذ قرون، منذ أن أرسلت إمبراطوريات الشمال البدوية جيوشها من البشر غير الموتى ليقاتلوا بعضهم خلال تلك السنوات البعيدة قبل بزوغ فجر مدن التحرك، حين كان الرجال لا يزالوا بشرًا فانين وكانت المدن لا تزال ثابتة في مكانها.

"كنت أظنه في صفها وبين صفوف جيشها!"، صاحت رين، إلا أن ثيو أسكتها "ششششش"، خشية أن يسمعهما أحد المطاردين وينتبه لوجودهما.

إلا أن الجنود المطاردين كان لديهم أمور أخرى أكثر أهمية لينشغلوا بها...

وجهت فانج ركلة عنيفة إلى جريك فتقهقر إلى الوراء قليلًا، إلا أنها كانت قد خارت قواها ولم تعد تملك القوة الكافية لمهاجمته، فراحت تتلفت حولها بحثًا عن مهرب، وتصيح بصوتها الخافت المبحوح طلبًا للمساعدة، ثم إنها تشبثت بما تبقى من إفريز الشرفة وقفزت منها إلى الحديقة، فهرع جريك وقفز خلفها، ومن ورائه كانت صيحات جنود العاصفة الخضراء من البشر الفانين تتعالى، فالتفت خلفه ليجد الجنرال ناجا ورجاله يهرعون نحو الشرفة ويتطلعون نحو الأسفل عبر الإفريز. فاستدار جريك من جديد وراح يركض مقتفيًا آثار الزيت والسوائل المتسربة من

مواضع الضربات في دروع فانج. وقد بدا له من آثارها أنها تتوجه نحو مركبتها، لكنها كانت قد باتت عمياء، وقد تعطلت باقي حواسها الأخرى على الأرجح.

أخذ جريك يتتبع أثر المطارد فانج ورائحتها الكثيفة بين الشجيرات وعبر متاهة الممرات الخضراء، ثم نزولًا أسفل منحدرات الحدائق المتدرجة.

وهناك، عند السور الكائن على حافة الطبقة، استدارت المطارد فانج، وذراعها المقطوعة متدلية إلى جانبها دون حراك، بينما ذراعها الأخرى بالكاد كانت تملك القوة لتحريكها، ومن كفيها تدلت شفراتها ومخالبها الحادة كمقص مكسور، ووقفت تستشعر جريك إذ يقترب نحوها...

"أنا آسف"، همس جريك وقد غمرته الشفقة عليها، فقالت فانج بصوت كالفحيح:

"تلك المرأة، زيرو، إنها خائنة، أنت صنيعتها، وكان عليَّ أن أكون أكثر حكمة وذكاءً من أن أضع ثقتي في واحدة من هؤلاء البشر الفانين...".

بضربة عنيفة وحشية، أزال جريك قناع الموت البرونزي ليسقط عنها، فارتد رأسها إلى الخلف، وعلى ضوء القمر تبدى الوجه الميت للملاحة "آنا فانج"؛ وجه رمادي يابس وشفاه قد اسودَّ لونها، وفجوتان ذاتا مصابيح خضراء محطمة حيث موضع العينين.

رفعت فانج يدها الفولاذية لتحمي وجهها، في إشارة بدت مألوفة لجريك لدرجة أربكته، وراح يحاول تذكر أين رأى هذه الحركة من قبل! ثم إنها ارتدت عنه نحو الوراء في حركة مفاجئة، بخطى كسيحة متعثرة، ورفعت وجهها نحو السماء متطلعة بعينين لا تريان نحو النجوم...

"هل تراه يا سيد جريك؟"، همست فانج، "ذلك النجم اللامع نحو الشرق؟ إنه "أودين"، آخر الأسلحة المدارية العظمى التي تركها القدماء في الأعلى. إنه ينتظر هناك منذ حرب الستين دقيقة. إنه قوي، قوي لدرجة كفيلة بتدمير عدد لا نهائي من المدن. إن كتاب الصفيح يحمل شفرة إيقاظ ذلك السلاح العاتي... ساعدني، ساعدني يا سيد جريك... ساعدني على إيقاظ "أودين" وجعل العالم أخضر من جديد".

لم ينطق جريك بحرف، فقط رفع ذراعه، وبثلاث ضربات عنيفة قاضية، قطع

عنقها، لتصرخ فانج صرختها الأخيرة التي سرعان ما تلاشت حين تحرر الرأس عن الجسد.

ثم إنه حمل جسدها وألقاه عبر الإفريز، وأتبعه برأسها وقناع الموت البرونزي الذي راح يلتمع على ضوء القمر أثناء سقوطه.

في تلك اللحظة شعر جريك بأن طاقة الغضب وقوته العاتية الجديدة قد بدأتا تنفدان منه، ثم راحت أشكال وصور متداخلة تجتاح عقله، وكأن الحواجز التي زرعتها أوينون زيرو بينه وبين ذاكرته قد أزيلت جميعًا دفعة واحدة بمجرد إتمامه لمهمته واستنفاذه لرغبة القتل التي وضعتها بداخله.

واندفعت الذكريات عبر عقله كسرب من الخفافيش، فرفع ذراعيه بسرعة وكأنه يحاول تفاديها، لكنها راحت تلطمه وتغزو كيانه. ولم تكن هذه الذكريات مماثلة لتلك الذكريات الإنسانية الحزينة الهادئة التي تواترت على عقله حين كان يحتضر في "الجزيرة السوداء"، وإنما ذكريات صاخبة مريعة لكل الفظائع التي ارتكبها منذ أن صار مطاردًا... كل المعارك التي خاضها، وأفعال القتل التي ارتكبها، والخارجون عن القانون الذين ذبحهم للحصول على المكافأة المخصصة لمن يتمكن من القضاء عليهم، وذلك الصبي المتسول الذي سحقه يوما على متن "إيرهيفن" لا لشيء ودونما سبب سوى متعة القتل...

كم من فظائع ارتكبها؟! وكيف تأتّى له فعل تلك الأفاعيل؟ وكيف لم يشعر بأدنى قدر من تأنيب الضمير أو بالخزي الذي يستحوذ عليه الآن؟

ثم جاء ذلك الوجه المشوه ذو الندبة ليطفو من جديد على سطح ذاكرته قادمًا من أغوار ذكرياته البعيدة، واضحًا جليًا، وقد بات بإمكانه هذه المرة تذكر الاسم: "هـ... هيس...".

"ها هو ذا!"، جاءته الأصوات تصيح من الخلف على مقربة منه. كان جنود العاصفة الخضراء من البشريين قد لحقوا به، وراحوا يركضون نحوه ويتخبطون بين الشجيرات...

"توقف... توقف أيها المطارد نأمرك باسم العاصفة الخضراء أن تتوقف".

وراح الجنود، يتقدمهم ناجا في دروعه الآلية، يدنون بحذر من جريك وهم يصوبون نحوه مدافعهم البخارية واليدوية.

"أين هي؟"، صاح ناجا، "... ماذا فعلت بالمطارد فانج؟".

"لقد ماتت"، أجابه جريك، وهو بالكاد يبصره هو وجنوده، فقد استحوذ الوجه المشوه على عقله وتفكيره، لكنه أجابه على أي حال، "المطارد فانج قد ماتت، ماتت للمرة الثانية، قمتُ بتدميرها".

صاح "ناجا" بشيء ما، إلا أن جريك لم يسمعه، وقد تملكه شعور عارم بأنه يتفسخ ليستحيل صدأً متطايرًا، وأن الشيء الوحيد الذي يبقيه ويشد أجزاءه معا إلى بعضها هو تلك الذكرى، ذلك الوجه. إنها تلك الطفلة التي أنقذها ذات يوم، وكان هذا هو الصنيع الطيب الوحيد الذي فعله...

"هيس... هيست...".

ثم إنه شرع يركض، ناسيًا الجنود والمطاردين الذين كانوا قد بلغوا موضعه ووقفوا يسدون عليه الطريق محاولين الإيقاع به، إلا أنه سحقهم سريعًا، ثم راح يتقدم، وطلقات الرصاص تتراقص على دروعه، لكنه بالكاد لاحظها. وفي عينيه أخذت إشارات التحذير تومض مرارًا، لكنه لم يبصرها.

وعبر الحدائق الشاسعة، ردد الصدى صرخة جريك الهائلة:

"هيستير".

ومضى في طريقه حتى ابتلعته البساتين.

***

"32"

رحلة القطب الشمالي

عبر شارع "أوشن بوليفارد"، أسفل سحب الدخان الكثيف، تناثرت في كل مكان اللافتات والقبعات الورقية الملونة وبقايا الاحتفالات الصاخبة التي عمت الشوارع ثم انتهت فجأة مع بدء الهجوم الجوي.

تسلل توم وهيستير وفيش كيك تحت الظلال، محاولين تجنب عصابات اللصوص والعبيد الثائرين الذين راحوا يجوبون الشوارع والأزقة التي تم تدميرها. وعلى خشبة المسرح المكشوف كانت ألسنة اللهب تتراقص في الهواء، بينما أخذت ألواح سطح المدينة تهتز كل بضع دقائق مع انفجار أحد خزانات الغاز في الميناء الجوي وتطايُر الحطام عبر أسطح المنازل.

وفي الأركان ترامت جثث المحتفلين، وقد راح هواء الليل يعبث بثيابهم وأزيائهم الكرنفالية الممزقة، مثل ريش الطيور المذبوحة.

"إنهم ما زالوا يصطخبون في الأسفل"، قالها توم وقد تناهى إلى مسامعهم صدى الضوضاء القادمة من أسفل المدينة، "كيف سنصل إلى الدودة الحلزونية إذن؟".

ضحكت هيستير، وكانت تشعر بسعادة وفخر لكونها استطاعت تحرير توم من براثن شكين، حتى أن إصراره على اصطحاب فيش كيك معهما لم يؤثر على مزاجها الجيد.

"لقد نسيت!"، صاحت هيستير بمرح، "تخيَّل، في غمار كل ما مررنا به هنا فات عليَّ الأمر! إننا لن نحتاج إلى "الدودة الحلزونية" يا توم، فنحن لا يمكننا الطيران إلى "السحابة التاسعة" باستخدام غواصة أليس كذلك؟".

"تعنين أننا سنأخذ منطادًا؟"، سألها توم في شك، "وكيف لنا أن نحصل على منطاد الآن؟ إن الجنود يتدفقون على الميناء الجوي منذ بداية المعركة".

فتوقفت هيستير والتفتت نحو زوجها مبتسمة، بينما انكمش فيش كيك خلفه، ثم قالت: "جيني هانيفر هنا يا توم... في ذلك المتحف السخيف لأعمال بيني رويال. المنطاد هناك ينتظرنا، سوف نسرقه، ونحن بارعون في ذلك كما تعلم".

ثم إنها طفقت تشرح له خطتها سريعًا، وبعدها هرع ثلاثتهم باتجاه "أولد ستاين".

كان صوت العواء وتحطيم الزجاج يدوي عاليًا من بين الدخان، وبين الحين والآخر يتردد صدى إطلاق رصاص، ومن أعمدة الإنارة، تدلت جثث عدد من الفنانين وصغار موظفي مجلس البلدية.

تقدمت هيستير ومعها بندقيتها في وضع الاستعداد، وتبعها توم وفيش كيك الذي راح يتطلع نحوها ويسترجع الوعد الذي قطعه بقتلها، وقد تمنى لو كان يملك الجرأة لفعل ذلك. إنه يخشاها كثيرًا بالفعل، لكن خوفه منها لم يكن هو السبب الوحيد الذي جعله يتردد بصدد قتلها، وإنما كذلك تلك النظرة التي تتطلع بها نحو توم والتي تقطر حنانًا وحبًا، وهو ما أربكه كثيرًا، وقد شعر بأنها ربما ليست على تلك الدرجة من الشر التي حسبها. علاوة على ذلك، فإن العيش مع آل ناتسوورثي ربما يكون أمرًا جيدًا له.

وهكذا، وبشيء من الخجل، وضع كفه في كف توم، ثم همس وهما يسيران خلف هيستير:

"هل كنت تعني ما قلته حقًا؟ بصدد اصطحابك لي لأحيا معكم؟ هل ستأخذني معكم بالفعل إلى فينلاند؟".

فأومأ توم محاولًا رسم ابتسامة تشجيع للصبي، ثم قال:

"فقط سيكون علينا أن نتوجه أولًا إلى "السحابة التاسعة" قبل أن...".

إلا أنه توقف بغتة عن الكلام حين بلغوا "أولد ستاين" ليكتشفوا أن حبال "السحابة التاسعة" مقطوعة وملقاة في إهمال عند محطة التلفريك... لقد تحررت "السحابة التاسعة"!

"آاه، يا لكويرك!"، صاح توم، "أين هي؟!".

ولم يكن ليخطر بباله قط أن يحدث ذلك وتضيع الطبقة بما عليها! كان يتوقع على الأقل أن تبقى مشدودة إلى المدينة، لكن أن تضيع عبر الفضاء بينما رين على متنها تنتظرهما لإنقاذها، فهذا ما لم يتخيله قط. والآن أدرك كم كان أحمق، فقد كان عليه أن يتوقع أن تفعل العاصفة الخضراء أي شيء لتدميرها.

"رين..."، همس توم في ألم، غير مصدق أن الآلهة قد أتت به إلى هنا حتى صار على مقربة من ابنته، ثم تنتزعها منه بعيدًا على هذا النحو.

ولم يستفق من أفكاره القاتمة إلا حين جذبته هيستير من يده بقوة وقالت:

"هلم يا توم... لو أننا استطعنا الخروج من هنا فربما أمكننا العثور على ذلك القصر اللعين، سواء في البحر أو في الجو. ولتتذكر أن بيني رويال هو صاحب ذلك المكان، وهو بأي حال لا يجرؤ على الدخول في قتال".

ثم إنها أشارت نحو الواجهة البيضاء الملطخة للمتحف، وكانت أبوابه قد تحطمت تمامًا بينما كان الجدار الأمامي متشققًا وقد تصدَّع في بعض من مواضعه.

هرعت هيستير ومن ورائها توم وفيش كيك إلى الداخل، وقد بدأ يعتريها الخوف من أن تكون قد جاءت متأخرة وأن يكون شخص آخر قد سبقها إلى هنا واستولى على الجيني هانيفر ليفر على متنها بعيدًا، لكنها ما إن صعدت عبر الدرج نحو الطابق الثاني حتى وجدت المنطاد القديم واقفًا حيث تركته. وكان السقف الزجاجي للمتحف قد تحطم تمامًا وتناثرت شظاياه على الأرض، وكذلك على غلاف المنطاد، إلا أنه لم يصب بأي تلف. وكان قد تم تنظيف المنطاد جيدًا منذ أن رأته هيستير قبل ساعات، وتم لصق الرقم ١ بخط كبير على جانبه استعدادًا للاستعراض الجوي، كما تم تزويده باثنين من الصواريخ في موضع إطلاق الصواريخ به.

صعد توم السلم حتى بلغ قاعدة المنطاد، ووقف خلف هيستير وقد فاضت الدموع من عينيه حنينًا لمنطادهما القديم... "هيت... آه، هيت...".

ثم إنه كفكف دموعه وهو يضحك من نفسه بسبب بكائه هكذا، وراح يردد:

"إنه منطادنا، ها هو ذا من جديد".

"يا لها من كومة من الخردة!"، صاح فيش كيك في تعجب وهو يرتدي معطفًا أخذه من قسم التماثيل الشمعية في الطابق السفلى بالمتحف.

"فيش كيك، حاول أن تجد مفاتيح الإضاءة لتضيء لنا هذا المكان"، قالها توم ثم قفز إلى داخل زورق المنطاد.

وفي الداخل كانت رائحة المركبة تشبه رائحة المتاحف، وراح توم يمرر أنامله فوق

لوحة التحكم وصفوف الأدوات المألوفة. ثم أضيئت الأنوار في القاعة وامتد نورها إلى داخل الجيني هانيفر عبر النوافذ النظيفة.

"هل تتذكر كيفية تشغيله؟"، سألته هيستير بصوت هامس وكأنها تقف متضرعة في معبد.

"آه، نعم"، أجابها توم هامسًا هو الآخر، "هذه أمور لا يمكن نسيانها...".

ثم إنه مد يده برهبة وإجلال وقام بسحب إحدى الروافع، فسقط فوق رأسه زورق مطاطي قابل للنفخ من موضع في السقف، فأزاحه توم وألقاه أسفل طاولة الخرائط، ثم راح يجرب رافعة أخرى. وهذه المرة بدأ المنطاد يهتز ويرتجف، بينما ارتج المتحف برمته تحت تأثير هدير محركاته.

أما خارج المنطاد، فقد سارع فيش كيك بوضع كفيه على أذنيه اتقاءً للصوت العاصف للمحركات، بينما راح يسعل من أثر دخان العادم، وصاح:

"وكيف ستخرج به من هنا؟".

"من فتحة السقف"، صاحت هيستير وهي تشير للأعلى، فهز الصبي رأسه وصاح:

"لا أظن أن هذا سيفلح ...".

أطفأ توم المحركات ثم أطل من فتحة الزورق وراح ينظر إلى الأعلى نحو السقف. وعلى ضوء القاعة كان من اليسير عليه أن يرى السبب الذي حال دون قيام أي شخص بالمجيء إلى هنا ومحاولة سرقة "جيني هانيفر"... ففي الأعلى كان أحد الكابلات الضخمة الثقيلة التي كانت تربط "السحابة التاسعة" بالمدينة قد سقط فوق السقف فأدى إلى تحطم الزجاج العلوي والتواء دعاماته الرقيقة وعوارضه.

"يا لكويرك العظيم..."، صاح توم، وقد بدأ يشعر وكأن إلهه هذا قد بدأ يلعب معه الألاعيب... حين ينجو من كل هذا ويعودوا سالمين إلى المنزل سيفكر في إيجاد إله آخر لنفسه.

ثم إنه ركض عائدًا إلى المنطاد وقال لهيستير:

"السقف محطم تمامًا ولن يمكننا التحليق عبره".

"هناك شخص ما قادم إلى هنا!"، صرخ فيشكيك وهو ينظر عبر إحدى نوافذ المتحف، "بل عدة أشخاص. إنه عدد كبير منهم... الصبية المفقودون! أحسب أنهم جاءوا على صوت ضوضاء المنطاد".

انحنت هيستير لتحدق عبر النوافذ الأمامية للجيني هانيفر نحو السقف، ثم قالت:

"أعتقد أن بإمكاننا إزاحة هذا الحطام".

إلا أن توم هز رأسه وقال:

"الحبل أضخم وأثقل من أن نتمكن من تحريكه، لقد علِقنا هنا".

"لا تقلق"، قالتها هيستير، "سوف نفكر في حل".

ثم إنها أغمضت عينيها وطفقت تفكر في تركيز، بينما راح فيش كيك يتنقل من نافذة إلى أخرى وهو يصيح بشيء ما حول الصبية المفقودين.

ولم تمضِ لحظات حتى فتحت هيستير عينيها من جديد وتطلعت نحو توم بابتسامة عريضة، وقالت:

"وجدتُ فكرة".

ثم إنها أخذت تحرك المفاتيح فوق لوحة التحكم، فترنح المنطاد بقوة أفقدت توم توازنه فانقلب إلى الخلف.

ولم يفهم توم ما فعلته هيستير بالضبط إلا حين دوى انفجاران متتاليان وتردد صداهما لترتج النوافذ على جانبي المنطاد، ثم ارتفع الجيني هانيفر واندفع إلى الأمام بقوة في وضع التحليق. هنا أدرك توم أن هيستير قامت بتوجيه الصاروخين المثبتين في المنطاد نحو الجدار الأمامي ليحطماه تمامًا ويحدثا فتحة ضخمة به كافية لمرور المنطاد عبرها نحو السماء.

"لقد نسينا فيش كيك!"، صرخ توم بينما محرك المنطاد يحتك بجوانب جدار المتحف أثناء الانطلاق.

"آه، يا للمسكين"، قالتها هيستير بعدم اكتراث.

"عودي".

"لسنا بحاجة إليه يا توم".

فاندفع توم نحو فتحة المنطاد وأطل منها وهو يصرخ باسم الصبي، بينما كان الأخير يركض في الأسفل باتجاه المنطاد المرتفع ويداه ممدودتان عن آخرهما وقد ارتسمت على وجهه الشاحب . الغارق في الغبار الناتج عن الانفجارين . أمارات الهلع. ومع هدير المحركات وصدى الانفجار لم يكن بوسع توم سماع ما يصرخ به الصبي، لكنه لم يكن في حاجة لسماعه بأذنيه كي يدرك ما يصيح به...

"عوداااا..."، راح الصبي يصرخ في هلع بينما المنطاد يحلق أمام عينيه بعيدًا عبر الدخان والغبار إلى حيث شارع "أولد ستاين" المترع بالصبية المفقودين واللصوص الذين شخصوا جميعًا بأبصارهم نحو السماء إلى حيث المنطاد...

"لا تتركني يا سيد ناتسوورثي، أرجوك.. عد... عد... عد...".

لكن صراخه الملتاع كان بلا جدوى، إذ كان المنطاد قد حلق بعيدًا في السماء، بحركة مرتعشة غير ثابتة، ذلك لأن توم وهيستير راحا يتصارعان على لوحة التحكم...

"بحق كويرك"، صرخ توم، "علينا أن نعود، لا يمكننا التخلي عنه هكذا".

إلا أن هيستير أبعدت يديه عن الروافع ودفعته جانبًا بعنف ليصطدم بطاولة الخرائط ويسقط صارخًا من الألم.

"انسَه يا توم..."، صرخت هيستير، "... لا يمكننا الوثوق به... لقد وصف الجيني هانيفر بكومة من الخردة! إنه لمحظوظ لأنني لم أقتله بسكيني".

"لكنه مجرد طفل، لا يمكنكِ التخلي عنه هكذا... ماذا سيحدث له!".

"وما شأننا به؟ إنه من الصبية المفقودين، هل نسيت ما فعله برين؟".

ثم ارتفع المنطاد إلى حيث الهواء النقي وضوء القمر، وراح يحلق في الأعلى على بُعد خمسين قدمًا من سحب الدخان الكثيف، بينما ألسنة اللهب تتصاعد من الطبقات العليا من كوم أمبو وبنغازي على بعد أميال قليلة. وعلى مقربة من "جيني هانيفر" كان عدد من المناطيد الأخرى يحلق في الأجواء، إلا أن أي منها لم يكترث به.

راحت هيستير تتفحص السماء أمامها، إلى أن رصدت على مسافة من المنطاد، نحو الجنوب، أغلفة الغاز الممزقة للسحابة التاسعة، فقامت بتعديل الإحداثيات ووجهت الـ "جيني هانيفر" نحوها، ثم أغلقت أدوات التحكم واتجهت إلى حيث جلس توم وجلست إلى جواره.

رفع توم وجهه وقد ارتسم عليه تعبير غريب لم تعهده من قبل، ثم أدركت بعد حين أنه خائف منها، فضحكت منه، ثم إنها أمسكت بوجهه بين كفيها وقبَّلَته، وفي فمها شعرت بالمذاق المالح للدموع التي تجمعت على جانبي فمه، فلعقتها بشفتيها، إلا أنه أشاح بوجهه عنها. وهنا بدأت هيستير تشعر بالخوف هي الأخرى... ترى، هل تمادت هذه المرة؟!

"أنا آسفة يا توم..."، قالتها هيستير، وإن كانت في داخلها لم تكن تشعر بأي أسف، "... آسفة، لقد أخطأت، لكني فقط كنت مذعورة. يمكننا العودة إلى برايتون إذا كنت ترغب في هذا".

ومع ذلك، نهض توم من مكانه مبتعدًا عنها، وكانت ابتسامتها الغريبة الغامضة وهي تقوده عبر "وعاء الفلفل" لا تزال ماثلة أمامه وتلوح في ذهنه. ثم إنه تكلم أخيرًا:

"أنتِ تستمتعين بذلك! لقد كنتِ مستمتعة بقتل كل هؤلاء الناس في شركة شكين، كنتِ مستمتعة حقًّا...".

"إنهم يشتغلون بتجارة العبيد يا توم. إنهم أشرار. هؤلاء هم من باعوا رين، باعوا ابنتنا... إن العالم بدون هؤلاء سيكون مكانًا أفضل بلا شك".

"ولكن...".

إلا أنها هزَّت رأسها وصاحت في عصبية:

"انظر، نحن لسنا سوى أشخاص بسطاء، ولطالما كنا كذلك. مجرد أشخاص بسطاء نحاول أن نحيا في هدوء وسلام، لكننا كنا دومًا نقع تحت رحمة رجال أقوياء من نوعية العم وشكين وماسجارد وبيني رويال و... فالانتاين. لهذا، نعم، إنه شعور رائع أن تكون قويًّا مثل هؤلاء وأن تملك القدرة على القتال والمقاومة وإعادة الأمور إلى

نصابها الصحيح".

لم يرد توم، وعلى الضوء المنبعث من أزرار أدوات التحكم رأت هيستير تلك الكدمة التي بدأت تتكون على رأس زوجها جراء اصطدامه بطاولة الخرائط خلال نزاعهما...

"أيها المسكين"، قالتها برفق ثم انحنت وقد همت بتقبيله، لكنه انتفض مبتعدًا عنها من جديد، ثم راح يتفحص مقياس الوقود، وقال:

"خزانات الوقود ممتلئة لنصفها فقط. لقد كنتِ تعلمين ذلك منذ أقلعنا، والآن لو أننا حاولنا العودة لإنقاذ فيش كيك فلن نتمكن من التوجه نحو "السحابة التاسعة" وإنقاذ رين... على أي حال لا بد وأن الصبي قد سقط في أيدي باقي الصبية الآن".

فهزت هيستير كتفيها بارتباك، وكانت تتمنى لو أنه فقط سمح لها بمعانقته. وفي داخلها كان الغضب يعتمل بها إزاء اهتمامه الزائد بذلك الصبي، وراحت تفكر في سخط... لماذا يهتم طوال الوقت بالآخرين؟! إلا أنها تمكنت من السيطرة على أعصابها، وقالت:

"فيش كيك قادر على العناية بنفسه".

فنظر توم نحوها آملًا أن يكون ما تقوله صحيحًا، ثم قال:

"أتعتقدين هذا؟ إنه لا يزال صبيًّا...".

"لا بد وأنه في الثانية عشر من عمره الآن... لقد كنتُ وحدي في العراء وكنت أصغر سنًّا منه بكثير، ولم أكن أملك شيئًا من المهارات التي تعلمها هو في معقل اللصوصية".

ثم إنها لمست وجه توم بأناملها، وهمست:

"سوف نعثر على رين، ثم سنجد وقودًا نزود به المنطاد، ونعود إلى برايتون لاصطحاب فيش كيك حيث ستكون الأمور قد هدأت نوعًا ما هناك".

ثم إنها لفت ذراعيها حوله، ولم يبتعد عنها هذه المرة، لكنه كذلك لم يبادلها العناق، ثم راحت تقبله وتمرر أناملها عبر خصلات شعره الخفيف.

لقد ساءها كثيرًا أن تضطر للدخول في سجال معه، وشعرت بكراهية عارمة تجاه الصبي فيش كيك لكونه السبب في ذلك، وفي قرارتها تمنت أن يكون الصبية المفقودون قد قاموا بتمزيقه إربًا وتحويل رأسه الصغير الجميل إلى كرة قدم.

***

"33"

المغادرون

كان ثيو ورين قد تحركا سريعًا قبل أن توقع بهم قوات العاصفة الخضراء مرة ثانية، وراحا يركضان عبر الحدائق، حين بلغت مسامعهما أصداء الصرخة الأخيرة المتحشرجة للمطارد فانج إذ تلقى مصرعها.

"ما هذا؟!"، تساءلت رين وقد تجمدت في مكانها من هول صدمتها من ذلك الصوت الرهيب.

"لا أدري... لكني أحسب أن أمرًا سيئًا قد وقع".

ثم إنهما سارعا بالاختباء بين الشجيرات بينما كانت فرقة من جنود العاصفة الخضراء تمر في الجوار. وعلى خوذات الجنود التمع ضوء برتقالي غريب، وحين التفتت رين للوراء رأت القصر وقد بدأت النيران تندلع فيه.

"ثيو! إنه يحترق!".

"نعم، أعلم"، قالها ثيو، وكان يقبع على مسافة قريبة للغاية منها لدرجة أنها كان بوسعها، على ضوء النيران، أن ترى الشعيرات المنتصبة على صدره، وقد صار جلده كجلد الأوزة، بينما كان جسده يرتجف في الهواء البارد. ثم إنه فجأة أحاطها بذراعيه، وقال:

"رين، أرى أنه من الأفضل لكِ أن تجدكِ العاصفة الخضراء! إن "السحابة التاسعة" تنهار، وسوف يكون الوضع أكثر أمنًا لك كسجينة على أن تبقي هنا... أنا لا يمكنني أن أدعهم يأخذونني، لكن أنتِ يمكنك هذا... يجب أن تعودي".

"وماذا عنك؟ لا يمكنني أن أتركك هنا ببساطة وأرحل".

"سوف أكون بخير"، قالها ثيو، ثم كررها بصوت حاول أن يجعله أكثر ثقة، "سوف أكون بخير، هذا المكان في طريقه للسقوط في الصحراء، وحينما ينتهي به الأمر فوق اليابسة سوف أتخذ طريقي نحو الجنوب، حيث توجد مستوطنة ساكنة في جبال "تيبستي" جنوب بحر الرمال، ربما أتمكن من بلوغها سيرًا على الأقدام".

"لا"، قالتها رين وهي تحرر نفسها من ذراعيه، فقد شعرت وهي بينهما وكأن الخِدر تسرب إلى عقلها فتوقف عن التفكير تمامًا حتى كادت توافق الفتى على كل شيء يقوله، لكنها في أعماقها كانت تدرك جيدا أن ما يتفوه به محض هراء ولا يمكنها أن توافقه عليه أبدًا، لذا حررت نفسها من بين يديه كي تتمكن من تحرير إرادتها وعقلها كذلك وتستعيد قدرتها على التفكير والكلام. فبفرض أنه نجا من سقوط الطبقة فوق اليابسة، تبقى خطته باتخاذ طريقه عبر الصحراء سيرًا على الأقدام ضربًا من الانتحار في حد ذاتها...

"سوف أبقى معك..."، قالتها رين بحسم، "... وسوف نجد طريقنا معًا للنجاة، هذا قراري النهائي ولن أقبل أي مناقشة بصدده. والآن هلم بنا، علينا أن نعود إلى القاعدة الجوية علنا نجد هناك مركبة طائرة صالحة للاستعمال".

ثم إنها راحت تمضي قدمًا عبر الحدائق المفعمة بالدخان، وقد غمرها أمل عارم ليس له ما يدعمه، كما كانت مسرورة بنفسها كذلك.

لكنهما ما إن وصلا القاعدة الجوية مرة ثانية، حتى تبين لها أنها قد تم تدميرها عن بكرة أبيها، أكثر مما كانت تحسب. فقد تم اقتحام ثكنات ومستودعات آلات "النمس الطائر" وتحطيمها تمامًا، بينما لم يعد متبقٍّ من الآلات ذاتها سوى شظايا متفحمة.

ولكن بين أنقاض النزل الصيفي الذي كان يتخذه أفراد الفرقة مقرًا لهم . حيث تحدثت إلى أورلا تومبلي في الليلة الماضية . وجدت رين سترتين من الجلد المبطن بالصوف معلقتين فوق حامل المعاطف، وكانتا سليمتين تمامًا وقابلتين للاستعمال، فسارعت رين نحوهما والتقطتهما من فوق الحامل، وناولت واحدة منهما لثيو الذي أخذها في امتنان ثم نزع عنه جناحي الملاك الفضيين اللذين كان يرتديهما طوال الوقت حتى بدا أشبه بملاك مطرود من الفردوس، وبدأ في ارتداء السترة.

شرعت رين بدورها ترتدي سترتها وهي تفكر في خطة جديدة للهرب...

"حسنًا، ربما ينتهي بنا المطاف بالفعل في الصحراء، ولكن في تلك الحالة سوف نحتاج لمياه وطعام، وكذلك بوصلة...".

إلا أن ثيو لم يكن ينصت إليها، وإنما كان منتبهًا لصوت حفيف أوراق الأشجار

القادم من وراء الأنقاض، ثم إنه أشار لرين كي تصمت، ففعلت، وراحت بدورها ترهف السمع...

"يا للآلهة!"، همست في وجل، "... العاصفة الخضراء مرة أخرى؟".

لكن الصوت لم يكن صادرًا عن أفراد العاصفة الخضراء، وإنما عن نيمرود بيني رويال، الذي كان قد نجا من الموت، حيث اصطدمت الرصاصة الأولى التي أطلقها عليه شكين بكتاب الصفيح الذي كان في الجيب الداخلي لمعطفه، وتسببت فقط في كسر بضعة ضلوع من قوتها، أما الثانية فقد جرحت صدغه وجعلته يرتد للوراء بعنف ليسقط فاقدًا الوعي والدماء تغطي نصف وجهه. لكنه استعاد حواسه بعد حين، فتحامل على نفسه وتوجه نحو القاعدة الجوية على أمل إيجاد وسيلة للفرار من "السحابة التاسعة"، تمامًا مثلما فكر رين وثيو.

وما إن رآهما بيني رويال حتى قال بصوت واهن:

"ساعداني!".

"دعيه"، هتف ثيو في رين بينما هي تتجه نحو الرجل.

"لا يمكنني ذلك"، أجابته، وقد كانت تتمنى حقًّا لو كان في مقدورها أن تترك الرجل ليلقى جزاءه جراء كل ما اقترف، فهو لا يستحق مساعدتها بأي حال، لكنها لم تستطع تركه، فرغم كل شيء كانت ترى أنها إن لم تمد له يد العون فإنها بذلك ستمسي مثله، آثمة شريرة.

وهكذا جثت رين بجوار الرجل ومزقت قطعة من القماش من ردائها لتضمد بها جرحه.

"أنتِ فتاة طيبة حقًّا"، همس بيني رويال، "أظن أن ساقي قد كُسِرَت كذلك جراء سقوطي حين حاول شكين قتلي... ذلك الشيطان، لقد أطلق عليَّ النار... أطلق النار ثم فرَّ هاربًا...".

"حسنًا، ها أنت ذا قد ذقت الآن ما شعر به المسكين توم ناتسوورثي"، قالتها رين في غيظ بينما تحاول تثبيت الضمادة المرتجلة التي ما إن وضعت فوق الجرح حتى غرقت في الدماء المتدفقة، حتى أن رين تمنت حينها لو أنها كانت قد أولت مزيدًا من

الانتباه لدروس الإسعافات الأولية التي كانت السيدة سكابيوس تدرسها في فينلاند.

أما بيني رويال فصاح مُحتجًا على ما قالته رين:

"لا، لقد كان الأمر مختلفًا تمامًا، لقد كان... آاا... يا لبوسكيت العظيم! كيف لكِ أن تعرفي توم ناتسوورثي؟!".

"لأنني ابنته..."، صاحت رين، "... ما قاله لك شكين عني كان صحيحًا. توم هو أبي وهيستير هي أمي".

شهق بيني رويال وتحشرج صوته، وقد اتسعت عيناه من الذعر والألم وهو يتطلع نحو رين إذ تمزق شريطًا آخر من القماش من ثيابها، وكأنه يتوقع أن تقوم بلف الشريط حول عنقه وخنقه به. ثم إنه تساءل بعد حين بصوت واهن:

"هل عرفتِ شيئًا عن هؤلاء الغزاة؟ من يكونون بالضبط؟ هل أفصحوا عن هويتهم؟"، ثم إنه سقط مغشيًا عليه بين ذراعي رين.

"هل مات؟"، سألها ثيو وهو يدنو ليقف خلفها.

فهزت رين رأسها وقالت:

"لا، جرحه ليس مميتًا، إنه مجرد جرح في اللحم، أظن أنه قد فقد الوعي ليس إلا. علينا أن نساعده يا ثيو، لقد أنقذنا من سينثيا رغم كل شيء".

"نعم، لكنه فعل ذلك فقط كي يتمكن من وضع يده على كتاب الصفيح من جديد... دعيه، ربما يجده أفراد العاصفة الخضراء ويأخذونه معهم حين يرحلون...".

إلا أن مناطيد العاصفة الخضراء كانت تستعد للرحيل بالفعل، إذ راحت محركاتها تهدر بينما هي ترتفع للأعلى من خلف الأشجار، وتلقي بظلالها على سحب الدخان الكثيف المنبعث من الطبقة المنهارة.

وفي قاعة الرقص، داخل القصر كانت رائحة احتراق الستائر تفعم المكان، لتعيد أوينون زيرو إلى وعيها. كان الألم يعصف برأسها، وحينما حاولت التقاط أنفاسها كادت تختنق بالدخان الذي تدفق إلى حنجرتها وجعلها تسعل وتلهث بشدة، وقد انقلبت على ظهرها. ومن فوقها كانت ألسنة اللهب تندلع عبر السقف المزخرف للقاعة،

وقد راح يتراقص ويتماوج كسائل لامع.

تحاملت أوينون على نفسها ونهضت بصعوبة، ثم راحت تبحث عن عويناتها، لكن نظارتها كانت قد تحطمت تمامًا. ومن حولها في كل مكان كان اللهب يتصاعد، ومن بين النيران، رأت أوينون صفحات كتاب الصفيح المتناثرة إذ تستحيل إلى اللون الأسود بفعل الحريق.

أخذت أوينون تتطلع من حولها في كل صوب بحثًا عن مخرج من بين النيران، إلى أن وجدت باب الشرفة وقد تحولت ستائره إلى ستار من لهب متراقص، فاندفعت عبر النيران إلى أن تمكنت من الخروج إلى الشرفة.

وفي الخارج راحت أوينون تتخبط بين سحب الدخان وضوء اللهب المستعر والجثث المترامية، بحثا عن الدَرَج، لتجد نفسها وجهًا لوجه أمام الجنرال ناجا، وقد اعترض طريقها، فأجفلت، وتراجعت إلى الخلف لتتعثر في جثة أحد المطاردين وتسقط فوقه، عاجزة بلا حيلة، أمام الجنرال المدرع...

"دكتور زيرو! كل... كل هذا... كان من تدبيرك؟".

كانت أوينون في تلك اللحظة على يقين بأن الرجل سيقتلها لا محالة، وقد استبد بها الخوف لدرجة أنها لم تقوَ على الكلام، ومن فمها خرجت أصوات رفيعة مضطربة بلا معنى. ثم إنها أغمضت عينيها بقوة وراحت تهمس بصلاة سريعة لإله تلك الكنيسة الصغيرة المتداعي في "تينجينج"؛ فعلى الرغم من أنها لم تكن تكترث كثيرًا للآلهة أو تقضي وقتًا في الصلاة لهم، إلا أنها في داخلها كانت تعتقد أن ذلك الإله لا بد وأنه يدرك جيدًا معنى الخوف والمعاناة، والموت.

وفي اللحظة التالية مباشرة كان الخوف قد تلاشى تمامًا من داخلها، ففتحت عينيها، ومن وراء الدخان تبدى لها القمر ناصعًا مكتملًا في بهاء، حتى أنها شعرت أن هذا ربما يكون أجمل مشهد رأته عيناها على مدار حياتها. ثم إنها نظرت نحو الجنرال ناجا وقالت مبتسمة:

"نعم، أنا، أنا من قمت بكل هذا، لقد قمت بزرع شفرة في عقل المطارد جريك تحوي تعليمات سرية. لقد جعلته يدمر المطارد فانج، ولا بد أنه قد أنجز مهمته الآن".

وهنا، انحنى الجنرال ناجا نحوها وجذب رأسها إليه، ثم طبع قُبلة على جبينها بين حاجبيها، "راااائع!".

ثم إنه ساعدها على النهوض وأخذ يقول في حماسة:

"يا له من عمل رائع، قمتِ بصنع مطارد كي يقتل مطاردًا، أليس كذلك؟".

ثم إنه أخذها بعيدًا عن الحريق، وقادها بين الجثث المتفحمة والجنود والملاحين المذهولين من الصدمة، ثم عبر العشب وصولًا إلى "ريكوام فورتيكس"، ثم إنه تناول عباءة أحد الجنود ولفها حول كتفيها إذ كانت ترتجف، قبل أن يقول:

"أنتِ لا تتخيلين كم انتظرتُ هذا اليوم! لقد كانت فانج قائدًا جيدًا خلال السنوات القليلة الأولى من توليها الأمور، لكن استمرت الحرب بلا هوادة، وفي أتونها ألقت فانج بالمزيد من الرجال والسفن الحربية وكأنهم مجرد قطع للعب. لكم حاولت التفكير في طريقة للقضاء عليها، ولكن ها أنتِ الآن قد تمكنتِ من فعلها، لقد نجحتِ في تخليصنا منها أخيرًا.

بالمناسبة، لقد هرب صديقك السيد جريك إلى مكان ما، هل هو خطير؟".

فهزت أوينون رأسها وقالت:

"من الصعب أن نعرف ذلك. لقد قمتُ بحجب بعض من ذكرياته كي أفسح مجالاً في عقله لشفرتي السرية. أما الآن فقد تم فك الشفرة وأتم جريك مهمته، وسوف تبدأ ذكرياته تلك في العودة إلى وعيه، وهو ما سيصيبه بالاضطراب، وربما يفضي به إلى الجنون... مسكين السيد جريك".

"إنه ليس سوى آلة يا دكتور".

"لا، هو أكثر من هذا، عليك أن تطلب من رجالك البحث عنه".

لوح ناجا لاثنين من الحراس مبعدًا إياهما ثم صعد عبر اللوح الموصِل إلى المركبة. وفي داخل الزورق ساعد أوينون على الجلوس، وكانت منهكة تمامًا؛ وعلى دروعه المصقولة كمرآة كان وجهها المنعكس يتطلع إليها ملطخ بالدماء بينما الدخان يفوح من شعرها، وكانت تشعر وكأنها عارية بدون عويناتها.

ربت ناجا على كتفها وغمغم بصوت أجش، وكأنه يهدئ من روع حيوان مذعور:

"لا بأس، لابأس يا فتاة".

وكان للرجل سمت الجنود بكل صرامتهم البعيدة كل البعد عن اللطف...

"أنتِ فتاة شجاعة حقًا".

"لا لستُ كذلك، لقد كنتُ خائفة بشدة...".

"وهذه هي الشجاعة يا عزيزتي... الشجاعة هي أن يتغلب المرء على خوفه، ما من شجاعة دون خوف".

ثم إنه أخرج قارورة من فتحة في دروعه، وقال:

"اشربي بعض البراندي، سوف يساعدك على التماسك... بالطبع لن نجعل أحدًا يعرف بما فعلتِ وبأنك مسؤولة عما جرى، وسوف نقوم . رسميًا على الأقل . بتأبين المطارد فانج، وسنلقي باللوم على أهل المدن المتحركة. تلك الواقعة ستكون بمثابة شرارة تحفيز غير مسبوقة لمحاربينا؛ وسوف نشن هجمات على جميع الجبهات انتقامًا لمقتل زعيمتنا...".

كان مذاق البراندي حادًا لدرجة لم تتحملها أوينون، فدفعت القارورة بعيدًا، ثم قالت:

"لا... ينبغي للحرب أن تتوقف...".

فضحك ناجا، ولم يكن قد فهم ما تعنيه على النحو الصحيح، فقال:

"العاصفة الخضراء يمكنها الاستمرار في الحرب دون تلك الشمطاء الحديدية. لا تقلقي يا دكتور زيرو، سوف نكون في وضع أفضل دونها وسنتمكن من الإجهاز على مدن الهمجيين هؤلاء عن بكرة أبيها. وحينما أتولى قيادة العاصفة الخضراء سوف تتم مكافأتك، ولسوف تحصلين على كل ما ترغبين به من أموال وقصور، كذلك يمكنك تولي أي وظيفة ترغبين...".

مذهولة، أخذت أوينون تهز رأسها وهي تحدق إلى الرجل المدرع بينما يتحرك عبر الزورق... الآن فقط تبين لها أنها استهانت بالعاصفة الخضراء ولم تحسن تقدير

قوتهم الحقيقية؛ لقد صنعتهم الحرب، ولن يدخروا جهدًا لضمان استمرارها إلى الأبد.

"لاا..."، هتفت أوينون، "... ليس هذا ما كنت أهدف إليه...".

لكن الجنرال ناجا كان قد نسي وجودها، وانهمك في إصدار الأوامر لضباطه...

"ابعثوا بتلك الرسالة على كافة الترددات: المطارد فانج قد سقطت في المعركة. علينا أن نتحلى بالهدوء والثبات في ذلك الوقت العصيب والظروف الصعبة و..."، ثم، "لأجل مواصلة نضالنا المجيد ضد الهمجية المتحركة، فقد توليت موقع القيادة، والآن أعدوا الـ "ريكوام فورتيكس" للإقلاع، أريد أن أعود إلى "تينجينج" قبل أن يحاول أي من زملائنا الاستيلاء على السلطة".

"وماذا عن الأسرى يا جنرال؟".

تردد ناجا قليلًا، ثم نظر نحو دكتور زيرو وقال:

"لن أبدأ عهدي بمذبحة. أحضرهم جميعًا على متن المركبة، ولكن فقط أبلغوا تلك المرأة "بيني رويال" أن تتوقف عن الغناء".

ومن مكان خفي بين الأشجار كان المطارد جريك يشاهد ما يحدث، إذ يهرع الضباط والجنود نحو "ريكوام فورتيكس" فيما كان أحدهم يحمل بوقًا ويصيح:

"سيد جريك، سيد جريك، عد إلى متن المركبة، نحن على وشك الإقلاع".

وقد أدرك جريك أن دكتور زيرو لا بد وأنها قد أصدرت الأمر بالبحث عنه واستدعائه للرحيل، وقد شعر بالامتنان لها إزاء ذلك، لكنه لم يخرج من مكمنه، وقد قرر البقاء على متن "السحابة التاسعة"؛ فقد راح يفتش بعينيه بين الأسرى الذين تم دفعهم دفعًا إلى داخل المركبة الحربية، لكنه لم يجد الفتاة التي رآها من قبل خارج قاعة الرقص، فأدرك أنها بلا شك لا تزال على متن الطبقة، ومن ثم فعليه البقاء هنا هو الآخر. وكان في داخله يقين بأن تلك الفتاة . بشكل أو بآخر . على صلة بهيستير، ومن ثم فإنه إن بقي على مقربة منها فلربما يتمكن من إيجاد هيستير من جديد.

***

"34"

من يجد شيئًا... يحتفظ به

كان فيش كيك راقدًا بين الكثبان الرملية وراء الشاطئ، شبه مخدر من البرد وألم الخيانة التي تعرض لها. ومن موضعه شاهد برايتون إذ تطلق محركاتها المحطمة وتبحر بعيدًا بحركة مضطربة غير متوازنة بين المياه، ومنها تتصاعد أصوات الصبية المفقودين، يصيحون ويصطخبون في انتصار.

لقد تمكن الصبي بالكاد من النجاة بحياته وأفلت بأعجوبة من بين أيدي الصبية المفقودين حين اندفعوا كالإعصار مقتحمين المتحف، إذ ركض في ذعر كأرنب يفر من صياده، إلى حيث باب خلفي ومنه اندفع عبر الشوارع المحترقة وهو ينشج خوفًا ويأسًا... "سيد ناتسوورثي، عُد... عُد...".

إلى أن بلغ مؤخرة المدينة، فألقى بنفسه دون تفكير من فوق إحدى منصات المتابعة إلى البحر عله يجد الأمان بين الأمواج. ثم راح يسبح نحو الشاطئ وقد تقطعت أنفاسه حتى كاد يغرق، إلى أن بلغ حافته.

والآن، ها هو ذا يرقد منهكًا يكاد يتجمد من البرد، لكنه أدرك أن الوقت قد حان ليتحرك من جديد، حيث كانت البلدات الصحراوية الجائعة والضواحي البرمائية الشرسة تندفع في اتجاهه كي تقتنص وليمتها من بقايا المناطيد المحطمة وآلات الطيران الذاتي المتكسرة المتناثرة على الرمال والتي ألقتها الأمواج على طول الشاطئ.

وكان فيش كيك . الذي لم يسبق له أن رأى مدينة متحركة من على هذه المسافة القريبة . مذهولًا تمامًا، بالكاد يصدق ما تراه عيناه من ارتفاع عجلات تلك المدن وضخامتها، غير قادر على استيعاب كيف أن الأرض تهتز بهذا الشكل العنيف مع حركتها.

ثم إنه أفاق من ذهوله، فراح يعدو من أمامها نحو الصحراء، وهو يكاد يختنق من أدخنة العادم وزوابع الرمال المتطايرة في الهواء من فعل دوران عجلات تلك البلدات.

في تلك اللحظات، ومع هذا الوضع المزري، كان فيش كيك صبيًا مفقودًا بالمعنى

الحرفي، ففي تلك الصحراء الشاسعة لم يكن بمقدوره تحديد موضعه بالضبط ولا إلى أين يمكنه أن يتوجه. وظل يعدو، ويعدو، ساعة تلو أخرى، ينزلق فوق الكثبان، ويتعثر بين الحصى وركام الصخور.

كان الصبي خائفًا يرتعد من الظلام والظلال القاتمة، والتي راحت تزداد قتامة مع انحدار القمر نحو الأفق الغربي.

وفي نهاية المطاف، على ضفة جدول جاف، انهار فيش كيك، فانكمش متقوقعًا حول نفسه وضم ركبتيه إلى صدره... وراح يبكي وينتحب بصوت عالٍ:

"إلام سيؤول مصير فيش كيك المسكين الصغير؟!".

لكن أحدًا لم يجبه، وكان هذا أكثر ما يخشاه... لقد خذله جارجل وريمورا ورين، وخدعه الأمهات والآباء المزيفون، وتركه السيد شكين، وتخلى عنه توم ناتسوورثي. ومع ذلك، فقد كان يفضل لو كان مع أي منهم الآن، على أن يبقى وحيدًا هكذا.

وفي موضع قريب منه، كان ضوء القمر ينعكس ملتمعًا على شيء ما، فنهض فيش كيك . الذي تدرب منذ صغره على السعي وراء الأشياء اللامعة . وتسلل دون تفكير نحو ذلك الشيء...

وعلى الأرض بين الرمال كان وجه يحدق نحو الأعلى، فمد الصبي يده والتقطه ليجد أنه عبارة عن قناع من البرونز، وقد تعرض لتلف شديد حتى صار متجعدًا في أكثر من موضع، وفي مكان العينين كانت فتحتان فارغتان، أما الفم فكان عبارة عن شفتين منفرجتين قليلًا، وكأن ثغر القناع يفتر عن ابتسامة طمأنينة خصيصًا له.

كان القناع جميل الشكل، فوضعه الصبي على وجهه وأخذ يتطلع عبر فتحتي العينين نحو القمر، ثم خلعه عن وجهه ودسه في داخل معطفه في سرور، ومضى قدما وقد تشجع قليلًا، وطفق يبحث عن مزيد من الكنوز عبر الصحراء.

وعلى بعد بضع عشرات من الياردات، رصدت عيناه الحادتان حركة في الأسفل في المجرى المائي الجاف، فراح يدنو من الموضع متحفزًا، ليكتشف أن ذلك الشيء عبارة عن يد مقطوعة تزحف عبر الحصى، يد مصنوعة من المعدن على الأرجح، راحت تتحرك على أصابعها كسلطعون كسيح. ومن موضع المعصم برزت مجموعة من

الأسلاك وقطع الآلات وكذلك شيء يشبه العظم.

وقف فيش كيك يتطلع نحو تلك اليد المتحركة لهنيهة، ثم، مدفوعًا بشعور خفي أن تلك اليد تتحرك نحو هدف بعينه، راح يتتبعها.

ومع تقدمه، بدأ يعثر على أجزاء أخرى من الجسم... ساق معدنية ملتوية نحو الاتجاه المعاكس لوضعها الطبيعي... جذع ممزق ومتجعد، راحت اليد تزحف فوقه قليلًا ثم استأنفت طريقها. وبعد بضع مئات من الياردات، عثر فيش كيك على اليد الأخرى، وكانت لا تزال متصلة بمعظم ذراعها، وقد راحت تتلمس طريقها نحو منحدر من الحصى والصخور الصغيرة حيث مجموعة من أشجار الأكاسيا النامية. وهناك وجد الرأس... وجهًا عظميًا رماديًا داخل جمجمة معدنية، محاط بمجموعة متشابكة من الأسلاك والأنابيب.

كان الرأس يبدو ساكنًا ميتًا، ولكن ما إن انحنى فيش كيك نحوه ليتفحصه، حتى أدرك أن الحياة لم تفارقه. وكانت عدستا العينان الزجاجيتان مهشمتين تمامًا، ولكن داخل تجويف العينين لاحظ فيش كيك تلك الآلة الشبيهة بشبكة العنكبوت إذ ترف وترتجف وتصدر صوت دقات طفيفة وكأنها تحاول استعادة إمكانية الرؤية.

ثم ارتجف الفم الميت، وبصوت واهن، بالكاد استطاع الصبي سماعه، همس الرأس:

"لقد تم تحطيمي".

"نعم، قليلًا!"، قالها فيش كيك، وقد اعتراه شعور بالأسف تجاه ذلك الكائن، "ما اسمك؟".

"آنا..."، همس الرأس، ثم تراجع وقال "لا، لا، "آنا" ميتة، أنا المطارد فانج".

وقد بدا لفيش كيك أن الرأس وكأنه يملك صوتين، أحدهما قاسٍ يحمل نبرة قيادية واضحة، والآخر متردد ذاهل...

"لقد تم أسرنا من قِبَل أركانجيل..."، قالها الصوت الثاني، الذاهل، "عمري سبعة عشر عامًا، أنا عبدة من الفئة الرابعة في ساحات بناء السفن التي يملكها ستيلتون كايل، لكنني الآن أعكف على بناء منطادي الخاص وسوف...".

ثم عاد الصوت الأول، القاسي، يهمس كالفحيح:

"لا، كان هذا منذ زمن بعيد، في زمن آنا، وهي الآن ميتة... ساذيا، عزيزتي؟ أهي أنتِ؟ أنا مضطربة تمامًا...".

"اسمي فيش كيك"، قالها الصبي، وكان مرتبكًا هو الآخر.

"أظن أنني تلفت تمامًا... لقد خدعني فالانتاين، غرس سيفه في قلبي... أشعر ببرد شديد... شديد... لا... نعم... لقد تذكرت الآن، تذكرت، الآلة التي صنعتها زيرو... لقد سمح جنرال ناجا بحدوث ذلك ولم يتدخل لمنعه... لقد تعرضتُ للخيانة".

"وأنا كذلك"، قالها فيش كيك، ثم إنه لاحظ المواضع الملتوية حول حواف الجمجمة حيث تم نزع القناع البرونزي من موضعه، فأخرج القناع من معطفه وأعاد تثبيته بقدر ما استطاع.

"ساعدها رجاءً"، همس الرأس من جديد، "أنت سوف تقوم بإصلاحي".

"لكني لا أعرف كيف يمكن ذلك".

"هي... أنا سأخبرك".

نظر فيش كيك حوله، وعبر الرمال كانت أجزاء من جسد المطارد تتجه نحوه، وقد ذكَّرته حركة أصابع اليدين بالكاميرات السلطعونية التي كان يصلحها لجارجل، فتفكر قليلًا، ثم قال:

"ربما يمكنني أن أفعل ذلك حقًا، ولكن ليس هنا، فسوف أحتاج لبعض الأدوات والمعدات. لو أننا استطعنا جمع كل أجزائك ثم وجدنا مدينة ما، فربما حينها أتمكن من إصلاحك".

"فلتفعل هذا إذن... وبعدها سوف أرتحل غربا إلى "شان جو"، إلى حيث منزلي في "إردن تِز"، وحينها سوف أثأر من تلك الفانية، نعم... نعم...".

"وأنا سآتي معِك"، هتف فيش كيك بلهفة، خشية أن يتم التخلي عنه مرة أخرى "يمكنني مساعدتك، سوف تحتاجينني".

"إنني أعلم أسرار كتاب الصفيح..."، قالها الرأس وكأنه يحدث نفسه "... الشفرة مازالت محفوظة في ذاكرتي، سوف أعود إلى موطني وأعيد إيقاظ أودين".

لم يفهم فيش كيك ما تعنيه، لكنه على أي حال كان سعيدًا لعثوره على سيد جديد يصدر له الأوامر ويوجهه لما يتوجب عليه فعله، حتى ولو كان ذلك السيد مجرد رأس.

ثم نهض الصبي على قدميه، وعلى مقربة منه كان رداء رمادي ممزق ملقى بإهمال وقد تدلى من أغصان إحدى الشجيرات، فالتقطه وقام بعقد أطرافه صانعًا منه جعبة، ثم، وبينما كان الرأس لا يزال يهمس لنفسه بأشياء من قبيل: "العالم أخضر من جديد"، شرع فيش كيك يجمع الأجزاء المبعثرة من جسد المطارد ويضعها في تلك الجعبة المرتجلة.

***

"35"

عالقون في السماء

بدا الوضع هادئًا تمامًا على متن "السحابة التاسعة" بمجرد رحيل قوات العاصفة الخضراء. وكانت الريح لا تزال تعصف عبر بقايا أغلفة الغاز الممزقة، ومن حين لآخر كان صوت انهيار الأرضيات يدوي من داخل القصر المحترق، إلا أنه لم تكن ثمة أصوات بشرية تأتي من هناك.

حمل رين وثيو بيني رويال، وكان لا يزال مغشيًا عليه، إلى حيث سقيفة من أشجار السرو تقع ما بين مستودع يخته الطائر ومتاهة الأشجار المزينة بالحديقة. وفي قلب البستان قاما بوضع بيني رويال بالقرب من نافورة هناك، ثم جلس ثيو وقد أنهكه التعب وأسند رأسه إلى ذراعيه وراح في النوم، وهو ما أدهش رين كثيرًا، فهي أيضا كانت متعبة للغاية، لكنها كانت مذعورة ومتوترة لدرجة لم تدع لها أي مجال للنوم، إلا أنها قدَّرت أن الأمر قد يكون مختلفًا بالنسبة له، فقد اعتاد حياة المعارك والعيش في خطر وعدم يقين.

"بوبو يا حبيبتي... يمكنني أن أشرح لك الأمر!"، غمغم بيني رويال بصوت خفيض وعينين نصف مفتوحتين، وقد بدأ يفيق من إغماءته، ثم إنه أبصر رين تجلس بجواره، فتمتم:

"آه، إنها أنتِ".

"عد إلى النوم"، قالتها رين.

"أنت تكرهينني..."، قالها بحنق، "حسنًا، أنا آسف بصدد ما حدث لوالدك، آسف حقًا، أنا لم أتعمد إيذاءه قط، لقد كان حادثًا، أقسم لكِ أنه كان كذلك".

شرعت رين تتفحص الضمادة التي وضعتها على جرحه، ثم قالت:

"الأمر لا يتعلق بهذا فقط، إنه يتعلق بما أوردته في كتابك كذلك... إنه مليء بالأكاذيب، أكاذيب حول الآنسة فريا وأنكوراج، وكذلك أمي، أنت ادعيت أنها قد أبرمت صفقة مع صيادي أركانجيل ضد أنكوراج...".

"آه، ولكن هذا الجزء صحيح تمامًا"، صاح بيني رويال، "أعترف أنني ربما أكون قد أضفت بعض الخيالات المثيرة هنا وهناك إلى الحقائق، ولكن هذا الجزء صحيح تمامًا، نعم، هيستير شاو هي من أتت بأركانجيل إلى حيث أنكوراج. لقد أخبرتني بذلك بنفسها، قالت لي نصًا: أنا من أتيت بالصيادين إلى هنا لأستعيد توم لي من جديد، إنه الثمن الذي تلقيته منهم. وبعدها ببضعة أشهر قابلت واحدة من اللاجئين الذين نجوا من أركانجيل بعد خرابها، شابة فاتنة كانت تدعى "جوليانا"، كانت من بين عبيد قصر ذلك الفتى "بيتور ماسجارد"، وقد أخبرتني أنها كانت حاضرة وقت إبرام تلك الصفقة، قالت لي إن ملاحة شابة ذات ندبة بشعة تشق وجهها قد جاءت لمقابلة سيدها وأنها أبلغته أنها تعرف مسار أنكوراج...".

"أنا لا أصدقك..."، صاحت رين مقاطعة إياه، ثم تركته واندفعت نحو الخارج إلى حيث الحديقة...

لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا... هكذا راحت تفكر... لا بد أن بيني رويال عاد لحيله القديمة من جديد، إنه يلوي الحقائق لصالحه... ولكن لماذا يصر على التمسك بذلك الجزء من قصته تحديدًا؟ لماذا يصر على أن ذلك حقيقي في الوقت الذي أقر فيه بأن كتابه احتوى على الكثير من الأكاذيب؟!

ظلت رين تفكر في الأمر وقد استبدت بها الحيرة والارتباك، وراحت تقلب ما قاله في عقلها... حسنًا، ربما هو صادق في تلك النقطة، وربما أمها قالت له ذلك بالفعل، ولكن فقط لإخافته. أما بالنسبة لعبدة ماسجارد، فليس معنى أنها شاهدت سيدها يتحدث إلى ملاحة مشوهة الوجه، أن تكون تلك الفتاة هي أمها بالضرورة، فعالم التجارة الجوية مليء بالمخاطر، وهناك الكثير من الملاحين الذين أصيبوا في وجوههم خلال مواجهات جوية أو ما شابه.

هزت رين رأسها بقوة وكأنما تطرد الأفكار المزعجة بعيدًا عنها، وراحت تردد على نفسها أن هناك أمورًا أخرى أولى بأن تقلق حيالها الآن بدلًا من قصص بيني رويال السخيفة؛ فالطبقة كانت تهتز وتتأرجح تحت قدميها، فيما حمل هواء الليل أصوات صرير حبال الطبقة التي تحملها، بينما الدخان ينبعث عبر المروج والحدائق المائلة، كثيفًا، ليحجب الأجساد المترامية والطاولات المقلوبة في كل مكان.

ثم إن رين راحت تجمع بعض الأطعمة الملقاة هنا وهناك، ووقفت تلتهم بعضًا منها وهي تتطلع نحو القصر المتداعي غير مصدقة ما آل إليه مصير ذلك المبنى البديع، وكان قد تحطم من أكثر من موضع وتفحمت بعض أجزائه، أما الضوء الوحيد المنبعث من داخله عبر نوافذه المكسورة فكان ضوء وهج الحرائق المنتشرة بين أنحائه.

وكانت القبة المركزية الضخمة للقصر قد تحطمت وباتت أشبه بكرة مثقوبة، ومن فوقها كانت بعض أغلفة الغاز التي تحمل الطبقة لا تزال مرتفعة، لكنها استحالت إلى اللون الأسود بفعل الأدخنة. ومن سطح جناح الضيوف تصاعدت ألسنة اللهب.

كانت رين لا تزال في مكانها تطالع المشهد المهيب، حين شعرت بأن شخصًا ما يقف بالقرب منها ويراقبها، وقد حسبته ثيو، فاستدارت تناديه:

"ثيو؟".

لكنه لم يكن الفتى، بل شخص آخر تمامًا، ما إن رأته حتى أجفلت وارتدت للوراء مذهولة، لتفقد توازنها وتسقط فوق العشب وهي تشهق في هلع وقد تحشرج صوتها.

وقف المطارد يحدق إلى رين في ثبات . فيما عدا حركة خفيفة للحفاظ على توازنه فوق الأرض المائلة . دون أن يتخذ أي رد فعل، ولم يكن ينوي أن يفعل أي شيء سوى التحديق إليها بعينيه الخضراوين المستديرتين اللامعتين، بينما وهج النيران ينعكس على دروعه المكسورة وذراعيه الملطخين، فيما كانت رأسه ترتعش. ومن جراحه المتفرقة كان الزيت والسوائل تقطر على الأرض، لكنه لم يكترث بأي من هذا، فقط قال:

"أنتِ لستِ هي".

"لا..."، صاحت رين بصوت رفيع، ولم تكن تملك أدنى فكرة عما تتحدث عنه تلك الآلة القديمة المرعبة، لكنها لم تكن لتجادله على أي حال. ثم إنها راحت تزحف على مؤخرتها فوق العشب محاولة الابتعاد عنه.

اقترب المطارد منها ببطء، ثم توقف من جديد، ومن موضعها كان بوسعها سماع طنين الآلات الغريبة داخل جمجمته المدرعة، ثم قال لها من جديد:

"أنتِ تشبهينها... لكنكِ لستِ هي".

"لا، أعلم أن كثيرين يخلطون بيننا"، قالتها رين وهي تتساءل في داخلها عمن تكون تلك التي يتحدث عنها. وكانت تدرك جيدا أنه لا جدوى إن هي حاولت الركض، إلا أن جسدها وغريزة البقاء بداخلها كان لهما رأي آخر! وهكذا وجدت نفسها تهب بسرعة على قدميها وتطلق ساقيها للرياح عبر العشب المبتل ومنحدرات المرج.

"عودي"، قالها جريك في لهجة توسل، "ساعديني، على أن أجدها".

ثم إنه شرع يركض خلفها، لكنه سرعان ما توقف وقد أدرك أن مطاردته لها لن تزدها إلا خوفًا منه، وكان قد لاحظ الرعب والاشمئزاز اللذين ارتسما على وجهها الغريب، المألوف.

وقف جريك في مكانه يراقب رين إذ تبتعد لتختفي بين سحب الدخان، ومن ورائه، انهارت القبة المركزية للقصر تمامًا لتسقط فوق قاعة الرقص، مخلفةً عاصفة من الشرر والحطام.

ومن أمامه اندفعت عاصفة من الركام والقطع المحطمة لتصطدم بالنافورات وأحواض النباتات، فيما اندفع بعضها نحو حافة الطبقة ليسقط منها نحو الفراغ، إلا أن جريك تجاهل كل تلك الفوضى.

وعبر الضوضاء العارمة تمكنت أذنا المطارد القديم فائقتا الحواس من التقاط أزيز محرك مركبة جوية.

***

اندفعت رين تركض نحو بستان السرو وهي بالكاد تستطيع التقاط أنفاسها، فيما تسارعت دقات قلبها. وفي الداخل كان بيني رويال نائمًا، أو فاقدًا الوعي من جديد، أما ثيو فما إن رأى رين تهرع نحوهما والرعب مرتسم على وجهها، حتى هب واقفا وصاح:

"رين، ما الأمر؟".

"مطاردا!"، أجابته رين من بين أنفاسها المتقطعة، "العاصفة الخضراء تركت مطاردًا خلفها... ذلك الضخم القبيح الذي كان يصارع ذلك المطارد الآخر...".

في تلك اللحظة تأوه بيني رويال وتقلب في رقدته، فسحب ثيو رين وانتحى بها جانبًا، ثم قال:

"رين، لو أن هذا المطارد أراد قتلنا لوجدناه فوق رأسنا الآن، كان بإمكانه أن يأتي في إثرك لنجده واقفًا أمامنا، أليس كذلك؟".

تفكرت رين قليلًا، ثم تمتمت:

"أعتقد أنه تضرر كثيرًا جراء المعركة".

"هكذا إذن، وها أنتِ هنا الآن دون أن يمسكِ أذى منه".

"أحسب أنه مجنون نوعًا..."، تابعت رين وقد تذكرت الطريقة الغريبة التي كان المطارد يحدثها بها، ثم إنها ضحكت في عصبية وقالت:

"أظن طالما أن المطاردين العاديين يتم صناعتهم لقتل البشر، فلا بد أنه أمر جيد إذن أن نكون عالقين هنا على متن تلك الطبقة المتداعية مع مطارد مجنون... ربما كان فقط يريد الدردشة معي حول أحوال الطقس...".

فضحك ثيو، وقال:

"على أي حال، كل شيء سيكون على ما يرام، فوفقًا للمعدل الذي نفقد به الغاز الحامل للطبقة، فإن أمامنا الآن حوالي نصف ساعة تقريبًا حتى نهبط إلى الصحراء".

"إنك تقول هذا وكأنه أمر جيد".

"هو كذلك بالفعل، تعالي وانظري...".

فسارت رين معه بين الأشجار إلى حيث الجانب الآخر من البستان، ومن هناك، من وراء الإفريز، كان بمقدورهما رؤية سطح الأرض، بينما ظل "السحابة التاسعة" ينزلق فوق الكثبان الرملية والأرض الجرداء. وفي كل مكان عبر الصحراء، كانت الأضواء وسحب الغبار تشير بوضوح للبلدات والقرى المتحركة التي راحت تقترب من الموضع الذي من المفترض أن تسقط فيه الطبقة.

"إنها بلدات جامعي المخلفات!"، صرخت رين، "سوف يتم التهامنا".

“سوف يتم التهام السحابة التاسعة يا رين وليس التهامنا نحن. سوف نفر من هنا إلى حيث الصحراء قبل أن تصل البلدات، ثم سنصعد إلى متن إحداها كمسافرين وليس كفرائس. علينا الآن أن نأخذ بعض الذهب أو قطع التقنيات القديمة كي نتمكن من دفع تكاليف رحلتنا. سوف نكون على ما يرام”.

أخذت رين تحاول تهدئة روعها قليلًا، وفي أعماقها كانت تفكر في ذلك الوضع الذي وجدت نفسها فيه الآن... هذا هو ما جمع أمها وأبيها، هذا هو ما ربط بينهما ووحَّدهما: المغامرة المشتركة، كتلك التي تواجهها الآن، وهو ما كان كافيًا لجعلهما يتغلبان على أي شيء: عدم الثقة.. القبح... وكل شيء آخر.

لكن ثيو ليس قبيحًا كأمها، بل هو على العكس تمامًا.

ثم إنها التفتت نحوه وراحت تتطلع إليه، وكان وجهاهما قريبين للغاية من بعضهما لدرجة أن طرف أنفها لامس وجنته، وهنا، بينما هما على وشك تقبيل بعضهما . وكانت رين تتوق لذلك بشدة لكنها في ذات الوقت تخشى تلك القُبلة ربما أكثر من خشيتها من بلدات جامعي المخلفات . اهتز المرج تحت أقدامهما، وكأنهما على متن سفينة تشق طريقها في بحر هائج، وفي لمح البصر اختفت الأرض من تحت قدمي رين لتسقط فوق ثيو الذي سقط بدوره للوراء ليرتطم بجذع شجرة.

وفي الأعلى كان شيء ما يحدث بين أغلفة الغاز التي تحمل الطبقة، إذ تمزق الغلاف المركزي بفعل النيران التي تصاعدت من القصر نحو تلك البالونات؛ فاندلع الغاز إلى عنان السماء في شكل شعلة ضخمة من النيران الزرقاء.

أما ما تبقى من أغلفة الغاز فلم يكن كافيًا لحمل الطبقة الثقيلة لفترة طويلة. وفي غضون لحظات ازداد انحدار الطبقة ودرجة ميلها، واندفعت المياه من النافورات وأحواض السباحة لتغرق كل شيء، فيما تداعت التماثيل التي تعج بها الحدائق، وكذلك النُزُل والسقيفات الصيفية، وأثاث الحدائق، والآلات الموسيقية... كل شيء كان ينهار ويتساقط حطامًا يمطر الكثبان الرملية في الأسفل.

وفي الصحراء، زادت البلدات المتحركة من سرعتها وتدافعت تزاحم بعضها، إذ كان كل منها يسعى لبلوغ مكان سقوط الفريسة المنتظرة أولًا.

وعبر سحب الدخان والغبار، كان منطاد “جيني هانيفر” يشق طريقه نحو “السحابة

التاسعة"، وعبر نوافذه بدا مشهد الطبقة مروعًا، إذ كان الجانب السفلي منها محطمًا، أشبه ما يكون بفتحة فاغرة في جدار مثقوب، بينما كانت مقصورات التلفريك المهشمة تتدلى من حبال التوصيل المقطوعة، وبداخلها كانت أثواب السهرة وملابس المساء الملطخة بالدماء تتطاير أطرافها.

"لقد فات الأوان"، قالت هيستير، "لا أظن أننا سنجد أحدًا على قيد الحياة في الأعلى".

"لا تقولي هذا!"، صاح توم بحدة، وكان لا يزال حانقًا جراء جدالهما الأخير، ولم يكن يرغب في الدخول في جدال جديد معها، إذ كان كل ما يشغله في تلك اللحظة هو العثور على رين. وفي أعماقه كان توم يدرك أن الأمور بينه وبين هيستير قد تبدلت ولم تعد على ما يرام، بل إنه لم يكن واثقًا من أنهما سيتمكنان من إعادة الوضع لسابق عهده؛ لقد هاله مدى قسوتها وتخليها عن فيش كيك بهذه البساطة.

وبغضب، راح توم يضغط مفاتيح المنطاد ليرتفع به نحو حافة سطح المدينة ومنها صعودًا بين شبكة الحبال نحو الأعلى. وفي تلك اللحظات تمنى لو كانت فريا هي التي بصحبته بدلًا من هيستير، فلو كانت معه لما تخلت عن المسكين فيش كيك هكذا، وما كانت لتقتل كل هؤلاء الرجال في برج شكين، بل إنها ما كانت لتفقد الأمل في العثور على رين بهذه السهولة.

"هل تتذكرين لندن؟"، أردف توم، "هل تذكرين تلك الليلة؟ ليلة انفجار الميدوسا، حين جئت لانتشالك من لندن، لقد بدى الأمر مستحيلًا وقتها، لكنني رغم كل شيء وجدتك، أليس كذلك؟ والآن سوف نتمكن من إيجاد رين".

وفي تلك اللحظة كان المنطاد قد بلغ أعلى "السحابة التاسعة"، التي كانت تتأرجح في الهواء كمبخرة، وراح يحلق فوقها، فأضاءت هيستير الكشافات ووجهتها نحو الحدائق المُدَمَرة لتمشيطها.

في هذه الأثناء كانت رين وثيو يشقان طريقهما، وقد حملا بيني رويال بينهما من جديد، عبر الحدائق بحثًا عن ملاذ لهم يختبئون فيه حين تسقط الطبقة على اليابسة في الصحراء.

"عمل رائع يا شباب..."، قالها بيني رويال وكان قد استفاق قليلًا، "... عظيم، سوف

أنظر في أمر عتقكما نظير جهدكما هذا...".

ثم إنه فقد وعيه من جديد مما جعل وزنه أكثر ثقلًا على كتفيهما بشكل لا يحتمل. وهكذا أرقداه فوق أرضية الطبقة وجلست رين بجواره، وكانت اليابسة على بُعد لا يتجاوز خمسمئة قدم أو ربما أقل. ومن موضعها كان بمقدور رين رؤية الشجيرات النامية بين الصخور المنتشرة في الصحراء، ونوافذ ومداخل بعض المباني العلوية لإحدى البلدات التي راحت تدنو من "السحابة التاسعة"، فوق عجلاتها الضخمة الشبيهة بالبراميل.

وكان صوت الحبال إذ تئن من حملها الثقيل من المعدن يملأ الأجواء، ولكن، من وراء ذلك الصوت، انبعث صوت ضجيج آخر أخذ يتصاعد، فرفعت رين وجهها تنظر نحو الأعلى حيث مصدر الصوت. وهناك، بين شبكة الحبال الثقيلة المتأرجحة، رأت أضواء كشافات البحث الباهرة التي راحت تمشط الحدائق والمسارات عبر المروج، وحين دققت النظر أكثر رأت من وراء أشعة الضوء المسلطة، ذلك المنطاد الصغير.

"انظرا!"، صرخت رين، فالتفت ثيو نحو الأعلى، ثم صرخ بدوره:

"جامعو المخلفات... أو ربما قراصنة جويون!".

وعلى متن البلدة المتحركة في الأسفل، بدا أن القوم قد حسبوا ذات الأمر، فقاموا بإطلاق صاروخ نحو المنطاد، لكنه لم يصبه وإنما انطلق من خلفه مباشرة نحو السماء، مما جعل مروحة التوجيه الخلفية ترتجف.

ومن نافذة زورق المنطاد أطل وجه، ثم دارت المركبة إلى أن هبطت فوق مساحة خاوية فوق الطبقة في موضع ليس ببعيد عن رين وثيو، بحيث كان في مقدور رين تمييز الشخصين الذين خرجا من زورق المنطاد واندفعا نحوها عبر المرج.

في البداية لم تصدق رين عينيها، لدرجة أنها أغلقتهما وقد حسبت نفسها تهلوس، غير مصدقة أن أمها وأباها هنا على متن "السحابة التاسعة"! وراحت تقول لنفسها إن ما مرت به خلال الفترة الماضية من أحداث لا بد وأنه قد أثر على عقلها وجعلها تتوهم الأشياء.

وبينما كانت لا تزال مغمضة العينين سمعت ذلك الصوت إذ يناديها... "رين".

ثم شعرت بشخص يلف ذراعيه حولها ويحتضنها بقوة... إنه والدها، إنه هو حقًا! ها هو ذا يعانقها ويضحك في غبطة وهو يصيح: "رين... رين".

وراح يردد اسمها مرارًا وتكرارصا، بينما الدموع تنساب من مقلتيه كجدولي ماء يشقان طريقهما عبر طبقات الغبار والرماد التي غطت وجهه.

***

"36"

لقاءات غريبة

"أنا آسفة..."، قالت رين، "آسفة كثيرًا، لقد كنت غبية بحق..."، ثم إنها توقفت ولم تزد إذ لم تكن قادرة على التفكير فيما يمكن أن تقوله.

"لا بأس..."، قالها والدها مطمئنًا إياها، "... لا بأس، لا يهم، أنتِ في أمان الآن، وهذا كل ما يهم".

ثم إن توم انتحى جانبا ليفسح المجال لهيستير، التي احتضنت ابنتها بقوة وحرارة...

"هل أنتِ بخير؟ هل تأذيتِ بأي شكل؟".

"أنا بخير"، قالت رين وهي تنشج.

ثم إن هيستير تراجعت خطوة للوراء وأمسكت بوجه رين بين كفيها وراحت تتأملها؛ وقد أدهشها كل هذا الحب الذي اكتشفت أنها تكنه لابنتها، ورغم أنها تكاد تكون لم تبكِ في حياتها من قبل، إلا أنها وجدت نفسها وقد سالت دموعها من السعادة باستعادة ابنتها من جديد، فأشاحت بوجهها عن توم ورين كي لا يشاهدا دموعها ويلمسا عاطفتها فيحسباها وقد صارت لينة. وهنا لمحت هيستير ذلك الشاب الأسود الطويل الذي وقف خلف رين في صمت.

"أمي، أبي..."، قالت رين وهي تلتفت نحو ثيو وتأخذه من يده لتقدمه لهما "... أقدم لكما ثيو نجوني، إنه من أنقذ حياتي".

"لقد أنقذ كل منا الآخر"، قالها ثيو بخجل، وكانت دموعه تنساب بدوره، إذ راح يتخيل كيف سيكون لقاؤه بأمه وأبيه إن هو استطاع إيجاد طريقه للعودة إلى "زاجوا".

نظرت هيستير نحو الملاح الشاب الوسيم بشك، أما توم فصافحه، ثم قال:

"أظن أنه من الأفضل أن نصعد إلى متن المنطاد".

ثم توجه نحو الـ "جيني هانيفر" ومعه ثيو، وما كادت هيستير تتبعهما حتى

صاحت رين:

"لا، انتظروا، بيني رويال...".

لكن توم وثيو لم يسمعاها، أما أمها فقد سمعتها بوضوح...

هرعت رين عبر الأشجار حيث تركا بيني رويال، الذي كان قد استعاد وعيه من جديد على صوت محركات المنطاد وراح يجاهد للوقوف على قدميه، فما إن رآها حتى افتر ثغره عن ابتسامة عريضة سرعان ما تلاشت بمجرد أن رأى ذلك الشخص الذي ظهر من ورائها، فصاح:

"آاه، يا لبوسكيت العظيم!".

لقد مضى وقت طويل منذ آخر مرة رأت فيها هيستير بيني رويال، منذ ذلك اليوم حين كان يركض هاربًا عبر الظلام والثلوج في أنكوراج، ليلة أن قتلت صيادي أركانجيل، أما آخر مرة تحدثت فيها إليه فكان قبل ذلك بقليل، في مطبخ منزل آل أكيوك، حين أخبرته بما فعلت، وبأن صيادي أركانجيل سيهاجمون أنكوراج.

تراجع بيني رويال في وهن إلى الوراء وقد شحب وجهه الملطخ بالدماء كشحوب الموتى، فاندفعت هيستير نحوه، وبخطوتين فقط كانت قد لحقت به فأمسكته ودفعته أرضا ثم سحبت سكينها بينما انبطح هو عند قدميها...

"رجاءً..."، صاح بيني رويال متوسلًا، "دعيني، سوف أعطيكِ كل شيء".

"اخرس..."، قالتها هيستير وهي تجذب رأسه لتكشف عنقه، بينما تراجعت للوراء قليلًا كي لا تلطخ دماؤه معطفها الجديد.

"أمي، لاا..."، صاحت رين وهي تزيحها جانبًا بسرعة.

"لا تقحمي نفسك في هذا الأمر..."، صاحت هيستير مزمجرة بغلظة وغضب.

إلا أن رين ما كان لها لتنأى بنفسها عن ذلك. وكانت قد لاحظت النظرة التي لاحت في عيني أمها حين رأت بيني رويال، إذ لم تكن نظرة كراهية أو غضب، ولا نظرة رغبة في الانتقام، بل نظرة خوف؛ وعلى الفور فهمت رين كل شيء وأدركت أنه ما من سبب يجعل أمها تخشى الرجل إلا إذا كان ما قاله عنها حقيقيًا.

اندفعت هيستير من جديد نحو الرجل، فقفزت رين بينهما وفردت ذراعيها لتحميه...

"أنا أعرف كل شيء..."، صرخت رين "... أعرف ما فعلتِ، ولو أنك تريدين قتله لإسكاته فقد فات الوقت، أما إذا كنت تريدين إبقاء ما فعلته طي الكتمان فعليكِ قتلي أنا أيضًا".

"قتلك؟!"، صاحت هيستير ثم جذبت رين من ياقة سترتها ودفعتها بقوة لتصطدم بإحدى الأشجار، "إنني أتمنى لو لم تكوني قد ولدتِ من الأساس!".

ثم إنها أدارت السكين، لتنعكس الأضواء المنبعثة من الحرائق على نصله وتسقط على وجه رين المرتعب الذي بدا لهيستير في تلك اللحظة شديد الشبه بأختها غير الشقيقة، كاثرين فالانتاين، التي ماتت وهي تحميها من سيف أبيهما.

"أمي؟!!"، هتفت رين بصوت خفيض من أثر الصدمة، فخفضت هيستير سكينها، وفي اللحظة التالية كان توم وثيو قد لحقا بهم عند الأشجار...

"ما الذي يجري؟"، صاح ثيو، الذي بلغهم أولًا، "رين... هل أنتِ بخير؟".

"إنها تحاول قتله"، صرخت رين وهي تسقط على ركبتيها وتبكي بشدة لدرجة أن أيًا من ثيو وتوم لم يستطع تمييز ما تقول، لكنها ظلت تردد، "إنها تريد قتل بيني رويال".

فنظر توم للأسفل نحو بيني رويال، الذي ما إن رآه حتى رفع يدًا مرتعشة وقال:

"توم، زميلي العزيز، لا داعي للتهور...".

وقف توم واجمًا في صمت، وفي ذهنه لاحت ذكرى تلك الليلة حيث رقد بين الثلوج في أنكوراج حين أطلق بيني رويال النار عليه، وتذكر كيف عصف إحساس الغدر بكيانه وهو موشك على الموت. وحتى اليوم، لم يزل يشعر بذلك الثقب في صدره، ومذاق الدماء في فمه، وما زال صوت محركات الـ "جيني هانيفر". وهو يحلق بعيدًا وعلى متنه بيني رويال الذي سرقه ليفر به. يتردد في أذنيه.

كان الغضب يجتاح كيان توم في هذه اللحظة، تمامًا مثل هيستير، حتى أنه كاد ينتزع السكين من يدها ليجهز على الوغد العجوز بنفسه. لكنه سرعان ما استعاد

السيطرة على أعصابه وكبح جماح غضبه، فنظر نحو هيستير ومد يده لها ليمسك بيدها...

"هيت، انظري إليه، لقد أمسى مجرد عجوز بائس قليل الحيلة، وقد التهمت النيران قصره وفقد كل ما يملك، أو ليس هذا انتقامًا كافيًا؟ دعينا نأخذه معنا على متن الـ"جيني هانيفر" ونرحل عن هنا سريعًا قبل أن يسقط هذا المكان".

"لا"، صرخت هيستير، "هل نسيت ما حدث حين اصطحبناه معنا في الماضي؟ هل نسيت ما فعله بك؟ لقد قتلك تقريبًا... لا، لا يمكنك أن تغفر له بهذه البساطة".

"بلى، يمكنني"، هتف توم بلهجة حاسمة وهو ينحني بجوار بيني رويال ويشير لثيو كي يساعده على حمله، "وما البديل في رأيك؟ أن نقتله؟ وما الذي سنجنيه حينها؟ هذا لن يغير شيئًا...".

"بل سيغير الكثير"، قالتها رين بنبرة غريبة غير مألوفة، حتى أن توم رفع رأسه وراح ينظر إليها متعجبًا.

كانت رين تبكي وتنتحب بشدة وقد غرق وجهها في الدموع والمخاط، وقد أجفلت وتراجعت للوراء خطوة حينما استدارت أمها نحوها، ثم صاحت من جديد:

"لو أنها قتلته فستضمن حينها أنه لن يخبرك بحقيقة ما اقترفت، لن يخبرك بأنها باعت أنكوراج لصيادي أركانجيل...".

"كذب!"، صرخت هيستير وهي تمسك برأسها كما لو أن الفتاة قد ضربتها، ثم هتفت وهي تحاول اصطناع ضحكة سخرية، "... لقد ملأ بيني رويال رأسها بأكاذيبه".

"لا..."، صاحت رين، "إنها الحقيقة، على مدار كل تلك السنوات ظل الجميع ممتنًا لها لإنقاذ أنكوراج من الصيادين، لكن الحقيقة أنها هي من جلبتهم إلى مدينتنا بالأساس. لقد تمنيت لو أن هذا ليس حقيقيًا، وحاولت كثيرًا إقناع نفسي بأنه غير صحيح، لكن للأسف هذه هي الحقيقة".

تطلع توم نحو هيستير في انتظار أن تنكر هذا، لكنها قالت أخيرًا:

"لقد فعلت ذلك من أجلك".

“إذن... هذا الكلام حقيقي؟!”.

تراجعت هيستير مبتعدة عنه، ثم قالت:

“بالطبع هو كذلك، أين تحسبني قد ذهبت في تلك الليلة حين رحلت على متن الـ “جيني هانيفر”؟ لقد توجهت رأسًا إلى أركانجيل وأخبرت ماسجارد بمسار أنكوراج. لم يكن أمامي حل آخر سوى هذا كي لا أفقدك، ما كان بإمكاني تحمل فقدانك، ما كنت لأتحمل ذلك... توم، بحق الآلهة، لقد كان هذا منذ ستة عشر عامًا مضت، ولم يعد يعني شيئًا الآن، أليس كذلك؟ لقد أصلحتُ كل شيء وأعدتُ الأمور لنصابها الصحيح، قتلت ماسجارد ورجاله... لقد فعلت كل ذلك فقط من أجلك أنت...”.

ولكن ... لقد كان توم ناتسوورثي آخر، مختلف، ذلك الذي أحبته لدرجة دفعتها لخيانة مدن كاملة فقط من أجله. كان توم الذي أحبته شابًا شجاعًا وسيمًا، يملك من العاطفة ما يجعله يغفر لها ما اقترفت. أما توم الحالي، مؤرخ أنكوراج الجبان الذي يقف محدقًا إليها وقد فغر فاه بغباء، وابنته الغبية الباكية تلك، فليس بمقدورهما فهم ما فعلته أو استيعابه... الآن فقط أدركت أنها مختلفة عنهما، لم تكن مثلهما يومًا، الآن فقط أدركت كم كانت حمقاء حين ظنت أن بإمكانها العيش والاستمرار في عالمهما...

“كل تلك السنوات...”، قالت هيستير وهي تلقي بسكينها بعيدًا، “... كل تلك السنوات في فينلاند معكما... يا للآلهة، لكم شعرت بالملل!”.

وكانت هيستير ترتجف بشدة، وقد جعلها هذا تتذكر تلك الليلة يوم انفجرت الـ “ميدوسا” في لندن، حين تجرأت على تقبيل توم للمرة الأولى؛ كانت ترتجف بنفس القوة حين وُلد حبهما، والآن ها هي ترتجف من جديد مع انتهاء كل شيء بينها وبينه.

ثم إنها استدارت وراحت تخف الخطى مبتعدة عن توم نحو الحدائق المنهارة، وعبر سحب الدخان لمحت موضعًا ما منخفضًا، حسبته في البداية أحد المباني، ثم أدركت أنه عبارة عن متاهة بين النباتات، فهرعت متجهة نحوها.

“هيستير!”، صاح توم من خلفها.

“ارحل...”، استدارت هيستير دون أن تتوقف وصاحت فيه، بينما هو يهرع وراءها

ومن خلفه رين وفتاها الإفريقي.

"ارحل..."، صاحت من جديد وهي تشير نحو المنطاد، "خذ رين وارحلا من هنا قبل أن يقوم بيني رويال بسرقته مرة ثانية".

إلا أن توم راح يصرخ من جديد، "هيستيييير!".

"لن أعود يا توم!"، صاحت بينما الدخان يتفجر من حولها والرياح الساخنة المنبعثة من الحرائق تطيح بطرف معطفها كأجنحة سوداء حتى بدت كملاك مهيب، وكانت تبكي.

"عد إلى فينلاند، ولتنعم بحياتك... لكن بدوني، سوف أبقى هنا".

"هيستير، لا تكوني غبية، هذا المكان ينهار".

"إنه يسقط في الصحراء فقط، سوف أنجو. يوجد بلدات صحراوية قاسية ومدن جامعي المخلفات بالأسفل، إنه المكان الذي يناسبني".

وكان توم قد بات على مسافة قريبة منها، ومن موضعها رأت وجهه يلتمع بالدموع على ضوء النيران. لقد أرادت بشدة أن تعود إليه لتلقي بنفسها بين ذراعيه وتقبّله، لكنها كانت تعلم أنها لن تستطيع لمسه مرة أخرى، فما اقترفته في الماضي سيقف حائلًا بينهما إلى الأبد.

"أحبك يا توم"، صاحت هيستير، ثم استدارت وراحت تركض نحو المتاهة بينما ألواح الطبقة تميل وتهتز تحت قدميها، لكنها ظلت تركض على غير هدى وهي تبكي وتضحك في آن معًا.

ومن خلفها كان صوت توم الصارخ باسمها يبتعد شيئًا فشيئًا.

وفي الأعلى كان ما تبقى من أغلفة الغاز التي تحمل الطبقة يشتعل الواحد تلو الآخر ويملأ الحدائق والمتاهة بظلال غريبة. راحت هيستير تعدو عبر المتاهة وتنتحب، إلى أن تعثرت وسقطت على الأرض لتخدش الأغصان وجهها، وقد أدركت أن ذلك المكان لن يصلح كمخبأ لها حين تسقط الطبقة.

وفي قلب المتاهة، كان شيء يربض بين الشجيرات في انتظارها... توقفت

هيستير فجأة لتنزلق فوق العشب، فخرج الشيء من بين الشجيرات كاشفًا عن نفسه لها.

في البداية ظنت هيستير أن هذا الشيء مصنوع من كتلة من النار، ثم سرعان ما أدركت أن ذلك الوهج ليس سوى انعكاس اللهب المنبعث عن أغلفة الغاز على الدروع المعدنية المصقولة؛ وحين رفعت رأسها ورأت الوجه الميت الذي افتر موضع الثغر فيه عن ابتسامة، عرفته على الفور! إنها تعرفه جيدًا، وقد قامت بدفنه بنفسها منذ ثمانية عشر عامًا في "الجزيرة السوداء" ووضعت ركامًا من الأحجار فوق قبره.

ومن موضعها كان باستطاعتها أن تشم رائحته المميزة: رائحة الفورمالدهايد والمعدن الساخن.

"هيستيييير"...

تناهى صوت توم إلى مسامعها إذ يناديها لآخر مرة من مكان ما من ورائها بعيدًا وسط الحدائق، بينما وقف "جريك" أمامها منتصبًا وقد مد يديه المرعبتين نحوها... "هيستير شاو".

***

انفجر غلاف غاز آخر محدثًا دويًا، ومنه انبعثت النيران نحو السماء، ووجد توم نفسه وقد سحبت الأرض من تحت قدميه مع سقوط الطبقة، ليقع فوق العشب ويتدحرج مع ميل الأرض إلى أن ارتطم بتمثال لبوسكيت.

"هيستيييييير..."، صرخ من جديد وهو يتدافع على الأرض، لكن صوته خرج واهنًا متقطعًا بفعل السقوط، وفي صدره شعر بالألم يعتصر قلبه، فوضع يدًا فوق صدره وراح يضغط بقوة وقد انثنى على نفسه من الألم الذي كان يزداد ويعصف به، إلى أن فقد الوعي فوق العشب.

وحين أفاق، شعر بشخص ينحني بجواره، فتمتم:

"هيستير؟".

"أبي..."، كانت ابنته رين هي من يجلس بجواره وقد وضعت يدًا على ظهره وأخرى على كتفه وراحت تساعده على النهوض، بينما كانت تتطلع إليه بخوف

ووجهها غارق في الدموع.

"أنا بخير"، قالها توم، وكان صادقًا، إذ كان الألم قد انحسر عنه أخيرًا، ومع ذلك فقد كان يشعر بإعياء ودوار، "لقد أصابتني هذه الأزمة من قبل، لا بأس".

ثم إنه حاول الوقوف على قدميه، فهرع ثيو ليساعده، وقام برفعه بسهولة.

ولا بد أنه قد فقد وعيه مرة أخرى بينما حمله ثيو عبر الحدائق، إذ كان يحسب أن هيستير بصحبته، لكنه حين رفع وجهه ونظر من حوله لم يجدها، بل وجد نفسه وقد بات عند فتحة الـ "جيني هانيفر" بينما بيني رويال يتطلع نحوهما من النافذة.

وكان توم مضطربًا تمامًا، عاجزًا عن التوازن، خاصة مع الميل الحاد للطبقة، وكان الشيء الوحيد الواضح له أن رين تمسك بيده بقوة وتحاول التبسم، ومع ذلك فقد كانت تبكي في ذات الوقت.

"رين..."، قال توم، "لا يمكننا الرحيل، علينا أن نجد والدتك".

إلا أن رين هزت رأسها وقالت وهي تعاون ثيو على حمله إلى داخل المنطاد:

"علينا أن نخرجك من هذا المكان المروع قبل فوات الأوان".

انغلقت فتحة المنطاد، وبينما توجه ثيو لمساعدة بيني رويال في تشغيل المحركات، ركعت رين بجوار والدها وأحاطته بذراعها تمامًا مثلما كان يفعل معها وهي بعد طفلة صغيرة حينما كانت ترقد مريضة أو عندما كانت تشعر بالخوف... "لابأس، لابأس..."، هكذا كان يهمس لها في حنان، وهكذا راحت تهمس له الآن وهي تمسد شعره وتقبله:

"لا بأس، لا بأس..."، إلى أن هدأ قليلًا.

وفي داخلها، جاهدت كي لا تفكر في أمها وما فعلته وقالته، والوهج الذي انعكس على نصل سكينها... فقط كانت تدرك أنها منذ الآن لم يعد لها أم.

لكم تقدم بها العمر!

كان جريك يحسب نفسه قد فهم كل ما يتعلق بالبشر الفانين والأفاعيل التي يحدثها الزمن بهم، ومع ذلك فقد شعر بالصدمة لرؤية طفلته الصغيرة وقد غزت

التجاعيد وجهها المشوه، واستحال شعرها الأحمر الجميل إلى هذه الخصلات الرمادية الخشنة.

ثم إنه تقدم نحوها، فجمدت في مكانها وقد انعقد لسانها، تمامًا مثلما يفعل أي من الفانين حين يجد نفسه وقد وقع في قبضة مطارد، ومن بين ساقيها انساب ذلك السائل الساخن المقزز إذ أفرغت أمعاءها من الخوف. وقد آلمه كثيرًا أن تخشاه طفلته إلى هذا الحد، فجذبها نحوه بقدر ما استطاع من رفق، وقال:

"لقد افتقدتكِ كثيرًا".

وفوق صدره المدرع المتغضن من أثر المعركة، انفجرت هيستير في بكاء مرير، وأخذت تبكي وترتجف، فيما تناهى لمسامعها أتعس صوت يمكن لها أن تسمعه على الإطلاق: هدير المحركات من طراز "جانيت كاروتس"، التي راحت تدوي في الأعلى لتنبئها بأن الـ "جيني هانيفر" قد أقلعت من دونها، لترحل بركابها بعيدًا.

وفي اللحظة التالية كانت "السحابة التاسعة" تحط فوق اليابسة أخيرًا، حيث انغرس التلفريك المتدلي أولًا بين الرمال كمرساة، ثم اصطدمت حافة الطبقة بسلسلة من الصخور، واندفعت الآلات الطائرة المحطمة والأشجار التي اقتلعت من جذورها بفعل الاصطدام، لتسقط في الصحراء. ثم انقطعت الحبال الضخمة التي تتصل بأغلفة الغاز أخيرًا لتتحرر باقي الأغلفة الممزقة ثم تسقط عبر عاصفة من الدخان والغبار.

أما القصر الملكي الذي كان مهيبًا فاخرًا، فقد انهارت أجزاء كاملة منه وتطايرت التحف والقطع الثمينة التي كان يعج بها، في كل مكان، بينما تداعت السلالم وانهارت الشرفات، وانفجرت حمامات السباحة. وعبر رمال الصحراء تدحرجت القباب ذات اللون الوردي الشبيه بلون الحلوى، ومن خلفها تدافعت بلدات جامعي المخلفات الجشعة.

وجاءت لحظة الدمار النهائي، إذ انهار حطام "السحابة التاسعة" لتزداد تهشمًا، واندلعت النيران من جديد تلتهم بقايا الكابلات وأغلفة الغاز المهترئة؛ واستمرت الانهيارات والنيران والانفجارات ترج الأرض رجًا، إلى أن أتى الدمار على كل شيء، وساد الصمت.

استمر الصمت لفترة، لا يقطعه سوى صوت حبات الرمال والغبار إذ يهبط ببطء إلى الأرض بعد انتهاء كل شيء، وقبل أن تصل بلدات جامعي المخلفات لتلتهم الحطام، نهض المطارد جريك من وسط الركام وحمل هيستير بين ذراعيه ومضى بها إلى حيث الصحراء، والظلام.

***